البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان

الغرناطي الأندلسي

٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

محمد رضوان عرقسوسي

الجزء الثالث عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون
(١) الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل
يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٢) وهو الذي مد
الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن
في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في
ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق
جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون (٥) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦) ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧) الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما
تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار (٨) عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال (٩) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار (١٠) له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما
بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
(١١) هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال (١٢) ويسبح الرعد
بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في
الله وهو شديد المحال (١٣) له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط

كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ
قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ
وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا
يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ
لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

المفردات العَمَد اسم جمع، ومن أطلقَ عليه جمعاً فلكونه يُفهم منه ما يُفهم من الجمع، وهي الأساطين. قال الشاعر:

وخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ(١)

والمفردُ عِماد. [وعِماد] وعَمَد؛ كإهاب وأَهَب(٢). وقيل: عمود وعَمَد؛ كأديم وأَدَم، وقَضِيم وقَضَم(٣).

والعِماد والعَمُود: ما يُعْمَد به، يقال: عَمَدْتُ الحائطَ أَعْمِدُه عَمْداً: إذا أدْعَمْتَهُ، فاعتمد الحائط على العِماد، أي: امتسك به.

ويقال: فلانٌ عُمْدَةُ قومِه: إذا كانوا يعتمدُونه فيما يَحْزُبُهُم.

ويُجمع عِماد على عُمُد، بضمتين، كشِهاب وشُهُب. وعَمُود على عُمُد أيضاً،

---

(١) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو في «ديوانه» ص٣٣. قولُه: خَيِّسْ، أي: ذَلِّلْ، والصُّفَّاح: حجارة عِراض، الواحدة صُفَّاحة. ينظر «اللسان» (خيس- صفح). وتحرف لفظ: خيِّس، في المطبوع إلى: جيش، ويبنون، إلى: يبغون.

(٢) لفظ «وعماد» بين حاصرتين زيادة من عندي من أجل السياق.

(٣) في قوله: عمود وعَمَد كأديم وأَدَم...؛ قال السمين الحلبي في «الدرّ المصون» ٧/ ٩ : «جعلوا فَعُولاً كفعيل في ذلك، وفيه نظر، لأنَّ الأوزان لها خصوصيَّة، فلا يلزم من جمع فَعِيل على كذا أن يُجمع عليه فَعُول، فكان ينبغي أن يُنظِّروه بأنَّ فَعُولاً جُمع على فَعَل». اهـ. والأديم: الجِلْد؛ والقضيم: الجلد الأبيض يكتب فيه. ينظر «القاموس» (أدم - قضم).

كرَسُول ورُسُل، وزَبُور وزُبُر. هذا في الكثرة، ويُجمعانِ في القِلَّة على أعمدة.

الصِّنْوُ: الفَرْعُ يجمعُه وآخَرَ أصلٌ واحد، وأصلُه: المِثْلُ، ومنه قيل للعَمِّ: صِنْوٌ، وجمعُه في لغة الحجاز: صِنْوَانٌ، بكسرِ الصَّاد، كقِنْوٍ وقِنوان، وبضمِّها في لغة تميم وقيس، كذِئْب وذُؤبان. ويقال: صَنْوان، بفتح الصَّاد، وهو اسم جمع لا جمعُ تكسير، لأنه ليس من أبنيته.

الجديد ضد الخَلَق والبالي، ويقال: ثوب جديد، أي: كما فُرغ من عمله، وهو فعيل بمعنى مفعول، كأنَّه كما قُطع من النَّسج.

المَثُلَةُ: العُقُوبة، ويُجمع بالألف والتاء، كَسَمُرة وسَمُرات[١]، ولغة الحجاز: مَثْلَة، بفتح الميم وسكون الثاء، ولغةُ تميم بضمِّ الميم وسكون الثاء.

وسمِّيت العقُوبة بذلك لِما بينَ العِقاب والمُعاقَب من المماثلة، كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾[الشورى: ٤٠]، أو لأنَّها من المِثال، بمعنى القِصَاص، يقال: أَمْثَلْتُ الرجلَ من صاحبه وأقْصَصْتُه، أو لأنَّها لعِظَمِ نكالها يُضربُ بها المَثَل.

السَّارب: اسم فاعل من سَرَبَ، أي: تصرَّف كيف شاء، قال الشاعر:

أنَّى سَرَبْتِ وكُنْتِ غيرَ سَرُوبِ ... وتُقَرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ[٢]

وقال الآخر:

وكلُّ أناسٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ ... ونحنُ خَلَعْنا قَيْدَه فَهْوَ سارِبُ[٣]

أي: فهو مُتصرِّف كيف شاء لا يُدْفَعُ عن جهة، يفتخرُ بعزَّة قومه.

المِحَال: القوة والإهلاك، قال الأعشى:

---

(١) تحرفت في المطبوع إلى: سموة وسماوات.

(٢) البيت لقيس بن الخَطِيم، وهو في «ديوانه» ص٥٥. وذكره الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٤٥٣، وابن الأنباري في «الأضداد» ص٧٧. ووقع في (أ) و (يه): سريت، وهو تحريف.

(٣) البيت للأخنس بن شهاب كما في «إصلاح المنطق» ص٢٢٥ . قال السيرافي في «شرح أبياتِ إصلاح المنطق» ص٣٧٨ : يعني بالفحل هنا: السيِّد، يقول: كل أُناس غيرَنا لم يتركوا رئيسَهم وسيِّدَهم أن يُفارقهم ويبعدَ عنهم خشيةً عليه من القتل، ونحن لعزّنا لا يجترئ أحد على سيِّدنا وإن كان وحدَه بعيداً عنَّا. اهـ. ووقع في المطبوع: حللنا، بدل: خلعنا.

فَرْعُ نَبْعٍ[١] يَهْتَزُّ في غُصُنِ المَجْـ ـدِ عظيمُ النَّدى شديدُ المِحالِ[٢]

وقال عبد المطلب:

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ عَدْواً مِحَالَكْ[٣]

ويقال: مَحَلَ الرَّجُلُ بالرَّجُل: مَكَرَ به وأخذَه بسِعاية شديدة، والمُماحَلةُ: المُكايدةُ والمُماكرة، ومنه: تَمَحَّلَ لكذا، أي: تَكَلَّفَ استعْمالَ الحِيلة واجتهد فيه.

وقال أبو زيد: المِحال النِّقْمة.

وقال ابن عرفة: المِحَال: الجِدال، ماحَلَ عن أمره، أي: جادَلَ.

وقال القُتبيّ: أي: شديد الكيد، وأصلُه من الحِيلة. جعلَ ميمَه كميم «مكان»، وأصلُه من الكَوْن. ثم يقال: تمكَّنْتُ. وغَلَّطَه الأزهريّ في زيادة الميم؛ قال: ولو كان مِفْعلاً، لظهرَ من الواو، مثل: مِزْوَد، ومِجْوَل، ومِحْوَر، وإنما هو مثال كمِهَاد، ومِرَاس[٤].

الكَفُّ: عضوٌ معروف، وجمعُه في القلَّة: أكُفّ، كصَكّ وأَصُكّ، وفي الكثرة: كُفُوف، كصُكُوك، وأصلُه مصدر: كَفَّ.

ظلُّ الشيء: ما يظهرُ من خياله في النور، وبمثله الضوء[٥].

الزَّبَد؛ قال أبو الحجَّاج الأعلم: هو ما يطرحُه الوادي إذا جاشَ ماؤه واضطربَتْ أمواجُه.

وقال ابنُ عطيَّة: هو ما يحتملُه[٦] السَّيل من غُثاء ونحوِه، وما يرمي به ضِفَّتَيه[٧]

---

(١) في (أ) و(ح): فرع نبلٍ.
(٢) ديوان الأعشى ص٥٧ . وفيه: غزير الندى، بدل: عظيم الندى.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥١ . ووقع في مطبوع البحر: أبداً، بدل: عَدْواً.
(٤) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٢٦ ، وتهذيب اللغة ٥/ ٩٥-٩٦ ، واللسان ١١/ ٦١٨-٦١٩ (محل).
(٥) في المطبوع: في الضوء. وفي (أ) و(يه): وبميله الضوء.
(٦) في المطبوع: يحمله.
(٧) في المطبوع: على ضفتيه.

من الحَبَاب المُلْتبك(١).

وقال ابنُ عيسى: الزَّبَد: وَضَرُ الغَلَيان وخَبَثُه؛ قال الشاعر:

فما الفُراتُ إذا هَبَّ الرِّياحُ لهُ تَرْمي غَوارِبُهُ العِبْرَيْنِ بالزَّبَدِ(٢)

الجُفَاء: اسمٌ لما يَجْفَؤُهُ(٣) السَّيْل، أي: يرمي به. يقال: جَفَأَتِ القِدْرُ بزَبَدِها، وجَفَأَ السَّيْلُ بزَبَدِه، وأَجْفَأَ وأَجْفَلَ.

وقال ابنُ الأنباريّ: جُفاءً، أي: متفرّقاً، من جفأتِ الرِّيحُ الغَيْم: إذا قَطَعَتْه، وجَفَأْتُ الرَّجلَ: صَرَعْتُه، ويقال: جَفأ الوادي وأَجْفَأ: إذا نَشِف(٤).

* * *

التفسير ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

هذه السورة مكيَّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وابنِ جُبير. وعن عطاء إلا قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾، وعن غيره: إلا قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ﴾.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٧. قوله: الحَبَاب، يعني النُّفَّاخات (الفقاقيع) التي تعلو الماء. والمُلْتَبك: المختلط.

(٢) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو في «ديوانه» ص٣٦. قوله: العِبْرَيْن، هو مثنَّى العِبْر، وهو من النهر شاطئُه وناحيتُه، وغوارب الماء: أعالي موجه. ونُسب البيت في (يه) لأوس بن حجر، وهو خطأ.

(٣) جاءت الهمزة في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع على الألف، وأثبتُّها على القاعدة. وثمة نقص في (ز١) أول السورة.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٦، وليس كلُّه لابن الأنباري، وتحرّف لفظ: جفأ، في مطبوع البحر، إلى جفّ، وسقط منه لفظ: وأجفأ. وجاء بعده في (يه) بيت هو لكعب بن زهير: تنفي الرياح القذى عنه . . .، وهو من قصيدته: بانت سعاد، وهو مقحم في هذا الموضع، على تحريف فيه، ونُسب فيها لابن كعب الأحبار! ولن أكرِّر مثل هذا التعليق؛ لئلَّا تطول الحواشي.

ومدنيَّة في قول الكلبيّ ومقاتل. وابن عباس وقتادة واستثنيا آيتين قالا: نزلتا بمكة، وهما: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ إلى آخرهما، وعن ابن عباس: إلا قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إلى آخر الآية. وعن قتادة: مكية إلا قولَه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية. حكاه المَهْدَوِي[(١)].

وقيل: السورة مدنيَّة. حكاه القاضي منذر بن سعيد[(٢)] البلّوطيّ، ومكيُّ بنُ أبي طالب.

قال الزَّمخشري[(٣)]: «تلك» إشارة إلى آيات السورة، والمرادُ بـ«الكتاب»: السورة، أي: تلك آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها.

وقال ابنُ عطيَّة: من قال: حروف أوائل السور هي[(٤)] مثال لحروف المعجم قال: الإشارة هنا بـ «تلك» هي إلى حروف المعجم، ويصحُّ على هذا أن يكون «الكتاب» يُراد به القرآن، ويصحُّ أن يُراد به التوراة والإنجيل. و«الٓمٓر» على هذا ابتداء، و«تلك» ابتداء ثان، و«آيات» خبر الثاني، والجملة خبر الأول. انتهى. ويكون الرابط اسم الإشارة، وهو «تلك».

وقيل: الإشارة بـ «تلك» إلى ما قصَّ عليه من أنباء الرُّسُل المشارِ إليها بقوله: «تلك من أنباء الغيب».

والذي قال: ويصحُّ أن يُراد به التوراة والإنجيل؛ هو قريب من قول مجاهد وقتادة؛ قالا: أشار[(٥)] بـ «تلك» إلى جميع كتب الله تعالى المنزّلة. ويكون المعنى:

(١) ينظر: تفسير الثعلبي ٣/ ٤٢٠، والنكت والعيون ٣/ ٩١، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٠ ، وزاد المسير ٤/ ٢٩٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٥.
(٢) في المطبوع: سعد، وهو خطأ، ولفظة «القاضي» من (ح). وهو منذر بن سعيد أبو الحكم الأندلسي البلوطي، قاضي الجماعة بقرطبة. ينظر «سير أعلام النبلاء» ١٦/ ١٧٣ .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٤٨ .
(٤) المثبت من (يه)، وهو كذلك في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٠. ووقع في (ح): من، بدل: هي. وفي (أ): أوائل السورتين، وهو تحريف. ووقع نقص في (ز١) في هذا الموضع.
(٥) في (ح) والمطبوع: والإشارة، بدل: قالا أشار. وسلف نحو هذا الكلام للمصنف عنهما في أوّل سورة يونس. وقد أخرج الطبري في تفسيره ١٣/ ٤٠٦ عن مجاهد في قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: التوراة والإنجيل. وأخرج عن قتادة قوله: الكتب التي كانت قبل القرآن.

تلك الآيات التي قصصتُ عليك خبرّها هي آياتُ الكتاب الذي أنزلتُه قبل هذا الكتاب الذي أنزلتُه إليك.

والظاهر أنَّ قوله: «والذي» مبتدأ، و«الحقُّ» خبرُه، و«من ربك» متعلق بـ «أنزل».

وأجاز الحَوْفي أن يكونَ «من ربِّك» الخبر، و«الحق» خبر مبتدأ محذوف، أو هو خبرٌ بعد خبر، أو كلاهما خبرٌ واحد[1]، انتهى. وهو إعراب متكلَّف.

وأجاز الحَوْفي أيضاً أن يكون «والذي» في موضع رفع عطفاً على «آيات»، وأجاز هو وابنُ عطية أن يكون «والذي» في موضع خفض، وعلى هذين الإعرابين يكون «الحقُّ» خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هو الحقُّ، ويكون «والذي أنزل» مما عُطف فيه الوصف على الوصف، وهما لشيء واحد، كما تقول: جاءني الظريف والعاقل، وأنت تريد شخصاً واحداً، ومن ذلك قول الشاعر:

إلى الملكِ القَرْمِ وابْنِ الهُمَامْ ... ولَيْثِ الكتيبةِ في المُزْدَحَمْ[2]

وأجاز الحَوْفي أن يكون «الحقّ» صفة «الذي». يعني إذا جعلتَ «والذي» معطوفاً على «آيات».

و«أكثر الناس» قيل: كفَّار مكة، لا يصدِّقون أنَّ القرآن منزَّلٌ من عند الله تعالى.

وقيل: المرادُ به اليهودُ والنصارى، والأَولى أنه عامّ.

ولمَّا ذكر انتفاء الإيمان عن أكثر الناس؛ ذكرَ عَقِيبه ما يدلُّ على صحة التوحيد والمعاد، وما يَجْذِبُهم إلى الإيمان ممَّا[3] يفكّر فيه العاقل ويشاهدُه من عظيم القُدرة وبديع الصُّنع.

---

(١) الإملاء ٢/ ٦٠ .

(٢) الكلام في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٠-٢٩١ . والبيت أيضاً في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٥، و«الإنصاف» ٢/ ٤٦٩ ، و«الكشاف» ١/ ١٣٣ ، قوله: القَرْم، أي: السيّد، والهُمام: الملك العظيم الهمَّة، والمزْدَحَم: محلّ الازدحام... أراد به المعركة. قاله البغدادي في «الخزانة» ١/ ٤٥١ .

(٣) في (ح): فيما.

والجلالة مبتدأ، و«الذي» هو الخبر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾. ويجوز أن يكون صفة، وقولُه: «يُدبِّرُ الأمر يفصِّلُ الآيات» خبراً بعد خبر، وينصرُه ما تقدَّمه من ذكر الآيات. قاله الزمخشريّ(١).

وقرأ الجمهور: «عَمَد» بفتحتين، وقرأ أبو حَيْوَة ويحيى بن وثَّاب بضمتين(٢).

و«بغير عَمَد» في موضع الحال، أي خاليةً عن عَمَد، والضمير في «ترونها» عائد على السماوات، أي: تشاهدون السماوات خاليةً عن عَمَد، واحتملَ هذا الوجه أن يكون «تَرَوْنها» كلاماً مستأنفاً، واحتملَ أن يكون جملةً حاليَّة، أي: رَفَعَها مرئيَّةً لكم بغير عَمَد، وهي حالٌ مقدَّرة، لأنه حين رفعها لم نكن مخلوقين.

وقيل: ضمير النصب في «تَرَوْنها» عائد على «عَمَد» أي: بغير عمد مرئيَّة، فـ «ترونها» صفة للعَمَد، ويدلُّ على كونه صفة لـ«عَمَد» قراءةُ أُبيّ: «ترونه»، فعاد الضمير مذكَّراً على لفظ «عَمَد» إذ هو جمع(٣). قال ابن عطية(٤): اسمُ جمعِ عمود، والباب في جمعه: عُمُد، بضمّ الحروف الثلاثة، كرسول ورُسُل. انتهى. وهذا وهم، وصوابُه بضمّ الحرفين، لأنَّ الثالث هو حرفُ الإعراب، فلا يُعتبر ضمُّه في كيفية الجمع.

وهذا التخريج يحتملُ وجهين: أحدُهما أنها لها عَمَد، ولا تُرى(٥) تلك العَمَد، وهذا ذهب إليه مجاهد وقتادة. وقال ابن عباس: وما يدريك أنها بعَمَد لا تُرى؟

وحكى بعضُهم أنَّ العَمَد جبلُ قاف المحيطُ بالأرض، والسماء عليه كالقُبَّة(٦).

---

(١) الكشاف ٢/٣٤٨ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٩١ عن يحيى بن وثاب، وزاد المسير ٤/٣٠١ عن أبي حَيْوة.

(٣) في (يه) والمطبوع: اسم جمع. وينظر كلام المصنف أول السورة. وتنظر قراءة أُبيّ في المصدر السابق.

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢٩١ .

(٥) في (أ): نرى.

(٦) المصدر السابق. وأخرج الطبري في «تفسيره» ١٣/٤١١ عن إياس بن معاوية قال: السماء مقبَّبةٌ على الأرض مثل القُبَّة. وأخرج أيضاً ١٣/٤٠٩-٤١٠ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أقوالهم السالفة.

والوجه الثاني: أن يكون نَفَى العَمَد، والمقصودُ نفيُ الرؤية عن العَمَد، فلا عَمَد ولا رؤية، أي: لا عَمَد لها فترى.

والجمهور على أنَّ السماوات لا عَمَد لها البتَّة، ولو كان لها عَمَدٌ لاحتاجت تلك العَمَدُ إلى عَمَد، ويتسلسلُ الأمر، فالظاهرُ أنها مُمسَكةٌ بالقدرة الإلهية، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥] ونحو هذا من الآيات.

وقال أبو عبد الله الرازي: العِمادُ ما يُعتمد عليه، وهذه الأجسام واقفة في الحيِّز[(١)] العالي بقدرة الله تعالى، فعَمَدُها قُدرةُ الله تعالى، فلها عِماد في الحقيقة، إلا أنَّ تلك العَمَد إمساكُ الله تعالى وحِفْظُه وتدبيرُه وإبقاؤه إياها في الحيّز العالي، وأنتم لا ترون ذلك التدبير، ولا تعرفون كيفية ذلك الإمساك. انتهى.

وعن ابن عباس: ليست من دونها دِعامةٌ تدعمُها، ولا فوقَها عِلاقةٌ تُمسكها[(٢)].

وأبعد من ذهب إلى أنَّ «ترونها» خبر في اللفظ، ومعناه الأمر، أي: رَوْها وانظروا؛ هل لها من عَمَد؟

وتقدَّم تفسير ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ قال ابنُ عطية[(٣)]: «ثمّ» هنا لعطف الجمل لا للترتيب، لأن الاستواء على العرش قبل رفع السماوات. وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الله ولم يكنْ شيءٌ قبلَه، وكان عرشُه على الماء، ثم خلق السماواتِ والأرضَ» انتهى[(٤)].

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ أي: ذلَّلهما لما يُريد منهما. وقيل: لمنافع العباد.

وعبَّر بالجريان عن السَّير الذي فيه سرعة، و«كُلٌّ» مضافة في التقدير، والظاهر أنَّ المحذوف هو ضمير الشمس والقمر، أي: كليهما[(٥)] يجري إلى أجل مسمّى.

---

(١) في تفسير الرازي ١٨/ ٢٢٢-٢٢٣: الجوّ (وكذا في الموضع الآتي).
(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٢٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩١-٢٩٢.
(٤) قطعة من حديث عمران بن حُصين، أخرجه أحمد (١٩٨٧٦)، والبخاري (٧٤١٨).
(٥) في (أ) و(ح) و(يه): كلهما.

وقال ابن عطية[١]: والشمسُ والقمرُ في ضمن ذكرهما ذكرُ الكواكب، ولذلك قال: «كلٌّ يجري لأجلٍ مسمًّى» أي: كلٌّ ما هو في معنى الشمس والقمر من المسخَّر، و«كلّ» لفظة تقتضي الإضافة ظاهرةً أو مقدَّرة. انتهى.

وشرحُ «كلٌّ يجري» بقوله: أي: كلٌّ ما هو في معنى الشمس والقمر؛ ما خرَّج الشمسَ والقمرَ من ذكر جَرَيانهما إلى أجل مسمًّى، وتحريرُه أن يقول على زعمه أنَّ الكواكب في ضمن ذكرهما: أي: كلٌّ منهما[٢] وممَّا هو في معناهما.

«لأجل مسمًّى»[٣] قال ابنُ عبَّاس: منازلُ الشمس والقمر، وهي الحدود التي لا تتعدَّاها[٤]، قدَّرَ لكلٍّ منهما سيراً خاصًّا إلى جهة خاصَّة بمقدار خاصّ من السرعة والبطء.

وقيل: الأجل المسمَّى هو يومُ القيامة، فعند مجيئه ينقطع ذلك الجريان والتسيير، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ وقال: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[٥][القيامة: ٩].

ومعنى تدبير الأمر: إنفاذُه وإبرامُه، وعبَّر بالتدبير تقريباً للأفهام، إذ التدبير إنما هو النظر في أدبار الأمور وعواقبها، وذلك من صفات البشر.

و«الأمرُ»: أمرُ ملكوته، وربوبيَّته، وهو عامّ في جميع الأمور من إيجاد وإعدام وإحياء وإماتة، وإنزال وَحْيٍ، وبعثِ رُسُل، وتكليفٍ، وغيرِ ذلك.

وقال مجاهد: «يدبِّر الأمر»: يقضيه وحدَه[٦].

وتفصيلُ الآيات جَعْلُها فصولاً مبيَّنة مميَّزاً بعضُها من بعض. والآيات هنا:

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٢ .
(٢) قوله: كلٌّ منهما، سقط من المطبوع.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: إلى أجل مسمًّى. وأثبتُّ لفظ الآية على الجادة. وكذا في الموضع قبله. ومن هذا الموضع زيدت النسخة (ز١) حيث وقع نقص في أولها وأواخر يوسف.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٢٢ ، وتفسير البغوي ٣/ ٦ .
(٥) تفسير الرازي ١٨/ ٢٣٤.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٢ .

دلائلُه[١] وعلاماتُه في سماواته على وحدانيته، أو آياتُ الكتب المنزَّلة، أو آيات القرآن. أقوال.

وقرأ النَّخَعيّ وأبو رَزِين، وأبان بن تغلب عن قتادة: «ندبِّر الأمر» «نفصِّل» بالنون فيهما. وكذا قال أبو عَمرو الدَّاني عن الحسن فيهما، وافق في «نُفصِّل» بالنون الخفَّافُ وعبدُ الوهَّاب[٢] عن أبي عَمرو، وهُبيرة[٣] عن حفص.

وقال صاحب «اللَّوامح»[٤]: جاء عن الحسن والأعمش: «نُفَصِّل» بالنون فقط.

وقال المهدويّ: لم يُختلف في «يدبِّر». وليس كما قال؛ إذ تقدَّمت قراءة أبان ونَقْلُ الداني عن الحسن.

والذي تقتضيه الفصاحةُ أن هاتين الجملتين استئنافُ[٥] إخبارٍ عن الله تعالى.

وقيل: «يدبِّر» حال من الضمير في «وسخَّر»، و«يُفَصِّل» حال من الضمير في «يُدَبِّر».

والخطاب في «لعلكم» للكفرة، و«توقنون» بالجزاء، وبأنَّ هذا المدبِّرَ والمفصِّلَ لابدَّ لكم من الرُّجوع إليه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾.

لما قَرَّرَ الدلائلَ السماويَّة؛ أردفَها بتقرير الدلائل الأرضية.

---

(١) في (أ): دلالاته.

(٢) كذا في (أ) و(ز١) و(به) و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٩٢ . ولعل الواو مقحمة، فالخفَّاف هو عبد الوهَّاب. ووقع في (ح) والمطبوع: عبد الواحد، بدل: عبد الوهّاب. وهو خطأ.

(٣) هو هُبيرة بن عمر، أبو عمر البغدادي الأبرش. معرفة القراء الكبار ١/ ٤١٣ . والكلام في المصدر السابق. وتنظر القراءات أيضاً في زاد المسير ٤/ ٣٠١ ، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص٦٦ : «نُدَبِّرُ» عن الحسن.

(٤) هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُندار العجلي الرازي. توفي سنة (٤٥٤هـ). وقد ذكره المصنف أوائل تفسير سورة مريم، ونسبَ له هذا الكتاب. وينظر «سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٣٥.

(٥) في المطبوع: استفهام. وهو خطأ.

و «مدَّ الأرض»: بَسَطَها طولاً وعرضاً ليُمكن التصرُّفُ فيها والاستقرارُ عليها.

قيل: مدَّها ودحاها من مكة من تحت البيت، فذهَبَتْ كذا وكذا(١).

وقيل: كانت مجتمعةً عند بيت المقدس، فقال لها: اذهبي كذا وكذا.

قال ابنُ عطية(٢): وقوله: «مَدَّ الأرض» يقتضي أنها بسيطة لا كرة(٣). وهذا هو ظاهر الشريعة.

قال أبو عبد الله الرازي(٤): ثبت بالدليل أن الأرض كرة، ولا يُنافي ذلك قولَه: «مدَّ الأرض»، وذلك أن الأرض جسم عظيم، والكرةُ إذا كانت في غاية الكِبَر كان كلُّ قطعة منها تُشاهَدُ كالسطح، والتفاوت بينه وبين السطح لا يحصلُ إلا في علم الله تعالى. ألا ترى أنه قال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]؟ مع أنَّ العالَم والناس يستقرُّون عليها، فكذلك هنا.

وأيضاً؛ إنما ذكرَ مدَّ الأرض ليُستَدَلَّ به على وجود الصانع، وكونُها مجتمعةً تحت البيت أمرٌ غير مشاهَد ولا محسوس، فلا يمكن الاستدلالُ به على وجود الصانع، فتأويلُ مدِّ الأرض أنه جَعَلَها مختصَّة بمقدار معين، وكونُها تقبلُ الزيادة والنقص أمر جائز ممكن في نفسه، والاختصاص بذلك المقدار المعيَّن لابدَّ أن يكون بتخصيصِ مخصِّص وتقديرِ مقدِّر، وبهذا يحصلُ الاستدلالُ على وجود الصانع. انتهى ملخصاً.

وقال أبو بكر الأصمّ: المدُّ: البَسْطُ إلى ما لا يُرى منتهاه، فالمعنى: جعلَ حجم الأرض حجماً لا يسيراً(٥) لا يقع البصرُ على منتهاه، فإنَّ الأرض لو كانت أصغرَ حجماً ممَّا هي الآن عليه؛ لما كَمُلَ الانتفاعُ به. انتهى.

وهذا الذي ذكره من أنه لو كانت أصغر، إلى آخره، غيرُ مسلَّم؛ لأن المنتفَع به

---

(١) القولان في تفسير الرازي ١٩/ ٢، وينظر تفسير السمرقندي ٢/ ١٨٢.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٣.
(٣) بل مَدُّ الأرض يقتضي أنها كُرة، فلا بدَّ لامتدادها من انتهاء، مما يعني التقاء أطرافها.
(٤) تفسير الرازي ١٩/ ٢-٣.
(٥) في المصدر السابق (وكلام الأصمّ فيه): حجماً عظيماً.

من الأرض هو المعمور، والمعمور أقلُّ من غير المعمور بكثير، فلو أراد تعالى أن يجعلها مقدار المعمور المنتفَع به؛ لم يكن ذلك ممتنعاً.

وتَحصَّلَ في قوله: «مدَّ الأرض» ثلاثة تأويلات: بَسْطُها بعد أن كانت مجتمعة، واختصاصها بمقدار معيَّن، وجعلُ حجمها كبيراً لا يُرى منتهاه.

والرَّوَاسي: الثوابت، ومنه قول الشاعر:

بِهِ خالداتٌ ما يَرِمْنَ وَهَامِدٌ وأشْعَثُ أرْسَتْهُ الوليدةُ بالفِهْرِ[1]

والمعنى: جبالاً رواسيَ. وفواعل؛ الوصفُ لا يطَّرد إلا في الإناث، إلا أنَّ جمع التكسير من المذكَّر الذي لا يعقل يجري مجرى جمع الإناث. وأيضاً فقد غلب على الجبال وصفُها بالرَّواسي، وصارت الصفة تُغني عن الموصوف، فجُمِعَ جمعَ الاسم، كحائط وحوائط، وكاهل وكواهل.

وقيل: رواسي جمع راسية، والهاء للمبالغة، وهو وصف الجبل، كانت الأرض مضطربة، فثَقَّلَها الله تعالى بالجبال في[2] أحيازها، فزالَ اضطرابُها.

والاستدلالُ بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم؛ قيل: من جهة أنَّ طبيعة الأرض واحدة، فحصولُ الجبل في بعض جوانبها دون بعض لابدَّ أن يكون بتخليق قادر حكيم.

ومن جهة ما يحصل منها من المعادن الجوهريَّة والرُّخاميَّة وغيرهما، كالنِّفط والكبريت، فكونُ[3] الجبلِ واحداً في الطبع وتأثير الشمس واحد[4] دليلٌ على أنَّ ذلك بتقدير قادرٍ قاهر، متعالٍ عن مُشابهة المُمكنات.

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٢١، وتفسير الطبري ١٣/ ٤١٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٣، وهو في «اللسان» (رسا) برواية: سوى خالدات، ونُسب البيت فيه للأحوص، وبنحوه في «الأغاني» ٨/ ٣٢٥ ونُسب فيه لسائب خاثر. قوله: خالدات، يعني الخوالد، وهي الأثافي (حجارة القِدْر). وما يَرِمْنَ، أي: لا يفارقن، وهامد: أي: يابس، يقال: نبات هامد. وأشعث، أي: وتد. والفِهْر: الحَجَر.

(٢) في (أ): وفي.

(٣) في النسخ الخطية: يكون، والمثبت من «تفسير» الرازي ١٩/ ٤ والكلام فيه بنحوه.

(٤) عبارة المصدر السابق: وكون تأثير الشمس واحداً. وهي أنسب.

ومن جهة تولُّد الأنهار منها؛ قيل: وذلك لأنَّ الجبل جسم صلب، وتتصاعدُ أبخرةٌ من قعر الأرض إليه، وتحتبس هناك، فلا تزال تتكاملُ فيه، فيحصلُ بسببه مياه كثيرة، فلِقُوَّتها تَشُقُّ وتخرجُ وتسيلُ على وجه الأرض. ولهذا في أكثر الأمر؛ إذا ذَكَرَ اللهُ تعالى الجبال؛ ذَكَرَ الأنهار، كهذه الآية، وكقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٧٧]، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾[النحل: ١٥].

والأنهار؛ قال المفسِّرون: المياه الجارية في الأرض. وقال الكِرْمانيّ: مسيلُ الماء. وتقدَّم الكلام في الأنهار في أوائل «البقرة».

والظاهر أن قوله: «من كل الثمرات» متعلِّق بـ «جَعَلَ».

ولمَّا ذكر الأنهار؛ ذكر ما ينشأُ عنها، وهو الثمرات.

والزَّوْجُ هنا: الصِّنْف الواحد الذي هو نقيضُ الاثنين، يعني أنَّه حين مدَّ الأرض جعلَ ذلك، ثم تكثَّرت وتنوَّعَتْ.

وقيل: أراد بالزَّوجين الأسودَ والأبيضَ، والحُلوَ والحامضَ، والصغيرَ والكبيرَ، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة.

وقال ابنُ عطيَّة[(١)]: وهذه الآيةُ تقتضي أنَّ كلَّ ثمرة موجودٌ فيها[(٢)] نوعان، فإنِ اتَّفقَ أن يُوجَدَ من ثمرة أكثرُ من نوعين، فغيرُ ضارٍّ في معنى الآية.

وقال الكِرْمانيّ: الزَّوْجُ واحد، والزَّوج اثنان، ولهذا قيَّد ليُعلم أنَّ المراد بالزَّوج هنا الفرد لا التثنية فيكون أربعاً، وخصَّ «اثنين» بالذِّكْر ـ وإنْ كان من أجناس الثمار ما يزيدُ على ذلك ـ لأنَّه الأقلّ، إذْ لا نوعَ تنقصُ أصنافُه عن اثنين. انتهى.

ويقال: إنَّ في كلِّ ثمرة ذكراً وأنثى، وأشار إلى ذلك الفرَّاء[(٣)].

وقال أبو عبد الله الرازيّ[(٤)]: لما خلقَ الله تعالى العالَمَ وخلقَ فيه الأشجار؛

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٣ .

(٢) في المصدر السابق: منها.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٥٨، والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٣.

(٤) تفسيره ١٩/ ٥ .

خلقَ من كلِّ نوع من الأنواع اثنين فقط، فلو قال: خلق زوجين، لم يُعلم أنَّ المراد النوع أو الشخص، فلما قال: «اثنين» علمنا أنه أوَّلُ ما خلق من كلِّ زوجين اثنين لا أقلَّ ولا أزيد، فالشجرُ والزَّرع كبني آدم؛ حصل منهم كثرةٌ، وابتداؤهم من زوجين اثنين بالشخص، وهما آدمُ وحوَّاء.

والاستدلالُ بخلق الثمرات على ما ذكر تعالى من جهة رَبْوِ الحبَّة[1] في الأرض وشَقِّ أعلاها وأسفلِها، فمن الشَّقِّ الأعلى الشجرةُ الصاعدة، ومن الأسفل العروقُ الغائصة، وطبيعة تلك الحبة واحدة، وتأثيرات الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد، ثم يخرج من الأعلى ما يذهب صُعُداً في الهواء، ومن الأسفل ما يغوصُ في الثَّرى، ومن المُحال أن يتولَّد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادَّتان، فعَلِمْنا أنَّ ذلك بتقدير قادرٍ حكيم.

ثم تلك الشجرة يكون بعضُها خشباً، وبعضُها نَوْراً[2]، وبعضُها ثمَراً، ثم تلك الثمرة تحصُلُ فيها أجسام مختلفة الطبائع، وذلك بتقدير القادر الحكيم. انتهى. وفيه تلخيص.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: «ومِنْ كلِّ الثَّمرات»، فيكونُ معطوفاً على ما قبلَه من عطف المفردات، ويتعلَّق بقوله: «وجعل فيها رواسي»، فالمعنى أنه جعل في الأرض من كلِّ ذكرٍ وأنثى اثنين[3].

وقيل: الزَّوجان الشمسُ والقمر، وقيل: الليل والنهار.

«يُغْشِي الليلَ النهارَ» تقدَّم تفسير هذه الجملة وقراءاتُها في الأعراف، وخصَّ المتفكِّرين لأنَّ ما احتوَتْ عليه هذه الآياتُ من الصُّنْع العجيب لا يُدْرَك إلا بالتفكُّر.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

«قِطَع» جمع قطعة، وهي الجزء، و«متجاورات»: متلاصقةٌ متدانية قريبٌ بعضُها من بعض.

---

(١) في (أ) و(به) والمطبوع: الجنة. وكذا في الموضع الآتي. وهو خطأ.
(٢) في المطبوع: لوزاً.
(٣) ينظر «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٣ .

قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والضحاك: أرضٌ طيِّبة، وأرضٌ سَبْخَة، تُنبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تُنبت.

وقال ابنُ قتيبة وقتادة: يعني القرى المتجاورة[١].

وقيل: متجاورة في المكان، مختلفةٌ في الصفة، صُلْبةٌ إلى رِخْوَة، وشَجْراءُ إلى مَرْدَاء[٢]، ومُخْصِبةٌ إلى مُجْدِبة، وصالحةٌ للزرع لا للشجر، وعكسُها، مع الانتظام جميعاً في الأرضيَّة[٣].

وقيل: في الكلام حذف معطوف، أي: وغيرُ متجاورات. والمتجاوراتُ: المُدُن وما كان عامراً، وغيرُ المتجاورات: الصَّحَارَى وما كان غيرَ عامر[٤].

قال ابن عطية[٥]: والذي يظهر من وصفه لها بالتجاور إنما هو [أنها] من تربة واحدة، ونوعٍ واحد، وموضعُ العبرة في هذا أبينُ، لأنها مع اتفاقها في التربة والماء، تفضِّلُ القدرةُ والإرادةُ بعضَ أُكُلها على بعض، كما قال النبيُّ ﷺ حين سُئل عن هذه الآية، فقال: «الدَّقَل والفارسي[٦]، والحُلو والحامض»[٧].

---

(١) ينظر ما سلف في: غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٢٤، وتفسير الطبري ١٣/ ٤١٦-٤١٨، وزاد المسير ٤/ ٣٠٢ .

(٢) الشَّجْراء: الأرض ذات الشجر المتكاثف، والمَرْدَاء: الأرض الخالية من النبات. ولم تجوَّد العبارة في (أ) والمطبوع.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٣٤٩ ، وتفسير الرازي ١٩/ ٧ . وعبارة (ح) والمطبوع: مع انتظام جميعها في الأرضية.

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٩ ، والنكت والعيون ٣/ ٩٣ .

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٤-٢٩٥ . ولفظة «أنها» الواردة بين حاصرتين منه.

(٦) الدَّقَل، أردأ التمر، والفارسي يعني التمر الفارسي، وهو من أجود التمر. وتحرفت لفظة «الفارسي» في (أ) و(ح) والمطبوع إلى: القارس، ووقع في (ز١) و(به): الفارس، والمثبت من المصادر.

(٧) أخرجه الترمذي (٣١١٨)، والطبري ١٣/ ٤٣١ ، وابن حبان في «المجروحين» ١/ ٣٤٦-٣٤٧ من حديث أبي هريرة ﷺ، وفي إسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري. قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦٥٨ : هذا الحديث لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ، سيف بن محمد الثوري متفق على كذبه، قال أحمد: كان يضع الحديث.

وقال ابن عطية أيضاً[١]: وقيَّد منها في هذا المثال ما جاوَرَ وقَرُبَ بعضُه من بعض، لأنَّ اختلاف ذلك في الأُكل أغربُ.

وفي بعض المصاحف: «قطعاً متجاورات» بالنصب على «جَعَلَ»[٢].

وقرأ الجمهور: «وجناتٌ» بالرفع، وقرأ الحسن بالنصب بإضمار فعل[٣]، وقيل: عطفاً على «رَوَاسِيَ». وقال الزمخشري[٤]: بالعطف على «زوجين اثنين»، أو بالجرّ على «كلّ الثمرات» انتهى.

والأَولى إضمارُ فعلٍ لبُعد ما بين المتعاطفَيْن في هذه التخاريج والفصلِ بينهما بجُمل كثيرة.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو وحفص: «وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوان» بالرفع في الجميع على مراعاة «قِطَعٌ». وقال ابنُ عطيَّة: عطفاً على «قِطَعٌ». وليست عبارةً محرَّرة؛ لأنَّ فيها ما ليس بعطف، وهو قوله: «صِنْوان».

وقرأ باقي السبعة بخفض الأربعة على مراعاة «من أعناب»[٥]. وقال ابن عطية[٦]: عطفاً على «أعناب». وليست عبارةً محرَّرةً أيضاً؛ لأنَّ فيها ما ليس بعطف؛ قوله: «صِنْوان».

قال: وجعلَ الجنةَ من الأعناب مَنْ رفعَ الزرع، والجنةُ حقيقةً إنما هي الأرض التي فيها الأعناب، وفي ذلك تجوُّز، ومنه قول الشاعر:

كأنَّ عَيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... من النَّواضِحِ تَسْقي جَنَّةً سُحُقَا[٧]

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٣.
(٢) القراءات الشاذة ص٦٦ ، والكشاف ٢/ ٣٤٩ ، وتفسير الرازي ١٩/ ٧ .
(٣) القراءات الشاذة ص٦٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٣ .
(٤) الكشاف ٢/ ٣٤٩ .
(٥) السبعة ص٣٥٦ ، والتيسير ص١٣١ . ومن قوله: وقال ابن عطية... إلى هذا الموضع سقط من (ح)، وسقط من المطبوع قول ابن عطية المذكور، ووقع بدله قوله الآتي بعده. فصارت سياقة الكلام فيه خاطئة.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٣-٢٩٤ .
(٧) البيت لزهير بن أبي سُلْمى، وهو في «ديوانه» ص٣٧. والكلام في المصدر السالف.
=

أي: نخيل جنة، إذ لا يُوصفُ بالسُّحُق إلا النخل.

ومَنْ خفضَ الزرع، فالجنَّات من مجموع ذلك، لا من الزَّرْع وحدَه؛ لأنه لا يقال للمزرعة جنة إلا إذا خالطها شجرات[١].

وقرأ الجمهور: «صِنْوان» بكسر الصاد فيهما، وابنُ مصرِّف والسُّلميّ وزيدُ بنُ عليّ بضمِّها، والحسنُ وقتادة بفتحها. وبالفتح هو اسم للجمع، كالسَّعْدان[٢].

وقرأ عاصم وابنُ عامر وزيدُ بنُ علي: «يُسْقَى» بالياء، أي: يُسْقَى ما ذُكر، وباقي السبعة بالتاء[٣]، وهي قراءة الحسن وأبي جعفر وأهل مكة[٤]، أنَّثوا لعَوْد الضمير على لفظ ما تقدَّم، ولقوله: «ونُفَضِّل بعضَها» فأنَّث. وأمال فتحة القاف حمزة والكسائي.

وقرأ الجمهور[٥]: «ونفضِّل» بالنون، وحمزة والكسائي بالياء، وابنُ محيصن بالياء في «يُسْقَى» وفي «يُفَضِّل».

وقرأ يحيى بن يَعْمَر وأبو حَيْوَة والحلبي عن عبد الوارث[٦]: «ويُفَضَّلُ» بالياء وفتح الضاد، «بعضُها» بالرفع. قال أبو حاتم: وجدتُه كذلك في مصحف يحيى بن يَعْمَر، وهو أوَّل من نَقَطَ المصاحف[٧].

= الغَرْب: الدَّلْو الضخم، والمُقَتَّلَة: المُذَلَّلة، ويعني هنا الناقة، والنواضح: الإبل التي يُستقى عليها الماء؛ الواحد: ناضح، والسُّحُق: النَّخْل الطِّوال، الواحدة سَحُوق. قال ثعلب شارح الديوان: يقول: كأن عينيَّ من كثرة دموعهما في غَرْبَيْ ناقة يُنْضح عليها قد قُتِّلَتْ بالعمل حتى ذلَّتْ. وينظر «اللسان» (جنن- سحق- قتل).

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٤ . ووقع في مطبوع البحر: ثمرات، بدل شجرات.

(٢) القراءات الشاذة ص٦٦ ، والمحتسب ١/ ٣٥١ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٤ . قوله: السَّعْدان: هو نبت ذو شوك، وهو من أنجع المرعى، يقال: مرعًى ولا كالسَّعْدَان.

(٣) السبعة ص٣٥٦، والتيسير ص١٣١ .

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٤ .

(٥) من قوله: «ونفضِّل بعضَها» فأنَّث... إلى هذا الموضع سقط من (ح) والمطبوع.

(٦) عبد الوارث: هو ابن سعيد، وأبو حيوة: هو شُريح بن يزيد، ولم أعرف الحلبي، وقد ذكر قراءته ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٠٣ .

(٧) الكلام بنحوه في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٤ . وينظر: السبعة ص٣٥٦، والتيسير ص١٣١. وينظر أيضاً: القراءات الشاذة ص٦٦.

وتقدّم في البقرة خلاف القُرَّاء في ضمِّ كاف «الأُكُل» وسكونها[١]. والأُكْلُ بضم الهمزة: المأكول، كالنُّقْضِ بمعنى المنقوض[٢]. وبفتحها المصدرُ.

والظاهر من تفسير أكثر المفسرين للصِّنْوَان أن يكون قوله: «صِنْوَان» صفة لقوله: «ونخيل»، ومن فسَّره منهم بالمثل جعلَه وصفاً لجميع ما تقدَّم، أي: أشكالٌ وغيرُ أشكال.

قيل: ونظيرُ هذه الكلمة: قِنْوٌ وقِنْوان، ولا يوجد لهما ثالث، ونُصَّ على الصِّنوان لأنها بمثابة[٣] التجاور في القِطَع، فظهرَ فيها غرابة اختلافِ الأُكْل.

ومعنى «بماء واحد»: ماء مطر، أو ماء بحر، أو ماء نهر، أو ماء عين، أو ماء نبع لا يسيل على وجه الأرض.

وخصَّ التفضيل في الأُكُل وإن كانت متفاضلةً في غيره لأنه غالب وجوه الانتفاع من الثمرات، ألا ترى إلى تفاوتها[٤] في الأشكال والألوان والروائح والمنافع وما يجري مجرى ذلك؟

قيل: نبَّه الله تعالى في هذه الآية على قدرته وحكمته، وأنه المدبِّر للأشياء كلِّها، وذلك أنَّ الشجر تخرجُ أغصانُها وثمراتُها في وقت معلوم لا تتأخَّر عنه ولا تتقدَّم، ثم يتصعَّد الماء في ذلك الوقت عُلُوًّا عُلُوًّا، وليس من طبعه إلا التسفُّل، ثم يتفرَّق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر، كلٌّ بقسطه وبقدر ما فيه صلاحُه، ثم تختلفُ طعومُ الثمار، والماءُ واحدٌ، والشجرُ جنسٌ واحدٌ، وكلُّ ذلك دليلٌ على مدبِّرٍ دبَّره وأحْكَمَه، لا يُشبه المخلوقات.

وقال بعضُ الرُّجّاز:

والأرضُ فيها عِبْرَةٌ للمُعْتَبِرْ تُخْبِرُ عن صُنعِ[٥] مليكٍ مُقْتَدِرْ

---

(١) قرأ نافع وابن كثير بإسكان الكاف، والباقون من السبعة بضمها. ينظر: السبعة ص١٩٠، والتيسير ص٨٣.

(٢) في «القاموس» و«التاج»: النُّقْض؛ بالضم: ما انتقضَ من البُنْيان.

(٣) في المطبوع: بمثال.

(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: تقاربها.

(٥) في (ح): فِعْل.

تُسْقَى بماءٍ واحدٍ أشجارُها وبقعةٍ واحدةٍ قَرارُها
والشمسُ والهواءُ ليس يَخْتَلفْ وأُكْلُها مختلفٌ لا يأتَلِفْ
لو أنَّ ذا مِنْ عملِ الطبائعِ أو أنَّهُ صَنْعَةُ غيرِ صانعِ
لم يختلفْ وكانَ شيئاً واحدا هَلْ يُشْبِهُ الأولادُ إلا الوَالِدَا
الشمسُ والهواءُ يا مُعَانِدُ والماءُ والتُّرابُ شيءٌ واحدُ
فما الذي أوْجَبَ ذا التَّفاضُلا إلا حكيمٌ لم يُرِدْهُ باطِلا[1]

وقال الحسن: هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله تعالى لقلوب بني آدم، كانت الأرضُ طينةً واحدةً، فسَطَحَها، فصارت قِطَعاً متجاورة، فنزلَ عليها ماءٌ واحدٌ من السماء، فتُخرجُ هذه زَهْرَةً وثَمَرَةً، وتُخرج هذه سَبْخَةً ومِلْحاً وخَبَثاً، وكذلك الناس؛ خُلِقُوا من آدم، فنزلت عليهم من السماء تَذْكِرَةٌ[2]، فرَبَتْ قلوب، وخشعت قلوب، وقَسَتْ قلوب، وَلَهَتْ قلوب.

وقال الحسن: ما جالسَ أحدٌ القرآن إلا قامَ عنه بزيادة أو نقصان. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾[3] [الإسراء: ٨٢]. انتهى. وهو شبيه بكلام الصُّوفيَّة.

«إنَّ في ذلك» قال ابن عباس: في اختلاف الألوان والروائح والطعوم. «لآياتٍ»: لَحُجَجًا ودلالاتٍ. «لقوم يعقلون»: يعلمون الأدلة، فيستدلُّون بها على وحدانية الصانع القادر.

ولما كان الاستدلال في هذه الآية بأشياءَ في غاية الوضوح من مشاهدةِ تجاورِ القِطَع والجنات وسَقْيِها وتفضيلِها، جاء خَتْمُها بقوله: «لقوم يعقلون» بخلاف الآية التي قبلَها، فإنَّ الاستدلال بها يحتاجُ إلى تأمُّلٍ ومزيدِ نظر، جاء خَتْمُها بقوله: «لقوم يتفكرون».

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ، أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ، وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ

(١) لم أقف عليه، ونقله الآلوسي في «روح المعاني» ١٣/ ٤٥ .
(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: مذكِّرة. والكلام بنحوه في تفسير الطبري ١٣/ ٤٢٦.
(٣) المصدر السابق.

قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾.

لما أقامَ الدلائلَ على عظيم قدرته بما أودعَه من الغرائب في ملكوته التي لا يقدرُ عليها سواه؛ عَجِبَ الرسولُ عليه الصلاة والسلام من إنكار المشركين وحدانيَّته وتوهينَهم قدرته لضعف عقولهم، فنزل: «وإن تَعجب».

قال ابن عباس: وإنْ تَعْجَبْ من تكذيبهم إيَّاك بعدما كانوا حكمُوا عليك أنك[١] من الصَّادقين؛ فهذا أعجب[٢].

وقيل: وإنْ تَعْجَبْ يا محمد من عبادتهم ما لا يملكُ لهم ضَرًّا ولا نفعاً بعدما عرفوا الدلائلَ الدالَّةَ على التوحيد، فهذا أعجب.

وقال الزمخشري[٣]: وإنْ تَعْجَبْ يا محمد من قولهم في إنكار البعث؛ فقولُهم عجيبٌ حقيقٌ بأن يُتَعَجَّبَ منه، لأن من قَدَرَ على إنشاء ما عدَّد عليك من الفِطَر العظيمة، ولم يَعْيَ بخلقهنّ؛ كانت الإعادةُ أهونَ شيء عليه وأيسرَه، فكان إنكارُهم أُعجوبةً من الأعاجيب. انتهى.

وليس مدلولُ اللفظ ما ذكر، لأنه جعلَ متعلَّق عَجَبه ﷺ هو قولَهم في إنكار البعث، وجوابَ الشرط هو قولَهم في إنكار البعث[٤]، فاتَّحَدَ الجزاءُ والشرط؛ إذ صار التقدير: وإن تعجبْ من قولهم في إنكار البعث، فاعجَبْ من قولهم في إنكار البعث، وإنَّما مدلولُ اللفظ: إنْ يَقَعْ منك عَجَبٌ؛ فليكنْ من قولهم: «أئذا كنا» الآية، وكان المعنى الذي ينبغي أن يتعجَّب منه هو إنكار البعث؛ لأنه تعالى هو المخترع للأشياء، ومن كان قادراً على إبرازها من العدم الصِّرْف، كان قادراً على الإعادة، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: هَيِّنٌ عليه.

---

(١) في (ح): حكموا أنك.
(٢) تفسير الرازي ١٩/٨.
(٣) الكشاف ٢/٣٤٩.
(٤) قوله: وجواب الشرط هو قولهم في إنكار البعث. سقط من (ح) والمطبوع.

وقال ابن عطية[١]: هذه الآية توبيخ للكفرة، أي: إن تعجَبْ يا محمد من جهالتهم وإعراضهم عن الحقّ؛ فهم أهلٌ لذلك، وعجيبٌ وغريبٌ أن تُنكر قلوبُهم العَوْدَ بعد كونهم[٢] تراباً خلقاً جديداً، ويحتملُ اللفظُ منزعاً آخر، أي[٣]: إنْ كنتَ تريد عَجَباً فهَلُمَّ، فإنَّ من أعجب العجب قولهم. انتهى.

واختلف القراء في الاستفهامَيْن إذا اجتمعا في أحدَ عَشَرَ موضعاً: هنا موضع، وكذا في المؤمنين[٤]، وفي العنكبوت[٥]، وفي النمل[٦]، وفي السجدة[٧]، وفي الواقعة[٨]، وفي والنازعات[٩]، وفي بني إسرائيل موضعان[١٠]، وكذا في والصافات[١١].

فقرأ نافعٌ والكسائيّ بجعل الأول استفهاماً والثاني خبراً إلا في العنكبوت والنمل فعكَسَ نافع، وجمع الكسائيُ بين الاستفهامين في العنكبوت، وأما في النمل فعلى أصله، إلا أنه زاد نوناً فقرأ: «إننا لمخرجون».

وقرأ ابنُ عامر بجعل الأول خبراً والثاني استفهاماً إلا في النمل والنازعات، فعكسَ، وزاد في النمل نوناً كالكسائي، وإلا في الواقعة، فقرأهما باستفهامين، وهي قراءة باقي السبعة في هذا الباب إلا أنَّ ابن كثير وحفصاً قرأا في العنكبوت

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٥ .
(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: كوننا، وهو خطأ. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٥.
(٣) لفظة «أي» سقطت من المطبوع.
(٤) الآية (٨٢) منها: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.
(٥) في الآيتين ٢٨-٢٩ : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾.
(٦) الآية (٦٧): ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾.
(٧) الآية (١٠): ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾.
(٨) الآية (٤٧): ﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.
(٩) في الآيتين (١٠-١١): ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾.
(١٠) يعني سورة الإسراء، الآية: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ في موضعين: ٤٩ و ٩٨ .
(١١) الآية (١٦): ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. والآية ٥٣: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾.

بالخبر في الأول، وبالاستفهام في الثاني، وهم على أصولهم في اجتماع الهمزتين؛ من تخفيف، وتحقيق، وفَصْلٍ بين الهمزتين، وتركه[١].

وقوله: «فعجبٌ» هو خبرٌ مقدَّم، ولابدَّ فيه من تقدير صفة، لأنه لا يتمكَّن المعنى بمطلق، فلا بدَّ من قيد[٢]، وتقديره ـ والله أعلم ـ: فعَجَبٌ أيُّ عَجَبٍ، أو فَعَجَبٌ غريبٌ. وإذا قدَّرناه موصوفاً جاز أن يُعربَ مبتدأ؛ لأنه نكرة فيها مسوِّغ الابتداء فيه، وهو الوصف، وقد وقعت موقع الابتداء، ولا يضرُّ كونُ الخبر معرفة، وذلك كما أجاز سيبويه ذلك في: كم مالُك؟ لمسوِّغ الابتداء فيه، وهو الاستفهام، وفي نحو: اقْصِدْ رجلاً خيرٌ منه أبوه؛ لمسوِّغ الابتداء أيضاً، وهو كونُه عاملاً فيما بعده[٣].

وقال أبو البقاء: وقيل: عَجَبٌ بمعنى مُعْجِب، قال: فعلى هذا يجوز أن يرتفع «قولُهم» به. انتهى[٤].

وهذا الذي أجازه لا يجوز؛ لأنه لا يلزم من كون الشيء بمعنى الشيء أن يكون حكمُه في العمل كحكمه، فمُعْجِبٌ يعمل، وعَجَب لا يعمل، ألا ترى أنَّ فِعْلاً كذِبْحٍ، وفَعَلاً كقَبَضٍ، وفُعْلَة كغُرْفة هي بمعنى مفعول، ولا يعمل عملَه؟ فلا تقول: مررتُ برجلٍ ذِبْحٍ كبشُه، ولا برجل قَبَضٍ مالُه، ولا برجلٍ غُرْفةٍ ماؤه، بمعنى: مذبوحٍ كبشُه، ومقبوضٍ مالُه، ومغروفٍ ماؤه. وقد نصُّوا على أنَّ هذه تنوبُ في الدَّلالة، لا العمل عن المفعول.

وقد حصَر النحويون ما يرفع الفاعل، وليس منها المصدر إذا كان بمعنى اسم الفاعل[٥].

والظاهر أنَّ «أئذا» معمول لـ «قولُهُم» محكيٌّ به. وقال الزمخشريّ[٦]: «أئذا كنَّا»

---

(١) يعني أن من قرأ بالاستفهام فهو على أصله في تحقيق الهمزتين من كلمة أو تسهيل الثانية، وفي إدخال ألف بينهما أو تركه. وتفصيله في كتب القراءات.

(٢) في (ح) والمطبوع: قيده.

(٣) ينظر الكتاب ٢/ ٢٥-٢٦.

(٤) الإملاء ٢/ ٦١ .

(٥) ينظر شرح ابن عقيل ١/ ٤٦٤، وقوله: وليس منها المصدر... إلخ، ليس في المطبوع.

(٦) الكشاف ٢/ ٣٤٩ .

إلى آخر قولهم، يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من «قَوْلُهُم». انتهى. وهذا إعراب متكلّف، وعدولٌ عن الظاهر.

و«إذا» متمحِّضةٌ للظرف، وليس فيها معنى الشرط، فالعاملُ فيها محذوف يفسِّرُه ما تدلُّ عليه الجملة الثانية، وتقديرُه: أَنُبْعَث، أو: أَنُحْشَر؟

«أولئك» إشارة إلى قائلي تلك المقالة، وهي تقرير مصمِّم على إنكار البعث، فلذلك حكم عليهم بالكفر، إذ عَجَّزُوا قدرتَه عن إعادة ما أنشأ واخترعَ ابتداءً.

ولمَّا حكم عليهم بالكفر في الدنيا ذكرَ ما يؤولون إليه في الآخرة على سبيل الوعيد، وأبرَزَ ذلك في جملة مستقلَّة مشاراً إليهم.

والظاهر أنَّ الأغلال تكون حقيقةً في أعناقهم في الآخرة[1]، كما قال: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ [غافر: ٧١].

وقيل: يحتمل أن يكون مجازاً، أي: هم مغلُولُون عن الإيمان، فتجري إذن مجرى الطبع والختم على القلوب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: ٨]. وكما قال الشاعر:

لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أغلالٌ وأقيادُ[2]

وقيل: الأغلال هنا عبارة عن أعمالهم الفاسدة في أعناقهم كالأغلال[3].

ثم ذكر ما يستقرُّون عليه في الآخرة، وأبرزَ ذلك في جملة مستقلَّة مشاراً إليهم، رادَّةً عليهم ما أنكروه من البعث، إذ لا يكونونُ أصحابَ النار إلا بعد الحشر.

ولمَّا كانوا متوعَّدين بالعذاب إنْ أَصَرُّوا على الكفر وكانوا مكذِّبين بما أُنذِرُوا به من العذاب؛ سألُوا واستعجلُوا في الطلب أنْ يأتِيَهم العذاب، وذلك على سبيل

(١) في المطبوع: «حقيقة في أعناقهم كالأغلال ثم ذكر ما يستقرون عليه في الآخرة» وفيه إقحام كلام سيأتي بعد عدة أسطر.

(٢) هو عجز بيت في قصيدة للأفوَه الأودي، وصدره: كيف الرشادُ إذا ما كنتَ من نَفَرٍ. ينظر «الحماسة البصرية» ٢/ ٦٩ .

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٦ .

الاستهزاء، كما قالوا: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾[الأنفال: ٣٢]. وقالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾[الإسراء: ٩٢].

قال ابن عباس: السيئةُ العذاب، والحسنة العافية. وقال قتادة: بالشَّرِّ قبل الخير. وقيل: بالبلاء والعقوبة قبل الرَّخاء والعافية. وهذه أقوال متقاربة(١).

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ أي: يستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حلَّ بغيرهم من مكذِّبي الرُّسل في الأمم السالفة، وهذا يدلُّ على سُخْف عقولهم، إذ يستعجلون بالعذاب والحالة هذه، فلو أنه لم يَسبق تعذيبُ أمثالهم لكانوا ربَّما يكونُ لهم عذر، ولكنهم لا يَعتبِرُون، فيستهزؤون.

قال ابن عبَّاس: المَثُلات: العقوبات المستأصِلات، كمُثْلَةِ قطع الأنف والأُذن ونحوهما.

وقال السُّدِّي: النَّقِمات. وقال قتادة: وقائعُ الله الفاضحةُ، كالقردة(٢) والخنازير. وقال مجاهد: الأمثال المضروبة(٣).

وقرأ الجمهور بفتح الميم وضمّ الثاء، ومجاهد والأعمش: بفتحهما، وقرأ عيسى بن عمر ـ وفي رواية الأعمش ـ وأبو بكر بضمِّهما، وابنُ وثَّاب: بضم الميم وسكون الثاء، وابنُ مُصَرِّف، بفتح الميم وسكون الثاء(٤).

و﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ ترجيةٌ للغفران، و«على ظلمهم» في موضع الحال، والمعنى أنه يغفرُ لهم مع ظلمهم أنفسَهم باكتساب الذنوب، أي: ظالمين أنفسَهم. قال ابن عباس: ليس في القرآن آيةٌ أرجى من هذه(٥).

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي ٣/ ٤٢٤ ، والكشاف ٢/ ٣٤٩-٣٥٠ ، وزاد المسير ٤/ ٣٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤ .

(٢) في (ح) والمطبوع: كمسخ القردة.

(٣) الأقوال بنحوها في تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٥-٤٣٦، والنكت والعيون ٣/ ٩٥، وزاد المسير ٤/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٤) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٢-٤٧٣ ، والقراءات الشاذة ص٦٦ ، والمحتسب ١/ ٣٥٣ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٦ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٢ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٦ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦.

وقال الطبريّ: ليغفر لهم في الآخرة[١]. وقال القاسم بن يحيى وقوم: ليغفر لهم الظلم السالف بتوبتهم في الآنف[٢].

وقيل: ليغفر السيِّئات المكفِّرة[٣] لمجتنب الكبائر. وقيل: ليغفر لهم بستره وإمهاله، فلا يعجّل لهم العذاب مع تعجيلهم بالمعصية.

قال ابن عطية: والظاهر من معنى المغفرة هنا إنما هو ستره في الدنيا وإمهالُه للكفرة، ألا ترى التيسيرَ[٤] في لفظ «مغفرة» وأنها منكَّرة مقلَّلة، وليس فيها مبالغة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[طه: ٨٢]؟ ونمط[٥] الآية يعطي هذا، ألا ترى حكمه عليهم بالنار؟ ثم قال: «ويستعجلونك» فلما ظهر سوءُ فعلهم وجبَ في نفس السامع تعذيبُهم، فأخبر بسيرته في الأمم، وأنه يُمهل مع ظلم الكفر. انتهى.

و«الشديد العقاب» تخويفٌ وإرهابٌ[٦] بعد تَرْجِية.

وقال سعيد بن المسيّب: لمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لولا عَفْوُ الله ومغفرتُه لما هَنَأَ أحداً عيشٌ، ولولا عقابُه لاتَّكل كلُّ أحد»[٧].

وفي حديث آخر: «إنَّ العبد لو علم قدر عفو الله لما أمسكَ عن ذنب، ولو علم قَدْرَ عقوبتِه لقَمَعَ نفسَه في عبادة الله عزَّ وجلَّ»[٨].

---

(١) نقله ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٦ عن الطبري بلفظ: معناه في الآخرة. والكلام في «تفسير» الطبري ١٣/ ٤٣٧ بنحوه.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٩٥.
(٣) في (ح) والمطبوع: الصغيرة. وينظر الكشاف ٢/ ٣٥٠.
(٤) المثبت من (ح) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٦ والكلام منه. وفي النسخ الأخرى: التفسير.
(٥) في المطبوع: ومحط.
(٦) في (ح) والمطبوع: وارتقاب.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٧/ ٢٢٢٤ (ووقع في مطبوعه خطأ في المتن)، والواحدي في «الوسيط» ٣/ ٦. وهو مرسل. ووقع في مطبوع البحر: لما هنأ لأحد عيش.
(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٦٤) عن قتادة قال: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال... فذكره بنحوه. وهو مرسل أيضاً.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ⑦﴾.

عن ابن عباس: لما نزلت، وَضَعَ رسولُ الله ﷺ يدَه على صدره، فقال: «أنا المنذر» وأَوْمَأَ بيده إلى مَنْكِب عليّ وقال: «أنت الهادي يا عليّ، بك يُهتدى من بعدي»[١].

وقال القشيريّ: نزلت في النبيّ ﷺ وعليّ بن أبي طالب.

و«الذين كفروا» مشركو العرب، أو من أنكرَ نبوَّته من مشركيهم والكفار، ولم يعتدُّوا بالآيات الخارقة المنزَلة، كانشقاق القمر، وانقياد الشجر، وانقلاب العصا سيفاً، ونَبْع الماء من بين الأصابع، وأمثال هذه[٢]، فاقترحوا عِناداً آياتٍ، كالمذكورة في «سبحان» وفي «الفرقان» كالتفجير للينْبُوع، والرُّقيِّ في السماء، والمَلَك، والكنز[٣]، فقال تعالى لنبيِّه ﷺ: «إنما أنت منذرٌ» تخوِّفُهم من سوء العاقبة، وناصحٌ كغيرك من الرُّسل، ليس لك الإتيانُ بما اقترحوا، إذْ قد أتى بآياتٍ عَدَدَ الحصى، والآياتُ كلُّها متماثلةٌ في صحة الدَّعوى لا تفاوتَ فيها، فالاقتراح إنما هو عِنادٌ، ولم يُجر الله العادة بإظهار الآيات المقترحة إلا للأمَّة التي حتمَ بعذابها واستئصالها.

و«هاد» يحتمل أن يكون قد عُطف على « منذر» وفُصل بينهما بقوله: «لكل قوم» لأجل جعله فاصلة، فيكون من صفات الرسول، والتقدير: منذرٌ وهادٍ لكل قوم[٤]، وبه قال عكرمة وأبو الضُّحى[٥].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١٣/ ٤٤٣ . قال ابن كثير: فيه نكارة شديدة. واستغربَ ابنُ حجر الحديث أيضاً في «فتح الباري» ٨/ ٣٧٦. وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٠٧ أنه من الموضوعات. وأخرج عبد الله بنُ أحمد في زوائده على «المسند» (١٠٤١) عن علي رضي الله عنه قال: رسولُ الله ﷺ المنذرُ، والهادِ رجل من بني هاشم. قال محققو المسند: إسناده ضعيف، وفي متنه نكارة.

(٢) خبر انشقاق القمر عند البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، وخبر نبع الماء من بين أصابعه ﷺ عند البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩)، وخبر انقياد الشجرة إليه ﷺ في «دلائل النبوة» للبيهقي ٦/ ١٨ و٢٠ و٢١ ، وخبر انقلاب العصا سيفاً فيه أيضاً ٣/ ٩٧ ، وذلك في يد عكاشة بن محصن رضي الله عنه يوم بدر.

(٣) الآيات ٩٠-٩٣ من سورة الإسراء، والآيتان ٧-٨ من سورة الفرقان.

(٤) قوله: لأجل جعله فاصلة... إلخ. سقط من المطبوع.

(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٤٣٨ ، والمحرر الوجيز ٣٠/ ٢٩٧ ، ولفظ قولهما عند الطبري: محمد ﷺ هو المنذر وهو الهاد.

فإنْ أخذتَ «ولكلٍّ قومٍ هادٍ» على العموم؛ فمعناه: داعٍ إلى الهدى، كما قال: «بُعِثْتُ إلى الأسود والأحمرِ»[١].

فإن أخذتَ: «هادٍ» على حقيقته: فـ «لكلِّ قومٍ» مخصوصٌ، أي: ولكلِّ قوم قابلين للهداية هاد.

وقيل: ولكلِّ أمة سلفت هادٍ، أي: نبيٌّ يدعوهم، والمقصد: فليس أمرُكَ ببِدْعٍ ولا منكر. وبه قال مجاهد وابنُ زيد.

والزجَّاج قال[٢]: نبيٌّ يدعوهم بما يُعطَى من الآيات، لا بما يتحكَّمون فيه من الاقتراحات.

وتبعهم الزمخشري[٣] فقال: هادٍ من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خُصَّ بها، ولم يجعل الأنبياء[٤] شرعاً واحداً في آيات مخصوصة.

وقالت فرقة: الهادي في هذه الآية هو الله تعالى. رُوِيَ ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن جُبير، و«هاد» على هذا مخترع للإرشاد.

قال ابن عطية[٥]: وللألفاظِ تعلّقٌ[٦] بهذا المعنى، ونعرفُ[٧] أن الله تعالى هو الهادي من غير هذا الموضع.

وقال الزمخشري[٨] في هذا القول: ووجهٌ آخرُ، وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كونَ ما أُنزل عليك آياتٍ ويعاندون، فلا يهمَّنَّك ذلك، إنما أنت منذر، فما عليك إلا أن تُنذر، لا أن تُثبت الإيمان بالإلجاء، والذي يُثبته بالإلجاء هو الله تعالى. انتهى.

---

(١) قطعة من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، أخرجه أحمد (١٤٢٦٤)، ومسلم (٥٢١). وهو عند البخاري (٣٣٥) بلفظ: «بعثت إلى الناس عامة».
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٤٠ .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٥٠ .
(٤) في النسخ الخطية: الأشياء، والمثبت من الكشاف ٢/ ٣٥٠.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٧ . والكلام الذي قبله فيه أيضاً.
(٦) في المصدر السابق: والألفاظُ تُطلق، وفي (ح): والألفاظ تعلَّق.
(٧) في المصدر السابق: ويُعرف. وهو الأشبه.
(٨) الكشاف ٢/ ٣٥٠ .

ودلَّ كلامُه آخراً على الاعتزال، وقال في معنى القول الذي تبع فيه مجاهداً وابنَ زيد ما نصُّه: ولقد دلَّ بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على[١] قضايا حكمته أنَّ إعطاءَه كلَّ منذرٍ آياتٍ[٢] أمرٌ مدبَّر بالعلم النافذ، مقدَّرٌ بالحكمة الربَّانية، ولو علمَ في إجابتهم إلى مقترحهم خيراً ومصلحةً لأجابهم إليه.

وقال الزمخشري أيضاً في معنى أنَّ الهادي هو الله تعالى ـ أي بالإلجاء على زعمه ـ ما نصُّه: وأمَّا على[٣] الوجه الثاني؛ فقد دلَّ به على أنَّ مَنْ هذه قدرتُه[٤] وهذا علمُه هو القادرُ وحدَه على هدايتهم، العالِمُ بأيِّ طريق يهديهم، ولا سبيل إلى ذلك لغيره. انتهى.

وقالت فرقة: الهادي عليُّ بنُ أبي طالب. وإنْ صحَّ ما رُويَ عن ابن عباس ممَّا ذكرناه في صدر هذه الآية، فإنما جعلَ الرسولُ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب مثالاً من علماء الأمَّة وهُداتها إلى الدِّين، فكأنَّه قال: أنتَ يا عليُّ، هذا وصفُك، فيدخلُ في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائرُ علماء الصحابة ﷺ، ثم كذلك علماءُ كلِّ عصر، فيكون المعنى على هذا: إنما أنت يا محمد منذرٌ، ولكلِّ قوم في القديم والحديث دُعاةٌ هداةٌ إلى الخير[٥].

وقال أبو العالية: الهادي: العمل.

وقال علي بن عيسى: ولكل قوم سابقٌ سبقَهم إلى الهدى. وهذا يرجع إلى أن الهادي هو النبيّ الذي لأولئك القوم؛ لأنه لا يسبق إلى الهدى[٦] إلا نبيُّ أولئك القوم.

---

(١) في (أ) و(ح): وعلى.
(٢) بعده في «الكشاف»: خلاف آيات غيره.
(٣) في (ح) والمطبوع: هذا، بدل: على.
(٤) في المطبوع: مَن هذه القدرة قدرتُه.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٧. ونقله الآلوسي في «روح المعاني» ١٣/ ٥٦ عن أبي حيان ثم قال: وأنا أظنك لا تلتفت إلى هذا التأويل، ولا تعبأ بما قيل، وتكتفي بمنع صحة الخبر، وتقول: ليس في الآية مما يدلُّ عليه عين ولا أثر.
(٦) من قوله: وهذا يرجع إلى أن الهادي...إلى هذا الموضع، سقط من المطبوع و(يه). وينظر «النكت والعيون» ٣/ ٩٦. وابن عيسى المذكور هو الرُّمَّاني.

وقيل: هادٍ: قائدٌ إلى الخير، أو إلى الشرّ، قال تعالى في الخير: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[الحج: ٢٤]، وقال في الشرّ: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] قاله أبو صالح[١].

ووقف ابن كثير على «هاد» و « واق» حيث وقعا، وعلى «وال» هنا و«باق» في «النحل»[٢] بإثبات الياء، وباقي السبعة بحذفها، وفي «الإقناع» لأبي جعفر بن الباذش عن ابن مجاهد الوقفُ على جميع الباب لابن كثير بالياء، وهذا لا يعرفُه المكيُّون. وفيه عن أبي يعقوب الأزرق عن ورش أنه خيَّره في الوقف في جميع الباب بين أن يقف بالياء وبين أن يقف بحذفها، والبابُ هو كلُّ منقوصٍ منوَّنٍ غير منصوب[٣].

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

مناسبة هذه الآية لما قبلَها هو ما نبَّه عليه الزَّمخشريُّ[٤] من أنه تعالى لما طلبَ الكفارُ أن تنزل على الرسول ﷺ آية ـ وكم آيةٍ نزلت ـ أردفَ ذلك بذكر آيات علمه الباهر، وقدرته النافذة، وحكمته البليغة، وأن ما أَنْزَلَهُ[٥] عليه من الآيات كافية لمن تبصَّر، فلا يقترحُ آيةً غيرها[٦]، وأنَّ نزولَ الآيات إنما هو على ما يقدِّرُه الله تعالى.

وقيل: مناسبة ذلك أنه لمَّا تقدَّم إنكارُهم البعثَ لتفرُّقِ الأجزاء واختلاطِ بعضِها ببعض بحيث لا يتهيَّأ الامتيازُ بينها، نبَّه على إحاطة علمه، وأن مَنْ كان عالماً بجميع المعلومات هو قادرٌ على إعادة ما أنشأ.

(١) المصدر السابق. وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٤٤٢ .
(٢) الرعد (١١)، والنحل (٩٦).
(٣) في (أ) والمطبوع: منصرف. وهو خطأ.
(٤) ينظر «الكشاف» ٢/ ٣٥٠.
(٥) في (ح): أنزل، وفي المطبوع: نزل .
(٦) في المطبوع: فلا يقترحون غيرها.

وقيل: مناسبة ذلك أنهم لما استعجلُوا بالسيئة؛ نبَّه على علمه بجميع المعلومات، وأنه إنما ينزلُ العذاب بحسب ما يعلمُ كونه مصلحة.

قال ابن عطية: نصَّ في هذه المُثُلَ المنبِّهة[١] على قدرة الله القاضية بتجويز البعث، فمن ذلك [هذه] الواحدةُ من الخَمْس[٢] التي هي مفاتيح الغيب، يعني التي لا يعلمُها إلا هو، وهي ما تحملُ به الإناث من الأجنَّة[٣] من كل نوع من الحيوان، وهذه البَدْأة، وبُيِّنَ أنه[٤] لا يتعذَّر على القادر عليها الإعادةُ.

و«الله يعلمُ» كلامٌ مستأنَف، مبتدأ وخبر، ومَنْ فسَّر الهادي بـ «الله»، جازَ أن يكون «الله» خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الله تعالى. ثم ابتدأ إخباراً عنه، فقال: «يعلم».

و«يعلم» هنا متعدّية إلى واحد لأنه لا يُراد هنا النسبة، إنما المرادُ تعلُّق العلم بالمفردات[٥].

و«ما»[٦] جوَّزُوا أن تكون بمعنى «الذي»، والعائدُ عليها في صِلاتها محذوف، ويكون «تغيض»[٧] متعدِّياً، وأن تكون مصدرية، فيكون «تغيض» و«تزداد» لازمان، وسماعُ تعديتهما ولزومهما ثابت من كلام العرب، وأن تكون استفهاماً مبتدأ، و«تحملُ» خبره[٨]، و«يعلم» معلَّقة، والجملة في موضع المفعول.

---

(١) في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٨ : قصَّ في هذه الآيات المُثُل المنبّهة. وفي مطبوع البحر: قصَّ في هذا المثل المنبّه.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: الجنس. والمثبت من «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٨ (والكلام منه). ولفظة «هذه» بين حاصرتين منه.

(٣) في المطبوع: النطفة! وفي (ح) والمطبوع: ما تحملُه الإناث ....

(٤) في المطبوع: وهذا البدء يبين أنه... إلخ. وعبارة «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٨: وهذه البدأة تبيّن أنه... إلخ.

(٥) نقل السمين الحلبي في «الدر المصون» ٧/ ٢٢ كلام أبي حيان هذا، ثم قال: وإذا كانت (يعني: يعلم) كذلك كانت عرفانية... ولا يجوز نسبة هذا إلى الله تعالى. وينظر «الدر» أيضاً ٥/ ٦٣٠ .

(٦) يعني في المواضع الثلاثة.

(٧) و«تزداد» أيضاً.

(٨) ضعَّف ابنُ عطية هذا الوجه في «المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٨ .

و«تحمل» هنا من حمل البطن، لا من الحمل على الظهر؛ وفي مصحف أُبيّ: «ما تحمل كلُّ أنثى وما تضع»[١]. وتُحْمَلُ على التفسير، لأنها زيادةٌ لم تثبت في سَوَاد المصحف.

قال ابنُ عباس: تَغِيضُ: تنقص من الخلقة، وتزداد: تتمّ.

وقال مجاهد: غَيْضُ الرَّحم أن يُهَرِيقَ دماً على الحمل، فيَضْعُفُ الولدُ في البطن ويَشْحُب، فإذا بقي الولدُ في بطنها بعد تسعة أشهر مدَّة، كمل فيها من جسمه وصحته ما نقص بهراقة الدم. انتهى. وكأنَّه شرحَ كلامَ ابنِ عباس[٢].

وقال عكرمة: تَغِيضُ بظهور الحيض في الحمل[٣]، وتزداد بدم النِّفاس بعد الوضع.

وقال قتادة: الغَيْض: السِّقط، والزيادة: البقاء فوق تسعة أشهر.

وقال الضحَّاك: غَيْضُ الرَّحم أن تُسقط المرأةُ الولد، والزيادة أن تضعه لمدة كاملة تامَّة.

وعن الضحَّاك أيضاً: الغَيْضُ: النقص من تسعة أشهر، والازدياد إلى سنتين.

وقيل: مِن عَدَدِ الأولاد، فقد تَحْمِلُ واحداً، وقد تَحْمِلُ أكثر.

وقال الجمهور: غَيْضُ الرَّحِم: الدَّمُ على الحمل[٤].

وقال الزمخشري[٥]: إن كانت موصولةً ـ يعني «ما» ـ فالمعنى أنه يعلمُ ما تحملُ من الولد على أيّ حالٍ هو من ذُكورة وأُنوثة، وتمام وخِداج، وحُسْن وقُبْح، وطُول وقِصَر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقَّبة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) قوله: «وكأنه شرحَ» سقط من (أ) و(ح) والمطبوع. وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٤٤٧ ، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٢٩٨ ، و«زاد المسير» ٤/ ٣٠٨ . ووقع في مطبوع البحر: كمل فيها من خمسة وصحبة ما نقص من هراقة الدم!.

(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: الحَبَل.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٤٤٥-٤٥١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٩٨، وتفسير الرازي ١٩/ ١٥، وزاد المسير ٤/ ٣٠٨ .

(٥) الكشاف ٢/ ٣٥١ .

ويعلم ما تَغِيضُه الأرحام [أي:] تنقصه، وما تزداد أي: تأخذه زائداً، تقول: أخذتُ منه حقّي، وازددتُ منه كذا، ومنه: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾[الكهف:٢٥] ويقال: زدتُه، فزاد بنفسه وازدادَ.

وما[١] تنقصه الرَّحِم وتزداده عددُ الولد، فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة. ويُروى أنَّ شريكاً كان رابعَ أربعة في بطن أمّه.

ومنه جسد الولد، فإنه يكون تامّاً ومُخدَجاً، ومنه مدَّة ولادته، فإنها تكون أقلَّ من تسعة أشهر، فما زاد[٢] عليها إلى سنتين[٣] عند أبي حنيفة، وإلى أربع عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك.

وقيل: إنَّ الضحَّاك وُلد لسنتين، وهَرِم بن حيّان بقي في بطن أمّه أربعَ سنين، ولذلك سمّي هَرِماً.

ومنه الدم، فإنه يقلُّ ويكثُر.

وإن كانت مصدريَّة؛ فالمعنى أنه يعلم حَمْلَ كلِّ أنثى، ويعلمُ غَيْضَ الأرحام وازديادَها، فلا يخفى عليه شيء من ذلك من أوقاته وأحواله.

ويجوزُ أن يُراد غيوضُ ما في الأرحام وزيادتُه، فأسندَ الفعل إلى الأرحام، وهو لما فيها، على أنَّ الفعل غيرُ متعدّ[٤]، ويعضُده قول الحسن: الغيضوضة أن يقع[٥] لثمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد أن يزيد على تسعة أشهر. وعنه: الغَيْضُ الذي يكون سِقْطاً لغير تمام، والازديادُ ما وُلد لتمام. انتهى. وهو جمعَ ما قاله المفسّرون مفرَّقاً.

و«بمقدار»: بقَدْر، ويطلق المقدار على القَدْر، وعلى ما يقدَّر به الشيء، والظاهر عمومُ قوله: «وكلُّ شيء عنده بمقدار» أي: بحدٍّ لا يتجاوزُه، ولا يقصر عنه.

---

(١) في «الكشاف»: وممَّا.
(٢) في المصدر السابق: وأزيد، بدل: فما زاد.
(٣) في المطبوع: سنة، وهو خطأ.
(٤) في «الكشاف» ٢/ ٣٥١ : الفعلين غير متعدّيين.
(٥) في (أ): تقع، وفي المصدر السابق: يضع.

وقال ابن عباس: وكلُّ شيء من الثواب والعقاب عنده بمقدار، أي: بقَدْرِ الطاعة والمعصية. وقال الضَّحاك: من الغَيْض والازدياد. وقال قتادة: من الرزق والأجل[١].

وقيل: صحةُ الجنين ومرضُه، وموتُه وحياتُه، ورزقُه وأجلُه.

والأحسنُ حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على التخصيص؛ لأنه لا دليلَ عليه.

والمراد من العِنديَّة العلمُ، أي: هو تعالى عالمٌ بكميَّة كلِّ شيء وكيفيته على الوجه المفصَّل المبيَّن، فامتنع وقوعُ اللَّبس في تلك المعلومات.

وقيل: المرادُ بالعنديَّة أنه تعالى خصَّص كلَّ حادث بوقتٍ بعينه وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السَّرمديَّة[٢].

ولما ذكر أنه عالمٌ بأشياءَ خفيَّةٍ لا يعلمُها إلا هو، وكانت أشياءَ جزئيَّة من خفايا علمه، ذكرَ أنَّ علمه محيطٌ بجميع الأشياء، فعلمُه تعالى متعلِّق بما يُشاهدُه العالَم تعلُّقَهُ بما يغيبُ عنهم.

وقيل: الغائب: المعدوم، والشاهد: الموجود. وقيل الغائبُ: ما غاب عن الحسّ، والشاهدُ: ما حضر للحسّ[٣].

وقرأ زيد بن علي: «عَالِمَ الغيب»، بالنصب.

الكبير: العظيمُ الشأنِ الذي كلُّ شيء دونَه.

المُتعال: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كَبُرَ عن صفات المُحْدَثِين وتعالى عنها.

وأثبت ابن كثير وأبو عَمرو في رواية ياءَ «المتعال» وقفاً ووصلاً[٤]، وهو الكثير في لسان العرب، وحذفَها الباقون وصلاً ووقفاً لأنها كذلك رُسمت في الخطّ.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٩٧ .

(٢) تفسير الرازي ١٩/ ١٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) السبعة ص٣٥٨ . وقراءة أبي عمرو في إثبات ياء «المتعالي» هي من رواية عبد الوارث بن سعيد عنه.

واستسهلَ سيبويه حَذْفَها[١] في الفواصل وفي القوافي، وأجاز غيرُه حذفَها مطلقاً. ووجهُ حذفها مع [«أل»] أنها تُحذف مع التنوين، و«أل»[٢] تُعاقب التنوين[٣]، فحُذفت مع المعاقِب إجراءً له مُجرى المعاقَب.

ولما ذكر تعالى أنه عالمُ الغيب والشهادة على العموم، ذكر تعالى تعلُّقَ[٤] علمه بشيء خاصّ من أحوال المكلَّفين، فقال: «سواءٌ منكم» الآية، والمعنى: سواءٌ في علمه المُسِرُّ القولَ والجاهرُ به، لا يخفى عليه شيء من أقواله.

و«سواءٌ» تقدَّم الكلام فيه وفي معانيه، وهو هنا بمعنى: مستوٍ، وهو لا يثنَّى في أشهر اللغات، وحكى أبو زيد تثنيته فتقول: هما سَوَاءان.

وقيل: هو على حذف، أي: سواءٌ منكم سِرُّ مَنْ أَسَرَّ القولَ وجَهْرُ مَنْ جهرَ به.

وأعربُوا «سواءٌ» خبر مبتدأ، و«مَنْ أَسَرَّ» والمعطوفُ عليه مبتدأ، ويجوزُ أن يكون «سواءٌ» مبتدأ لأنه موصوف بقوله: «منكم»، و«مَنْ» والمعطوف[٥] الخبر، وكذا أعرب سيبويه قول العرب: سواءٌ عليه الخيرُ والشرُّ[٦]. وقولُ ابنِ عطية[٧]: إنّ سيبويه ضعَّف ذلك بأنه ابتداءٌ بنكرة، لا يصحُّ.

وقال ابن عبَّاس: مستخفٍ: مستترٌ، وساربٌ: ظاهر. وقال مجاهد: مستخفٍ بالمعاصي[٨].

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: واستشهد سيبويه بحذفها...إلخ. وينظر «الكتاب» ٤/ ١٨٤-١٨٥ باب ما يحذف من أواخر الأسماء في الوقف وهو الياءات.
(٢) في (ح) والمطبوع: وأن، بدل: وأل. وهو خطأ. ولفظة «أل» السالفة بين حاصرتين من عندي لضرورة السياق.
(٣) أي: لا تجتمع معه.
(٤) لفظة «تعلّق» ليست في (أ).
(٥) في (أ) و(ح) والمطبوع: المعطوف (دون واو). وهو خطأ.
(٦) ينظر «الكتاب» ٢/ ٢٥ . (باب ما جرى من الأسماء التي تكون صفة مجرى الأسماء التي لا تكون صفة).
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٩ .
(٨) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٥-٢٦ . وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٤٥٣-٤٥٤ ، و«معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٤٧٦ .

وتفسير الأخفش وقُطرب المستخفي هنا بالظاهر[١] ـ وإن كان موجوداً في اللغة ـ ينبو عنه اقترانُه بالليل، واقترانُ السارب بالنهار.

وتقابلَ الوصفانِ في قوله: «ومَنْ هو مُسْتَخْفٍ» إذ قابلَ: «مَنْ أَسَرَّ القولَ»، وفي قوله: «وساربٌ بالنهار» إذ قابلَ: «ومَنْ جَهَرَ به». والمعنى ـ والله أعلم ـ أنه تعالى محيطٌ علمُه بأقوال المكلَّفين وأفعالهم، لا يعزُبُ عنه شيء من ذلك.

وظاهرُ التقسيم يقتضي تكرار «مَنْ» لكنه حُذف للعلم به، إذ قد تقدَّم قوله: «مَنْ أسرَّ القولَ ومَنْ جَهَرَ به» لكن ذلك لا يجوز على مذهب البصريين، وأجازه الكوفيون[٢].

ويجوز أن يكون «وساربٌ» معطوفاً على «مَنْ» لا على «مُستخفٍ» فيصحُّ التقسيم كأنه قيل: سواءٌ شخصٌ هو مُستخفٍ بالليل وشخصٌ هو ساربٌ بالنهار.

ويجوز أن يكون معطوفاً على «مستخفٍ»، وأُريدَ بـ «مَنْ» اثنان، وحُملَ على المعنى في تقسيم خبر المبتدأ الذي هو[٣] «هو»، وعلى لفظ «مَنْ» في إفراد «هو»، والمعنى: سواءٌ اللذان هما مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار. وذهب ابن عبَّاس ومجاهد إلى أنَّ المستخفي بالليل[٤] والساربَ بالنهار هو رجلٌ واحد يستخفي بالليل ويَسْرُبُ بالنهار ليُرى تصرُّفُه في الناس.

قال ابنُ عطية[٥]: فهذا قِسمٌ واحد جعلَ الليل[٦] نهارَ راحتِه. والمعنى: هذا والذي أمرُه كلُّه واحدٌ بريءٌ من الرِّيَب سواءٌ في اطّلاع الله تعالى على الكلّ، ويؤيِّد هذا التأويل عطفُ السَّارب دون تكرار «مَنْ»، ولا يأتي حذفُها إلا في الشعر.

وتحتمل الآية أن تتضمَّن ثلاثةَ أصناف، فالذي يُسِرُّ طرف، والذي يجهرُ طرف مضادٌّ للأوَّل، والثالث متوسط متلوِّن يعصي بالليل مستخفياً ويُظهر البراءة بالنهار. انتهى.

---

(١) ينظر «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٥٩٥، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ١٤٢.

(٢) يعني حذف الموصول. وينظر «الدر المصون» ٧/ ٢٥.

(٣) أي: المبتدأ.

(٤) من قوله: وسارب بالنهار وذهب . . . إلى هذا الموضع، سقط من (أ) و(ح) والمطبوع.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٩. والكلام السالف قبله هو فيه بنحوه.

(٦) في (أ) و(ح) والمطبوع لفظ الجلالة «الله»، بدل لفظة «الليل»! وفي (ز١): جعل الله الليلَ. . . وسقط الكلام من (يه) في هذا الموضع، والمثبت من المصدر السابق.

وقيل: «ومَنْ هو مُسْتَخْفٍ بالليل» أي: بظلمته يريدُ أَخْفَى عملَه فيه، كما قال:

أزورُهُم وسوادُ الليلِ يشفعُ لي[(١)]

وقال:

وكَمْ لِظَلامِ اللَّيْلِ عندَكَ مِنْ يَدٍ[(٢)]

والظاهر عَوْدُ الضمير في «له» على «مَنْ»، كأنه قيل: لِمَن أسرَّ ومَنْ جهر ومَنْ استخفى ومَنْ سَرَبَ مُعَقِّبات.

وقال ابنُ عبَّاس: هو عائدٌ على «مَنْ» في قوله: «ومَنْ هو مُسْتَخْفٍ». وكذلك باقي الضمائر التي في الآية؛ قال ابنُ عطيَّة: والمعقِّبات على هذا حَرَسُ الرجل وجَلَاوِزَتُهُ الذين يحفظونه. قالوا: والآية على هذا في الرؤساء الكافرين. واختار هذا القول الطبريُّ، وهو قولُ عكرمة وجماعة[(٣)].

وقال الضحَّاك: هو السلطانُ المُحَرَّسُ من أمر الله، المشركُ[(٤)].

وذكر الماورديّ أنَّ الكلام على هذا التأويل نفيٌ، تقديرُه: لا يحفظونه من أمر الله. انتهى[(٥)]. وحذفُ «لا» لا في جواب قَسَمٍ بعيدٌ[(٦)].

---

(١) هو صدر بيت للمتنبي، وعجزُه: وأنثني وبياض الصبح يُغري بي. وهو في «ديوانه» ١/ ٢٩٠ (بشرح البرقوقي).

(٢) صدر بيت للمتنبي أيضاً، وعجزه: تُخَبِّرُ أنَّ المانَوِيَّةَ تكذبُ. وهو في «ديوانه» ١/ ٣٠٢. ووقع في (زا) و(يه) ومطبوع البحر: عندي، بدل: عندك. قوله: المانَوِيَّة: يعني أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بعد عيسى ﷺ، وكان يقول بنبوة عيسى ولا يقول بنبوة موسى، ويزعم أن العالم مركب من نور وظلمة... ينظر «الملل والنحل» ٢/ ٨١ للشهرستاني.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠١، وفيه قول ابن عباس، وهو بمعناه في المصادر. ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٤٦٠-٤٦٢ . قوله: وجلاوزته؛ الجلاوزة: جمع جِلْواز، وهو الشرطي.

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٤٦١. ولفظه فيه: السلطان المحترس من أمر الله، وهم أهلُ الشرك. اهـ.

(٥) النكت والعيون ٣/ ٩٨ .

(٦) قال السمين في الدرّ ٧/ ٢٦: حذف «لا» إنما يجوز إذا كان المنفيُّ مضارعاً في جواب قسم، نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف: ٨٥].

قال المهدويّ: ومن جعل المعقّباتِ الحرسَ؛ فالمعنى: يحفظونه من أمر الله على ظنّه وزعمه.

وقيل: الضمير في«له» عائد على الله تعالى، أي: لله معقِّباتٌ ملائكةٌ من بين يدي العبد ومن خلفه. والمعقِّباتُ على هذا الملائكةُ الحَفَظَةُ على العباد أعمالَهم[١]، والحَفَظَةُ لهم أيضاً، قاله الحسن. ورُويَ فيه حديث عن عثمانَ عن النبي ﷺ، وهو قول مجاهد والنَّخَعي[٢].

وقيل: الضمير في «له» عائدٌ على الرسول ﷺ وإن لم يجرِ له ذكر قريب، وقد جَرَى ذكرُه في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ والمعنى أنَّ الله تعالى جعلَ لنبيّه ﷺ حَفَظَةً من متمرِّدي الجنّ والإنس[٣].

قال ابن زيد: الآية في النبيّ ﷺ، ونزلَتْ في حفظ الله له من أَرْبَدَ بنِ قيس وعامرِ بنِ الطُّفيل في القصَّة التي سنُشير إليها بعدُ في ذكر الصواعق[٤].

والقولُ الأوّل في عَوْد الضمير هو الأَوْلى[٥] والذي ينبغي أن يُحملَ عليه، وعليه نُفَسِّر.

ونقول: لمَّا تقدَّم أنَّ مَنْ أسرَّ القولَ ومَنْ جهرَ به ومن استخفى بالليل وسَرَبَ بالنهار مستوٍ في علم الله تعالى لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، ذكرَ أيضاً أنَّ لذلك المذكور معقِّباتٍ، وهم جماعاتٌ من الملائكة تعتقبُ في حِفْظِه وكَلاءتِه.

ومُعَقِّب، وزنه مُفَعِّل، من عَقَّبَ الرجلُ: إذا جاء على عَقِب الآخَر؛ لأنَّ بعضهم يُعقِّبُ بعضاً، أو لأنهم يُعقِّبون ما يتكلَّم[٦] به، فيكتبونه.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: وأعمالهم. والكلام في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٠ .
(٢) المصدر السابق. وحديث عثمان المشار إليه أخرجه الطبري ١٣/ ٤٥٧ .
(٣) يعني حفظة يحفظونه من متمرّدي الجن والإنس، وبنحوه في «تفسير» البغوي ٣/ ٩ عن ابن عباس. وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٤٦٥ . وجاء في مطبوع البحر: أبو زيد، بدل: ابن زيد. وهو خطأ.
(٤) سيرد الخبر مختصراً عند تفسير الآية (١٣). وأخرجه الطبري ١٣/ ٤٦٧-٤٧٠ مطولاً.
(٥) في (أ): للأولى. وفي المطبوع: الأولى الذي.
(٦) في المطبوع: يتكلمون.

وقال الزمخشري[1]: والأصلُ: مُعْتَقِبات، فأدغمت التاء في القاف كقوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [التوبة: ٩٠] يعني المُعْتَذِرُون، ويجوز: مُعِقِّبات؛ بكسر العين، ولم يُقرأ به. انتهى.

وهذا وهم فاحش، لا تُدغَم التاء في القاف ولا القاف في التاء، لا من كلمة، ولا من كلمتين، وقد نصَّ التصريفيُّون على أنَّ القاف والكاف كلٌّ منهما يُدْغَم في الآخر، ولا يُدغَمان في غيرهما، ولا يُدْغَم غيرُهما فيهما.

وأمَّا تشبيهُه بقوله: «وجاء المُعَذِّرُون» فلا يتعيَّن أن يكون أصلُه: المُعتذِرُون. وقد تقدَّم في «براءة» توجيهُه، وأنه لا يتعيَّن ذلك فيه. وأمَّا قولُه: ويجوزُ: مُعِقِّبات، بكسر العين، فهذا لا يجوز؛ لأنه بناه على أنَّ أصله: مُعْتَقِبات، فأُدغمت التاء في القاف، وقد ذكرنا أنَّ ذلك وهم فاحش.

و«المُعَقِّبات» جمع مُعَقِّبة، فقيل: الهاء في معقِّبة للمبالغة، فيكون كرجل نسَّابة، ورجالٌ نسَّابات. وقيل: جمع مُعَقِّبة، وهي الجماعة التي تأتي بعد الأخرى، جُمعت باعتبار كثرة الجماعات.

ومُعَقِّبة ليست جمعَ مُعَقِّب كما ذكر الطبريّ، وشَبَّه ذلك برَجُل ورجال ورِجالات، وليس الأمرُ كما ذكر؛ لأنَّ ذلك كجَمَل وجِمال وجِمالات، ومُعَقِّبة ومُعَقِّبات إنما هما كضاربة[2] وضاربات. قاله ابنُ عطيَّة[3]، وينبغي أن يُتأوَّلَ كلامُ الطبريّ على أنه أراد بقوله: جمع مُعقِّب، أنه أُطلق من حيث الاستعمالُ على جمع مُعَقِّب، وإن كان أصلُه أن يُطلق على مؤنَّثِ معقِّب، وصار مثل الواردة؛ للجماعة الذين يَرِدُون، وإنْ كان أصلُه أن يُطلق على مؤنَّثِ وارد[4]؛ من حيث إنَّ جموع التكسير[5] للعاقل[6] يجوز أن تُعامل معاملة المفردة المؤنثة في الإخبار وفي عَوْد

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٥٢.

(٢) في المطبوع: إنما هي كضارب. وهو خطأ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٢.

(٤) من قوله: معقِّب وصار مثل الواردة... إلى هذا الموضع، سقط من (ح) و(يه).

(٥) في (أ) و(ح) والمطبوع: من حيث أن يجمع جموع التكسير. والكلام بنحوه في «الدر المصون» ٧/ ٢٨.

(٦) تحرفت في (أ) و(ح) والمطبوع إلى: للعامل.

الضمير، كقوله[١]: العلماء قائلة كذا، وقولهم: الرجالُ وأعضادُها، وتشبيهُ الطبريّ ذلك برجل ورِجال ورِجالات من حيث المعنى، لا من حيث صناعةُ النحويِّين، فبيَّن أنَّ «مُعَقِّبة» من حيثُ أُريد به الجمع كرجال من حيث وُضع للجمع، وأنَّ «مُعَقِّبات» من حيث استُعمل جمعاً لمعقِّبة المستعملِ للجمع كرجالات الذي هو جمعُ رِجال.

وقرأ عُبيدُ الله بنُ زياد على المنبر: «له المعاقيب»[٢] وهي قراءة أُبيّ وإبراهيم[٣].

وقال الزمخشري: وقُرِئ: «له معاقيب»[٤]. قال أبو الفتح: هو تكسير مُعْقِب بسكون العين، وكسر القاف، كمُطْعِم ومطاعيم، ومُقْدِم ومَقاديم، وكأنَّ مُعْقِباً جُمع على مَعاقِبة، ثم جُعلت الياء في «معاقيب» عوضاً من الهاء المحذوفة في مَعَاقبة[٥].

وقال الزمخشريّ: جمع مُعَقِّب أو مُعَقِّبة، والياء عوض من حذف أحد القافين في التكسير[٦].

وقُرِئ: «له مُعْتَقِبات»[٧] من: اعْتَقَبَ. وقرأ أُبيّ: «من بين يديه ورقيبٌ من

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: لقوله، وفي «الدر المصون» ٧/ ٢٨ : ومنه قولهم.
(٢) المحتسب ١/ ٣٥٥ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠١ ، وهي في «القراءات الشاذة» ص٦٦ عن زياد بن أبي سفيان، وفي «معاني القرآن» للنحاس ٣/ ٤٨٠ ، «والكشاف» ٢/ ٣٥٢ ، و«تفسير» القرطبي ١٢/ ٢٧ دون نسبة، وفي هذه المصادر كلها: له معاقيب، بدون «أل». ووقع في مطبوع البحر: له المعاقب، وهو خطأ.
(٣) كذا وقع، ونقله السمين الحلبي في «الدّر» ٧/ ٢٨، وابن عادل في «اللباب» ١١/ ٢٦٧ ، والآلوسي في «روح المعاني» ١٣/ ٦٥ ، ولعله محرّف عن: أبي البَرَهْسَم كما هو في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠١. وأبو البَرَهْسَم (وزن سَفَرْجَل) هو عمران بن عثمان الزبيدي الشامي. له ترجمة في «غاية النهاية» ١/ ٦٠٤ .
(٤) الكشاف ٢/ ٣٥٢ .
(٥) هذا الكلام لابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠١ ، ونقل فيه عن أبي الفتح ابن جني قوله فقط: هو تكسير مُعْقِب، ومُقْدِم ومَقاديم. ينظر «المحتسب» ١/ ٣٥٥ .
(٦) الكشاف ٢/ ٣٥٢. وقاله أيضاً قبله ابنُ جني في «المحتسب» ١/ ٣٥٥ . وقيَّد الآلوسي لفظتي «معقِّب» و«معقِّبة» في «روح المعاني» ١٣/ ٦٥ بتشديد القاف فيهما.
(٧) في (أ) و(ح): معيقبات. وهو تحريف.

خلفه». وقرأ ابنُ عبَّاس: «ورُقَباءُ من خلفه». وذكر عنه أبو حاتم أنه قرأ: «له معقِّبات من خلفه ورقيبٌ من بين يديه»[(١)]. وينبغي حملُ هذه القراءات على التفسير لا أنها قرآن؛ لمخالفتها سَواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون.

والظاهر أن قوله تعالى: «من أمر الله» متعلِّق بقوله: «يحفظونه»، فقيل: «مِن» للسبب، كقولك: كسوتُه من عُرْي، ويكون معناها ومعنى الباء سواء، كأنه قيل: يحفظونه بأمر الله وبإذنه، فحفظُهم إياه متسبِّب عن أمر الله لهم بذلك.

قال ابن جُريج: يحفظون عليه عملَه، فحذف المضاف. وقال قتادة: يكتبون أقواله وأفعاله[(٢)]. وقراءةُ عليّ وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي وجعفر بن محمد: «يحفظونه بأمر الله» تؤيِّد تأويل السببيَّة في «مِن»[(٣)]. وفي هذا التأويل قال الزمخشريّ: يحفظونه من أجل أمر الله تعالى، أي: من أجل أنَّ الله تعالى أمرَهم بحفظه.

وقال ابن عطية: وقال قتادة: معنى «من أمر الله»: بأمر الله، أي: يحفظونه بما أمر الله. وهذا تحكُّم[(٤)] في التأويل. انتهى. وليس بتحكُّم، وورودُ «مِنْ» للسبب ثابت من لسان العرب.

وقيل: يحفظونه من بأس الله ونِقْمته، كقولك: حرستُ زيداً من الأسد. ومعنى ذلك: إذا أذِنَ الله لهم في دعائهم أن يُمهله رجاءَ أن يتوبَ عليه ويُنيب، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الأنبياء: ٤٢] ويصير معنى الكلام إلى التضمين، أي: يَدْعُون له بالحفظ من نَقِمات الله رجاءَ توبته.

ومَنْ جعلَ المُعَقِّباتِ الحَرَسَ، وجعلَها في رؤساء الكفار، فـ«يحفظونه» معناه: في زعمه وتوهُّمه من قَدَر[(٥)] الله، ويدفعون قضاءه في ظنّه، وذلك لجهالته بالله

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٢. وأورد الطبري ١٣/ ٤٥٩ قراءة أُبيّ.
(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩ . وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٤٥٩-٤٦٠ ، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٢، و«زاد المسير» ٤/ ٣١٢.
(٣) المحتسب ١/ ٣٥٥ ، والكشاف ٢/ ٣٥٢ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠٢ .
(٤) في(أ): الحكم، وفي (ح): التحكم. والكلام في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٢.
(٥) في المطبوع: هلاك، بدل: قدر. وفي (أ): وقوعه، بدل: وتوهمه. وسلف نحو هذا القول عن المهدويّ.

تعالى، أو يكون ذلك على معنى التهكُّم به. وحقيقة التهكُّم هو أن يخبر بشيء ظاهره مثلاً الثبوت في ذلك الوصف، وفي الحقيقة هو مُنتَفٍ[١]، ولذلك حملَ بعضُهم «يحفظونه» على أنه مرادٌ به: «لا يحفظونه» فحذفَ «لا»[٢].

وعلى هذا التأويل في «مِن» تكون متعلِّقة كما ذكرنا بـ «يحفظونه»، وهي في موضع نصب.

وقال الفرَّاء وجماعة: في الكلام تقديم وتأخير، أي: له مُعَقِّبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه. ورُويَ هذا عن مجاهد والنَّخَعيّ وابنِ جُريج[٣]، فيكون: «من أمر الله» في موضع رفع، لأنه صفة لمرفوع، ويتعلَّق إذ ذاك بمحذوف، أي: كائنةٌ من أمر الله تعالى، ولا يحتاج في هذا المعنى إلى تقدير تقديم وتأخير، بل وُصفت المعقِّبات بثلاث صفات في الظاهر، أحدُها: من بين يديه ومن خلفه، أي: كائنةٌ من بين يديه، والثانية: يحفظونه، أي: حافظاتٌ له، والثالثة: كونُها من أمر الله.

وإن جعلنا «من بين يديه ومن خلفه» يتعلّق بقوله: «يحفظونه»، فيكون إذ ذاك «معقِّبات» وُصفت بصفتين: إحداهما: يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، والثانية قوله: «من أمر الله» أي: كائنةٌ من أمر الله، غاية ما في ذلك أنه بُدئ بالوصف بالجملة قبلِ وصفٍ بالجارّ والمجرور، وذلك سائغ جيدٌ فصيح، وكان الوصف بالجملة الدالَّة على الديمومة في الحفظ آكد، فلذلك قُدِّم الوصف بها.

وذكر أبو عبد الله الرازيّ[٤] في الملائكة الموكَّلين علينا وفي الكَتَبة منهم أقوالاً عن المنجِّمين وأصحاب الطِّلَسْمات وناسٍ سمَّاهم حكماءَ الإسلام يُوقف على ذلك من تفسيره.

ولمَّا ذكر تعالى إحاطةَ عِلْمِهِ بخفايا الأشياء وجلاياها، وأنَّ الملائكة تعتقبُ على المكلَّفين بضبط ما يصدرُ منهم وكان الصادرُ منهم خيراً وشرًّا، ذكر تعالى أنَّ

(١) تحرفت لفظة «منتف» في المطبوع إلى: منتصف.
(٢) سلف هذا القول عن الماوردي.
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٠ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٩ .
(٤) تفسير الرازي ١٩/ ١٩-٢٠ .

ما خوَّلَهم فيه من النعم وأسبغَ عليهم من الإحسان لايُزيلُه عنهم إلى الانتقام منهم إلا بكفر تلك النِّعم وإهمال أمره بالطاعة واستبدالِها بالمعصية، فكان في ذكر ذلك تنبيهٌ على لزوم الطاعة وتحذيرٌ لوبالِ المعصية.

والظاهر أنه لا يقعُ تغييرُ النِّعم بقوم حتى يقعَ تغييرٌ منهم بالمعاصي.

قال ابنُ عطيَّة[1]: وهذا الموضع مؤوَّل؛ لأنه صحَّ الخبر بما قرَّرت الشريعةُ من أخذ العامَّة بذنوب الخاصَّة، وبالعكس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ﴾[الأنفال: ٢٥] الآية، وسؤالُهم للرسول ﷺ: أنَهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ»[2] في أشياءَ كثيرة، فمعنى الآية: حتى يقع تغييرٌ، إمَّا منهم، وإمَّا من الناظر لهم، أو ممَّن هو منهم بسبب، كما غيَّر الله تعالى بالمنهزمين يومَ أُحُد بسبب تغيير الرُّماة ما بأنفسهم. إلى غير هذا من أمثلة الشريعة، فليس معنى الآية أنه ليس ينزلُ بأحدٍ عقوبةٌ إلا بأن يتقدَّم منه ذنب، بل قد تنزلُ المصائب بذنوب الغير، وثَمَّ أيضاً مصائبُ يُريد[3] الله بها أجْرَ المصاب، فتلك ليست تغييراً. انتهى.

وفي الحديث: «إذا رَأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يَعُمَّهُمُ الله بعقاب»[4].

وقيل: هذا يرجع إلى قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾[الرعد: ٦]. فبيَّن تعالى أنه لا يُنزل بهم عذاب الاستئصال إلا والمعلوم منهم الإصرار على الكفر والمعاصي، إلا إنْ علم الله تعالى أنَّ فيهم مَنْ يؤمن، أو في عَقِبِهِ[5] مَنْ يؤمن، فإنه تعالى لا يُنزلُ بهم عذابَ الاستئصال.

و«ما» موصولة؛ صلتُها « بقوم»، وكذا «ما بأنفسهم»، وفي «ما» إبهام لا

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٢.

(٢) قطعة من حديث زينب بنت جحش، أخرجه أحمد (٢٧٤١٣)، والبخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) في المطبوع: يزيد.

(٤) أخرجه أحمد (٣٠)، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨) من حديث أبي بكر الصديق ﷺ.

(٥) في المطبوع: عقبهم، ولفظ «من يؤمن» قبلها، لم يرد فيه.

يتعيَّن[1] المرادُ منها إلا بسياق الكلام واعتقاد محذوف يتبيَّن به المعنى. والتقدير: لا يغيِّرُ ما بقومٍ من نعمةٍ وخير إلى ضدِّ ذلك حتى يُغيِّرُوا ما بأنفسهم من طاعته إلى توالي معصيته.

والسُّوء يَجمعُ كلَّ ما يسوءُ من مرضٍ وفقر[2] وعذابٍ وغيرِ ذلك من البلاء، ولما كان سياق الكلام في الانتقام من العصاة؛ اقتصرَ على قوله: «سُوٓءًا» وإلَّا فالسُّوءُ والخيرُ إذا أرادَ الله تعالى شيئاً منهما[3]، فلا مَرَدَّ له، فذكر السُّوء مبالغة في التخويف.

وقال السُّدِّيُّ: «من وال»: من ملجأ. وقال الزمخشريّ: ممَّن يلي أمرَهم ويدفعُ عنهم. وقيل: من ناصر يمنعُ مِنْ عذابِه[4].

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

لمَّا خوَّفَ تعالى العبادَ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أتبعه بما يشتملُ على أمورٍ دالَّةٍ على قدرة الله تعالى وحكمته تُشبهُ النِّعَمَ من وجه، والنِّقَم من وجه.

وتقدَّم الكلام في البرق والرَّعد والصَّواعق والسَّحاب في «البقرة»[5].

قال ابنُ عبَّاس والحسن: خوفاً من الصواعق وطمعاً في الغيث. وقال قتادة: خوفاً للمسافر من أذى المطر، وطمعاً للمقيم في نفعه. وقريبٌ منه ما ذكره الزَّجَّاج وهو: خوفاً للبلد الذي يخاف ضررَ المطرِ له، وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به.

(١) في المطبوع: يتغير، وهو خطأ.
(٢) في (ح) والمطبوع: وخير.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: منها.
(٤) ينظر: النكت والعيون ٣/ ١٠٠، والكشاف ٢/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٣.
(٥) عند تفسير الآية (١٩) منها.

وذكر الماورديّ: خوفاً من العقاب، وطمعاً في الثواب[١].

وعن ابن عباس وغيره أنه كَنَى بالبرق عن الماء لما كان المطر يُقارنُه غالباً، وذلك من باب إطلاق الشيء مجازاً على ما يُقارنُه[٢] غالباً.

قال الحَوْفي: «خَوْفاً وطَمَعاً» مصدران في موضع الحال من ضمير الخطاب، وجوَّزَه الزَّمخشريّ، أي: خائفين وطامعين. قال[٣] : ومعنى الخوف والطمع أنَّ وقوع الصواعق يُخافُ عند لمع البرق، ويُطمِع في الغيث. قال أبو الطَّيِّب:

فتًى كالسحابِ الجُون يُخشَى ويُرْتَجَى يُرَجَّى الحَيَا منها وتُخْشَى الصواعقُ[٤]

وقيل: يخاف المطرَ مَنْ له فيه ضررٌ؛ كالمسافر، ومَنْ في جَرِينه التَّمرُ والزَّبيب، ومَنْ له بيتٌ يَكِفُ[٥]، ومن البلاد ما لا ينتفع أهلُه بالمطر، كأهل مصر. انتهى.

وقوله الأول في تفسير الخوف والطمع هو قولُ ابن عبَّاس والحسن الذي تقدَّم. وقولُه: كأهل مصر، ليس كما ذكر، بل ينتفعون بالمطر في كثير من أوقات نموّ الزَّرع، وإنه به ينمُو ويجُود، بل تمرُّ على الزرع أوقاتٌ يتضرَّر وينقص نموُّه بامتناع المطر.

وأجاز الزَّمخشريُّ أن يكونا منصوبين على الحال من البرق، كأنه في نفسه خوفٌ وطَمَع، أو على: ذا خوف وطمع.

وقال أبو البقاء: «خَوْفاً وَطمَعاً» مفعول من أجله[٦]. وقال الزَّمخشريّ: لا يصحُّ أن يكون مفعولاً لهما، لأنهما ليسا بفعلِ فاعلِ الفعلِ المعلَّلِ إلا على تقدير حذف

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣١٣. وينظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ١٤٢، والنكت والعيون ٣/ ١٠٠.
(٢) في (يه) والمطبوع: يقاربه (في الموضعين).
(٣) الكشاف ٢/ ٣٥٢.
(٤) ديوان المتنبي ٣/ ٨٦. قوله: الجُون، جمع جَوْن، وهو الأسود. (أو الأبيض. ضدٌّ). والحَيَا: المطر. ووقع في (أ) و(ح) والمطبوع: منه، بدل: منها.
(٥) أي: يتقاطرُ سقفُه من المطر. والجَرِين: الجُرْن، وهو البَيْدر (الموضع التي تُجمع فيها الثمار وغيرُها لتُجفَّف).
(٦) الإملاء ٢/ ٦. وكلام الزمخشري الآتي هو في «الكشاف» ٢/ ٣٥٢.

المضاف، أي: إرادةَ خوفٍ وطمع، أو على معنى: إخافةً وإطماعاً. انتهى.

وإنما لم يكونا على ظاهرهما بفعلٍ لفاعل الفعل المعلَّل لأن الإرادة فعلُ الله، والخوفُ والطمع فعلٌ للمخاطبين، فلم يتَّحد الفاعل في الفعل والمصدر.

وهذا الذي ذكره الزَّمخشريّ من شرط اتّحاد الفاعل فيهما ليس مُجمَعاً عليه، بل من النحويِّين من لا يشترط ذلك، وهو مذهب ابن خروف[1].

والسَّحاب اسم جنس يذكَّر ويؤنَّث، ويُفرد ويُجمع، كما قال: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ [ق: ١٠] ولذلك جمع في قوله: «الثِّقال» ـ ويعني: بالماء ـ وهو جمع ثقيلة.

قال مجاهد وقتادة: معناه: تحملُ الماء، والعربُ تصفُها بذلك. قال قيس بن الخَطِيم:

فما رَوْضَةٌ من رِياضِ القَطَا كأنَّ المصابيحَ حَوْذَانُها
بأحسَنَ منها ولا مُزْنَةٌ دَلُوحٌ تكشَّفُ أَدْجانُها

والدَّلُوج: المُثقلة[2].

والظاهر إسناد التسبيح إلى الرعد، فإنْ كانَ ممَّا يصحُّ منه التسبيح فهو إسنادٌ حقيقيّ، وإن كان ممَّا لا يصحُّ منه فهو إسنادٌ مجازيّ، وتنكيرُه في قوله: ﴿فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ﴾[البقرة: ١٩] ينفي أن يكون عَلَماً لمَلَك[3].

وقال ابنُ الأنباريّ: الإخبار عن الصوت بالتسبيح مجاز، كما يقول القائل: قد غمَّني كلامُك[4].

---

(١) ينظر ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب للمصنِّف ٣/ ١٣٨٣، وقال: وظاهر قول سيبويه يشعر بالجواز.

(٢) البيتان في «الأغاني» ٢/ ٤٢٦، و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٣. قوله: رياض، جمع رَوْضَة، والقَطَا: نوع من طير اليمام. والحَوْذَان: نبتٌ له زهر، والمُزْنَة: السحابة، والأدجان: جمع الدَّجْن، وهو إلباس الغيم الأرضَ وأقطارَ السماء.

(٣) يشير إلى حديث ابن عباس ﷺ في سؤال اليهود للنبيِّ ﷺ عن الرعد، فقال: «ملك من الملائكة...» أخرجه الترمذي (٣١١٧)، وقال: حسن غريب.

(٤) زاد المسير ٤/ ٣١٤. وعبارة مطبوع البحر: الإخبار بالصوت عن التسبيح مجاز.

وقال الزمخشري[١]: ويسبِّح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر، حامدين له، أي: يضجُّون بـ «سبحان الله والحمد لله». وفي الحديث: «سبحان مَنْ يُسَبِّح الرعدُ بحمده»[٢]. وعن عليّ: سبحان مَنْ سَبَّحْتَ له[٣]. وإذا اشتدَّ الرعدُ قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ لا تَقْتُلْنا بغضبك، ولا تُهْلِكْنا بعذابك، وعافِنا قبل ذلك»[٤].

ومن بِدَع المتصوِّفة: الرعدُ صعقات الملائكة، والبرقُ زَفَراتُ أفئدتهم، والمطر بكاؤهم. انتهى.

وقال ابنُ عطية[٥]: وقيل في الرعد: إنه ريحٌ تختنقُ بين السَّحاب، رُويَ ذلك عن ابن عباس. وهذا عندي لا يصحُّ، لأنَّ هذا نزغات الطبيعيين وغيرهم من الملحدة.

وقال أبو عبد الله الرازي[٦]: اعلم أنَّ المحقِّقين من الحكماء يذكرون أنَّ هذه الآثار العُلويَّةَ إنَّما تتمُّ بقُوَى رُوحانيَّةٍ فَلَكيَّة، وللسحاب رُوح معيَّن من الأرواح الفَلَكيَّة يدبِّره[٧]. وكذا القول في الرِّياح وفي سائر الآثار العُلويَّة. وهذا عينُ ما قلناه إن الرعد اسمٌ لِمَلَكٍ من الملائكة يُسبِّحُ اللهَ تعالى. فهذا الذي قاله المفسِّرون بهذه العبارة هو عينُ ما ذكره المحقِّقون من الحكماء. فكيف بالعاقل الإنكار؟ انتهى.

وهذا الرجلُ غرضُه جريانُ ما تَتَخَيَّلُهُ[٨] الفلاسفة على مناهج الشريعة، ولن يكون ذلك أبداً. وقد تقدَّمت أقوالُ المفسِّرين في الرَّعد في «البقرة»، فلم يُجمعوا على أنَّ الرعدَ اسمٌ لِمَلَكٍ. وعلى تقدير أن يكون اسماً لِمَلَكٍ لا يلزمُ أن يكونَ ذلك الملكُ يدبِّر لا السحابَ ولا غيرَه، إذ لا يُستفادُ مثلُ هذا إلا من النبي ﷺ المشهودِ له بالعِصْمة، لا من الفلاسفة الضُّلَّال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٥٣.
(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٤٧٧ من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.
(٣) أخرجه الطبري عن عليّ قولَه.
(٤) أخرجه أحمد (٥٧٦٣)، والترمذي (٣٤٥٠) من حديث ابن عمر ﷺ. قال الترمذيّ: حديث غريب.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٣.
(٦) تفسير الرازي ١٩/ ٢٦.
(٧) في (أ): يديره.
(٨) في (ح) والمطبوع: ما تنتحلُه.

والظاهر عَوْدُ الضمير في قوله: «من خيفته» على الله تعالى كما عاد عليه في قوله: «بحمده». ومعنى «من خِيفَتِه»: من هيبته وإجلاله.

وقيل: يعود على الرعد، و«الملائكة»: أعوانُه، جعلَ الله له ذلك، فهم خائفون خاضعون طائعون له، والرعدُ وإن كان مندرجاً تحت لفظ الملائكة، فهو تعميمٌ بعد تخصيص[١]. انتهى. وهو قول ضعيف.

و«مَنْ» مفعول «فيصيب» وهو من باب الإعمال، أُعمل فيه الثاني، إذ «يرسل» يطلب «مَنْ»، و«فيصيب» يطلبُه، ولو أُعمل الأول لكان التركيب: ويُرسل الصواعقَ فيصيبُه[٢] بها على من يشاء. لكن جاء على الكثير في لسان العرب المختار عند البصريِّين، وهو إعمال الثاني.

ومفعول «يشاء» محذوف تقديره: من يشاء إصابتَه.

وفي الخبر أنَّ الرسول ﷺ بعثَ إلى جبَّارٍ من العرب ليُسْلِم، فقال: أخبروني عن إله محمد: أمِنْ لؤلؤ هو أم من ذهب؟ فنزلت عليه صاعقة. ونزلت الآية فيه.

وقال مجاهد: ناظرَ يهوديٌّ الرسولَ ﷺ، فبينا هو كذلك نزلت صاعقة فأخذَتْ قِحْفَ رأسِه، فنزلت الآية فيه[٣].

وقال ابن جُريج: سببُ نزولها قصة أَرْبَد بن ربيعة وعامر بن الطُّفيل. وذكرَ قصَّتَهما المشهورة، ومضمونُها أنَّ عامراً توعَّد الرسولَ ﷺ إذْ لم يجبه إلى ما طلب، وأنه وأربدَ رَامَا الفتكَ به، فعصَمَه الله تعالى، وأصاب عامراً بغُدّة، فماتَ غريباً، وأَرْبَدَ بصاعقة، فقتلته. ولأخيه لَبِيد فيه عدَّة مَرَاثٍ، منها قوله:

أخشى على أَرْبَدَ الحُتُوفَ ولا أرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ والأَسَدِ
فَجَّعَني البرقُ والصَّواعقُ بالـ ـفارسِ يومَ الكريهةِ النَّجِدِ[٤]

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٤٧٨، والنكت والعيون ٣/ ١٠١، وزاد المسير ٤/ ٣١٤.
(٢) في المطبوع: فيصيب. وهو خطأ.
(٣) ينظر الخبران في: تفسير الطبري ١٣/ ٤٧٩-٤٨٢، وأسباب النزول للواحدي ص٢٧٥-٢٧٧، وزاد المسير ٤/ ٣١٤-٣١٥.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٤٨٢، والنكت والعيون ٣/ ١٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠٤. وينظر: =

وهذه الصِّلاتُ الأربعُ التي وُصلت بها «الذي» تدلُّ على القدرة الباهرة والتصرُّف التامّ في العالم العُلْويّ والسُّفليّ، فالمتصف بها ينبغي أن لا يُجادَل فيه، وأن يُعتقد ما هو عليه من الصفات العَلِيَّة.

والضمير في «وهم يجادلون» عائدٌ على الكفار المكذِّبين الرسولَ ﷺ المنكرين الآيات، يجادلون في قدرة الله على البعث وإعادة الخلق بقولهم: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، وفي وحدانيته باتخاذ الشركاء والأنداد، ونسبةِ التوالد إليه بقولهم: الملائكة بنات الله تعالى.

والمعنى أنَّه عزَّ وجلَّ متَّصف بهذه الأوصاف، ومع ذلك رتَّبوا عليها غيرَ مقتضاها من المجادَلة فيه وفي أوصافه تعالى، وكان مقتضاها التسليم لما جاءت به الأنبياء.

وقيل: «وهم يجادلونَ» حال من مفعول «يشاء» أي: فيُصيبُ بها من يشاء في حال جدالهم كما جرى لليهوديّ ولذلك الجبَّارِ ولأَرْبَد.

«وهو شديدُ المِحالِ» جملة حالية من الجلالة.

وقرأ الجمهور: المِحال؛ بكسر الميم، فعن ابن عباس: المِحال: العداوة، وعنه: الحِقد[١]. وعن عليّ: الأَخْذ.

وعن مجاهد: القوَّة. وعن وَهْب[٢]: الغضب. وعن الحسن: الهلاك بالمَحْل، وهو القَحْط[٣].

= الشعر والشعراء ١/ ٢٧٨ ، والأغاني ١٧/ ٦٢ ، والحماسة البصرية ١/ ٢٠٩-٢١٠ . وفيها: الرعد، بدل: البرق. قوله: النَّجِد: يعني الشجاع الماضي فيما يُعجِزُ غيره. ينظر «القاموس» (نجد).

(١) نُسب هذا القول في «النكت والعيون» ٣/ ١٠٢ و«زاد المسير» ٤/ ٣١٦ للحسن. قال ابن الجوزي: لا يجوز هذا في صفات الله تعالى. قال النقاش: هذا قول منكر عند أهل الخبر والنظر في اللغة، لا يجوز أن تكون هذه صفةً من صفات الله عز وجل.

(٢) في المطبوع: قطرب. وهو خطأ.

(٣) تنظر الأقوال في: النكت والعيون ٣/ ١٠٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٦ . وينظر بعضها في تفسير الطبري ١٣/ ٤٨٣-٤٨٤ .

وقرأ الضحَّاك والأعرج: المَحَال، بفتح الميم[١]، فعن ابن عباس: الحَوْلُ، وعن عبيدة: الحِيلة[٢]، يقال: المَحَال والمَحَالَة، وهي الحِيلة، ومنه قول العرب في مَثَل: المَرْءُ يَعْجِزُ لا المَحَالة[٣].

قال الزمخشريّ[٤]: ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفَقَار، ويكون مثلاً في القوة والقدرة، كما جاء: «فَسَاعِدُ اللهِ أشدُّ، ومُوسَاهُ أَحَدُّ»[٥] لأنَّ الحيوان إذا اشتدَّ مَحَالُه[٦]؛ كان منعوتاً بشدَّة القوَّة والاضطلاع بما يَعْجِزُ عنه غيرُه، ألا ترى إلى قولهم: فَقَرَتْهُ الفَوَاقر[٧]، وذلك أنَّ الفَقَارَ عمودُ الظهر وقِوامُه.

والضمير في «له» عائد على الله تعالى، و«دَعْوةُ الحقِّ» قال ابن عباس: «دعوةُ الحق»: لا إله إلا الله، وما كان من الشريعة في معناها. وقال علي بنُ أبي طالب: «دعوةُ الحق»: التوحيد. وقال الحسن: إن اللهَ هو الحقُّ، فدعاؤه دعوةُ الحقّ. وقيل: «دَعْوَةُ الحقِّ»: دعاؤه عند الخوف، فإنه لا يُدْعَى فيه إلا هو، كما قال: ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾[الإسراء: ٦٧]. قال الماورديّ: وهو أشبهُ بسياق الآية[٨].

وقيل: دعوةُ الطلب الحقّ، أي: مَرْجُوّ الإجابة، ودعاءُ غيرِ الله لا يُجاب.

وقال الزمخشري: فيه وجهان:

أحدُهما: أنْ تُضافَ الدَّعوةُ إلى الحقّ الذي هو نقيضُ الباطل، كما تُضاف

---

(١) يعني على أنه مَفْعَل، من حالَ يحولُ مَحَالاً: إذ احتال. ينظر «الكشاف» ٢/ ٣٥٣، و«الدر المصون» ٧/ ٣٣.
(٢) لم أعرف عبيدة، ولعله أبو عبيدة. وجاء القول في «النكت والعيون»، ٣/ ١٠٢ عن قتادة والسُّدِّي بلفظ: شديد الحيلة.
(٣) جمهرة الأمثال ٢/ ٢٧٥، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠٩. قال الميداني: أي: لا تضيق الحِيَل ومخارج الأمور إلا على العاجز.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٥٤.
(٥) قطعة من حديث أبي الأحوص عن أبيه، أخرجه أحمد (١٧٢٢٨).
(٦) تحرفت لفظة «مَحَالُه» في النسخ الخطية والمطبوع إلى: غاية. والتصويب من «الكشاف» والكلام منه.
(٧) جمع فاقرة، وهي الداهية.
(٨) النكت والعيون ٣/ ١٠٣. وينظر أيضاً: المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٥، والكشاف ٢/ ٣٥٤.

الكلمةُ إليه في قوله[1]: كلمة الحقّ؛ للدلالة على أن الدَّعوةَ مُلابِسةٌ للحق مختصَّةٌ به، وأنَّها بمعزِل من الباطل. والمعنى أنَّ الله سبحانه يُدْعَى فيستجيبُ الدعوةَ، ويُعطي الداعيَ سُؤْلَهُ إن كان مصلحةً له، فكانت دعوةً[2] ملابِسةً للحقّ لكونه حَقِيقاً بأنْ يُوَجَّهَ إليه الدعاء، لما في دعوته من الجَدْوى والنفع، بخلاف ما لا ينفع ولا يُجدي دعاؤُه.

والثاني: أنْ تُضاف إلى الحقّ الذي هو اللهُ عزَّ وجلّ على معنى: دعوةُ المدعوِّ الحقِّ الذي يسمعُ فيجيب. وعن الحسن رحمه الله: الحقُّ هو الله تعالى، وكلُّ دعاءٍ إليه دعوةُ الحقّ. انتهى.

وهذا الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشريّ لا يظهر؛ لأنَّ مآلَه إلى تقدير: للهِ دعوةُ الله، كما تقول: لزيدٍ دعوةُ زيد. وهذا التركيبُ لا يصحُّ[3]. والذي يظهر أنَّ هذه الإضافة من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [النحل: ٣٠] على أحد الوجهين، والتقدير: للهِ الدعوةُ الحقُّ بخلاف غيره، فإنَّ دعوتَهم باطلة. والمعنى أنَّ اللهَ تعالى الدعوةُ له هي الدعوةُ الحقُّ.

ولمَّا ذكرَ تعالى جِدالَ الكفار في الله تعالى وكان جدالُهم في إثبات آلهة معه؛ ذكرَ تعالى أنه له الدعوةُ الحقُّ، أي: مَنْ يدعُو له فدعوتُه هي الحقُّ، بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها، فإنَّ دعاءَها باطل لا يتحصَّلُ منه شيء، فقال: «والذين يدعون»[4].

قال الزمخشري[5]: والآلهةُ الذين يدعونهم الكفار من دون الله لا يستجيبون

---

(١) في «الكشاف»: قولك.

(٢) (ح) والمطبوع: دعوته.

(٣) تعقَّب السمين في «الدر» ٧/ ٣٤ أبا حيان بقوله: وأين هذا مما قاله الزمخشري حتى يردَّ عليه به؟ اهـ. ونقل الآلوسي في«روح المعاني» ١٣/ ٨٩ عن صاحب «الكشف» أن الأصل على هذا المعنى: لله دعوتُه، وفيه تأكيد للاختصاص من اللام والإضافة، ثم زيد ذلك بإقامة الظاهر مقام المضمر معاداً بوصف ينبئ عن اختصاصها به أشدّ الاختصاص، فقيل: له دعوة المدعوّ الحقّ.

(٤) في (أ) و(ح): تدعون. وهي قراءة شاذة، وسيردُ ذكرُها.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٤.

لهم بشيء من طلباتهم إلا استجابةً كاستجابةِ باسطِ كفَّيه، أي: كاستجابةِ الماءِ مَن بَسَطَ كفَّيْه إليه يطلبُ منه أن يبلغَ فاه، والماءُ جمادٌ لا يشعرُ ببَسْطِ كفَّيه ولا بعطشه وحاجتِه إليه، ولا يقدرُ أنْ يُجيبَ دعاءَه ويبلغَ فاه. وكذلك ما يدعونَه جَمَادٌ لا يُحِسُّ بدعائهم، ولا يستطيعُ إجابتَهم، ولا يقدرُ على نفعهم.

وقيل: شُبِّهُوا في قلَّة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يَغرفَ الماءَ بيديه ليشربَه، فبسَطهما ناشراً أصابعَه، فلم تلق[1] كفَّاه منه شيئاً، ولم يبلغ طَلِبَتَهُ مِن شُرْبِه. انتهى. فالضمير في «يدعون» عائد على الكفار، والعائد على «الذين» محذوف، أي: يدعونهم، ويؤيِّده قراءةُ مَنْ قرأ بالتاء في «تدعون» وهي قراءة اليزيديّ عن أبي عمرو[2].

وقيل: «والذين» أي: الكفار الذين يدعون، ومفعول «يدعون» محذوف، أي: يدعون[3] الأصنامَ، والعائد على «الذين» الواو في «يدعون»، والواو في «لا يستجيبون» عائد في هذا القول على مفعول «يدعون» المحذوف. وعلى القول الأول على «الذين».

قال ابن عباس: كالناظر إلى خياله في الماء يُريد تناولَه، فكذا المحتاجُ، يُخَيَّلُ إليه في المحتاج إليه خيالُ الاحتياج إليه.

وقال الضَّحَّاك: كمن بَسَطَ يَدَيْه إلى الماء ليصلَ إليه بلا اغتراف[4].

وقال أبو عبيدة: أي: كالقابض على الماء ليس على شيء. قال: والعربُ تضربُ المَثَلَ في الساعي فيما لا يُدركُه بالقابض على الماء، وأنشد[5]:

---

(١) في المطبوع: تبق.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٥، وهي في «الكشاف» دون نسبة، وهذه القراءة ليست المشهورة عن أبي عمرو.

(٣) لفظة «يدعون» في المواضع الثلاثة السالفة، وقبلها لفظة «يدعونهم»؛ جاءت في (أ) و(ح) بالتاء .

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٣ ، والنكت والعيون ٣/ ١٠٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٧ .

(٥) في المطبوع: وأنشد سيبويه. وهو خطأ. والبيت في: مجاز القرآن ١/ ٣٢٧ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٤٨٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٣ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٢ ، وزاد المسير ٤/ ٣١٨ . ونُسب في «النكت والعيون» ٣/ ١٠٣ لأبي الهُذيل.

فأصبحتُ ممَّا كان بيني وبينها من الوُدِّ مثلَ القابضِ الماءَ باليدِ[١]

وقال آخر:

وإنّي وإيّاكُمْ وشَوْقاً إليكُمُ كقابضِ ماءٍ لم تَسَعْهُ أنامِلُهْ[٢]

وقيل: شبَّه الكفَّار في دعائهم لأصنامهم عند ضرورتهم برجل عطشانَ لا يقدر على الماء، جلس على شفير بئر يدعو الماء ليَبُلَّ غُلَّته، فلا هو يبلغُ قعر البئر إلى الماء، ولا الماءُ يرتفع إليه لأنه جمادٌ لا يُحِسُّ بعطشه ودعائه، كذلك ما يدعو الكفارُ من الأوثان جمادٌ لا تُحِسُّ بدعائهم ولا تستطيع إجابتَهم، ولا تقدر على نفعهم[٣]. انتهى.

والكاف في موضع نصب، أي: مِثْلَ استجابة، واستجابة مضافة في التقدير إلى باسط، وهي إضافة المصدر إلى المفعول، وفاعل المصدر محذوف تقديرُه: كإجابة الماء مَنْ يَبْسُطُ كفَّيه إليه[٤]. فلما حذف أظهر في قوله: «إلى الماء»، ولو كان ملفوظاً به لعاد الضميرُ إليه، فكان يكون التركيب: كفَّيه إليه. هذا الذي تقرَّر من كلام الزمخشريّ في هذا التشبيه، وتبعَه أبو البقاء[٥].

وقال ابن عطية: ومعنى الكلام: الذين يدعونهم الكفار إلى حوائجهم[٦] ومنافعهم لا يُجيبون. ثم مثّل تعالى مثالاً لإجابتهم بالذي يبسُطُ كفَّيه إلى الماء،

---

(١) في المطبوع: فأصبحت فيما .... الماءَ في اليدِ.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٢٧، وتفسير الطبري ١٣/ ٤٨٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٣، وزاد المسير ٤/ ٣١٨. والبيت من سبعة أبيات لضابئ بن الحارث قالها في الحبس ومات فيه، أوردها البغدادي في «خزانة الأدب» ٩/ ٣٢٣. وفي هذه المصادر: تَسِقْهُ، بدل: تسعه، إلا «الخزانة» ففيها: تُطِعْه. وقوله: لم تَسِقْه، أي: لم تحمله. قال ابن منظور في «اللسان» (وسق): وَسَقْتُ الشيءَ أَسِقُهُ وَسْقاً إذا حَمَلْتَهُ. وأورد البيت.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٣٥٤، وتفسير الرازي ١٩/ ٢٩.

(٤) وفي «الإملاء»: أي: لا يجيبونهم إلا كما يجيب الماءُ باسطَ كفَّيه إليه.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٥٤، والإملاء ٢/ ١٣. وعبارة (أ): هذا الذي تقرّر من كلام الزمخشري... إلخ.

(٦) في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٥: في حوائجهم. وهو الأشبه.

ويشيرُ إليه بالإقبال، فهو لا يبلغُ فَمَه أبداً، فكذلك إجابةُ هؤلاء والانتفاعُ بهم لا يقع. انتهى[(١)].

وفاعل «لِيَبْلُغَ» ضمير الماء، و«لِيَبْلُغَ» متعلّق بـ «باسط»، و«ما هو» أي: وما الماءُ ببالغه، أي: ببالغ الفم. ويجوز أن يكون «هو» ضمير الفم، والهاء في «ببالغه» للماء، أي: وما الفمُ ببالغِ الماءَ، لأنَّ كلًّا منهما لا يبلغُ الآخر على هذه الحال.

وقرئ: «كباسطٍ كفّيه» بتنوين «باسطٍ»[(٢)].

﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آلهتَهم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: في حَيْرة، أو في اضمحلال، لأنه لا يُجْدِي شيئاً ولا يُفيد، فقد ضلَّ ذلك الدعاء عنهم كما ضلَّ المدعُوُّون. قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾[الأعراف: ٣٧].

قال الزمخشري: إلا في ضَياع لا منفعة فيه، لأنهم إن دَعَوا الله لم يُجبهم، وإن دَعَوا الآلهة لم تستطع إجابتَهم.

وقال ابن عباس: أصواتُ الكافرين محجوبةٌ عن الله، فلا يُسمع دعاؤهم[(٣)].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾.

إن كان السجودُ بمعنى الخضوع والانقياد؛ فـ «مَنْ» على عمومها، ينقادُ كلُّهم لِما أراده تعالى بهم شاؤوا أو أبَوْا، وتنقادُ له تعالى ظلالُهم حيث هي على مشيئته من الامتداد والتقلّص والفَيْء والزَّوال.

وإن كان السجودُ عبارةً عن الهيئة المخصوصة ـ وهو وضع الجبهة بالمكان

(١) المصدر السابق.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٥٤، ونسبَها ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص٦٦ ليحيى بن يعمر.
(٣) بنحوه في: تفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٣، وزاد المسير ٤/ ٣١٨.

الذي يكون فيه الواضع ـ فيكون عامًّا مخصوصاً، إذ يخرجُ منه مَنْ لا يسجد، ويكون قد عبَّر بالطَّوع عن سجود الملائكة والمؤمنين، وبالكُرْه عن سجود من ضمَّه السيف إلى الإسلام كما قال قتادة، فيسجدُ كَرْهاً وإمَّا نِفاقاً، أو يكونُ الكُرْهُ أوَّلَ حاله فتستمرُّ عليه الصفة وإن صحَّ إيمانُه بَعْدُ.

وقيل: طَوْعاً: لا يثقُلُ عليه السجود، وكَرْهاً: يثقُلُ عليه، لأنَّ التزام التكاليف مشقَّة.

وقيل: [طَوْعاً:] مَنْ طالَتْ مدةُ إسلامه فأَلِفَ السجود، وكَرْهاً: من بدأ بالإسلام إلى أن يألف السجود. قاله ابنُ الأنباريّ[١].

وقيل: هو عامّ على تقدير كون السجود عبارةً عن الهيئة المخصوصة، وذلك بأن يكون «يسجدُ» صيغتُه صيغةُ الخبر، ومدلُولُه أمراً، ويكون[٢] معناه: يجبُ أن يسجد له كلُّ من في السماوات والأرض، فعبَّر عن الوجوب بالوقوع.

والذي يظهرُ أن مساقَ هذه الآية إنما هو أنَّ العالَم كلَّه مقهورٌ لله تعالى، خاضعٌ لما أرادَ منه، مقصورٌ على مشيئته، لا يكون منه إلا ما قدَّر تعالى، فالذين تعبدونهم كائناً ما كانوا داخلون تحت القهر، ويدل على هذا المعنى تشريكُ الظِّلال في السجود.

والظِّلالُ ليست أشخاصاً يُتَصَوَّرُ منها السجودُ بالهيئة المخصوصة، ولكنها داخلةٌ تحت مشيئته تعالى يصرفُها على ما أراد، إذْ هي من العالَم، فالعالَم جواهرُهُ وأعراضُه داخلةٌ تحت إرادته، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يتفيَّؤُ[٣] ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

وكونُ الظِّلال يُرادُ بها الأشخاص ـ كما قال بعضُهم ـ ضعيف، وأضعفُ منه قولُ ابن الأنباريّ أنه تعالى جعلَ للظِّلال عقولاً تسجدُ بها وتخشع بها كما جعل للجبال أفهاماً حتى خاطبت وخُوطبت؛ لأنَّ الجبلَ يمكن أن يكون له عقلٌ بشرط

---

(١) النكت والعيون ٣/ ١٠٤ . وما بين حاصرتين منه.
(٢) في المطبوع: ومدلوله أثر أو يكون. وهو خطأ.
(٣) في (أ) و(ح): تتفيَّؤ، بالتاء، وهي قراءة أبي عَمرو من السبعة.

تقدير الحياة. وأما الظِّلُّ فعَرَضٌ لا يُتصوَّرُ قيامُ الحياة به، وإنما معنى سجود الظِّلال ميلُها من جانب إلى جانب كما أراد تعالى[1].

وقال الفرَّاء[2]: الظِّلُّ مصدر، يعني في الأصل، ثم أُطلق على الخيال الذي يظهر للجِرْم، وطولُهُ بسبب انحطاط الشمس، وقِصَرُه بسبب ارتفاعها، فهو منقادٌ لله تعالى في طوله وقِصَره وميلِهِ من جانب إلى جانب، وخُصَّ هذان الوقتان بالذِّكر لأن الظِّلال إنما تعظُم وتكثُر فيهما.

وتقدَّم شرحُ الغدوّ والآصال في آخر الأعراف.

رُويَ أنَّ الكافرَ إذا سجدَ لصنمه كان ظلُّه يسجدُ لله حينئذ.

وقرأ أبو مجلز: «والإيصال»؛ قال ابنُ جنّي[3]: هو مصدر «آصَلَ»، أي: دخلَ في الأصيل، كما تقول: أصبح، أي: دخلَ في الصباح.

ولمَّا كان السؤالُ عن أمرٍ واضح لا يمكن أن يدفع فيه أحد؛ كان جوابه من السائل، فكان السَّبْقُ إليه أفصحَ في الاحتجاج عليهم، وأسرعَ في قطعهم من انتظار الجواب منهم، إذ لا جواب إلا هذا الذي وقعت المبادرة إليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾[4] [سبأ: ٢٤].

ويبعد ما قال مكيّ من أنهم جهلُوا الجواب فطلبوه من جهة السائل، فأعلمهم به السائل[5]، لأنه قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان: ٢٥] فإذا كانوا مُقرِّين بأن منشئ السماوات والأرض ومخترعَها هو الله، فكيف يُعَلَّل أنهم[6] جهلوا الجواب فطلبوه من السائل؟

---

(١) ينظر: تفسير الرازي ١٩/ ٣٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٦.

(٢) لم أقف على قوله، ونقل بعضَه الآلوسي في «روح المعاني» ١٣/ ٩٥. وآخرُه في «تفسير الرازي ١٩/ ٣٠.

(٣) المحتسب ١/ ٣٥٦. ونقله عنه ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٣٠٦.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٦.

(٥) الهداية لمكي بن أبي طالب ٥/ ٣٧١٣، ونقله المصنف عنه بواسطة «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٦.

(٦) في (أ) و(ح) والمطبوع: فكيف يقال بأنهم.

وقال الزمخشري[١]: «قل الله» حكايةٌ لاعترافهم وتأكيدٌ له عليهم، لأنه إذا قال لهم: «مَنْ رَبُّ السماواتِ والأرض» لم يكن لهم بدٌّ من أن يقولوا: «الله» كقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ الله﴾ [المؤمنون: ٨٧] وهذا كما يقول المناظرُ لصاحبه: أهذا قولك؟ فإذا قال: هذا قولي. قال: هذا قولك. فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً[٢] منه، ثم يقول له: فيلزمُك على هذا القول كيتَ وكيتَ. ويجوز أن يكون تلقيناً، أي: إنْ كفُّوا[٣] عن الجواب فلقِّنْهم، فإنهم يتلقَّنُونه ولا يقدرون أن يُنكروه.

وقال الكِرْمانيّ: قل يا محمد للكفار: «مَنْ رَبُّ السماوات والأرض»، استفهامُ تقرير واستنطاق، فإنَّهم[٤] يقولون: الله، فإذا قالوها، قل: الله، أي: هو كما قلتُم.

وقيل: فإن أجابوك، وإلَّا قُلْ: الله، إذْ لا جوابَ غير هذا. انتهى. وهو تلخيص القولين اللذين قالهما الزمخشري.

وقال البغوي[٥]: رُويَ أنه لمَّا قال هذا للمشركين عطفوا عليه، فقالوا: أجِبْ أنتَ. فأمرَه الله، فقال: «قل الله». انتهى.

واستفهم بقوله: «قل أفاتَّخَذْتُم» على سبيل التوبيخ والإنكار، أي: بعد أن علمتُم أنه تعالى هو ربُّ السماوات والأرض تتخذون من دونه أولياء وتتركونه، فجعلتُم ما كان يجب أن يكون سبباً للتوحيد من علمكم وإقراركم سبباً للإشراك!

ثم وصفَ تلك الأولياءَ بصفة العجز، وهي كونُها لا تملكُ لأنفسها نفعاً ولا ضَرًّا، ومَنْ بهذه المَثَابة؛ فكيف يملكُ لكم نفعاً أو ضَرًّا؟!

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٥٥ .
(٢) في المطبوع: واستئنافاً. وهو خطأ.
(٣) في مطبوع «الكشاف» ٢/ ٣٥٥ ومخطوطه الورقة (٢٥٢): كعُّوا.(أي: ضعفوا وجبُنوا).
(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: بأنهم.
(٥) تفسيره ٣/ ١٢ .

ثم مثَّلَ ذلك حالةَ الكافر والمؤمن، ثم حالةَ الكفر والإيمان، وأبرزَ ذلك في صورة الاستفهام الذي يبادرُ المخاطَب إلى الجواب فيه من غير فِكْرٍ ولا رَوِيَّة بقوله: «قل هل يستوي الأعمى والبصير». ثم انتقل إلى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات، وبالمؤمن وهو النور.

وتقدَّم الكلام في جمع الظلمات وإفراد النور في سورة البقرة.

وقرأ الأخوان وأبو بكر: «أم هل يستوي» بالياء، والجمهور بالتاء(١).

و«أمْ» في قوله: «أمْ هَلْ» منقطعة تتقدَّر بـ «بل» والهمزة على المختار، والتقدير: بَلْ أهَلْ تستوي، و«هَلْ» وإن نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع؛ فقد جامَعَتْها في قول الشاعر:

أَهَلْ رَأَوْنا بوادي القُفِّ ذي الأَكَمِ(٢)

وإذا جامعَتْها مع التصريح بها، فلأَنْ تجامعَها مع «أمْ» المتضمِّنة لها أولى، و«هل» بعد «أمْ» المنقطعة يجوزُ أن يُؤتَى بها لشبهها بالأدوات الاسمية التي للاستفهام في عدم الأصالة فيه، كقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[يونس: ٣١]. ويجوز أن لا يُؤتى بها بعدها وذلك لشَبَهِها بالهمزة في الحرفيَّة، فإنَّ الهمزة لا يُؤْتَى بها(٣) بعد «أم» المنقطعة، لأنَّ «أمْ» تضمَّنُها، فلم يكونوا ليجمعوا بين «أمْ» والهمزة لذلك.

وقال الشاعر في عدم الإتيان بـ «هل» بعد «أم» والإتيان بها:

هَلْ ما عَلِمْتَ ومَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ أمْ حَبْلُها إذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُومُ
أمْ هَلْ كبيرٌ بَكَى لم يَقْضِ عَبْرَتَهُ إثْرَ الأحِبَّةِ يَوْمَ البَيْنِ مَشْكُومُ(٤)

---

(١) السبعة ص٣٥٨، والتيسير ص١٣٣. والأخوان: حمزة والكسائي. وأبو بكر: هو ابنُ عياش.
(٢) هو عجز بيت لزيد الخيل، وصدرُه: سائِلْ فوارسَ يَرْبوعٍ بشدَّتنا. وهو في: المقتضب ١/ ٤٤، والخصائص ٢/ ٤٦٣، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦٣ برواية: بسفح القُفّ. والقُفُّ ـ كما ذكر ابن الشجري ـ ما ارتفع من الأرض في صلابة، وسفحه وجهُه. ووقع في مطبوع البحر: القفر، بدل: القُف.
(٣) من قوله: بعدها وذلك لشبهها... إلى هذا الموضع سقط من (أ) و(ح) والمطبوع.
(٤) البيتان لعلقمة الفحل، وهما في ديوانه ص٥٠ (بشرح الشنتمري). والمفضليات ص٣٩٧. قوله: مَشْكُوم، أي: مُجازًى.

ثم انتقلَ من خطابهم إلى الإخبار عنهم غائباً إعراضاً عنهم، وتنبيهاً على توبيخهم في جعل شركاءَ لله، وتعجيباً منهم، وإنكاراً عليهم.

وتضمَّنَ هذا الاستفهامُ التهكُّمَ بهم لأنه معلومٌ بالضرورة أنَّ هذه الأصنامَ وما اتخذوا[١] من دون الله أولياء وجعلوهم شركاء لا تقدرُ على خلقِ ذرَّة، ولا إيجادِ شيء البتَّة.

والمعنى أنَّ هؤلاء الشركاء؛ أَهُمْ خالقون شيئاً حتى يستحقُّوا العبادة وجَعْلَهم شركاءَ لله! أي: جعلوا للهِ شركاءَ موصوفين بالخلق مثلَ خلق الله، فيَتَشابَهُ ذلك عليهم فيعبدونَهم! ومعلومٌ أنهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[النحل: ٢٠] فكيف يُشركون في العبادة؟! ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[النحل: ١٧]؟!

ثم أمرَه تعالى فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: مُوجِدُ الأشياءِ كلِّها؛ معبوداتِهم وغيرِها، وهم أيضاً مُقِرُّون بذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

واحتمل أن يكون قوله: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ داخلاً تحت الأمر بـ «قُلْ»، فيكونُ قد أُمر أن يُخبر بأنه تعالى هو الواحدُ المنفردُ بالألوهية، القهَّارُ الذي جميعُ الأشياء تحت قدرته وقهرِه.

واحتمل أن يكون استئنافَ إخبارٍ منه تعالى[٢] بهذين الوصفين الوحدانية والقهر، فهو تعالى لا يُغالَبُ، وما سواه مقهورٌ مربُوبٌ له عزَّ وجلَّ.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا توقدون[٣] عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

---

(١) في (ح) والمطبوع: اتخذوها.

(٢) في المطبوع: يقال، بدل: تعالى، وهو خطأ. وفيه أيضاً وفي (ح): فيه، بدل: منه.

(٣) كذا في النسخ الخطية وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية شعبة. وقرأ الباقون بالياء.

قال الزمخشري[١]: هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله للحقِّ وأهلِه، والباطلِ وحزبِه، كما ضربَ الأعمى والبصيرَ والظلماتِ والنورَ مثلاً لهما، فمثَّلَ الحقَّ وأهلَه بالماء الذي يُنزِلُه من السماء، فتسيلُ به أوديةُ الناس، فيَحْيَوْن به، وينفعُهم أنواعَ المنافع، وبالفِلِزّ الذي ينتفعون به في صَوْغ الحُليِّ منه، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وأنَّ ذلك ماكثٌ في الأرض باقٍ بقاءً ظاهراً يثبت الماء في مناقعه[٢]، وتبقى آثارُه في العيون والبِئار والحبوب والثمار التي تَنبت به مما يُدّخَرُ ويُكْنَزُ[٣]، وكذلك الجواهر تبقى أزمنةً متطاولة. وشبَّه الباطلَ في سرعة اضمحلاله ووَشْكِ زوالِه وانسلاخِه عن المنفعة بزَبَد السَّيل الذي يرمي به، وبزَبَد الفِلِزّ الذي يطفُو فوقَه إذا أُذيب.

وقال ابنُ عطيَّة: صَدْرُ هذه الآية تنبيهٌ على قدرة الله تعالى وإقامة الحجَّة على الكَفَرة به، فلما فرغ ذِكْر ذلك[٤] جعلَه مثالاً للحقّ والباطل، والإيمان والكفر، والشكّ في الشرع واليقين به. انتهى.

وقيل: هذا مَثَلٌ ضربَه الله تعالى للقرآن والقلوب والحقّ والباطل، فالماءُ مَثَلُ القرآن لِما فيه من حياة القلوب وبقاءِ الشرع والدِّين. والأوديةُ مَثَلٌ للقلوب. ومعنى «بقَدَرها»: على سعة القلوب وضِيقِها، فمنها ما انتفع به، فحَفِظَه ووعاه وتدبَّر فيه، فظهرت ثمرتُه وأدرك تأويلَه ومعناه، ومنها دون ذلك بطبقة، ومنها دونه بطبقات. والزَّبَد مَثَلُ الشُّكوكِ والشُّبَهِ وإنكارِ الكافرين أنه كلامُ الله ودفعِهِم إياه[٥]، والماءُ الصافي المنتفَعُ به مَثَلُ الحقّ. انتهى[٦].

---

(١) الكشاف ٢/٣٥٦ .

(٢) بالقاف، جمع مَنْقَع، وهو المكان الذي يجتمع فيه الماء ويمكث طويلاً. ووقع في (أ) و(يه) ومطبوعي «البحر» و«الكشاف». منافعه، والمثبت من (ح) و(ز١)، وهو كذلك في نسخة خطية للكشاف الورقة (٢٥٢).

(٣) في (ح) و(يه) والمطبوع: ويكثر. والمثبت من (أ) و(ز١)، وهو موافق لما في «الكشاف» ٢/٣٥٦.

(٤) كذا هي العبارة في «المحرر الوجيز» ٣/٣٠٧ (والكلام منه). ونقلها الآلوسي ١٣/١٠٨ بلفظ: فلما فرغ من ذلك...

(٥) بعدها في المطبوع: بالباطل.

(٦) ينظر «تفسير» الرازي ١٩/٣٥ .

وفي الحديث الصحيح ما يؤيِّد هذا التأويل، وهو قوله ﷺ: «مَثَلُ ما بُعِثْتُ به من الهدى والعلم كَمَثَلِ غيثٍ أصابَ أرضاً، وكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قَبِلَت الماء فأَنبَتَتِ الكَلأ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها طائفةٌ[1] أجادِبُ، فأمسكتِ الماء، فانتفعَ الناس به، وسَقَوا ورَعَوا، وكانت منها قِيعان لا تُمسكُ ماءً ولا تُنبِتُ كلأً، فذلك مَثَلُ ما جئتُ به من العلم والهدى ومَثَلُ مَنْ لم يَقْبَلْ هدى الله الذي أُرسلتُ به»[2].

وقال ابنُ عطيَّة[3]: ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: قولُه تعالى: «أنزل من السماء ماءً» يُريد به الشرعَ والدِّين، «فسالت أودية» يريدُ به القلوب، أي: أخذَ النبيلُ بحظِّه والبليدُ بحظِّه. وهذا قولٌ لا يصحُّ ـ والله أعلم ـ عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أقوال أصحابِ الرموز، وقد تمسَّك به الغزاليّ وأهلُ تلك الطريق، ولا توجيه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب بغير علَّة تدعو إلى ذلك، واللهُ الموفِّقُ للصواب. وإن صحَّ هذا القولُ عن ابن عباس؛ فإنما قصدَ أنَّ قولَه تعالى: «كذلك يضربُ الله الحقَّ والباطل» معناه: الحقُّ الذي يتقرَّرُ في القلوب، والباطلُ الذي يعتريها أيضاً. انتهى.

والماء: المطر، ونَكَّرَ «أودية» لأنَّ المطر إنما ينزلُ[4] على طريق المناوبة، فتسيلُ بعضُ الأودية دون بعض.

ومعنى «بقَدَرِها» أي: على قَدْرِ صِغَرها وكِبَرها، أو بما قُدِّرَ لها من الماء بسبب نفع الممطور عليهم لا ضَرَرِهم، ألا ترى إلى قوله: «وأمَّا ما ينفعُ الناسَ»؟ فالمطرُ مَثَلٌ للحقِّ، فهو نافعٌ خالٍ من الضَّرَر.

وقرأ الجمهور: «بقَدَرِها» بفتح الدال. وقرأ الأشهب العُقيليُّ وزيد بن عليّ وأبو عَمْرو في رواية بسكونها[5].

---

(١) من قوله: طيبة قبلت الماء... إلى هذا الموضع، سقط من (ح) و(به).

(٢) هو بنحوه في «مسند» أحمد (١٩٥٧٣) و«صحيح» البخاري (٧٩)، و«صحيح» مسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٨.

(٤) في (ح) والمطبوع: يدلُّ، وهو خطأ. وعبارة الزمخشري ٢/ ٣٥٦ (والكلام فيه بنحوه): لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة...

(٥) القراءات الشاذة ص٦٦، وزاد المسير ٤/ ٣٢١، ونُسبت القراءة فيه للحسن وابن جبير وأبي العالية وأيوب وابن يعمر وأبي حاتم عن يعقوب.

وقال الحَوْفيّ: «بقَدَرها» متعلق بـ «سَالَتْ». وقال أبو البقاء[١]: «بقَدَرِها» صفة لـ «أودية».

وعُرِّفَ السَّيل لأنَّه عُنيَ به ما فُهم من الفعل، والذي يتضمَّنه الفعل من المصدر هو نكرة، فإذا عادَ عليه الظاهر كان معرفةً كما كان لو صرّح به نكرة، ولذلك يُضمر[٢] إذا عاد على ما دلَّ عليه الفعل من المصدر، نحو: مَن كذَبَ كان شرًّا له، أي: كان الكذب[٣]. ولو جاء هنا مضمراً لكان جائزاً عائداً على المصدر المفهوم من «فسَالَتْ».

و«احتمل» بمعنى: حَمَلَ، جاء فيه «افتعل» بمعنى المجرَّد، كاقْتَدَرَ وقَدَرَ. و«رابياً» منتفخاً عالياً على وجه السيل، ومنه الرَّبْوة.

«وممَّا توقدون[٤] عليه» أي: ومن الأشياء التي توقدون عليها، وهي الذَّهبُ والفضة والحديد والنحاس والرَّصاص والقصدير، ونحوها مما يوقد عليه وله زَبَد.

وقرأ حمزة والكسائيُّ وحفص وابنُ مُحيصن ومجاهد وطلحة ويحيى وأهل الكوفة: «يوقدون» بالياء على الغَيْبة، أي: يُوقد الناسُ، وقرأ باقي السبعة والحسن وأبو جعفر والأعرج وشيبة بالتاء على الخطاب[٥].

و«عليه» متعلّق بـ «توقدون». و«في النار»، قال أبو عليّ والحَوْفيّ متعلّق بـ «توقدون».

وقال أبو علي[٦]: قد يُوقَد على كل[٧] شيء وليس في النار، كقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي

(١) الإملاء ٢/ ٦٣ .
(٢) في المطبوع: تضمن. ولفظة «على» الآتية بعدها من (أ).
(٣) ينظر الكتاب ٢/ ٣٩١، والخصائص ٣/ ٤٧، وأخبار أبي القاسم الزَّجَّاجي ص١٣٧.
(٤) كذا في (أ) و(ح) و(ز١) والمطبوع. وهي قراءة سبعية كما سيرد.
(٥) ينظر: السبعة ص٣٥٨ ، والتيسير ص٣٣ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٥٢ .
(٦) الحُجَّة ٥/ ١٦-١٧ . ونقله المصنف عنه بواسطة «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٨ .
(٧) لفظة «كل» ليست في «المحرر الوجيز» وهو الأشبه. وعبارة أبي عليّ: قد يُوقَد على ما ليس في النار.

يَتَهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾[القصص٣٨]، فذلك البناءُ الذي أَمَرَ به يُوقَدُ عليه وليس في النار، لكن يصيبُه لهبُها.

وقال مكيّ[1] وغيرُه: «في النار» متعلّق بمحذوف تقديره: كائناً، أو ثابتاً. ومنعوا تعليقه بقوله: «توقدون» لأنهم زعموا أنه لا يُوقَدُ على شيء إلا وهو في النار، وتعليق حرف الجرّ بـ «توقدون» يتضمَّن تخصيصَ حالٍ من حالٍ أخرى. انتهى.

ولو قلنا: إنه لا يُوقَدُ على شيء إلا وهو في النار؛ لجاز أن يكون متعلِّقاً بـ «توقدون»، ويكون[2] ذلك على سبيل التوكيد، كما قالوا في قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[الأنعام: ٣٨].

وانتصب «ابتغاءَ» على أنه مفعول من أجله، وشروط المفعول من أجله موجودة فيه، وقال الحَوْفي: هو مصدر في موضع الحال، أي: مبتغين حلية، وفي ذكر متعلَّق «ابتغاءَ» تنبيه على منفعة ما يوقدون عليه.

والحِلْية ما يُعمل للنساء مما تَتَزَيَّنُ[3] به من الذهب والفضة، والمتاع ما يُتَّخذ من الحديد والنحاس وما أشبههما من الآلات التي هي قِوام العيش، كالأواني والمساحي وآلاتِ الحَرْب[4]، وقطّاعات الأشجار والسِّكك وغير ذلك.

و«زَبَد» مرفوع بالابتداء، وخبرُه في قوله: «وممَّا توقدون»، و«من» الظاهر أنها للتبعيض؛ لأنَّ ذلك الزَّبَدَ هو بعض ما يُوقَدُ عليه من تلك المعادن. وأجازَ الزمخشري[5] أن تكون «من» لابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ زَبَدٌ مثلُ زَبَدِ الماء، والمماثلة في كونهما يتولَّدان من الأوساخ والأكدار.

و«الحقّ والباطل» على حذف مضاف، أي: مَثَلَ الحقِّ والباطل، شَبَّهَ الحقَّ بما

(١) نقله المصنف عنه بواسطة «المحرر الوجيز» ١/ ٣٠٧ .
(٢) في المطبوع: ويجوز.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: يتزيَّن.
(٤) في (أ): الحرث، والكلمة مهملة من النَّقط في (ح).
(٥) الكشاف ٢/ ٣٥٦ .

يَخْلُصُ من جِرْمِ هذه المعادن من الأقذار والخَبَثِ ودوامِ الانتفاع بها، وشَبَّهَ الباطل بالزَّبَد المجتمع من الخَبَث والأقذار، ولا بقاءَ له ولا قيمة.

وفصَّل ما سبقَ ذِكرُه مما يُنتفع به ومن الزَّبَد، فبدأ بالزَّبد، إذ هو المتأخِّر في قوله: «زَبَداً رابياً»، وفي قوله: «زَبَدٌ مثلُه»، ولكون الباطلِ كنايةً عنه، وهو[١] متأخر، وهي طريقةٌ فصيحة، يبدأ في التقسيم بما ذكر آخِراً، كقوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾[آل عمران: ١٠٦] والبُداءة بالسابق فصيحة، مثل قوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾[هود: ١٠٥-١٠٦]. وكأنَّه - والله أعلم - يبدأ في التفصيل بما هو أهمُّ في الذِّكر.

وانتصب «جُفاءً» على الحال، أي: مضمحلاً متلاشياً لا منفعةَ فيه ولا بقاءَ له، والزَّبَدُ يُرادُ به ما سبقَ من ما احتملَه السَّيل وما خرجَ من خَبَث المعادن.

وأفردَ الزَّبد[٢] ولم يُثَنّ وإن تقدَّم زَبَدان؛ لاشتراكهما في مطلق الزَّبَديَّة، فهما واحدٌ باعتبار القدر المشترك.

وقرأ رُؤبة: «جِفالاً» باللام بدل الهمزة، من قولهم: جَفَلتِ الريحُ السحابَ: إذا حملَتْه وفرَّقَتْه. وعن أبي حاتم: لا يُقرأُ بقراءة رُؤبة لأنه كان يأكلُ الفأر[٣]. يعني أنه كان أعرابيًّا جافياً. وعن أبي حاتم أيضاً: لا تُعتبر قراءة الأعراب في القرآن.

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: من الماء الخالص من الغُثاء ومن الجوهر المعدنيّ الخالص من الخَبَث، ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لانتفاع الناس به.

والكاف في موضع نصب[٤]، أي: مِثلَ ذلك الضَّرب لِمَثَل[٥] الحقّ والباطل يضربُ الله الأمثال.

والظاهرُ أنه لمَّا ضربَ هذا المَثَلَ للحقّ والباطل؛ انتقلَ إلى ما لأهل الحقّ من

(١) تحرفت لفظة «وهو» في المطبوع إلى: وصف.
(٢) بعدها في المطبوع: بالذكر.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٦، والكشاف ٢/ ٣٥٦.
(٤) أي: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾. وقوله: فيمكث في الأرض لانتفاع...إلخ، ليس في المطبوع.
(٥) في المطبوع: كمثل.

الثواب وأهلِ الباطل من العقاب، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: للذين[1] دعاهم الله على لسان رسوله فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من اتّباع دينه الحالةُ الحسنى، وذلك هو النصرُ في الدنيا وما اختصُّوا به من نِعَمِهِ تعالى، ودخولُ الجنة في الآخرة، فـ «الحُسْنى» مبتدأ، وخبرُه في قوله: «للذين»، «والذين لم يستجيبوا» مبتدأ خبرُه ما بعدَه.

وغايرَ بين جملتي الابتداء لما يدلُّ عليه تقديم الجارّ والمجرور من الاعتناء والاهتمام، وعلى رأي الزمخشريّ من الاختصاص، أي: لهؤلاء الحُسنى لا لغيرهم.

وكان[2] قَرَأَةُ شيوخنا يقفون[3] على قوله: «الأمثال» ويبتدئون: «للذين». وعلى هذا المفهوم أعربَ الحَوْفي «الحسنى» مبتدأ، و«للذين» خبرُه، وفسَّرَ ابنُ عطية وفَهِمَ السلف.

قال ابنُ عباس: جزاء الحُسنى، وهي: لا إله إلا الله[4].

وقال مجاهد: الحياةُ الحُسنى، وهي الطَّيِّبة[5]. وقيل: الجنة؛ لأنها في نهاية الحُسن[6]. وقيل: المكافأة أضعافاً.

وعلَّق الزّمخشريّ «للذين» بقوله: «يضرب» فقال: «للذين استجابوا» متعلِّقة بـ «يضرب» أي: كذلك يضربُ اللهُ الأمثالَ للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مَثَلا الفريقين. و«الحُسْنى» صفة لمصدر «استجابوا»

---

(١) في (ح) والمطبوع: الذين .

(٢) في المطبوع: ولأن.

(٣) في (أ) و(ح): يقفوننا .

(٤) ذكره أيضاً الآلوسي في «روح المعاني» ١٣/ ١٠٨ عن ابن عباس ﷺ. ولم أقف عليه عند غيرهما. وفي «زاد المسير» ٤/ ٣٢٣ ، و«تفسير» الرازي ١٩/ ٣٧ عن ابن عباس: الحسنى: الجنة. وهو في «تفسير» الطبري ١٣/ ٥٠٥، و«الهداية» لمكي ٥/ ٣٧٢ عن قتادة. وفي «المحرر الوجيز» ٣/ ٣٠٨ دون نسبة.

(٥) قول مجاهد في «النكت والعيون» ٣/ ١٠٧ ، و«زاد المسير» ٤/ ٣٢٣ : الحياة والرزق. ووقع في المطبوع: ما في، بدل: وهي . وهو خطأ.

(٦) في المطبوع: الحسنى. ونُسب هذا القول لابن عباس وقتادة كما سلف قبل تعليق.

أي: استجابوا الاستجابةَ الحُسنى. وقوله: «لو أنَّ لهم» كلام مبتدأ، ذكر[١] ما أعدَّ لغير المستجيبين. انتهى.

والتفسير الأولُ أولى، لأنه فيه ضرب الأمثال غير مقيَّد بمَثَل هَذين، والله تعالى قد ضربَ أمثالاً كثيرة في هَذين وفي غيرهما، ولأنه فيه ذكر ثواب المستجيبين بخلاف قول الزّمخشريّ، فكما ذكَر ما لغير المستجيبين من العقاب؛ ذكرَ ما للمستجيبين من الثواب، ولأنَّ تقديرَه: الاستجابة الحسنى، مُشعرٌ بتقييد الاستجابة، ومقابلها[٢] ليس نفيَ الاستجابة مطلقاً، إنما مقابلُها نفيُ الاستجابة الحسنى، والله تعالى قد نفى الاستجابة مطلقاً، ولأنه على قوله يكونُ قولُه: «لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً» كلاماً مُفلَّتاً ممَّا قبلَه، أو كالمفلَّت. إذ يصير المعنى: كذلك يضربُ الله الأمثالَ للمؤمنين والكافرين لو أنَّ لهم ما في الأرض. فلو كان التركيب بحرفٍ رابطٍ «لو» بما قبلَها زال التفلُّت، وأيضاً فيُوهمُ الاشتراك في الضمير، وإن كان تخصيصُ ذلك بالكافرين معلوماً[٣].

وأيضاً فقد جاء هذا التركيب.

وتقدَّم تفسير مثل قوله: «لو أنَّ لهم ما في الأرضِ جميعاً ومثلَه معه لافْتَدَوْا به».

و«سُوء الحساب»؛ قال ابنُ عباس: أن لا تُقبلَ حسناتُهم ولا تُغفرَ سيِّئاتُهم. وقال النّخعيُّ وشَهْر وفَرْقَد[٤]: أنْ يُحاسَبَ على ذنوبه كلِّها، ويُؤاخَذَ بها من غير أن يُغفَر له شيء.

وقال أبو الجوزاء: المناقشة. وقيل: التوبيخ عند الحساب والتقريع[٥].

وتقدَّم تفسير مثل ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

❁ ❁ ❁

---

(١) في «الكشاف» ٢/ ٣٥٦ (والكلام منه): في ذكرِ.

(٢) في (ح) والمطبوع: ومقابلتها.

(٣) في المطبوع: معلوماً لهم.

(٤) شَهْر: هو ابنُ حَوْشب. وفَرْقَد: هو ابنُ يعقوب السَّبَخيّ. وتحرفت لفظة «شهر» في (ح) والمطبوع إلى: شهد. وتحرّفت لفظة «فرقد» في المطبوع إلى: فرقر.

(٥) تنظر الأقوال في: النكت والعيون ٣/ ١٠٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠٨، وزاد المسير ٤/ ٣٢٣. وعبارة مطبوع البحر: وقيل: للتوبيخ عند...

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ
يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ
وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ
ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ
ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ
ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ
ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ
بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا
تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ
وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا
لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا
كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ
وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ
وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ

وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّـٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ
بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾﴾.

المفردات «القارعة»: الرَّزِيَّة التي تقرعُ قلبَ صاحبِها، أي: تضربُه بشدّة، كالقتل والأَسْر والنَّهب وكشف الحريم.

وقال:

فلمَّا قَرَعْنا النَّبْعَ بالنَّبع بعضَهُ ببعضٍ أبَتْ عِيدانُه أنْ تَكَسَّرا[1]

أي: ضَرَبْنا بقوّة.

وقال الزَّجاج[2]: القَارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزلُ بأمر عظيم.

المَحْو: الإزالة، مَحَوْتُ الخطَّ: أذهبتُ أثَره، ومحا المطرُ رَسْمَ الدار: أذهبَه وأزالَه، ويقال في مضارعه: يمحو ويَمْحَا[3]، لأنَّ عينه حرف حلق، والإثبات ضد المَحْو.

* * *

التفسير ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ
يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ
ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ
عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

---

(١) البيت ضمن قصيدة للنابغة الجعدي في «خزانة الأدب» ٣/ ١٧١ ، وهو في «ديوانه» المجموع ص٧١ . ونُسب في «الحماسة» ١/ ١٥٥ (بشرح المرزوقي) لزُفَر بن الحارث الكلابي.

(٢) معاني القرآن ٣/ ١٤٩ .

(٣) في المطبوع: ويمحي. (وهو صواب أيضاً).

قال ابن عباس: نزلت «أفمن يعلم» في حمزة وأبي جهل[١]. وقيل: في عمر بن الخطاب وأبي جهل. وقيل: في عمار بن ياسر وأبي جهل.

قرأ زيد بنُ علي: «أوَمَنْ» بالواو مكان الفاء، «أنما أَنزَل» مبنيًّا للفاعل.

ولمَّا ذكرَ تعالى مَثَلَ المؤمن والكافر، وذكرَ ما للمؤمن من الثواب وما للكافر من العقاب؛ ذكرَ استبعاد من يجعلُهما سواءً وأنكر ذلك، فقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ أي: ليسا مشتبهين، لأنَّ العالِم بالشيء بصيرٌ به، والجاهلَ به كالأعمى، والمراد عَمَى البصيرة، ولذلك قابلَه بالعلم. والهمزة للاستفهام؛ المرادُ به إنكارُ أن تقع شُبهةٌ بعدَ ما ضربَ من المَثَل في أنَّ حال مَنْ عَلِمَ أنَّ ما أُنزلَ إليك من ربك الحقُّ فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبُعدِ ما بين الزَّبَد والماء، والخَبَث والإبْرِيز.

ثم ذكرَ أنه لا يتذكَّر بالموعظة وضرب الأمثال إلا أصحابُ العقول.

والفاء للعطف، وقُدِّمت همزةُ الاستفهام لأنه صدرُ الكلام، والتقدير: فأَمَنْ يعلمُ، ويبعد هنا[٢] أن يكون فعلٌ محذوفٌ بين الهمزة والفاء والفاءُ عاطفةٌ ما بعدَها على ذلك الفعل كما قدَّره الزمخشريّ في قوله: «أفلم يسيروا»، وقوله: «أفلا يعقلون»[٣].

وجوَّزُوا في «الذين» أن يكون بدلاً من «أُولُو»، وصفةً له، وصفةً لـ «مَنْ» من

---

(١) الوسيط ٣/ ١٣ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٣ .

(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: ويبعدها، بدل : ويبعد هنا. وهو خطأ.

(٣) لم أقف على هذا التقدير عند الزمخشري في هذين الموضعين، وقدَّره في مواضع متعدِّدة. ينظر عنده على سبيل المثال تفسير الآيات: «أوَكلَّما عاهدوا عهداً» و«أفغيرَ دين اللهِ يبغون» و«أوَ لمَّا أصابتكم مصيبة» و«أوَعَجبتم أن جاءكم» و«أفأمنتُم أن يخسف» و«أفما نحن بميتين» و«أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب» و«أفنضرب عنكم الذكر صفحاً» وهي على الترتيب في البقرة (١٠٠)، وآل عمران (٨٣) و(١٦٥)، والأعراف (٦٣)، والإسراء (٦٨)، والصافات (٥٨)، والزمر (١٩) والزخرف (٥). وقدَّر الفعل في الموضع الأول بقوله: أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا... وينظر كلام المصنِّف عند تفسير الآية (١٠٦) من آل عمران: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، والآية (٩٧) من الأعراف: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾. وينظر أيضاً «مغني اللبيب» ص٢٢-٢٤.

قوله: «أفمن يعلم» و«إنَّما يتذكَّر» اعتراض. ومبتدأ خبرُه: «أولئك لهم عقبى الدار»؛ كقوله[١]: «والذين ينقضون عهد الله» ثم قال: «أولئك لهم اللعنة»[٢].

والظاهر عمومُ العهد، وقيل: هو خاصّ، فقال السُّدِّيّ: ما عَهِدَ إليهم في القرآن. وقال قتادة: في الأزل، وهو قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[الأعراف: ١٧٢] وقال القفَّال: مافي جِبِلَّتهم[٣] وعقولهم من دلائل التوحيد والنبوَّات. وقيل: في الكتب المتقدِّمة والقرآن. وقيل: المأخوذ على ألسنة الرسل. وقيل: الإيمانُ بالله وملائكتِه وكتبِه ورُسُلِه واليومِ الآخر[٤]. والظاهرُ إضافةُ العهد إلى الفاعل، أي: بما عَهِدَ الله.

والظاهر أن قوله: «ولا ينقضون الميثاق» جملة توكيديَّة لقوله: «يوفون بعهد الله» لأنَّ العهدَ هو الميثاق، ويلزمُ من إيفاء العهد انتفاءُ نقضه[٥].

وقال الزمخشري[٦]: وعهدُ الله ما عَقَدُوه على أنفسهم من الشهادة بربُوبيَّتِه ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾: ولا ينقضُون كلَّ ما وثَّقوه على أنفسهم وقَبِلُوه من الإيمان بالله تعالى وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد؛ تعميمٌ بعد تخصيص. انتهى. فأضاف العهد إلى المفعول، وغايرَ بين الجملتين بكون الثانية تعميماً بعد تخصيص، إذْ أَخَذَ الميثاقَ عامًّا[٧] بينهم وبين الله وبين العباد.

وقال ابنُ عطية[٨]: «بعهد الله» اسم الجنس، أي: بجميع عهود الله؛ وهي[٩]

(١) في (أ) و(ح): لقوله. وهو صوابٌ أيضاً.
(٢) ووجه رابع في إعراب «الذين» ذكره المصنف في «النهر الماذ» وهو أن تكون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين. وزاد السمين في «الدرّ المصون» ٧/ ٤٣ أيضاً نَصْبَها على المدح.
(٣) في المطبوع: حيلتهم، وهو تحريف.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٥٠٧، وزاد المسير ٤/ ٣٢٤، وتفسير الرازي ١٩/ ٤٠-٤١.
(٥) في المطبوع: نقيضه.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٥٧.
(٧) في المطبوع: إذ أخذُ الميثاق عامٌّ.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٩.
(٩) في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع: «وبين»، بدل: «وهي»، وهو خطأ.

أوامرُه ونواهيه التي وصَّى بها عبيدَه، ويدخلُ في هذه الألفاظ التزامُ جميع الفروض وتجنُّبُ جميع المعاصي. وقوله: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ أي: إذا اعتقدوا في طاعة الله عهداً لم ينقضوه. قال قتادة: وتقدَّمَ الله[1] إلى عباده في نقض الميثاق، ونَهَى عنه في بضع وعشرين آية. ويحتمل أن يشير إلى ميثاقٍ معيَّن، وهو الذي أخذه تعالى على ظهر أبيهم آدم عليه السلام. انتهى.

وقال ابنُ العربيّ: مِنْ أعظمِ المواثيقِ في الذِّكْر أن لا يُسألَ سواه. وذَكَرَ قصَّةَ أَبي حمزةَ الخُراسانِي ووقوعه في البئر ومرورَ الناس عليه وتغطيتَهم البئرَ وهو لايسألُهم أنْ يُخرجوه، إلى أنْ جاءَ مَنْ أخرجَه بغير سؤال، ولم يَرَ مَنْ أخرجَه، وهتفَ به هاتفٌ: كيفَ رأيتَ ثمرةَ التَّوكُّل؟ قال ابن العربي[2]: هذا رجلٌ عاهدَ الله، فوجدَ الوفاء على التمام، فاقتدُوا به.

وقد أنكرَ أبو الفَرَج ابنُ الجوزي[3] فعلَ أبي حمزة هذا، وبيَّن خطأه، وأنَّ التوكُّلَ لا يُنافي الاستغاثة في تلك الحال، وذكرَ أنَّ سفيانَ الثوريَّ وغيرَه قالوا: لو أنَّ إنساناً جاع فلم يسأل حتى مات، دخل النار، ولا نُنْكِرُ أن يكون اللهُ تعالى لطفَ بأبي حمزة الجاهل.

و﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ ظاهرُه العموم في كلِّ ما أَمَرَ به في كتابه، وعلى لسان نبيِّه ﷺ.

وقال الحسن: المرادُ به صِلَةُ الرسول ﷺ بالإيمان به. وقال نحوَه ابنُ جبير. وقال قتادة: الرَّحِم. وقيل: صِلَةُ الإيمان بالعمل. وقيل: صِلةُ قَرابة الإسلام بإفشاء

---

(١) في المطبوع: وتقدَّم وعيدُ الله.

(٢) أحكام القرآن ٣/ ١١٠٠ . وأبو حمزة الخُراساني من مشايخ الصوفية المعروفين، وهو من أقران الجنيد. له ترجمة في «تاريخ دمشق»، وفيه خبره الذي أشار إليه المصنف. ينظر «مختصره» ٢٨/ ٢٤٣-٢٤٥ . وينظر أيضاً ترجمة أبي حمزة الصوفي محمد بن إبراهيم في «تاريخ بغداد» ١/ ٢٧٤-٢٧٦ ، فقد أورد له البغدادي هذه القصة أيضاً. وذكر ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص٢٩٤ الاختلاف في أبي حمزة الواقع في البئر.

(٣) ينظر: صفة الصفوة ١/ ٢٦-٢٨ ، وتلبيس إبليس ص٢٩٤-٢٩٥.

السلام، وعِيادةِ المرضى، وشهودِ الجنائز، ومُراعاةِ حقّ الجيران والرفقاء والأصحاب والخَدَم. وقيل: نُصرةُ المؤمنين[١].

و«أَمَرَ» يتعدَّى إلى اثنين؛ الثاني بحرف جرّ وهو «بِهِ»، والأول محذوف، تقديرُه: ما أَمَرَهُم الله به. و«أنْ يُوصَلَ» في موضع جرّ بدلٌ من الضمير، أي: بوَصْلِه.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعيدَه كلَّه. ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: استقصاءَه، فيحاسِبُون أنفسَهم قبل أن يُحَاسَبُوا. وقيل: «يخشون ربهم»: يعظِّمونه. وقيل: في قَطْع الرَّحِم. وقيل: في جميع المعاصي. وقيل: فيما أمرَهم بوَصْلِه.

و«صبروا» مطلق فيما يُصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال وميثاق التكليف، وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي، وفي المَوْصُولَيْن[٢] قبلُ بلفظ المضارع في قوله: «الذين يوفون»، «والذين يصلون»، وما عُطف عليهما؛ على سبيل التفنُّن في الفصاحة؛ لأنَّ المبتدأ هنا في معنى اسم الشرط، فالماضي[٣] كالمضارع في اسم الشرط، فكذلك فيما أشبهه، ولذلك قال النحويون: إذا وقع الماضي صلةً أو صفةً لنكرة عامة احتمل أن يُرادَ به المُضيّ، وأن يرادَ به الاستقبال، فمن المرادِ به المُضيُّ في الصلة: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[آل عمران: ١٧٣] ومن المراد به الاستقبال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾[المائدة: ٣٤]، ويظهر أيضاً أن اختصاص هذه الصِّلة بالماضي وتَبْيِنِك بالمضارع أنَّ تَبْيِنَك الصِّلَتَيْن قُصد بهما الاستصحاب والالتباس دائماً، وهذه الصِّلةُ قُصد بها تقدُّمها على تَبْيِنَك الصِّلَتَيْن وما عُطفَ عليهما، لأنَّ حصول تلك الصِّلات إنما هي مترتِّبة على حصول الصبر وتقدُّمه عليها، ولذلك لم يأتِ صلةً في القرآن إلا بصيغة الماضي[٤] إذْ هو شرطٌ في حصول التكاليف وإيقاعِها. والله أعلم.

وانتصب «ابتغاءَ» قيل: على أنه مصدر في موضع الحال، والأَوْلى أنْ يكون

(١) ينظر: النكت والعيون ٣/١٠٨-١٠٩ ، وزاد المسير ١/ ٥٧ ، وتفسير الرازي ١٩/ ٤١ .
(٢) في المطبوع: الموصلين.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: بالماضي، وهو خطأ.
(٤) يعني: في الصبر، كما في هذه الآية: والذين صبروا.

مفعولاً لأجله، أي: إنَّ صَبْرَهُم هو لابتغاءِ وجهِ الله خالصاً، لا لرجاءِ أنْ يُقال: ما أصبرَه! ولا مخافةَ أن يُعابَ بالجَزَع، أو تشمت به الأعداء، كما قال:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ   أنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[١]

ولا لأنَّ الجَزَع[٢] لا طائلَ تحتَه، إذ يعلم أنه لا مَرَدَّ لِما فات، ولا لما وقع.

والظاهر في معنى الوَجْه هنا جهةُ الله، أي: الجهةُ التي تُقصد عندَه تعالى بالحسنات لتقعَ عليها المَثُوبَة، كما تقول: خرج زيد لوجهِ كذا.

ونبَّه على هاتَيْن الخَصْلَتَيْنِ: العبادةِ البدنيَّة والعِبادةِ الماليَّة؛ إذْ هما عمودا الدِّين، والصبرُ عليهما أعظمُ صبر؛ لتكرُّر الصلاة، ولتعلُّق النُّفوس بحبِّ تحصيل المال.

ونبَّه على حالتي الإنفاق، فالسِّرُّ أفضل حالات إنفاق التطوُّع كما جاء في السَّبْعة الذين يُظِلُّهم الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: «ورجلٌ تصدَّقَ بصدقة فأخفاها»[٣]. والعلانية أفضلُ حالاتِ إنفاق الفروض، لأنَّ الإظهار فيها أفضل.

وقال الزمخشريّ[٤]: ممَّا رزقناهم من الحلال؛ لأنَّ الحرام لا يكون رزقاً، ولا يُسند إلى الله. انتهى. وهذا على طريق المعتزلة.

وللسَّلَف هنا في الصبر أقوال متقاربة؛ قال ابنُ عبَّاس: صبرُوا على أمر الله. وقال أبو عِمْران الجَوْني: صبروا على دينهم. وقال عطاء: صبروا على الرَّزايا والمصائب. وقال ابنُ زيد: صبرُوا على الطاعة وعن المعصية[٥].

و«يدرؤون»: يدفعون. قال ابنُ زيد: الشَّرَّ بالخير. وقال قتادة: رَدُّوا عليهم معروفاً، كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾[الفرقان:٦٣]. وقال الحسن: إذا

---

(١) البيت لأبي ذُؤيب الهذلي. وهو في «ديوان الهذليين» ص٣.

(٢) في (ح) والمطبوع: ولأن الجزع. وعبارة «الكشاف» ٢/ ٣٥٧: ولا لأنه لا طائل تحت الهلع.

(٣) أخرجه أحمد (٩٦٦٥)، والبخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٥٧.

(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٧.

حُرِمُوا أَعْطَوْا، وإذا ظُلموا عَفَوْا، وإذا قُطِعُوا وَصَلُوا. وقال القُتَبيّ: إذا سُفه عليهم حَلُمُوا. وقال ابنُ جُبير: يدفعون المنكرَ بالمعروف. وقال ابنُ كَيْسان: إذا أذنبوا تابوا، وإذا هربوا أنابوا[١] ليدفعوا عن أنفسهم بالتوبة معرَّة الذنب. وهذا معنى قول ابن عبَّاس في رواية الضحَّاك عنه. وقيل: يدفعون بلا إله إلا الله شِرْكَهم. وقيل: بالسلام غوائلَ الناس. وقيل: مَنْ رأوا منه مكروهاً بالتي هي أحسن. وقيل: بالصالحِ من العملِ السيِّىءَ من العمل. ويؤيدُه ما رُوِيَ في الحديث أنَّ معاذاً قال: وَصِّنِي يا رسول الله، فقال: «إذا عملتَ سيئة فاعمل إلى جنبها حسنة تمحُها، السِّرُّ بالسِّرِّ، والعلانيةُ بالعلانية». وقيل: العذابَ بالصدقة. وقيل: إذا همُّوا بالسيئة فكَّروا ورجعوا عنها واستغفروا[٢].

وهذه الأقوالُ كلُّها على سبيل التمثيل[٣]، وبالجملة لا يكافئون الشَّرَّ بالشَّرِّ كما قال:

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أهْلِ الظُّلمِ مغفرةً ... ومِنْ إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحْسانا[٤]

وهذا بخلاف خُلُق الجاهلية كما قال:

جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلْمِهِ ... سَريعاً وإنْ لا يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ[٥]

ورُوِيَ أنَّ هذه الآية نزلت في الأنصار، ثم هي عامّة بعد ذلك في كلِّ من اتَّصف بهذه الصفات.

---

(١) في «تفسير» الثعلبي ٣/ ٤٣٨ : إذا حُرموا أثابوا. وهو بمعنى قول الحسن السالف، والله أعلم.

(٢) ينظر: تفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٨ (وفيه حديث معاذ بلفظه)، والنكت والعيون ٣/ ١٠٩ ، والكشاف ٢/ ٣٥٧-٣٥٨ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٠٩ ، وتفسير الرازي ١٩/ ٤٣. وحديث معاذ ﷺ أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٠/ ١٥٩ (٣٣١) بنحوه. وأخرج أحمد (٢١٩٨٨) أيضاً عن معاذ أن النبي ﷺ قال له: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها».

(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: المجاز.

(٤) البيت لقُريط بن أُنيف، وهو في «الحماسة» ١/ ١٠ بشرح التبريزي. وقال في شرحه: قوله: ظلم، يُروى بفتح الظاء وضمِّها، والفتح أحسن، لأن الظلم بالفتح المصدر، وبالضمِّ: الاسم.

(٥) البيت لزهير بن أبي سُلْمى، وهو في «ديوانه» ص٢٤ .

و«عُقْبَى الدَّار»: عاقبة الدنيا، وهي الجنة، لأنها التي أراد الله أن تكونَ عاقبةَ الدنيا ومرجعَ[(١)] أهلِها.

و«جَنَّاتُ عَدْنٍ» بدلٌ من «عُقْبَى الدَّار». ويحتملُ أن يُراد: عُقبى دار الآخرة لدارِ الدُّنيا، أي: العقبى الحسنة في الدار الآخرة هي لهم.

ويحتمل أن يكون «جنات» خبرَ ابتداءٍ محذوف.

وقرأ الجمهور: «جنات»، والنَّخَعيُّ: «جنة» بالإفراد[(٢)].

ورُوِيَ عن ابن كثير وأبي عَمرو: «يُدخَلُونَها» مبنياً للمفعول[(٣)]. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «ومَنْ صَلُحَ» بضمّ اللام[(٤)]، والجمهور بفتحها، وهو أفصح.

وقرأ عيسى الثقفيّ: «وذُرِّيَّتَهُم» بالتوحيد[(٥)]، والجمهور بالجمع. وقرأ ابنُ يَعْمَر: «فنَعِمَ» بفتح النون وكسر العين[(٦)]، وهي الأصل كما قال[(٧)]:

نَعِمَ السَّاعُون في القَوْم[(٨)] الشُّطُرْ[(٩)]

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: وموضع.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٠ .
(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٣٨ ، وهي في «الكشاف» ٢/ ٣٥٨ دون نسبة. ونسبَها ابنُ عطية في «المحرر الوجيز»٣/ ٣١٠ للنخعي. وهذه القراءة عن ابن كثير وأبي عمرو ليست من المتواتر عنهما.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٥٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٥ .
(٥) ذكر ابن عطية هذه القراءة في «المحرر الوجيز» ٤/ ٥٤٨ عن عيسى في آية غافر (٨).
(٦) نُسبت هذه القراءة في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٠ ليحيى بن وثَّاب، وضُبطت اللفظة في «القراءات الشاذة» ص٦٦ عنه بكسر النون وكسر العين. وذُكر في حاشيته نسخة أخرى مضبوطة بفتح النون وفتح العين مع فتح النون وكسر العين أيضاً.
(٧) في (ح) والمطبوع: قال الراجز. وهو خطأ، فالشطر المذكور من بحر الرَّمَل.
(٨) في (أ) و(ح) والمطبوع: اليوم، وهو تحريف.
(٩) هو عجز بيت لطَرَفَة بن العبد، وصدرُه في «ديوانه» ص٥٨ : خالتي والنفسُ قِدْماً إنَّهم. ومعناه متعلّق بما قبله. وصدرُه في «الكتاب» ٤/ ٤٤٠ ، و«الإنصاف» ١/ ١٢٢ : ما أَقَلَّتْ قدمٌ ناعِلَها. وفي «المقتضب» ٢/ ١٤٠ ، و«الخصائص» ٢/ ٢٢٨ : ما أَقَلَّتْ قدمي إنهُمُ. وجاء في «الكتاب»: في الحيِّ الشُّطُرْ، وفي المصادر الأخرى: في الأَمْرِ المُبِرّ. وعَجُز البيت هو الشاهد (٧٥٩) في «خزانة الأدب» ٩/ ٣٧٦ على أن طَرَفة استعمل «نَعِمَ» على

وقرأ ابنُ وثّاب: «فنَعْمَ» بفتح النون وسكون العين ـ وتخفيفُ «فَعِل» لغة تميمية[١] ـ والجمهور: «نِعْمَ» بكسر النون وسكون العين، وهي أكثرُ استعمالاً.

قال مجاهد وغيره: «ومَنْ صَلَحَ» أي: مَنْ عَمِلَ صالحاً وآمَن[٢]. انتهى. وهذا يدلُّ على أنَّ مجردَ النَّسب من الصالح لا ينفعُ، إنما تنفعُ الأعمال الصالحة. وقيل: يحتمل قولُه: «ومَنْ صَلَحَ» أي: لذلك بقَدَرِ الله تعالى وسابقِ علمِه[٣].

وقال ابن عبَّاس: هذا الصلاحُ هو الإيمان بالله وبالرسول ﷺ[٤].

وهذه بِشارةٌ بنعمة اجتماعهم مع قَراباتهم في الجنة. والظاهر أن «ومَنْ» معطوف على الضمير في «يدخلُونها» وقد فصلَ بينهما بالمفعول.

وقيل: يجوزُ أن يكون مفعولاً معه، أي: يدخلونها مع مَنْ صَلَحَ. ويشملُ قولُه: «من آبائهم» أَبَوَيْ كلِّ واحدٍ؛ والدَه ووالدتَه، وغلَّبَ الذكور على الإناث، فكأنَّه قيل: ومَنْ صلحَ من آبائهم وأمهاتهم.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ أي: بالتُّحَف والهدايا من الله تعالى تكرمةً لهم.

قال أبو بكر الورَّاق: هذه ثمانيةُ أعمال تُشير إلى ثمانية أبواب الجنة، من عَمِلَها دخلَها من أيِّ باب شاء. وقال الأصمُّ نحو هذا؛ قال: «من كلِّ باب»: باب الصلاة، وباب الزكاة، وباب الصبر.

ولأبي عبد الله الرازي[٥] كلامٌ عجيب في الملائكة؛ ذكرَ أنَّ الملائكة طوائف،

= الأصل. قوله: الشُّطُر: هو جمع شَطِير، يعني الغريب والبعيد، والأمر المُبِرُّ: هو الذي يعجز الناسُ عنه، يقال: أبرَّ على القوم، أي: غلبَهم، أي: هم نِعمَ الساعون في الأمر الغالب الذي عجز الناس عن دفعه.

(١) يعني تسكين العين، وينظر الكلام قبل ثلاثة تعليقات، وقد أوردَ المصنِّف قراءات «نِعْم» في هذه الآية، وموضعُها في الآية التي تليها.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٠ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ٦٠ .

(٥) تفسير الرازي ١٩/ ٤٥ . وكلام الأصمّ السابق فيه.

منهم رُوحانيُّون، ومنهم كَرُوبِيُّون[١]، فالعبدُ إذا راضَ نفسَه بأنواع الرِّياضات؛ كالصبر والشكر والمراقبة والمحاسبة؛ ولكلٍّ مرتبة من هذه المراتب جوهرٌ قُدسيٌّ ورُوحٌ عُلْويّ يحفظُ لتلك الصفةِ مزيدَ اختصاص، فعند الموت إذا أشرقت تلك الجواهرُ القدسيَّة؛ تجلَّت فيها من كلِّ رُوحٍ من الأرواح السمائية ما يناسبُها من الصفة المخصوصة، فيَفيض عليها من ملائكة الصبر كمالاتٌ مخصوصةٌ نفسانيةٌ لا تظهر إلا في مقام الصبر، ومن ملائكة الشكر كمالاتٌ روحانيةٌ لا تتجلَّى إلا في مقام الشُّكر، وهكذا القولُ في جميع المراتب. انتهى.

وهذا كلام فلسفيّ لا تفهمُه العربُ، ولا جاءت به الأنبياء، فهو كلام مطَّرح لا يلتفت إليه المسلمون.

قال ابنُ عطية[٢]: وحكى الطبريُّ رحمه الله في صفة دخول الملائكة أحاديثَ لم نُطوِّل بها لضعف أسانيدها. انتهى.

وارتفع «سلامٌ» على الابتداء، و«عليكم» الخبر، والجملة محكيَّة بقول محذوف، أي: يقولون: سلامٌ عليكم.

والظاهر أن قوله: «سلامٌ عليكم» تحيةُ الملائكة لهم، ويكون قولُه: «بما صبرتُم» خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هذا الثوابُ بسببِ صبرِكم في الدنيا على المشاقّ. أو تكون الباء بمعنى بَدَل، أي: بدلَ صبركم، أي: بَدَلَ ما احتملتُم من مشاقِّ الصبر هذه الملاذُّ والنِّعَمُ[٣].

وقيل: «سلامٌ» جمع سلامة، أي: إنَّما سلَّمكم الله من أهوال يوم القيامة بصبركم في الدنيا[٤].

وقال الزمخشريّ: ويجوز أن يتعلق بـ«سلام»، أي: نسلِّم عليكم ونكرمُكم بصبركم[٥].

---

(١) الملائكة الكَرُوبيُّون، أي: المقرَّبون، من الكَرْب، وهو القُرب. «اللسان» (كرب).
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٠ . وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٥١٢-٥١٣ .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٥٨ .
(٤) يقارن الكلام بما في زاد المسير ٤/ ٣٢٥ ، فهو من قولين فيه.
(٥) في (أ) و(ح) والمطبوع: يسلِّم عليكم ويكرمكم بصبركم.

والمخصوص بالمدح محذوف، أي: فنِعْمَ عُقْبى الدار الجنةُ من جهنَّم. والدارُ تحتمل الدنيا وتحتمل الآخرة. وقالت فِرْقة: المعنى أنْ عقبوا[١] الجنة من جهنَّم.

قال ابنُ عطية: وهذا التأويلُ مبنيّ على حديثٍ وردَ، وهو أنَّ كلَّ رجلٍ في الجنة قد كانَ له مقعدٌ معروفٌ في النار، فصرفَه اللهُ تعالى عنه إلى النعيم، فيُعرَضُ عليه ويقالُ له: هذا كان[٢] مقعدَك، فبدَّلك اللهُ منه الجنةَ بإيمانك وطاعتِك وصبرك[٣]. انتهى.

ولما كان الصبر هو الذي تنشأُ عنه تلك الطاعات السابقة؛ ذكرت الملائكةُ أنَّ النعيم السَّرْمَدِيَّ إنما هو حاصلٌ بسبب الصبر، ولم يأت التركيب بالإيفاء بالعهد ولا بغير ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾.

قال مقاتل: نزلت: «والذين ينقُضُون» في أهل الكتاب[٤].

وقال ابنُ عباس: نزلت «اللهُ يَبْسُطُ» في مشركي مكة[٥].

ولـمَّا ذكرَ تعالى حالَ السُّعداء وما ترتَّبَ لهم من الأمور السَّنِيَّة الشريفة؛ ذكرَ حالَ الأشقياء وما ترتَّب لهم من الأمور المُخزية.

وتقدَّم تفسير ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ في أوائل البقرة [٢٧].

وترتَّب للسعداء هناك التصريح بعقبى الدار، وهي الجنة، وإكرامُ الملائكة لهم بالسلام، وذلك غايةُ القُرب والتأنيس، وهنا ترتَّب للأشقياء الإبعادُ من رحمة الله.

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٣١٠ : أعقبوا.
(٢) المثبت من (يه) وهو موافق لما في المصدر السابق. وفي النسخ الأخرى والمطبوع: مكان.
(٣) ينظر حديث أنس بن مالك ﷺ عند أحمد (١٢٢٧١)، والبخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).
(٤) زاد المسير ٤/ ٣٢٦ .
(٥) يعني نزل فيهم قوله: «وفرحوا بالحياة الدنيا» وهو من الآية المذكورة. ينظر المصدر السابق، و«الوسيط» ٣/ ١٤، و«تفسير» القرطبي ١٢/ ٦٣ .

و«سوءُ الدار»، أي: الدارُ السُّوء، وهي النارُ، أو سوءُ[1] عاقبةِ الدار، وتكون دارَ الدنيا.

ولمَّا كان كثيرٌ من الأشقياء فُتحت عليهم نِعَمُ الدنيا ولذَّاتُها؛ أخبرَ تعالى أنَّه هو الذي يَبْسُطُ الرِّزقَ لمن يشاء ويَقْدِرُ، والكفرُ والإيمانُ لا تعلُّقَ لهما بالرِّزق، قد يَقْدِرُ على المؤمن ليعظُم أجرُه، ويَبْسُطُ للكافر إملاءً لازدياد آثامِه.

و«يَقْدِرُ» مقابل «يبسط»، وهو التضييق، من قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[الطلاق: ٧] وعليه يُحمل: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[الأنبياء: ٨٧] وقولُ ذلك الذي أُحرِقَ وذُرِّيَ في البحرِ: لئن قَدَرَ الله عليَّ، أي: لئن ضَيَّق[2].

وقيل: «يَقْدِرُ»: يعطي بقَدْرِ الكفاية.

وقرأ زيد بن عليّ: «ويَقْدُرُ» بضمّ الدال حيث وقع.

والضمير في «وفرحوا» عائد على «الذين ينقُضون» وهو استئنافُ إخبار عن جهلهم بما أوتوا من بسطة الدنيا عليهم، وفرحُهم فرحُ بَطَرٍ وتسليط، لا فرحُ سرور بفضلِ الله وإنعامِه عليهم، ولم يُقابلوه بالشكر حتى يستوجبُوا نعيم الآخرة بفضل الله[3]، واستجهلَهم بهذا الفَرح؛ إذ هو فرحٌ بما يزولُ عن قريب وينقضي.

ويبعُد قولُ من ذهب إلى أنه معطوفٌ على صِلات «والذين ينقُضون» أي: ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا، وأنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً.

و«متاع» معناه: ذاهبٌ مُضْمَحِلّ يُستمتعُ به قليلاً ثم يفنى، كما قال:

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شيئاً ... سَبَقْتَ به المماتَ هو المَتاعُ[4]

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: وسوء، بدل: أو سوء. والكلام بنحوه في «الكشاف» ٢/ ٣٥٨ .

(٢) الخبر في «مسند» أحمد (٧٦٤٧)، و«صحيح» البخاري (٣٤٨١)، و«صحيح» مسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) بعده في (أ) و(ح) والمطبوع: به.

(٤) البيت لمشعَّث العامري، وهو في: مجاز القرآن ١/ ٣٢٨ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٥٠٣ ، والأصمعيات ص١٤٨ ، ومعجم الشعراء ص٤٤٧ ، واللسان (متع). وفي بعضها: الوفاة، بدل: الممات.

وقال آخر:

أنتَ نِعْمَ المَتَاعُ لو كنتَ تَبْقَى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ[١]

وقال آخر:

تَمَتَّعْ من الدُّنيا فإنَّكَ فانٍ من النَّشَواتِ والنِّساءِ الحِسَانِ[٢]

قال الزَّمخشريُّ[٣]: خَفِيَ عليهم أنَّ نعيمَ الدُّنيا في جَنْبِ نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نَزْراً يتمتَّع به، كعُجالة الراكب، وهي ما يتعجَّله من تُميرات، أو شَرْبة سَوِيق، أو نحو ذلك. انتهى.

وهذا معنى قول الحسن؛ قال الحسن: أعلم الله تعالى نبيَّه ﷺ أنَّ الحياة الدنيا في جَنْب ما أعدَّ اللهُ لأوليائه في الآخرة نزرٌ يسيرٌ[٤] يتمتَّع به كعُجالة الراكب، وهو ما يتعجَّلُه من تُميرات أو شَرْبةِ سَوِيق أو غيرِ ذلك.

وقال ابن عباس: زادٌ كزادِ الراعي. وقال مجاهد: قليلٌ ذاهبٌ[٥]. من مَتَعَ النهارُ: إذا ارتفعَ، فلا بدَّ له من زوال.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾.

نزلت «ويقولُ الذين كفروا» في مشركي مكة، طلبُوا مثل آيات الأنبياء، والملتمسُ ذلك هو عبد الله بنُ أبي أمية وأصحابُه[٦]، ردَّ تعالى على مقترحي

(١) البيت لموسى شهوات، وهو في «الأغاني» ٣/ ٣٦٠، و«الشعر والشعراء» ٢/ ٥٧٨، و«معجم الشعراء» ص٢٨٦.

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» ص٨٧، ولم يرد الشطر الثاني في (ح). ووقع مكانه بياض. وسلف عند تفسير الآية (٩٦) من سورة البقرة.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٥٩.

(٤) في المطبوع: ليس، بدل: يسير. ولفظ: «قال الحسن» (السالف) ليس فيه.

(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٥١٦-٥١٧.

(٦) ينظر ما سلف في تفسير الآية (٧) من سورة الأنعام، وتفسير الطبري ١٥/ ٩١-٩٢.

الآيات من كفار قريش، كسقوط السماء عليهم كِسَفاً، وقولهم: سَيِّرْ عنَّا[1] الأخشَبَيْن، واجعلْ لنا البِطاحَ محارثَ ومغترساً كالأُرْدُنّ، وأحْيِ لنا قُصَيًّا وأسلافَنا. ولم تَجْرِ عادةُ الله في الإتيان بالآيات المقترحة إلا إذا أرادَ إهلاكَ مقترحِيها، فردَّ تعالى عليهم بأنَّ نزولَ الآية لا يقتضي ضرورةَ إيمانكم وهُداكم، لأنَّ الأمر بيد الله، يُضلُّ مَنْ يشاءُ ويهدي من يشاء[2].

وقال الزمخشري[3]: فإنْ قلتَ: كيف يُطابقُ قولُهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قولَه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾؟ قلتُ: هو كلامٌ يجري مجرى التعجُّب من قولهم، وذلك أنَّ الآيات الباهرةَ المتكاثرةَ التي أُوتِيَها رسول الله ﷺ لم يُؤْتَها نبيٌّ قبلَه، وكفى بالقرآن وحدَه آيةً وراء كلِّ آية، فإذا جحدُوها ولم يعتدُّوا بها وجعلوه كأنَّ آيةً لم تنزلْ عليه قطّ؛ كان موضعاً للتعجُّب[4] والاستنكار، فكأنَّه قيل لهم: ما أعظمَ عِنادَكم! وما أشدَّ تصميمكم على كفركم! إنَّ الله يضلُّ مَنْ يشاء، فمن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة[5] في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أُنزلت كلُّ آية، ويهدي إليه مَنْ كان على خلاف صفتكم.

وقال أبو عليّ الجُبَّائي[6]: «يُضِلُّ مَنْ يشاءُ» عن رحمته وثوابِه عقوبةً له على كفره، «ويَهْدي إليه مَنْ أنابَ»، أي: [يهدي] إلى جنَّته مَنْ أناب، أي: مَنْ تابَ، والهدى تعلُّقُه بالمؤمن[7] هو الثواب، لأنه يستحقه على إيمانه، وذلك يدلُّ على أنه إنما يُضِلُّ عن الثواب بالعقاب، لا عن الدِّين بالكفر على ما ذهب إليه مَنْ خالفَنا. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: علينا، وهو تحريف.
(٢) الكلام بنحوه في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١١ .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٥٩ .
(٤) في المطبوع: كأنه لم ينزل عليه قط كان موضع التعجب...
(٥) في المطبوع: التسليم.
(٦) كلامه في «تفسير» الرازي ١٩/ ٤٨ . وكلمة «يهدي» الآتية بين حاصرتين مستفادة منه، من أجل السياق.
(٧) في المصدر السابق: والهدى الذي يفعله بالمؤمن.

والضمير في «إليه» قالوا: عائدٌ على القرآن، أو على الرسول ﷺ[١]، والظاهرُ أنه عائدٌ على الله تعالى، على حذف مضاف، أي: إلى دينه وشرعه.

و«أنابَ»: أقبلَ إلى الحقّ، وحقيقتُه: دَخَلَ في نَوْبة الخير[٢].

و«الذين آمنوا» بدل من: «مَنْ أناب»[٣]، واطمئنانُ القلوب سكونُها بعد الاضطراب من خشيته، وذِكْرُ الله: ذِكْرُ رحمتِه ومغفرتِه، أو ذِكْرُ دلائله على وحدانيته المزيلة لقَلَقِ[٤] الشُّبَه، أو تطمئنُّ بالقرآن؛ لأنه أعظمُ المعجزات، يُسكن القلبَ ويُثبته[٥]. ثم ذكرَ الحضَّ على ذِكْرِ الله وأنه به تحصُل الطُّمأنينةُ ترغيباً في الإيمان.

والمعنى أنه بذكره تعالى تطمئنُّ القلوب، لا بالآيات المقترحة، بل ربَّما كفرَ بعدَها فنزلَ العذاب كما سلف في بعض الأمم.

وجوَّزُوا في «الذين»[٦] أن يكون بدلاً من «الذين»، وبدلاً من القلوب على حذف مضاف، أي: قلوبُ الذين، وأنْ يكون خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هم الذين، وأن يكون مبتدأً؛ خبرُه ما بعدَه.

و«طُوبَى» فُعْلَى، من الطِّيب، قُلبت ياؤه واواً لضمة ما قبلَها، كما قُلبت في: مُوسِر. واختلفوا في مدلولها، فقال أبو الحسن الهُنائي[٧]: هي جمع طيِّبة كما قالوا في جمع كَيِّسة: كُوسَى، وضَيِّقة: ضُوْقَى[٨]. وفُعْلَى ليست من ألفاظ الجموع،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١١.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٥٩.
(٣) ذكر السمين في «الدرّ المصون» ٧/ ٤٦ أنه يجوز أيضاً أن يكون مبتدأً، خبره «الذين آمنوا» في الآية بعدها، وما بينهما اعتراض، أو أن يكون خبر مبتدأ مضمر، أو أنه منصوب بإضمار فعل.
(٤) في (ح) والمطبوع: لعلق.
(٥) في (ح) والمطبوع: تسكن به القلوب وتنتبه.
(٦) يعني في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾.
(٧) هو عليُّ بن الحسن، المعروف بكُراع النَّمل، نحويٌّ لُغويّ. قال ياقوت في معجم الأدباء ١٣/ ١٢: وجدتُ خطه على المنضد من تصنيفه وقد كتبه في سنة سبع وثلاث مئة.
(٨) قال السمين في «الدر» ٧/ ٤٧: ويجوز أن يقال في الجمع: طِيبَى، وكذلك الكِيْسَي

ولعلَّه يعني أنَّها اسمُ جمع.

وقال الجمهور: هي مفرد مصدر، كبُشْرَى وسُقْيَا ورُجْعَى وعُتْبى[١].

واختلف القائلون بهذا في معناها، فقال الضحَّاك: المعنى: غبطةٌ لهم. وعنه أيضاً: أصبتَ خيراً. وقال عكرمة: نُعْمَى لهم. وقال ابن عباس: فرحٌ وقُرَّةُ عَيْن. وقال قتادة: حُسْنَى لهم. وقال النَّخَعيّ: خيرٌ لهم. وعنه أيضاً: كرامةٌ لهم. وعن سُمَيْط[٢] بن عجلان: دوام الخير. وهذه أقوالٌ متقاربة، والمعنى: العيشُ الطيِّب لهم.

وعن ابن عباس وابن جُبير: طُوبَى اسمٌ للجنَّة بالحبشية. وقيل: بلغة الهند. وقال أبو هريرة وابنُ عباس أيضاً ومُغيث[٣] بن سُمَيّ وعُبيد بن عمير ووَهْب بن منبّه: هي شجرة في الجنة[٤].

ورُوِيَ مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من حديث عُتْبَةَ بنِ عَبْد السُّلَمي[٥] أنه قال وقد سأله أعرابيٌّ: يا رسول الله، أفي الجنَّة فاكهة؟ قال: «نعم، فيها شجرةٌ تُدْعَى طُوبَى». وذكر الحديث.

قال القرطبيّ: الصحيحُ أنَّها شجرة؛ للحديث المرفوع حديث عُتبة، وهو صحيحٌ على ما ذكره السُّهَيْليّ، وذكره أبو عُمر في «التمهيد» والثعلبيّ[٦].

= والضِّيقَى. اهـ. ووقع في (أ) و(ح) ومطبوع البحر ٥/ ٣٨٩ : صيغة وصوفى، وهو خطأ. وينظر لسان العرب وتاج العروس (طيب - كيس).

(١) في (يه) والمطبوع: وعقبى.

(٢) كذا في النسخ، وكذا ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٢٠٤ . وهو شُميط (بالمعجمة) ذكره البخاري أيضاً ٤/ ٢٦٢، وبيَّن الرازي في بيان خطأ البخاري ص٤٤ أنه شُميط، بالشين المعجمة، وينظر المؤتلف والمختلف ٣/ ١٢٤٧-١٢٤٨.

(٣) المثبت من (أ)، وهي غير منقوطة في (ح)، ووقع في (ز١) و(يه) والمطبوع: معتب. وهو تحريف.

(٤) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٥٢٢ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٤٠ ، والنكت والعيون ٣/ ١١١ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٢، وزاد المسير ٤/ ٣٢٧-٣٢٨ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٦٦-٦٨ .

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٦٤٢). وتحرَّف لفظ «عَبْد» في (ح) و(ز١) و(يه) ومطبوع البحر إلى: عُبيد.

(٦) تفسير القرطبي ١٢/ ٦٦ . وينظر: التعريف والإعلام للسهيلي ص٨٤-٨٥ ، والتمهيد لابن عبد البرّ ٣/ ٣٢٠-٣٢١ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٤٠ .

و«طُوبَى» مبتدأ، وخبرُه «لهم»، فإن كانت عَلَماً لشجرة في الجنَّة فلا كلامَ في جواز الابتداء بها، وإن كانت نكرة، فمسوِّغ الابتداء بها ما ذهب إليه سيبويه[١] من أنه ذُهبَ بها مذهبَ الدُّعاء، كقولهم: سلامٌ عليك. إلا أنه التُزم فيه الرفعُ على الابتداء، فلا تدخل عليه نواسخُه. هكذا قال ابنُ مالك[٢]. ويردُّه أنه قُرئ: «وحُسْنَ مآب» بالنصب، قرأه كذلك عيسى الثقفيّ[٣]، وخرَّج ذلك ثعلب على أنه معطوف على «طُوبَى»، وأنها في موضع نصب، و«حُسْنَ مآب» معطوفٌ عليها[٤]، قال ثعلب: و«طُوبَى» على هذا مصدر، كما قالوا: سُقْيًا.

وخرَّجه صاحبُ «اللوامح» على النِّداء، قال: بتقدير: يا طُوبَى لهم، ويا حُسْنَ مآب، فـ«حُسْنَ» معطوف على المنادى المضاف في هذه القراءة، فهذا نداء للتحنين والتشويق، كما قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾[يوسف: ٨٤] على الفَوْت والنُّدبة. انتهى.

ويعني بقوله: معطوفٌ على المنادى المضاف، أنَّ «طُوبَى» مضاف للضمير، واللام مقحمة كما أُقحمت في قوله:

يـا بُـؤْسَ لـلـجَـهْـلِ ضَـرَّاراً لأقـوامِ[٥]

وفي قوله:

يـا بُـؤسَ لـلـحَـرْبِ الـتـي[٦]

ولذلك سقطَ التنوين من «بُؤْسَ».

(١) ينظر: الكتاب ١/ ٣٣٠-٣٣١ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١١ .
(٢) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٥٢-٣٥٣ ، والارتشاف للمصنف ٣/ ١١٤٨-١١٤٩ .
(٣) القراءات الشاذة ص٦٧ عن ابن محيصن، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٢ عن يحيى بن يعمر وابن أبي عبلة.
(٤) بنحوه في «مجالس ثعلب» ص٤٨٦ ، ولم أقف فيه على قوله الآتي بعده. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣١١.
(٥) هو عجز بيت للنابغة، وصدرُه: قالت بنو عامرٍ خالُوا بني أسدٍ، وهو في «ديوانه» ص١٠٥ ، و«الكتاب» ٢/ ٢٧٨، و«المعاني الكبير» ٢/ ١١١٦ ، و«اللامات» ص١١١، والخصائص ٣/ ١٠٦ ، والإنصاف ١/ ٣٣٠ .
(٦) هو صدر بيت لسعد بن مالك، وعجزُه: وَضَعَتْ أراهطَ فاستراحوا. وهو في «اللامات» ص١١٠ ، و«الأغاني» ٥/ ٤٦ ، و«معجم الشعراء» ص١٤ ، و«الخصائص» ٣/ ١٠٦ .

وكأنه قيل: يا طُوباهم وحُسْنَ مآب، أي: ما أطيَبَهُم وأحْسَنَ مآبَهُم! كما تقول: يا طِيبَها ليلةً. أي: ما أطيبَها ليلةً!.

وقرأ مَكْوَزَة[١] الأعرابيّ: طِيبَى، بكسر الطاء، لتسلم الياء من القلب وإن كان وزنُها «فُعْلَى»، كما كسروا في «بِيض» لتسلم الياء وإن كان وزنُها فُعْلاً كحُمْرٍ[٢].

وقال الزمخشريّ[٣]: أصبتَ خيراً وطِيباً، ومحلُّها النصب أو الرفع، كقولك: طِيباً لك، وطِيبٌ لك، وسلاماً لك، وسلامٌ لك، والقراءة في قوله: «وحُسْنُ مآب» بالرفع والنصب تدلُّك على مَحَلَّيْها[٤]، واللام في «لهم» للبيان، مثلُها في «سَقْياً لك»[٥].

وقرئ: «وحُسْنَ مآبٌ» بفتح النون ورفع «مآب»، فـ«حُسْنَ» فعل ماض أصلُه: وحَسُنَ، نُقِلت ضمة سينه إلى الحاء، وهذا جائز في «فَعُل» إذا كان للمدح أو للذَّمّ، كما قالوا: حُسْنَ ذا أدبا[٦].

---

(١) في (أ): بكوزة، وفي (ح): بكورة، وفي المطبوع: بكرة. والمثبت من (ز١) وهو كذلك في «الكشاف» ٢/ ٣٥٩ ، و«الدرّ المصون» ٧/ ٤٩ ، وهو الصواب.

(٢) يعني أن الأصل في طِيْبَى: طُيْبَى، كما أن الأصل في بِيْض: بُيْض، وهو جمع أبيض، مثل: حُمْر جمع حمراء، فكُسرت الطاء من الأولى والباء من الثانية لتسلم الياء (أي: تصحَّ) فلا تُعلَّ فتُقلبَ واواً.

(٣) يعني في معنى: طوبى لك. الكشاف ٢/ ٣٥٩ .

(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: محلّها، ووقع في (ح): يدلُّك، بدل: تدلُّك، وتحرَّفت في المطبوع إلى: بذلك.

(٥) لام البيان (أو التبيين) تُلحَق بعد المصادر المنصوبة بأفعال مخزولة مضمرة لتُبيِّن من المَدْعُوُّ له بها، وذلك قولك: سَقْياً، ورَعْياً، ورُحْباً . . . قاله الزجَّاجي في اللامات ص١٢٨ ، ولا تتعلَّق هذه اللام بالمصدر، بل تتعلَّق بمحذوف استؤنف للتبيين. تقديرُه: أعني لك. ينظر مغني اللبيب ص٢٩١-٢٩٢، والدر المصون ١/ ٤٠-٤١.

(٦) جاء هذا القول في بيت لسهم بن حنظلة الغَنَوي:

لم يمنع الناسُ مني ما أردتُ وما أعطيهمُ ما أرادوا، حُسْنَ ذا أدبا

أي: حَسُنَ هذا أدباً. و«ذا» (اسم الإشارة) فاعل. وهو في «إصلاح المنطق» ص٤١ ، و«الخصائص» ٣/ ٤٠ ، و«اللسان» (حسن).

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾.

قال قتادة وابنُ جُريج ومقاتل: لمَّا رأَوْا كتاب الصُّلح يومَ الحديبية وقد كتب عليّ[1]: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال سُهيل بن عمرو: ما نعرفُ الرحمن إلا مُسَيْلِمَة. فنزلت[2].

وقيل: سمع أبو جهل الرسولَ ﷺ يقول: يا رحمن. فقال: إنَّ محمداً ينهانا عن عبادة آلهة، وهو يدعو إلهين! فنزلت. ذكر هذا عليُّ بن أحمد النيسابوري[3].

وعن ابن عباس: لمَّا قيل لكفار قريش: اسجُدوا للرحمن. قالوا: وما الرحمن؟ فنزلت[4].

قال الزمخشري[5]: مِثْلَ ذلك الإرسال أرسلناك. يعني أرسلناك إرسالاً له شأنٌ وفضلٌ على سائر الإرسالات. انتهى.

ولم يتقدَّم إرسالٌ يُشار إليه بذلك، إلا إنْ كان يُفهم من المعنى، فيمكن ذلك.

وقال الحسن: كإرسالنا الرسل أرسلناك، فـ«ذلك» إشارة إلى إرساله الرسل.

وقيل: الكاف متعلقة بالمعنى الذي في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [أي:] كما أنفذَ الله هذا؛ كذلك أرسلناك.

وقال ابن عطية[6]: والذي يظهر لي أنَّ المعنى: كما أجْرَيْنا العادةَ بأنَّ الله يضلُّ

---

(١) لفظة: عليّ، لم ترد في (ح) والمطبوع.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٤٣ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٦٩. وورد حديث صلح الحديبية في الصحيح دون ذكر سبب النزول فيه. ينظر حديث المِسْوَر بنِ مَخْرمَة ومروان بن الحكم عند أحمد (١٨٩١٠) و(١٨٩٢٨)، والبخاري (٢٧٣١-٢٧٣٢)، وحديث أنس عند أحمد أيضاً (١٣٨٢٧)، ومسلم (١٧٨٤).

(٣) هو الواحدي، والخبر في كتابه «الوسيط» ٣/ ١٦، ونقله عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» ٤/ ٣٢٩ .

(٤) أسباب النزول للواحدي ص٢٧٧ ، وتفسير البغوي ٣/ ١٩ ، وزاد المسير ٤/ ٣٢٩ .

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٩ .

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٢ . والقول الذي قبله (ولفظة «أي» بين حاصرتين) منه.

ويهدي، لا الآياتُ المقترحة، فكذلك أيضاً فعلنا[١] في هذه الأمة، أرسلناك إليها بوحي لا بالآيات المقترحة[٢]، فيضلُّ الله مَنْ يشاء ويهدي مَنْ يشاء. انتهى.

وقال الحَوْفيّ: الكاف للتشبيه في موضع نصب، أي: كفِعْلِنا الهداية والإضلال، والإشارة بـ«ذلك» إلى ما وصفَ به نفسَه من أنه يُضلُّ مَنْ يشاءُ ويهدي من يشاء.

وقال أبو البقاء: «كذلك» التقدير: الأمرُ كذلك[٣].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ أي: تقدَّمَتْها أممٌ كثيرة، والمعنى: أُرسِلتْ فيهم رسلٌ، فمِثْلَ ذلك الإرسال أرسلناك، ودلَّ هذا المحذوف الذي يقتضيه المعنى على أنَّ الإشارة بـ«ذلك» إلى إرساله تعالى الرسل كما قال الحسن.

و«لتتلو» أي: لتقرأ عليهم الكتابَ المنزَّلَ عليك. وعلَّةُ الإرسال هي الإبلاغ للدِّين الذي أتى به الرَّسول ﷺ.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[٤] جملة حالية، أي: أرسلناك في أمةٍ رحمةً لها منّي وهم يكفرون[٥] بي، أي: وحال هؤلاء أنهم يكفرون «بالرحمن»: بالبليغ الرحمة.

والظاهر أنَّ الضمير في قوله: «وهم» عائدٌ على «أمَّة» المرسَلِ إليهم الرسولُ، أعاد على المعنى، إذ لو أعادَ على اللفظ لكان التركيب: وهي تكفر، والمعنى: أرسلناكَ إليهم وهم يَدِينُون دينَ الكفر، فهدى الله بك مَنْ أرادَ هدايتَه.

وقيل: يعود على الذين قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾. وقيل: يعود على «أمَّة»، وعلى «أُمم»، والمعنى: الإخبارُ بأنَّ الأُمَم السابقة المرسَلَ إليهم الرسل[٦] والأمَّةَ التي أُرْسِلْتَ إليها؛ جميعُهم جاءتهم الرُّسل وهم يَدِينون دينَ

---

(١) عبارة مطبوع البحر: بأن الله يضل من يشاء ويهدي بالآيات المقترحة فكذلك فعلنا... إلخ.

(٢) في (ز١) و(يه): مقترحة، وفي «المحرر الوجيز»: بآيات مقترحة.

(٣) الإملاء ٢/ ٦٤، وعبارته فيه: التقدير: الأمر كما أخبرناك.

(٤) في المطبوع: وهم يكفرون، أي وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن... إلخ. ولفظ «أي وحال هؤلاء أنهم يكفرون بالرحمن» سيرد بعد سطر، وروروده فيه هنا خطأ.

(٥) من قوله: بالرحمن جملة حالية... إلى هذا الموضع، سقط من (ح).

(٦) في المطبوع: السالفة أرسلتْ إليهم الرسل. وفي (أ): السابقة الرسل إليهم.

الكفر، فيكونُ في ذلك تسليةٌ للرسول ﷺ، إذْ أُمَّته مثلُ الأمم السالفة.

ونبَّه على الوصف المُوجب لإرسال الرسول، وهو الرحمةُ الموجبة لشكر الله تعالى على إنعامه عليهم ببِعثة الرَّسول والإيمان به.

«قُلْ هو» أي: الرحمنُ الذي كفرُوا به هو «ربِّي» الواحدُ المتعالي عن الشُّركاء «عليه تَوكَّلْتُ» في نُصرتي عليكم وجميع أموري، وإليه مرجعي[1] فيُثِيبُني[2] على مجاهدتكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

قال ابن عباس ومجاهد وغيرُهما: إنَّ الكفار قالوا للنبي ﷺ: سَيِّرْ جَبَلَيْ مكَّةَ، فقد ضيَّقا علينا، واجْعَل لنا أرضاً قِطَعاً غِراسةً[3]، وأَحْيِ لنا آباءَنا وأجدادَنا وفلاناً وفلاناً. فنزلَتْ مُعْلِمةً أنهم لا يؤمنون ولو كان ذلك كلُّه[4].

ولما ذكر تعالى علَّة إرساله ـ وهي تلاوتُهُ ما أوحاه إليه ـ ذكرَ تعظيم هذا المُوحَى، وأنَّه لو كان قرآنٌ[5] تُسَيَّرُ به الجبالُ عن مَقارِّها، أو تقطَّعُ به الأرض حتى تتزايلَ قِطَعاً قِطَعاً، أو تُكلَّمُ به الموتى فتسمعُ وتُجيبُ؛ لكان هذا القرآن؛ لكونه غايةً في التذكير ونهايةً في الإنذار والتخويف، كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية[6] [الحشر: ٢١]، فجوابُ «لو» محذوف، وهو ما قدَّرناه، وحذفُ

(١) يعني «وإليه مَتَابِ»: إليه مرجعي. قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٣: المتاب: المرجع كالمآب، لأن التوبة الرجوع.

(٢) في المطبوع: فيثبِّتني. وهو تحريف.

(٣) في (ح) والمطبوع: غراساً.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣. وينظر «تفسير» الطبري ١٣/ ٥٣٢-٥٣٣.

(٥) المثبت من (ز١)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: قرآناً، وهو خطأ.

(٦) الكشاف ٢/ ٣٦٠.

جواب «لو» لدلالة المعنى عليه جائز، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾[البقرة: ١٦٥]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[الأنعام: ٢٧].

وقال الشاعر:

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أتانا رَسُولُهُ ... سِواكَ ولكن لم نَجِدْ عنك مَدْفَعا[١]

وقيل: تقديره: لَمَا آمنوا به، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ﴾[الأنعام: ١١١] قاله الزَّجَّاج[٢].

وقال الفرَّاء: هو متعلّق بما قبلَه، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أنَّ قرآناً سيِّرت به الجبال، وما بينهما اعتراض[٣].

وعلى قول الفرَّاء يترتَّب جواب «لو»[٤] أن يكون: لَمَا آمنوا، لأنَّ قوله: «وهم يكفرون بالرحمن» ليس جواباً، وإنما هو دليلٌ على الجواب.

وقيل: معنى: «قُطِّعَتْ به الأرضُ»: شُقِّقَتْ فجُعلت أنهاراً وعيوناً.

ويترتَّب على أن يكون الجواب المحذوف: لَمَا آمنوا قولُه: «بل للهِ الأمرُ جميعاً» أي: الإيمانُ والكفرُ إنما يخلقُهما الله تعالى ويُرِيدُهما. وأمَّا على تقدير: لكانَ هذا القرآن، فيحتاج إلى ضميمة، وهو أن يُقَدَّر: لكان هذا القرآنُ الذي أوحينا إليك المطلوبُ فيه إيمانُهم وما تضمَّنَه من التكاليف، ثم قال: «بل للهِ الأمرُ جميعاً» أي: الإيمانُ والكفرُ بيد الله يخلُقُهما فيمن يشاء.

وقال الزَّمخشريّ[٥]: «بل للهِ الأمرُ جميعاً» على معنيين:

---

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في «ديوانه» ص٢٤٢، وفيه: أَجِدَّكَ، بدل: وجَدِّك. و: لك، بدل: عنك. وهو في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٦٣، و«تفسير» الطبري ١٥/ ٥٣٣، و«الصاحبي» لابن فارس ص٢٥١، و«الصناعتين» ص١٨٨، و«فقه اللغة» ص٣٠٧، وفيه وفي معاني الفراء وتفسير الطبري: فأُقسم، بدل: وجَدِّك. وفيها كلها: لك، بدل: عنك. وسلف عند تفسير الآية (١٦٥) من سورة البقرة.
(٢) معاني القرآن ٣/ ١٤٨، وينظر «الكشاف» ٢/ ٣٦٠.
(٣) بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٦٣. والكلام في «الكشاف» ٢/ ٣٦٠.
(٤) في النسخ الخطية: لولا. وهو خطأ.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٦٠. ولفظة «يعني» الآتية بين حاصرتين منه.

أحدُهما: بل للهِ القُدرةُ على كلِّ شيء، وهو قادرٌ على الآيات التي اقترحُوها، إلا أنَّ علمَه بأنَّ إظهارَها مفسدةٌ يصرفُه(١).

والثاني: بل للهِ أنْ يُلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الإلجاء لولا أنَّه بُنيَ أمرُ التكليف على الاختيار، ويعضدُه قولُه تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ﴾ [يعني] مشيئة الإلجاء والقَسْر ﴿لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

واليأس: القُنُوط من الشيء، وهو هنا في قول الأكثرين بمعنى العلم، كأنَّه قيل: أفلم يعلم الذين آمنوا. قال القاسم بنُ معن(٢): هي لغة هوازن. وقال ابنُ الكلبيّ: هي لغة حيٍّ من النَّخَع، وأنشدوا على ذلك لسُحَيْم بن وَثِيل الرِّياحي:

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذْ يَيْسِرُونَني ... ألَمْ تَيْأَسُوا أنِّي ابنُ فارسِ زَهْدَمِ(٣)

وقال رَبَاح بنُ عَدِيّ:

أَلَمْ يَيْأَسِ الأقوامُ أنِّي أنا ابنُهُ ... وإنْ كنتُ عن أرْضِ العَشِيرةِ نائياً(٤)

وقال آخر:

حتى إذا يَئِسَ الرُّماةُ وأَرْسَلُوا ... غُضْفاً دَواجِنَ قافلاً أَعْصَامُها(٥)

(١) في (أ): تصرفه، ولم ترد هذه اللفظة في (ح) والمطبوع.

(٢) القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ﷺ ثقة نحوي كبير الشأن، من أكبر تلامذة الإمام أبي حنيفة، وأخذ عنه العربية ابنُ الأعرابي، وولاه المهدي قضاء الكوفة. توفي سنة (١٧٥). سير أعلام النبلاء ٨/ ١٩٠.

(٣) البيت في: مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٣٢، وتفسير الطبري ١٣/ ٥٣٥، والمحتسب ١/ ٣٥٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٧٣. وقال: ييسرونني، من المَيْسر. اهـ يعني إذ يقتسمونني. وجاء عند أبي عبيدة والطبري وابن جني: يأسرونني.

(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٥٣٦، والنكت والعيون ٣/ ١١٣، والمحتسب ١/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ٧٣.

(٥) البيت للبيد بن ربيعة، وهو في «ديوانه» ص١٧٤، و«تفسير» الطبري ١٣/ ٥٣٦. قوله: غُضْفاً، أي: كلاباً مسترخية الآذان، واحدُها: أغضف. ودواجن، أي: معوَّدة للصيد، وقافل: يابس، وأعصامها: قلائدها. ينظر «القاموس» (غضف) وشرح ديوان لبيد ص٣١١.

أي: حتى إذا علموا أنْ ليس وَجْهٌ إلا الذي رأوا[١].

وأنكر الفرَّاء[٢] أن يكون «يَئِسَ» بمعنى «عَلِمَ»، وزعمَ أنه لم يسمع أحداً من العرب يقول: يئستُ، بمعنى: علمتُ. انتهى. وقد حفظَ ذلك غيرُه. هذا القاسمُ بنُ مَعْن من ثقات الكوفيين وأجلاَّئهم نَقلَ أنها لغةُ هوازن، وابنُ الكَلبيِّ نقلَ أنها لغةٌ لحيٍّ من النَّخَع، ومَنْ حفظَ حجَّةٌ على مَنْ لم يحفظ.

وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمُّنه معناه؛ لأنَّ اليائس من الشيء عالمٌ بأنه لا يكون، كما استُعمل الرجاءُ في معنى الخوف، والنسيانُ في معنى التَّرك[٣].

وحملَ جماعة هنا اليأسَ على المعروف فيه في اللغة، وهو القُنُوط من الشيء، وتأوَّلوا ذلك، فقال الكسائيّ: المعنى: أفلم يَيْأَس الذين آمنوا من إيمان الكفَّار من قريش المعانِدين للهِ ورسولِه؟ وذلك أنهم لما سألوا هذه الآياتِ اشْرَأَبَّ[٤] المؤمنون إليها وأحَبُّوا نزولَها ليؤمنَ هؤلاء الذين عَلِمَ الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون، فقال: أفلم يَيْأَسِ الذين آمنوا من إيمانهم؟

وقال الفرَّاء: أَوْقَعَ اللهُ للمؤمنين أنْ لو يشاءُ هدى الناسَ جميعاً، فقال: أفلم يَيْأَسُوا عِلْماً؟ يقول: أيْأَسَهُم العلمُ مضمراً[٥]، كما تقول في الكلام: يئستُ منك أن لا تُفلح، كأنه قال: عَلِمَه علماً[٦]. قال: فيئستُ بمعنى علمتُ؛ وإن لم يكن قد

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: وارا. والكلام في «تفسير» الطبري ١٣/ ٥٣٧ ، وفيه بعده: وانتهى علمهم فكان ما سواه يأساً. وهو أيضاً في «تفسير» الثعلبي ٣/ ٤٤٥ . وعبارة معاني الفراء ٢/ ٦٤ : هو معنى: حتى إذا علموا أن ليس وجه إلا الذي رأوا أرسلوا، كان ما وراءه يأساً.

(٢) معاني القرآن له ٢/ ٦٣ .

(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٠ .

(٤) في المطبوع: اشتاق.

(٥) عبارة الفرَّاء: أفلم ييأسوا علماً، يقول: يُؤْيِسُهُم العلم، فكان فيهم العلم مضمراً.... إلخ. ونقل كلامه الطبري ١٣/ ٥٣٦ ، وابن منظور في «اللسان» (يئس) ولم يسمِّياه، وعندهما: فكان فيه العلم مضمراً... إلخ. ووقع في مطبوع البحر في هذا الموضع وقبله وبعده سقط وتحريف لم أُشر إليه لئلا تطولَ الحواشي بما لا فائدة فيه.

(٦) في المطبوع والمصادر الأخرى المذكورة: علمته علماً.

سُمع، فإنه يتوجَّه إلى ذلك بالتأويل[١].

وقال أبو العبَّاس[٢]: أفلم يَيْأَسُوا بعلمهم أنْ لا هدايةَ إلا بالمشيئة؟ وإيضاحُ هذا المعنى بتنقيح حظِّ[٣] الإعراب أن يكون «أنْ لَوْ يشاءُ الله» متعلِّقاً بـ «آمنوا» أي: أفلم يَقْنَطْ عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم إلى الإيمان أو الجنة؟

وقال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أن يكونَ اليأسُ في هذه الآية على بابه، وذلك أنه لمَّا أبعدَ إيمانَهم في قوله: «ولو أنَّ قرآناً» الآية على التأويلَيْن في المحذوف المقدَّر، قال في هذه: أفلم يَيْأَس المؤمنون من إيمان هؤلاء الكفرة علماً منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً؟[٤]. انتهى. وهذا قول الفرَّاء الذي ذكرناه.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يتعلَّق «أن لو يشاء» بـ«آمنوا» على: أوَلَمْ يَقْنَطْ عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأنْ لو يشاءُ اللهُ لهَدَى الناسَ جميعاً ولهداهم[٥]. انتهى. وهذا قول أبي العباس.

ويحتمل عندي وجهٌ آخرُ غير ما ذكروه، وهو أنَّ الكلام تامٌّ عند قوله: «أفلم ييأسِ الذين آمنوا»، وهو تقرير، أي: قد يئسَ المؤمنون من إيمان هؤلاء المعاندين، و«أنْ لَوْ يشاء» جواب قسم محذوف، أي: وأُقْسِمُ لَوْ يشاءُ اللهُ[٦] لهدى الناسَ جميعاً. ويدلُّ على إضمار هذا القَسَم وجود «أنْ» مع «لَوْ» كقول الشاعر:

أَمَا واللهِ أنْ لَوْ كنتُ حُرًّا ... وما بالحُرِّ أنتَ ولا القَمِينِ[٧]

---

(١) الكلام بنحوه في «معاني» الفراء ٢/ ٦٣ ، وليس بلفظه.
(٢) هو المبرّد، كما في «الدرّ اللقيط» بحاشية مطبوع البحر ٥/ ٣٩٢ . ولم أقف على قوله.
(٣) في (ح): يتنقح بحظ. ولم يرد قوله: بتنقيح حظ الإعراب، في المطبوع.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣ . ومن قوله: من إيمان هؤلاء الكفرة... إلخ، لم يرد في مطبوع البحر، ووقع فيه أيضاً: «على التأويل»، بدل: «على التأويلين».
(٥) الكشاف ٢/ ٣٦١ . وفيه: وهداهم، بدل: ولهداهم، ولم ترد هذه اللفظة في مطبوع البحر.
(٦) في المطبوع: وأقسموا لو شاء الله.
(٧) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٤ ، وللنحاس ٢/ ٣٢٧ (كلاهما عند تفسير الآية ١٢ من يوسف)، والزاهر ٢/ ١٧٨ ، والإنصاف ١/ ٢٠٠ ، وهمع الهوامع ٢/ ٤٨٤ . وفي جميعها:

وقول الآخر:

فـأُقْـسِـمُ أنْ لَـوِ الْـتَـقَـيْـنَـا وأنـتُـمُ ... لـكـانَ لـنـا يـومٌ مـن الـشَّـرِّ مُـظْـلِـمُ(١)

وقد ذكر سيبويه أنَّ «أنْ» تأتي بعد القسم، وجعلَها ابنُ عُصفور رابطةً للقَسَم بالجملة المُقْسَمِ عليها(٢).

وأمَّا على تأويل الجمهور فـ «أنْ» عندهم هي المخفَّفة من الثقيلة، أي أنَّه لو يشاءُ الله.

وقرأ عليٌّ وابنُ عبَّاس؛ قال الزمخشريُّ: وجماعةٌ من الصحابة والتابعين، وقال غيرُه: وعكرمةُ وابنُ أبي مُليكة والجَحْدريُّ وعليُّ بن الحسين وابنُه زيد وجعفر بن محمد(٣) وأبو يزيد المدنيّ(٤) وعليُّ بن بَذِيمة وعبدُ الله بن يزيد: «أفلم يتبيَّن»(٥)، من: تَبَيَّنْتُ كذا: إذا عَرَفْتَه. وتدلُّ هذه القراءةُ على أنَّ معنى: «أفلم يَيْأَس» هنا معنى: أفلم يعلم، كما تظافرت النقول أنها لغةٌ لبعض العرب، وهذه القراءة ليست قراءة تفسير لقوله: «أفلم ييأس» كما يدلُّ عليه ظاهر كلام الزَّمخشريّ، بل هي قراءةٌ مسنَدةٌ إلى رسول الله ﷺ، وليست مخالِفةً للسَّواد، إذْ كتبوا «ييئس» بغير صورة الهمزة، وهذه كقراءة: «فتَبَيَّنُوا» و«فَتَثَبَّتُوا» [النساء: ٩٤، والحجرات: ٦] وكلتاهما في السبعة.

= ولا العتيق. وهو الشاهد (٢٧٥) في «خزانة الأدب» ٤/ ١٤٠ برواية أخرى، وأورد في شرحه أيضاً رواية الآخرين.

(١) البيت للمسيَّب بن عَلَس، وهو في «الكتاب» ٣/ ١٠٧ ، و«شرح المفصَّل» ٩/ ٩٤ ، وهو الشاهد (٨١٦) في «خزانة الأدب» ١٠/ ٨٠، وفي هذه المصادر: لكان لكم يوم، وهو الصواب. فلعل لفظة «لنا» سهو من النُّسَّاخ.

(٢) كلام سيبويه في الكتاب ٣/ ١٠٧، وينظر كلام ابن عصفور في المقرَّب ص٢٠٤-٢٠٥ ، والمغني ص٥٠-٥١ .

(٣) قوله: وجعفر بن محمد، من (ز١) و(يه).

(٤) هو سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان. ووقع في مطبوع البحر: أبو زيد المزني، وهو خطأ.

(٥) ينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٥٣٧ ، والمحتسب ١/ ٣٥٧ ، والقراءات الشاذة ص٦٧ ، والكشاف ٢/ ٣٦٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٣ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٧٣ .

وأمَّا قولُ مَنْ قالَ: إنَّما كتَبَهُ الكاتب وهو ناعس، فسوَّى أسنان السِّين؛ فقول زنديقٍ مُلحد[١].

وقال الزَّمخشريّ[٢]: وهذا ونحوُه ممَّا لا يُصَدَّقُ في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، وكيفَ يَخْفَى مثلُ هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفَّتي الإمام، وكان متقلِّباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المُهَيْمنين عليه لا يغفُلون عن جلائله ودقائقه؛ خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء؟! هذه واللهِ فِرْيَة ما فيها مِرْيَة! انتهى.

وقال الفرَّاء: لا يُتْلَى إلا كما أُنزل: «أَفَلَمْ يَيْأَس»[٣]. انتهى.

والكفّارُ: عامٌّ في جميع الكفَّار، وهذا الأمرُ مستمرٌّ فيهم إلى يوم القيامة. قاله الحسنُ وابنُ السَّائب[٤]، وهو ظاهر اللفظ.

وقال ابن عطية[٥]: كفَّارُ قريش والعربُ؛ لا تزالُ تصيبُهم قوارعُ من سرايا رسولِ الله ﷺ وغزواتِه.

وقال مقاتل والزمخشريّ: كفار مكة[٦]. قال الزَّمخشريّ: «تُصيبُهم بما صنعوا» من كفرهم وسوءِ أعمالهم «قارعةٌ»: داهيةٌ تَقْرَعُهم بما يُحِلُّ اللهُ بهم في كلِّ وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم، «أو تَحُلُّ» القارعةُ «قريباً» منهم، فيفزعُون، ويضطربون، ويتطايرُ إليهم شَرَرُها، وتتعدَّى إليهم شرورُها «حتى يأتِيَ وَعْدُ الله» وهو موتُهم، أو القيامة. انتهى.

وقال الحسن: حالُ الكَفَرَة هكذا هو أبداً. ووَعْدُ الله: قيامُ الساعة[٧].

(١) القول الذي ذكره المصنف منقولٌ عن ابن عباس، أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٥٣٧، وقد ردَّه ابنُ الأنباري فيما نقلَه عنه القرطبي في التفسير ١٢/ ٧٣.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٦٠-٣٦١.
(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٤٤.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٦١، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢.
(٧) النكت والعيون ٣/ ١١٣، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣.

والظاهر أنَّ الضمير في «تَحُلُّ» عائد على «قارعة». قاله الحسن[١].

وقالت فرقة: التاء للخطاب، والضميرُ للرسول ﷺ، أي[٢]: أو تَحُلُّ أنتَ يا محمد قريباً من دارهم بجيشك. كما حلَّ بالحديبية. وعزاه الطبريُّ إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة[٣]. وقاله عكرمة. ويكون «وعد الله» فتح مكة، وكان اللهُ قد وعدَه ذلك. وقاله ابن عباس ومقاتل[٤].

وقرأ مجاهد وابنُ جُبير: «أو يَحُلُّ» بالياء على الغَيْبة[٥]، واحتملَ أن يكون عائداً على معنى القارعة، رَاعَى فيه التذكير، لأنَّها بمعنى البلاء، أو تكون الهاء في «قارعة» للمبالغة، فذكَّر، واحتمل أن يكون عائداً على الرسول ﷺ، أي: أو يَحُلُّ الرسولُ قريباً. وقرأا أيضاً: «من ديارهم» على الجمع[٦].

وقال ابن عباس: «القارعة»: العذاب من السماء. وقال عكرمة: السَّرَايا والطلائع[٧].

وفي قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ الآية تسليةٌ للرسول عليه الصلاة والسلام، وأنَّ حالَك حالُ مَنْ تقدَّمك من الرّسل، وأنَّ المستهزئين نُملي لهم، أي: يُمهَلُون ثم يُؤخَذون، وتنبيهٌ على أنَّ حالَ مَن استهزأ بك ـ وإن أُمهل ـ حالُ أولئك في أَخْذِهم، ووعيدٌ لهم.

وفي قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ استفهامٌ معناه التعجُّب ممَّا حَلَّ بهم والتقريرُ، وفي ضمنه وعيدُ معاصري الرسول ﷺ من الكفار.

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ١١٣، وزاد المسير ٤/ ٣٣٢ .
(٢) لفظة «أي» من (ز١) و(يه).
(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٥٤٠-٥٤٣ . وينظر «الكشاف» ٢/ ٣٦١ و«المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٣ معاً. فالكلام يكمِّل بعضه منهما.
(٤) زاد المسير ٤/ ٣٣٢ . وفي مطبوع البحر: مجاهد، بدل: مقاتل.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٣ .
(٦) المصدر السابق. والقراءات الشاذة ص٦٧ عن مجاهد.
(٧) زاد المسير٤/ ٣٣٢ . وجاء في «تفسير» الثعلبي ٣/ ٤٤٥ عن ابن عباس أنه أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله ﷺ يبعثهم إليها.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾.

«مَنْ» موصولة، صلتُها ما بعدَها، وهي مبتدأ، والخبر محذوف، تقديرُه: كمن ليس[1] كذلك من شركائهم التي لا تضرُّ ولا تنفع؟ كما حُذف من قوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[الزمر: ٢٢] تقديرُه: كالقاسي قلبُه الذي هو في ظُلْمة؟ ودلَّ عليه قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ كما دلَّ على القاسي قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾. ويُحسِّنُ حذفَ هذا الخبر كونُ المبتدأ يكون مقابله الخبر المحذوف، وقد جاء مثبتاً كثيراً[2]، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾[النحل: ١٧]، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ ثم قال: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[الرعد: ١٩].

والظاهر أن قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ استئنافُ إخبار عن سوء صنيعهم وكونهم أشركوا مع الله مالا يصلح للألوهية، نعى عليهم هذا الفعل القبيح، هذا والبارئ تعالى هو المحيطُ بأحوال النفوس جَلِيِّها وخَفِيِّها، ونبَّه على بعض حالاتها، وهو الكَسْب، ليتفكَّر الإنسان فيما يكسِب من خير وشرّ، وما يترتَّب على الكَسْب من الجزاء، وعبَّر بـ «قائم» عن الإحاطة والمراقبة التي لا يغفُل عنها.

وقال الزمخشري[3]: ويجوز أن يقدَّر ما يقع خبراً للمبتدأ ويُعطفَ عليه: «وجعلُوا». وتمثيلُه: أفَمَنْ هو بهذه الصفة لم يوحِّدُوه، وجعلُوا له ـ وهو الله الذي يستحقُّ العبادة وحدَه ـ شركاء؟ انتهى.

وفي هذا التوجيه إقامةُ الظاهر مُقام المضمر في قوله: «وجعلُوا لله» أي: وجعلُوا له. وفيه حَذْفُ الخبر غير[4] المقابل، وأكثرُ ما جاء هذا الخبرُ مقابلاً.

---

(١) تحرفت لفظة «ليس» في المطبوع إلى: ييئس.
(٢) لم ترد لفظة «كثيراً» في (ز١) و(يه).
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦١.
(٤) المثبت من (ز١)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: عن.

وفي «تفسير» أبي عبد الله الرازي: قال السديد[١] صاحب « حَلّ العُقَد»: الواو في قوله تعالى: «وجعلوا» واو الحال، والتقدير: أفمن هو قائمٌ على كلِّ نفس بما كسبت موجود والحال أنهم جعلوا له شركاء؟ ثم أُقيم الظاهر ـ وهو «للهِ» ـ مُقام المضمر تقريراً لألوهيته وتصريحاً بها، كما تقول: معطي الناسِ ومغنيهم موجودٌ ويُحْرَمُ مِثْلي[٢]؟ انتهى.

وقال ابن عطية[٣]: أفَمَنْ هو قائم على كل نفس بما كسبت أحقُّ بالعبادة أم الجمادات التي لا تضرُّ ولا تنفع؟ هذا تأويل. ويظهرُ أنَّ القول مرتبط بقوله: «وجعلوا لله شركاء» كأنَّ المعنى: أفَمَنْ له القدرة والوحدانية ويُجعلُ له شريك أهلٌ أنْ ينتقمَ ويُعاقِبَ أم لا؟

وأبعدَ مَن ذهبَ إلى أنَّ قولَه: «أفَمَنْ هو قائمٌ» المرادُ به الملائكةُ الموكَّلون ببني آدم. حكاه القرطبي عن الضحَّاك[٤]. والخبر أيضاً محذوف تقديره: كغيره من المخلوقين.

وأبعدَ أيضاً مَنْ ذهبَ إلى أنَّ قوله: «وجعلُوا» معطوفاً على «استُهزئ» أي: استهزؤوا وجعلوا[٥].

ثم أمرَه تعالى أن يقول لهم: «سَمُّوهُم» أي: أُذْكُرُوهم بأسمائهم. والمعنى أنهم ليسوا ممَّن يُذكر ويُسَمَّى، إنما يُذكر ويُسمَّى مَنْ هو ينفع ويَضرّ. وهذا مثلُ من يذكرُ لك أنَّ شخصاً يوقَّر ويعظَّم وهو عندك لا يستحقُّ ذلك، فتقول لذاكره: سَمِّه حتى أُبيِّن لك زَيْفَه، وأنه ليس كما تذكر.

وقريبٌ من هذا قولُ من قال[٦] في قوله «قُلْ سَمُّوهُم»: إنما يقالُ ذلك في

(١) كذا في (أ) و(ح) و(ز١)، وفي (يه) والمطبوع: الشديد. وفي «تفسير» الرازي ١٩/٥٦ : السيد صاحب «حلّ العقد». ولم أعرفه.
(٢) عبارة «تفسير» الرازي: جواد يعطي الناس ويغنيهم موجود...إلخ. وعبارة الآلوسي ١٣/ ١٦٣ (ونقله بمعناه): أجَواد يعطي... إلخ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٤ .
(٤) تفسير القرطبي ١٣/ ٧٧ . وهو في «النكت والعيون» ٣/ ١١٤ .
(٥) ذكره القرطبي أيضاً.
(٦) هو الرازي، والكلام في «تفسيره» ١٩/٥٦ .

الشيء المستحقر الذي يبلغُ في الحقارة إلى أنْ لا يُذكرَ ولا يُوضعَ له اسمٌ، فعند ذلك يقال له: سَمِّهِ إنْ شئتَ. أي: هو أخَسُّ من أن يُذكر ويُسمَّى، ولكن إنْ شئتَ أنْ تضعَ له اسماً فافْعَلْ، فكأنَّه قال: سمُّوهم بالآلهة، على جهة التهديد. والمعنى: سواءٌ أسمَّيْتُموهم بهذا الاسم أم لم تُسمُّوهم به، فإنها في الحقارة بحيث لا يستحقُّ أن يلتفتَ العاقلُ إليها.

وقيل: سَمُّوهم بما خَلَقُوا وصنعُوا[1] وأماتُوا وأحْيَوْا لتصحَّ الشركة. وقيل: طالِبوهُم بحجَّةٍ على أنها آلهة. وقيل: صِفُوهُم وانظروا: هل يستحقون الإلهية؟

وقال الزمخشريّ: جعلتُم له شركاء، فسمُّوهُم له مَنْ هم؟ ونَبِّئوه[2] بأسمائهم.

وقيل: هذا تهديد، كما تقول لمن تهدِّدُه على شُرب الخمر: سَمِّ الخمرَ بعد هذا.

و«أمْ» في قوله: «أمْ تُنَبِّئُونَهُ» منقطعة، وهو استفهام توبيخ؛ قال الزمخشري[3]: بل أتُنبِّئونه بشركاءَ لا يعلمُهم في الأرض وهو العالمُ بما في السماوات والأرض، فإذا لم يعلَمْهُم عُلِمَ أنهم ليسوا بشيء يتعلَّق به العلم. والمرادُ نفيُ أن يكون له شركاءُ، ونحوُه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨]. انتهى. فجعل الفاعلَ في قوله: «بما لا يعلم» عائداً على الله، والعائدُ على «ما» محذوف، أي: بما لا يعلمُه الله. وكنَّا قد خرَّجنا تلك الآية على أنَّ[4] الفاعل في قوله: «بما لا يعلم» عائد على «ما». وقَرَّرْنا ذلك هناك، وهو يتقرَّر هنا أيضاً، أي: أتنبِّئُونَ اللهَ بشَرِكة الأصنام التي لا تتَّصف بعلم البتَّة، وذكرَ نفيَ العلم في الأرض إذِ الأرضُ هي مقرُّ تلك الأصنام، فإذا انتفَى علمُها في المَقرّ التي هي فيه؛ فانتفاؤه في السماوات أحرى.

وقرأ الحسن: «تُنْبِئُونَهُ» من: أَنْبَأَ[5].

---

(١) في المطبوع: إذا صنعوا، بدل: بما خلقوا وصنعوا.
(٢) في المطبوع: وبينوهم. والكلام في «الكشاف» ٢/ ٣٦١ .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦١ .
(٤) لفظة «أنَّ» سقطت من (ح) و(يه) والمطبوع.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٦٢ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٤ .

وقيل: المرادُ: أتقدرُون على أن تُعلموه بأمرٍ تَعلمونه أنتم وهو لا يعلمُه؟!

وخصَّ الأرضَ بنفي الشريك ـ وإنْ لم يكن له شريك البتة ـ لأنَّهم ادَّعَوْا أنَّ لله شركاءَ في الأرض لا في غيرها.

والظاهر في «أَمْ» من قوله: «أمْ بظاهرٍ» أنَّها منقطعة أيضاً، أي: بل أتُسَمُّونَهُم شركاء بظاهرٍ من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة، أي: إنكم تنطقون بتلك الأسماء وتسمُّونها آلهة ولا حقيقةَ لها، إذْ أنتم تعلمون أنَّها لا تتَّصف بشيء من أوصاف الإله، كقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾[يوسف: ٤٠].

وقال مجاهد: ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: بظنٍّ من القول[١].

وقال أبو علي: أم بظاهر من القول تحتجُّون[٢]. وقال الضحَّاك: بكذبٍ من القول[٣]. وقال قتادة: بباطل من القول لا باطن له من الحقيقة، ومنه قولُ الشاعر:

أَعَيَّرْتَنَا أَلْبَانَهَا وَلُحُومَهَا وذلك عارٌ يا ابنَ رَيْطَةَ ظَاهِرُ[٤]

أي: باطل.

وقيل: «أَمْ» متصلة، والتقدير: أم تُنَبِّئُون بظاهرٍ من القول لا حقيقة له؛ كقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾[التوبة: ٣٠].

ثم قال بعد هذه الحِجاج على وجه التحقير لما هم عليه: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ﴾.

وقال الواحدي: لمَّا ذكرَ الدلائلَ على فساد قولهم؛ قال: دَعْ ذلك الدليل؛ لأنهم لا ينتفعون به لأنه زُيِّنَ لهم مكرُهم.

---

(١) ينظر «تفسير» الطبري ٥/٥٤٩، و«النكت والعيون» ٣/ ١١٥ ، و«زاد المسير» ٤/ ٣٣٣ .

(٢) لم أقف عليه. وجاء في «النكت والعيون» ٣/ ١١٥ تأويل من جملة التأويلات دون نسبة ولفظُه: أتخبرونه بذلك مشاهدين أم تقولون محتجّين؟

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٥٤٩ ، والنكت والعيون ٣/ ١١٥ . ومن قوله: أي بظن من القول... إلى هذا الموضع، سقط من المطبوع.

(٤) البيت لسَبْرَة بن عمرو الفَقْعَسيّ يخاطبُ ضَمْرَةَ النَّهْشَلي وقد عيَّره كثرة إبله كما ذكر المرزوقي في «شرح ديوان الحماسة» ١/ ٢٣٨ ، وهو في «النكت والعيون» ٣/ ١١٤، وقول قتادة السالف فيه. وينظر «خزانة الأدب» ٩/ ٥٠٤ .

وقرأ مجاهد: «بل زَيَّنَ» على البناء للفاعل «مكرَهم» بالنصب[(١)]. والجمهورُ: «زُيِّنَ» على البناء للمفعول «مكرُهم» بالرفع، أي: كيدُهم للإسلام بشِرْكهم، وما قصدُوا بأقوالهم وأفعالهم من مناقضة الشرع.

وقرأ الكوفيون: «وصُدُّوا» هنا وفي «المؤمن» [٣٧]: «وصُدَّ» بضمّ الصاد مبنيًّا للمفعول، فالفعل متعدٍّ. وقرأ باقي السبعة بفتحها[(٢)]، فاحتمل التعدّي واللزوم، أي: صَدُّوا أنفسَهم أو غيرَهم، أو صدُّوا: أعرضوا هم أنفسُهم[(٣)].

وقرأ ابنُ وثَّاب: «وصِدُّوا» بكسر الصاد[(٤)]، وهي كقراءة: «رِدَّتْ إلينا» بكسر الراء[(٥)].

وفي «اللوامح»: الكسائيّ لابن يعمر[(٦)]: «وصِدُّوا» بالكسر لغة في الضم، أجراه مُجرى الجوف[(٧)] نحو: قِيل، فأمّا في «المؤمن»[٣٧] فبالكسر لابن وثَّاب. انتهى.

وقرأ ابن أبي إسحاق: «وصَدٌّ» بالتنوين[(٨)]، عطفاً على: «مكرُهم».

قال الزمخشري[(٩)]: «ومَنْ يُضْلِلِ الله»: ومَنْ يخذُلْه؛ لعلمِه[(١٠)] أنه لا يهتدي «فما له من هادٍ»: فما له من أحدٍ يقدِرُ على هدايته. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٤ . ونسبها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» ص٦٧ لابن عباس.
(٢) السبعة ص٣٥٩ ، والتيسير ص١٣٣ . والكوفيون من السبعة هم: عاصم وحمزة والكسائي.
(٣) قوله: «أو صدُّوا: أعرضوا هم أنفسُهم» من (ز١) و(يه).
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٥٨، والقراءات الشاذة ص٦٧ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٤ .
(٥) المحتسب ١/ ٣٤٥ . واللفظة من الآية (٦٥) من سورة يوسف.
(٦) هو يحيى، يقال: هو أول من نَقَطَ المصاحف.
(٧) في (ح): الحرف، وفي مطبوع البحر: أجراه بحرف الجر. وهو تحريف. وعبارة «روح المعاني» ١٣/ ١٦٧ : مجرى الأجوف. وهي أنسب. وقال السمين الحلبي في «الدّرّ المصون» ٧/ ٥٨ : أجراه مجرى قيل وبيع.
(٨) القراءات الشاذة ص٦٧ ، والكشاف ٢/ ٣٦٢ .
(٩) الكشاف ٢/ ٣٦٢ .
(١٠) في المطبوع: يعلمه. وهو تحريف.

والعذابُ في الدنيا هو ما يُصيبهم بسبب كفرهم من القتل والأسر، والنَّهب والذِّلة، والجُدوب[1]، والبلايا في أجسامهم، وغير ذلك مما يُمتحنُ به الكافر، وكان عذابُ الآخرة أشقَّ على النفوس[2]؛ لأنَّه إحراقٌ بالنار دائماً ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[النساء: ٥٦].

و«مِن واقٍ»: من ساتر يحفظُهم عن العذاب ويحميهم.

ولما ذَكرَ ما أعدَّ للكفار في الآخرة، ذكرَ ما أعدَّ للمؤمنين، فقال:

[﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾].

«مَثَلُ الجنَّة» أي: صفتُها التي هي في غَرابة المَثَل. وارتفع «مَثَلُ» على الابتداء في مذهب سيبويه، والخبر محذوف، أي: فيما قصَصْنا[3] عليكم مَثَلُ الجنَّة، و«تجري من تحتها الأنهار» تفسيرٌ لذلك المَثَل، وتقول: مثَّلتُ الشيء: إذا وصفتَه وقرَّبتَه للفَهم، وليس هنا ضرب مَثَلٍ لها، فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[الروم: ٢٧] أي: الصِّفةُ العليا. وأنكر أبو عليّ أن يكون «مَثَل» بمعنى صفة؛ قال: و إنما معناه الشَّبَه[4].

وقال الفرَّاء: أي: صفتُها أنَّها تجري من تحتها الأنهار، ونحو هذا موجود في كلام العرب. انتهى[5]. ولا يمكن حذف «أنها» وإنما فَسَّرَ المعنى، ولم يذكر الإعراب.

وتأوَّل قومٌ على الفرَّاء أنَّ[6] «مَثَلُ» مُقْحَم، وأنَّ التقدير: الجنَّةُ التي وُعد المتقون تجري[7]. وإقحامُ الأسماء لا يجوز.

---

(١) في المطبوع: والحروب. وهو تحريف.
(٢) في (ح): أشقّ عليه.
(٣) في «الكشاف» ٢/ ٣٦٢ (والكلام فيه): قصصناه.
(٤) تحرفت اللفظة في المطبوع إلى: التنبيه.
(٥) بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٦٥ . ونقله المصنف عنه بواسطة «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٥. وقوله: ونحو هذا موجود...إلخ. هو من كلام ابن عطية.
(٦) تحرف لفظ «الفراء أن» في المطبوع إلى: القرآن!
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ٨١ . وبنحوه في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ٣٩٨.

وحكَوْا عن الفرَّاء أنَّ العرب تُقحم كثيراً المَثَل والمِثْل. وخرَّج على ذلك: «ليس كمثله شيء» [الشورى: ١١] أي: ليس كهو شيء[1].

وقال غيرهما: الخبرُ «تجري»، كما تقول: صفةُ زيد أسمر[2]. وهذا أيضاً لا يصحُّ أن يكون «تجري» خبراً عن الصفة، ولا أسمر خبراً عن الصفة[3]، وإنما يُتأول «تجري» على إسقاط «أنْ» ورفعِ الفعل، والتقدير: أن تجري، أي: جَرَيانُ[4] الأنهار.

وقال الزَّجَّاج: معناه: مَثَلُ الجنَّة جنةٌ تجري، على حذف الموصوف؛ تمثيلاً لما غاب عنَّا بما نشاهد. انتهى[5]. وقال أبو عليّ: لا يصحُّ ما قال الزَّجَّاج لا على معنى الصِّفة، ولا على معنى الشَّبَه، لأنَّ الجَنَّةَ التي قدَّرها جُثَّة، ولا تكون الصفة، ولأنَّ الشَّبَهَ عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين، وهو حَدَث، والجنَّةُ جُثَّة، فلا تكون المماثلة.

وقرأ عليٌّ وابنُ مسعود: «مثال[6] الجنة» على الجمع، أي: صفاتُها، وفي «اللوامح» عن السُّلَميّ: «أمثال الجنة»[7] جمع، ومعناه: صفاتُ الجنة. وذلك لأنها صفات مختلفة، فلذلك جمع نحو: الحُلُوم والأشغال.

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٨١.
(٢) ينظر «الكشاف» ٢/ ٣٦٢، و«الإملاء» ٢/ ٦٥.
(٣) قوله: ولا أسمر خبراً عن الصفة، من (ز١) و(يه).
(٤) في المطبوع: خبر ثان. بدل: أي جريان!
(٥) بنحوه في «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ١٥٠. ونقله المصنف عنه بواسطة «الكشاف» ٢/ ٣٦٢.
(٦) كذا وقع. والظاهر أنها محرَّفة عن «أمثال»، لقوله بعده: على الجمع أي: صفاتها. وجاء الكلام في «روح المعاني» ١٣/ ١٧٢-١٧٣ دون قوله: «على الجمع أي: صفاتها». وقد رُويَ عن علي ﷺ في هذه اللفظة روايتان: «مثال الجنة» و«أمثال الجنة». ففي «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٥ و«الدر المصون» ٧/ ٦٠ عن علي وابن مسعود: «أمثال الجنة»، وفي «تفسير» القرطبي ١٣/ ٢٥٩ عن علي: «مثال الجنة». وهذه القراءة: «مثال الجنة» ذكرها ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٥/ ١١٤ عن علي في الآية (١٥) من سورة محمد ﷺ، وذكر عند هذه الآية أيضاً عن علي وابن عباس: «أمثال الجنة». وفي «الكشاف» عن علي: «أمثال الجنة» في الموضعين. وينظر التعليق التالي.
(٧) ذكرها الفراء في «معاني القرآن» ٢/ ٦٥ عن السُّلَمي ـ وهو أبو عبد الرحمن ـ عن علي. وذكرها أيضاً ٣/ ٦٠ في آية سورة محمد ﷺ عن أبي صالح عن ابن عباس، ثم قال: وكذلك قرأها علي ﷺ.

والأُكُل: ما يؤكل فيها، ومعنى دوامه أنه لا ينقطع أبداً، كما قال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[الواقعة: ٣٣].

وقال إبراهيم التَّيْميّ: أي: لذَّته دائمة، لا تُزاد بجوع، ولا تُملُّ من شِبَع.

و«ظِلُّها»: أي: دائمُ البقاء والراحة، لا تنسخُه شمس، ولا يُمَلُ[١] لبرد كما في الدُّنيا.

«تلك» أي: تلك الجنةُ عاقبة الذين اتَّقَوا الشِّرك[٢].

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ .

نزلت في مؤمني أهل الكتابَيْن ذكره الماورديّ[٣]. واختاره الزمخشريّ[٤]، فقال: من أسلم من اليهود كعبد الله بنِ سَلَام وكعب وأصحابِهما، ومَنْ أسلمَ من النصارَى، وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنَجْران، وثمانيةٌ من اليمن[٥]، واثنان وثلاثون بأرض[٦] الحبشة.

«ومن الأحزاب»: يعني: ومن أحزابهم ـ وهم كَفَرَتُهم الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة، نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيِّد والعاقب أُسْقُفَيْ نَجْرَانَ وأشياعِهما ـ «مَنْ يُنكِرُ بعضَه» لأنهم كانوا لا يُنكرون الأقاصيصَ وبعضَ الأحكام والمعانيَ ممَّا هو ثابتٌ في كتبهم غيرُ محرَّف، وكانوا يُنكرون ما هو نعتُ الإسلام ونعتُ رسول الله ﷺ، وغير ذلك مما حرَّفوه وبدَّلوه. انتهى.

وعن ابن عبَّاس وابن زيد: في مؤمني اليهود، كعبد الله بن سَلَام وأصحابه.

---

(١) في المطبوع: يميل.
(٢) في المطبوع: اتقوا أي اجتنبوا الشرك.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١١٦ . وجاء هذا القول فيه ضمن عدة أقوال.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٦٢ .
(٥) قوله: وثمانية من اليمن، من المطبوع وهو في المصدر السابق، والكلام منه.
(٦) في (ح) والمطبوع: من، بدل: بأرض.

وعن قتادة: في أصحاب الرسول ﷺ؛ مَدَحَهم الله تعالى بأنهم يُسَرُّون بما أُنزل إليك من أمر الدِّين.

وعن مجاهد والحسن وقتادة: أنَّ المراد بأهل الكتاب جميعُهم، يفرحون بما أُنزل من القرآن؛ إذ فيه تصديقُ كتبِهم، وثناءٌ على أنبيائهم وأحبارِهم ورُهبانِهم الذين هم على دين موسى وعيسى الحقِّ. وضُعِّفَ هذا القولُ بأنَّ همَّهم به أكثرُ من فرحهم، فلا يعتدُّ بفرحهم، وأيضاً فإنَّ اليهود والنصارى يُنكرون بعضَه، وقد فرَّقَ تعالى بين الذين يُنكرون بعضَه وبين الذين آتيناهم الكتاب[١].

و«الأحزابُ»: قال مجاهد: هم اليهود والنصارى والمجوس. وقالت فرقة: هم أحزابُ الجاهلية من العرب. وقال مقاتل: الأحزابُ بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة[٢].

ولمَّا كان ما أُنزل إليه يتضمَّن عبادةَ الله ونَفْيَ الشريك؛ أمرَ بجواب المنكرين، فقيل له: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾، فإنكارُكم لبعض القرآن الذي أُنزل إنكارٌ لعبادة الله وتوحيدِه وأنتم تدَّعُون وجوبَ العبادة ونفيَ الشريك.

«إليه أدعو» أي: إلى شرعه ودينِه، وإليه مرجعي عند البعث يوم القيامة، أو: إليه مرجعي في جميع أحوالي في الدنيا والآخرة.

وقرأ أبو خُليد عن نافع: «ولا أُشركُ» بالرفع على القطع، أي: وأنا لا أُشركُ به، وجُوِّزَ أن يكون حالاً، أي: أن أعبدَ اللهَ غيرَ مشركٍ به[٣].

«وكذلك» أي: مِثْلَ إنزالِنا الكتابَ على الأنبياء قبلَك، لأنَّ قولَه: «والذين آتيناهم الكتاب» يتضمَّن إنزالَه تعالى الكتاب، وهذا الذي أنزلناه هو بلسان العرب كما الكتب السابقة بلسان مَنْ نَزَلَتْ عليه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم: ٤]. وأرادَ بالحُكْم أنه يَفْصِلُ بين الحقِّ والباطل ويحكم.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٦ . وينظر: النكت والعيون ٣/ ١١٦ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٥ .
(٢) تنظر المصادر السابقة.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٢ . وذكر ابن خالويه القراءة في «القراءات الشاذة» ص٦٧ (ووقع في مطبوعه: خليل، بدل: أبو خُليد، وهو تحريف). وقراءة نافع المتواترة عنه هي قراءة الجماعة. وأبو خُليد هو عُتبة بن حمَّاد الدمشقي، له ترجمة في «طبقات القراء» ١/ ٤٩٨ .

وقال ابن عطية[١]: وقوله: «وكذلك»: المعنى: كما يَسَّرْنَا هؤلاء للفَرَح، وهؤلاء لإنكارِ البعض؛ كذلك أنزلناه حُكْماً عربيًّا. انتهى.

وانتصب «حُكْماً» على الحال من ضمير النصب في «أنزلناه»، والضميرُ عائدٌ على القرآن. والحُكْمُ: ما تضمَّنَه القرآن من المعاني، ولمَّا كانت العبارة عنه بلسان العرب نسبَه إليها.

«ولئن اتَّبعتَ» الخطابُ لغير الرسول ﷺ، لأن الرسول ﷺ معصومٌ من اتِّباع أهوائهم[٢].

وقال الزمخشري[٣]: وهذا من باب الإلهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدِّين والتصلُّب فيه، وأنْ لا يَزِلَّ زالٌّ عند الشُّبَهِ بعد استمساكه بالحجَّة، وإلا فكان رسولُ الله ﷺ من شدَّة الشكيمة بمكان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾.

قال الكلبيّ: عيَّرت اليهودُ الرسولَ ﷺ وقالوا: ما نرى لهذا الرجل هِمَّةً إلا النِّساءَ والنكاح، ولو كان نبيًّا كما زعم لشَغَلَه أمرُ النبوَّة عن النساء. فنزلت هذه الآية[٤].

قيل: وكانوا يقترحون عليه الآيات ويُنكرون النَّسْخ، فرَدَّ الله تعالى عليهم بأنَّ الرُّسُلَ قبلَه كانوا مثلَه ذوي أزواج وذُرِّيَّة، وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم، ولا يأتون بما يُقترح عليهم، والشرائعُ[٥] مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات، فلكلِّ وقتٍ حُكم يُكتبُ فيه على العباد، أي: يفرض عليهم ما يريدُه تعالى[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٦.
(٢) قال القرطبي في «تفسيره» ١٢/ ٨٤ : الخطاب للنبيّ ﷺ، والمراد الأمة.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٣.
(٤) أسباب النزول للواحدي ص٢٧٩.
(٥) في المطبوع: ومن الشرائع.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٦٣.

وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لفظٌ عامٌّ في الأشياء التي لها آجال، لأنه ليس منها شيءٌ إلا وله أجلٌ في بدئه وفي خاتمته، وذلك الأجلُ مكتوب محصور[(١)].

وقال الضحَّاك والفرَّاء: المعنى: لكلِّ كتابٍ أجل. ولا يجوز ادّعاء القلب إلا في ضرورة الشعر، وأما هنا فالمعنى في غاية الصِّحَّة بلا عكسٍ ولا قلب، بل ادِّعاء القلب هنا لا يصحُّ المعنى عليه، إذْ ثَمَّ أشياءُ كتبَها الله تعالى أزلية، كالجنَّة ونعيم أهلها لا أجلَ له[(٢)].

والظاهر أنَّ المَحْوَ عبارة عن ما نُسِخَ[(٣)] من الشرائع والأحكام، والإثباتَ عبارةٌ عن دوامها وتقرُّرِها وبقائها، أي: يمحُو ما يشاء مَحْوَه، ويُثبت ما يشاءُ إثباتَه.

وقيل: هذا عامٌّ في الرِّزْق والأجَل، والسعادة والشقاوة. ونُسب هذا إلى عُمر وابنِ مسعود وأبي وائل والضحَّاك وابنِ جُريج وكعب الأحبار والكلبيّ[(٤)].

ورُوِيَ عن عُمر وابن مسعود وأبي وائل في دعائهم ما معناه: «إنْ كنتَ كتبتَني في السُّعداء فأثْبِتْني فيهم، أو في الأشقياء فامْحُني منهم[(٥)]» . وإنْ صحَّ هذا عنهم فينبغي أنْ يُتَأَوَّل على أنَّ المعنى: إنْ كنتَ أشقيتَنا بالمعصية فامْحُها عنا بالمغفرة. ومعلومٌ أنَّ الشقاوةَ والسعادة والرِّزقَ والخَلْق والأجَلَ لا يتغيَّر شيءٌ منها[(٦)].

وقال ابن عباس: يمحُو الله ما يشاءُ من أمور عبادِهِ إلا السعادةَ والشقاوةَ والآجالَ، فإنه لا مَحْوَ فيها[(٧)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٣١٦ .
(٢) في المطبوع: لها. والكلام السابق مع قول الضحاك والفراء بنحوه في المصدر السابق.
(٣) في المطبوع: عن النسخ.
(٤) زاد المسير ٤/٣٣٧ ، وتفسير القرطبي ١٢/٨٨-٨٩ .
(٥) تفسير الطبري ١٣/٥٦٣-٥٦٤ ، والمحرر الوجيز ٣/٣١٧ ، وتفسير القرطبي ١٢/٨٩ .
(٦) قوله: الشقاوة والسعادة...إلخ هو لابن عباس ﷺ سيذكره المصنف بعده بنحوه، وذكره القرطبي بهذا اللفظ في «تفسيره» ١٢/٨٨ ثم قال: مِثْلُ هذا لا يُدرك بالرأي والاجتهاد، وإنما يؤخذ توقيفاً، فإن صحَّ فالقولُ به يجب ويُوقفُ عنده، وإلا فتكون الآية عامَّةً في جميع الأشياء، وهو الأظهر، والله أعلم. اهـ
(٧) حكاه ابن عطية بهذا اللفظ في «المحرر الوجيز» ٣/٣١٧ عن الطبري. وينظر «تفسيره» ١٣/٥٥٩-٥٦١ .

وقال الحسن وفرقة: هي آجالُ بني آدم تُكتبُ في ليلة القَدْر، وقيل: في ليلة نصف شعبان آجالُ الموتى، فيُمْحَى ناسٌ من ديوان الأحياء، ويُثْبَتون في ديوان الموتى[1].

وقال قيس بن عُبَاد: في العاشر من رجب يمحو الله ما يشاءُ ويُثبت[2].

وقال ابن عباس والضَّحَّاك: يمحُو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم مأمورون بكَتْبَةِ كل قول وفعل، ويُثبت غيره[3].

وقيل: يمحو كُفر التائبين ومعاصيَهم بالتوبة، ويُثبت إيمانَهم وطاعاتِهم.

وقيل: يمحو بعضَ الخلائق ويُثبت بعضاً من الأناسيّ وسائر الحيوان والنبات والأشجار، وصفاتها وأحوالها.

وقال الزمخشريّ[4]: «يمحو الله ما يشاء»: ينسخ ما يستصوبُ نسخَه ويُثبتُ بَدَلَهُ ما يرى المصلحةَ في إثباته، أو يتركُه غيرَ منسوخ، والكلام في نحو هذا واسعُ المجال. انتهى.

وهو قولُ قتادة[5] وابنِ جُبير وابنِ زيد؛ قالوا: يمحُو اللهُ ما يشاءُ من الشرائع والفرائض، فينسخُه ويُبْدِلُه، ويُثْبِت ما يشاء فلا ينسخُه[6].

وقال مجاهد: يُحْكِمُ اللهُ أمْرَ السَّنَة في رمضان، فيمحُو ما يشاء، ويُثْبِتُ ما يشاء إلا الحياةَ والموتَ والشقاءَ والسعادة[7].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٧. وينظر «تفسير» الطبري ٢١/ ٩-١٠، و«تفسير» القرطبي ١٩/ ١٠٠-١٠٢ (أول سورة الدخان). وذكر أبو بكر بن العربي في «أحكام القرآن» ٤/ ١٦٧٨ أنه ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوّل عليه في نسخ الآجال فيها.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٥٧١ ، وإسناده ضعيف، ففيه راويان مبهمان. وذكره أيضاً ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٧ ، والقرطبي ١٢/ ٥٧١ .

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٥٦٤-٥٦٥ ، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٤٨ ، والنكت والعيون ٣/ ١١٨ ، وزاد المسير ٤/ ٣٣٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٣ .

(٤) الكشاف ٢/ ٣٦٣ .

(٥) في (ح): هو وقول قتادة. وفي المطبوع: وهو وقول قتادة .

(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٤٨ ، والنكت والعيون ٣/ ١١٨. وأخرجه الطبري ١٣/ ٥١٧ بنحوه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جُريج.

(٧) تفسير الطبري ١٣/ ٥٦١-٥٦٢ .

وقال الكلبي: يمحُو من الرزق ويزيدُ فيه(١).

وقال ابنُ جُبير أيضاً: يغفرُ ما يشاءُ من ذنوب عباده، ويتركُ ما يشاءُ فلا يغفرُه.

وقال عكرمة: يمحُو: يعني بالتوبة جميعَ الذنوب، ويُثبت بدلَ الذنوب حسناتٍ. قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾(٢)[الفرقان: ٧٠].

وقيل: يُنسي الحفظةَ من الذنوب ولا يَنسى(٣).

وقال الحسن: «يمحو الله ما يشاء»: مَنْ حانَ أجلُه، «ويُثبت» مَنْ لم يأتِ أجلُه(٤).

وقال السُّدِّيّ: يمحو: يعني القمرَ، ويُثبت: يعني الشمسَ، بيانُه: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ الآية [الإسراء: ١٢].

وقال ابنُ عباس أيضاً: إنَّ لله لوحاً محفوظاً. وذكرَ وَصْفَه في كتاب «التحبير» ثم قال: للهِ تعالى فيه في كل يوم ثلاث مئة وستون نظرة يُثْبِتُ ما يشاءُ، ويمحُو ما يشاء(٥).

وقال الربيع: هذا في الأرواح حالةَ النوم؛ يَقبِضُها عند النوم، إذا أرادَ موتَه فجأة أمسكَه(٦)، ومن أرادَ بقاءه أثبته وردَّه إلى صاحبه، بيانُه قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية [الزمر: ٤٢].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/٤٤٨ .
(٢) قولا ابن جبير وعكرمة في «تفسير» الثعلبي ٣/٤٤٩ ، و«تفسير» القرطبي ١٢/ ٩٢ .
(٣) ذكره القرطبي عن الحسن.
(٤) تفسير الطبري ١٣/٥٦٨ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٤٩، والنكت والعيون ٣/١١٨ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٢ .
(٥) بنحوه في: تفسير الطبري ١٣/ ٥٧٠ ، وتفسير الثعلبي ٣/٤٤٩ ، وتفسير القرطبي ١٢/٤٣. وصاحب «التحبير» هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب شيخ المصنف، واسم الكتاب بتمامه: التحرير والتنوير لأقوال أئمة التفسير ذكره المصنف في المقدمة.
(٦) وكذا هي العبارة في «تفسير» القرطبي ١٢/ ٩٢. وعبارة «تفسير» الثعلبي ١٢/٤٤٩ : محا وأمسكه، و«تفسير» البغوي ٣/ ٢٣ : محاه فأمسكه.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب: يمحو الله ما يشاء من القرون؛ لقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾[يس: ٣١] ويُثبت ما يشاء منها، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾[المؤمنون: ٤٢] فيمحُو قَرْناً ويُثْبِت قَرْناً[1].

وقال ابنُ عباس: يمحُو: يُميت الرجلَ على ضلالة وقد عملَ بالطاعة الزمنَ الطويل يختمه بالمعصية، ويُثْبِتُ عكسَه[2].

وقيل: يمحُو الدنيا ويُثْبِت الآخرة.

وفي الحديث عن أبي الدَّرْدَاء أنه تعالى يفتح الذِّكر في ثلاث ساعات بقينَ من الليل، فينظر ما في الكتاب الذي لا ينظرُ فيه أحد غيرُه، فيمحُو ما يشاء ويُثبت ما يشاء[3].

وقال الغزنويّ: ما في اللوح[4] خرجَ عن الغيب لإحاطة بعض الملائكة به، فيحتملُ التبديل، وإحاطةُ الخلقِ بجميع علم الله تعالى محال، وما في علمه تعالى من تقدير الأشياء لا يبدَّل[5]. انتهى.

وقيل غير ذلك ممَّا يطولُ نقلُه.

وقد استدلَّت الرافضة بقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ على أنَّ البَدَاء جائز على الله تعالى، وهو أن يعتقدَ شيئاً ثم يظهرَ له أنَّ الأمرَ خلافُ ما اعتقدَه، وهذا باطلٌ لأنَّ عِلْمَه تعالى من لوازم ذاته المخصوصة، وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه مُحالاً، وأمَّا الآيةُ فقد احتَمَلَتْ تلك التأويلاتِ المتقدِّمةَ، فليست نصًّا فيما ادَّعَوْه، ولو كانت نصًّا وجبَ تأويلُه.

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٩٢ .
(٢) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١١٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٣.
(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٥٧٠ وغيره، وفي إسناده زيادة بن محمد، قال البخاري في «التاريخ الكبير» ٣/ ٤٤٦ : منكر الحديث، وقال ابن حبان في «المجروحين» ١/ ٣٠٨ : منكر الحديث جدًّا، يروي المناكير عن المشاهير، فاستحق الترك.
(٤) في المطبوع: اللوح المحفوظ.
(٥) تفسير القرطبي ١٢/ ٩٤ .

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو وعاصم: «ويُثْبِتُ» مُخففاً، من: أَثْبَتَ، وباقي السبعة مثقّلاً، من: ثَبّتَ[١].

وأمّا قولُه: «أُمّ الكتاب» فقال ابنُ عبّاس: «أُمُّ الكتاب»: الذِّكْرُ. وقال أيضاً هو وكعب: هو عِلْمُ الله ما هو خالق، وما خَلْقُهُ عاملون[٢].

وقالت فرقة: الحلال والحرام، وهو قول الحسن[٣].

وقال الزمخشريّ[٤]: أصلُ كلِّ كتاب، وهو اللوحُ المحفوظ؛ لأنَّ كلَّ كائن مكتوب فيه. انتهى.

وما جرى مجرى الأصل للشيء تسمِّيه العرب أُمًّا، كقولهم: أُمُّ الرأس للدِّماغ، وأمُّ القُرى مكة.

وقال ابنُ عطية: وأصوبُ ما يُفسَّرُ به أُمُّ الكتاب أنه ديوان الأمور المُحْدَثة التي قد سبقَ في القضاء أن تبدَّلَ وتُمحى، أو تُثبت[٥]. وقال نحوه قتادة[٦].

[﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾].

وتقدّم الكلام على قوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ في سورة يونس [٤٦]، وادّعاء الزمخشري[٧] أن جواب الشرط الأول محذوف وكلامُ ابنِ عطيَّة في «ما» ونون التوكيد.

---

(١) السبعة ص٣٥٩، والتيسير ص١٣٤.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٥٧٢، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٥٠، والنكت والعيون ٣/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٤.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٥٧١، والنكت والعيون ٣/ ١١٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣١٨.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٦٣.

(٥) كذا وقعت العبارة في (ح) و(ز١) والمطبوع، والنهر الماد (بهامش البحر) وفي (أ) و(يه): يبدَّل ويُمحى أو يُثبت. وأظن أنَّ في العبارة سقطاً. وعبارة «المحرر الوجيز» ٣/ ٣١٨: وأصوبُ ما يُفسَّرُ به أمُّ الكتاب أنه كتاب الأمور المجزومة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن وسبق ألا تبدَّل، ويبقى المحوُ والتثبيت في الأمور التي سبق في القضاء أن تبدَّل وتمحى وتُثبت.

(٦) قول قتادة في «أمّ الكتاب»: جملةُ الكتاب وأصلُه. أخرجه عنه الطبري ١٣/ ٥٧١.

(٧) من قوله: وتقدَّم الكلام على قوله... إلى هذا الموضع، سقط من المطبوع.

وقال الزمخشري[١]: «وإمَّا نُرِينَّك»: وكيفَما دارت الحال أريناك مصارعَهم، وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، «أو نتوفينك» قبل ذلك، فما يجبُ عليك إلا تبليغُ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابُهم وجزاؤُهم على أعمالهم، فلا يهمَّنَّك إعراضُهم ولا تستعجل بعذابهم. انتهى.

وقال الحَوْفيُّ وغيره: «فإنَّما عليك البلاغ» جوابُ الشرط. والذي تقدَّمَ شرطان؛ لأنَّ المعطوفَ على الشرط شرطٌ، فأمَّا كونُه جواباً للشرط الأول فليس بظاهر؛ لأنه لا يترتَّبُ عليه، إذ يصيرُ المعنى: وإمَّا نُرِينَّك بعضَ ما نَعِدُهم من العذاب، فإنَّما عليك البلاغ.

وأمَّا كونُه جواباً للشرط الثاني ـ وهو «أو نَتَوَفَّينَّك» ـ فكذلك؛ لأنه يصيرُ التقدير: إمَّا نَتَوَفَّيَنَّك فإنَّما عليك البلاغ، ولا يترتَّبُ وجوبُ التبليغ عليه على وفاته ﷺ؛ لأنَّ التكليف ينقطعُ بعد الوفاة، فيحتاجُ إلى تأويل، وهو أن يتقدَّرَ لكلِّ شرطٍ منهما ما يناسبُ أن يكون جزاءً مترتِّباً عليه، وذلك أن يكون التقدير ـ والله أعلم ـ: وإمَّا نُرِيَنَّك بعضَ الذي نَعِدُهم به من العذاب، فذلك شافيك من أعدائك، ودليلٌ على صدقك، إذْ أخبرتَ بما يَحُلُّ بهم ولم تُعيِّن[٢] زمانَ حُلولِه بهم، فاحتمَلَ أن يقع ذلك في حياتك، واحتَملَ أن يقعَ بهم بعد وفاتك، «أو نتوفَّينَّك» أي: أو أنْ نتوفَّينَّك قبلَ حُلُولِه بهم، فلا لَوْمَ عليك ولا عَتْبَ، إذْ قد حَلَّ بهم بعضُ ما وعدَ الله به على لسانك من عذابهم، فإنَّما عليك البلاغُ، لا حلولُ العذابِ بهم، إذْ ذاك راجعٌ إليَّ، وعلينا جزاؤهم في تكذيبهم إيَّاك وكفرِهم بما جئتَ به.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الكافر[٣] لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾

(١) الكشاف ٢/ ٣٦٣.
(٢) في (أ) و(به) والمطبوع: يعين.
(٣) كذا في النسخ الخطية وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عَمرو من السبعة. وسترد.

الضمير في «أَوَلَمْ يَرَوْا» عائدٌ على الذين وُعِدُوا، وفي ذلك اتِّعاظ لمن اتَّعظ، نُبِّهُوا على أن ينظروا نَقْص[1] الأرض من أطرافها.

و«نأتي»: يعني بالأمر والقُدرة، كقوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾[النحل: ٤٦]، و«الأرض» أرض الكفار المذكورين، ومعنى «نَنْقُصُها من أطرافها»: نفتحها للمسلمين من جوانبها[2]، كان المسلمون يغزُون من حوالي أرض الكفار ممَّا يلي المدينة، ويغلبون على جوانب أرض مكة.

والأطراف: الجوانب، وقيل: الطَّرَف من كلِّ شيء خِيارُه، ومنه قول عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: العلومُ أودية، في أيِّ وادٍ أخذتَ منها حسرتَ[3]، فخذُوا من كلِّ شيء[4] طَرَفاً. يعني خِياراً. قاله ابنُ عطيَّة[5].

والذي يظهرُ أنَّ معنى «طَرَفاً»: جانباً، وبعضاً، كأنَّه أشارَ إلى أنَّ الإنسان يكون مشاركاً في أطراف من العلوم، لأنه لا يمكنُه استيعابُ جميعِها، ولم يُشِر إلى أنَّه يستغرقُ زمانَه في علم واحد.

وقال ابنُ عبَّاس والضحَّاك: نأتي أرضَ هؤلاء بالفتح عليك، فنَنْقُصُها بما يدخلُ في دينك من القبائل والبلاد المجاورة لهم، فما يُؤمنهم أن يمكّنه منهم. وهذا التفسير لا يتأتَّى إلا إنْ قُدِّرَ نزولُ هذه الآية بالمدينة[6].

وقيل: الأرض اسم جنس، والانتقاصُ من الأطراف بتخريب العُمْرَان الذي يُحِلُّه الله تعالى بالكَفَرة. ورُويَ هذا عن ابن عباس أيضاً ومجاهد.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: بعض. وهو خطأ.
(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: ويعني بنقصِها من أطرافها للمسلمين من جوانبها.
(٣) في المطبوع: خسرت. وينظر التعليق التالي.
(٤) في (ز١): خير.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٩. ونقله أيضاً النحاس في «إعراب القرآن» ٢/ ٣٦٠ . وفي هذا المعنى كلام للزُّهري أخرجه عنه ابنُ عبد البَرّ في «جامع بيان العلم وفضله» ١/ ٤٣١ (باب كيفية الرتبة في أخذ العلم).
(٦) المصدر السابق. وقول ابن عباس والضحاك أيضاً في تفسير كل من الطبري ١٣/ ٥٧٤- ٥٧٥، والثعلبي ٣/ ٤٥٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٤٠ .

وعنهما أيضاً: الانتقاصُ: هو بموت البشر وهلاكِ الثمرات ونقصِ البركة[١].

وعن ابن عباس أيضاً: موتُ أشرافِها وكبرائِها، وذهابُ الصُّلحاء والأخيار. فعلى هذا الأطرافُ هنا الأشرافُ[٢].

وقال ابنُ الأعرابيّ: الطَّرَفُ والطَّرْفُ: الرجلُ الكريم[٣].

وعن عطاء بن أبي رباح: ذهابُ فقهائها وخِيارِ أهلِها[٤].

وعن مجاهد: موتُ الفقهاء والعلماء[٥].

وقال عكرمة والشعبيّ: هو بقبضِ الأنفس[٦]. وقيل: هلاكُ من أهلكَ من الأمم قبل قريش وهلاكُ أرضِهم بعدَهم[٧].

والمناسبُ من هذه الأقوال هو الأول، ولم يذكر الزمخشريّ إلا ما هو قريبٌ منه؛ قال[٨]: «نأتي الأرضَ» أرضَ الكفر «نَنْقُصُها من أطرافها» بما نفتحُ على المسلمين من بلادهم فتَنقص دارَ الحرب، وتَزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات الغلبة والنُّصرة، ونحوُه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الأنبياء: ٤٤] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ﴾[٩] [فصلت: ٥٣].

والمعنى عليك بالبلاغ الذي حُمِّلْتَه، ولا تهتمَّ بما وراء ذلك، فنحن نكفيكه

---

(١) المحرر الوجيز. والقول الأخير فيه عن ابن عباس والشعبي وعكرمة وقتادة. وينظر: تفسير الطبري ١٣/ ٥٧٦-٥٧٨، وزاد المسير ٤/ ٣٤٠.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٥٧٩، وقوله: فعلى هذا الأطراف هنا الأشراف، نقله القرطبي في «تفسيره» ١٢/ ٩٥ عن القشيري.

(٣) استبعد هذا القول القرطبي في «تفسيره» ١٢/ ٩٥.

(٤) زاد المسير ٤/ ٣٤٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٥، وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم». (١٠٣٠) واستحسنه بإثر الخبر (١٠٣٤).

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٠٥، وتفسير القرطبي، وهو بنحو سابقه.

(٦) في (ح) والمطبوع: نقص، والقول بنحوه عند الطبري ١٣/ ٥٧٧-٥٧٨، والقرطبي ١٢/ ٩٦.

(٧) تفسير القرطبي ١٢/ ٩٦.

(٨) الكشاف ٢/ ٣٦٣.

(٩) قوله: سنريهم آياتنا في الآفاق، لم يرد في (ح)، وهو في المصدر السابق، والكلام منه.

ونُتمُّ ما وعدناك من الظَّفَر ولا يُضْجِرْكَ تأخُّرُه، فإنَّ ذلك لِما نعلمُ من المصالح التي لا تعلمُها. ثم طيَّبَ نفسَه ونَفَّسَ عنها بما ذكر من طلوع تباشيرِ الظَّفَر.

ويتَّجِهُ قولُ مَن قال: النقصُ بموت الأشراف والعلماء والخِيار، وتقديرُه: أوَلم يَرَوْا أنَّا نُحْدِثُ في الدُّنيا من الاختلافات خَراباً بعد عِمارة، وموتاً بعد حياة، وذُلاً بعد عِزّ، ونَقْصاً بعدَ كمال؟ وهذه تغييراتٌ مُدْرَكَةٌ بالحسّ، فما الذي يُؤمِنُهم أنْ يقلبَ الله الأمرَ عليهم ويصيروا ذليلين بعد أن كانوا قاهرين؟

وقرأ الضَّحَّاك: «نُنَقِّصُها» مثقَّلاً، من: نَقَّصَ[1]، عدَّاه بالتضعيف من: نَقَصَ اللازم.

والمُعقِّبُ: الذي يَكِرُّ على الشيء فيُبْطِلُه، وحقيقتُه الذي يُعقِّبُه، أي: بالردّ والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحقّ: معقِّب لأنه يُقَفِّي غريمَه بالاقتضاء والطلب. قال لبيد:

طَلَبُ المُعَقِّبِ حقَّه المظلومُ[2]

والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلَبة والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس[3]. وقيل: [لا رادَّ ولا مناقض] يتعقَّبُ أحكامَه، أي: ينظر في أعقابها أمصيبة هي أم لا[4].

والجملة من قوله: «لا معقِّبَ لحُكْمِه» في موضع الحال، أي: نافذاً حُكْمُه.

«وهو سريعُ الحساب» تقدَّم الكلام على مثل هذه الجملة.

---

(١) نسبها ابن خالويه في «القراءات الشاذة» ص٦٧ لعطية العوفي، وذكرها الزمخشري ٢/ ٣٦٤ دون نسبة.

(٢) هو عجز بيت للبيد، وصدره: حتى تهجَّر في الرَّوَاح وَهَاجَهُ. وهو في «ديوانه» ص١٥٥، وهو الشاهد (١٢٢) من «خزانة الأدب» ٢/ ٢٤٠ على أن فاعل المصدر ـ وإن كان مجروراً بإضافة المصدر إليه ـ محلُّه الرفع، فالمعقِّب فاعل المصدر، وقد جُرَّ بإضافته إليه، ومحلّه الرفع، بدليل رفع وصفه، وهو المظلوم. قاله البغدادي.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٤.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٩. وما سلف بين حاصرتين منه.

ثم أخبرَ تعالى أنَّ الأمم السابقة كان يصدُر منهم المكرُ بأنبيائهم كما فعلَتْ قريش، وأنَّ ذلك عادة المكذِّبين للرسل. مَكَرَ بإبراهيم نمروذ، وبموسى فرعونُ، وبعيسى اليهود، وجعلَ تعالى مكرَهم كَلَا مكر، إذْ أضافَ المَكْرَ كلَّه له تعالى. ومعنى مكرِه عزَّ وجلَّ: عقوبتُه إياهم، سمَّاها مكراً إذ كانت ناشئةً عن المكر، وذلك على سبيل المقابلة، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٥].

ثم فَسَّرَ قولَه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ بقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾. والمعنى: يُجازي كلَّ نفسٍ بما كسبَتْ.

ثم هدَّدَ الكافرَ بقوله: «وسيعلمُ الكافر لمن عُقبى الدار» إذْ يأتيه العذاب من حيث هو في غفلةٍ عنه، فحينئذٍ يعلمُ لمن هي العاقبةُ المحمودة.

وقرأ جناح بنُ حُبَيْش: «وسيُعْلَمُ الكافر» مبنياً للمفعول، من: أعلم، أي: وسيُخْبَرُ[(١)].

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عَمرو: «الكافر» على الإفراد، والمرادُ به الجنس، وباقي السبعة: «الكفار» جمع تكسير[(٢)]، وابنُ مسعود: «الكافرون» جمع سلامة، وأُبيّ: «الذين كفروا»[(٣)].

وفسَّر عطاء الكافر بالمستهزئين، وهم خمسة، والمقتسمين، وهم ثمانية وعشرون[(٤)].

وقال ابنُ عباس: يريد بالكافر أبا جهل[(٥)]. وينبغي أن يُحمل تفسيرُه وتفسيرُ عطاء على التمثيل، لأنَّ الإخبار بعلم الكافر لمن عُقبى الدار معنًى يعمُّ جميعَ الكفار.

ولما قال الكفَّار: لستَ مرسَلاً، أي: إنَّما أنت مدّعٍ ما ليس لك، أمرَه تعالى

(١) القراءات الشاذة ص٦٧ ، والكشاف ٢/ ٣٦٤ ، وتفسير الرازي ١٩/ ٦٩ .
(٢) السبعة ص٣٥٩ ، والتيسير ص١٣٤ . والحِرْميان: نافع المدني، وابن كثير المكّي.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣١٩ ، والقراءتان في «الكشاف» ٢/ ٣٦٤ دون نسبة.
(٤) تفسير الرازي ١٩/ ٦٩ .
(٥) زاد المسير ٤/ ٣٤١ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٧ .

أن يكتفيَ بشهادة الله تعالى بينهم، إذ قد أظهرَ على يديه من الأدلّة على رسالته ما في بعضها كفايةٌ لمن وُفِّق. ثم أردفَ شهادةَ الله بشهادة مَنْ عندَه عِلْمٌ من الكتاب.

والكتاب هنا القرآن، والمعنى أنَّ من عرفَ ما أُلِّف فيه من المعاني الصحيحة والنَّظْم المُعْجِز الفائت لِقُدَر البشر يشهدُ بذلك[١].

وقيل: الكتاب: التوراة والإنجيل، والذي عنده علمُ الكتاب مَنْ أسلَم من علمائهم، لأنهم يشهدون نعتَه عليه الصلاة والسلام في كتبهم[٢]؛ قال قتادة: كعبد الله بن سلام وتميم الداريّ وسلمان الفارسيّ.

وقال مجاهد: يريدُ عبدَ الله بنَ سلام خاصّة. وهذان القولان لا يستقيمان إلا على أن تكون الآية مدنيَّة، والجمهورُ على أنَّها مكّيّة[٣].

وقال محمد بن الحنفيَّة والباقر: هو عليُّ بنُ أبي طالب. وقيل: جبريل، والكتاب: اللوح المحفوظ. وقيل: هو الله تعالى. قاله الحسن وابنُ جُبير والزَّجّاج[٤].

وعن الحسن: لا والله ما يعني إلا الله، والمعنى: كَفَى بالذي يستحقُّ العبادة وبالذي لا يعلمُ ما في اللوح إلا هو شهيداً بيني وبينكم[٥].

قال ابنُ عطية[٦]: ويعترضُ هذا القول بأنَّ فيه عطفَ الصفة على الموصوف، وذلك لا يجوزُ، وإنَّما تُعطف الصفاتُ بعضُها على بعض. انتهى.

وليس ذلك كما زعم من عطفِ الصفةِ على الموصوف؛ لأنَّ «مَنْ» لا يُوصفُ بها ولا بشيء من الموصولات إلا بـ«الذي» و «التي» وفروعِهما، و«ذو» و«ذات»

(١) الكشاف ٢/ ٣٦٤.
(٢) بنحوه في المصدر السابق.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٠. وقول قتادة أيضاً في «زاد المسير» ٤/ ٣٤١.
(٤) تنظر الأقوال في «تفسير» الثعلبي ٣/ ٤٥٢-٤٥٣، و«النكت والعيون» ٣/ ١١٩، و«زاد المسير» ٤/ ٣٤١-٣٤٢، و«تفسير» القرطبي ١٢/ ٩٩-١٠٠.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٦٤.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٠.

الطائيَّيْن. وقولُه: وإنما تعطف الصفات بعضُها على بعض، ليس على إطلاقه، بل له شرط، وهو أن تختلف مدلولاتُها.

ويعني ابنُ عطية: لا تقول: مررتُ بزيدٍ والعالِم، فتعطف «والعالم» على الاسم، وهو عَلَم لم يلحظ منه معنى صفة، وكذلك «الله» عَلَم. ولمَّا شعرَ بهذا الاعتراض مَنْ جعلَه معطوفاً على «الله» قدَّر قوله: «بالله»: بالذي[١] يستحقُّ العبادة، حتى يكون مِن عطفِ الصفاتِ بعضِها على بعض، لا مِن عطفِ الصفةِ على الاسم.

و«مَنْ» في قراءة الجمهور في موضع خفض عطفاً على لفظ «الله»، أو في موضع رفع عطفاً على موضع «الله» إذْ هو في مذهب من جعل الباء زائدة فاعل بـ «كفى».

وقال ابنُ عطية[٢]: ويحتمل أن يكون في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف، تقديره: أعدلُ وأمضى قولاً، ونحوُ هذا ممَّا يدلُّ عليه لفظة «شهيداً» ويُرادُ بذلك الله تعالى.

وقُرِئ: «وبِمَنْ»[٣] بدخول الباء على «مَنْ» عطفاً على «بالله».

وقرأ عليٌّ وأُبيٌّ وابنُ عبَّاس وعكرمةُ وابنُ جُبير وعبدُ الرحمن بنُ أبي بَكْرة والضحَّاك وسالم بنُ عبدالله بن عُمر[٤] وابنُ أبي إسحاق ومجاهد والحَكَم والأعمش: «ومِنْ عندِه عِلْمُ[٥] الكتاب» بجعل «مِنْ» حرف جرّ، وجرّ ما بعدَه به، وارتفاع «عِلْمُ» بالابتداء، والجارُّ والمجرور في موضع الخبر[٦].

(١) في (أ) و(ح): الذي. ولم ترد في مطبوع البحر لفظة «بالله» قبلها. وينظر «الكشاف» ٢/ ٣٦٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٠ .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٤ .
(٤) عند النحاس والقرطبي: سالم عن أبيه.
(٥) في (ح): عالم. وكذا في الموضع التالي فيها.
(٦) في (أ) و(ح) والمطبوع: الجرّ، وهو خطأ. وينظر: معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٠٨ ، والقراءات الشاذة ص٦٧ ، والمحتسب ص٣٥٨ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٢/ ٩٩ .

وقرأ عليٌّ أيضاً وابنُ السَّمَيْفَع والحسن بخلاف عنه: «ومِنْ عندِه» بجعل «مِن» حرفَ جرّ «عُلِمَ الكتابُ» بجعل «عُلِمَ» فعلاً مبنيًا للمفعول، و«الكتابُ» رفعٌ به[١].

وقرئ: «ومِنْ عندِه» بحرف جرّ «عُلِّم الكتابُ»[٢] مشدَّداً مبنيًّا للمفعول.

والضمير في «عندِه» في هذه القراءات الثلاث عائدٌ على الله تعالى.

وقال الزمخشري[٣]: في القراءة التي وقع فيها «عندَه» صِلةً يرتفعُ العِلْم بالمقدَّر في الظرف، فيكون فاعلاً؛ لأنَّ الظَّرف إذا وقع صلةً أوْغَلَ في شَبَه الفعل لاعتماده على الموصول، فعملَ عملَ[٤] الفعل، كقولك: مررتُ بالذي في الدار أخوه، فأخوه فاعل، كما تقول: بالذي استقرَّ في الدار أخوه. انتهى.

وهذا الذي قاله الزَّمخشريّ ليس على وجه التحتُّم، لأن الظرف والجارَّ والمجرور إذا وقعا صلتَين، أو صفتَيْن[٥]، أو حالَين، أو خَبَرَيْن إمَّا في الأصل وإمَّا في الناسخ، أو تقدَّمَهما أداة نفي أو استفهام؛ جازَ فيما بعدَهما من الاسم الظاهر أن يرتفع على الفاعل، وهو الأجود، وجازَ أن يكون ذلك المرفوعُ مبتدأً، والظرفُ أو الجارُّ والمجرور في موضع خبرِه[٦]، والجملة من المبتدأ والخبر صلة، أو صفة، أو حال، أو خبر، وهذا مبنيٌّ على اسم الفاعل، فكما جازَ ذلك في اسم الفاعل ـ وإن كان الأحسن إعماله في الاسم الظاهر ـ فكذلك يجوزُ في ما نابَ عنه من ظرف أو مجرور.

وقد نصَّ سيبويه على إجازة ذلك في نحو: مررتُ برجلٍ حَسَنٌ وجهُه، فأجاز: حَسَنٌ وجهُه، على رفع «حَسَن» على أنَّه خبر مقدَّم، وهكذا تلقَّفْنا هذه المسألة عن الشيوخ، وقد يتوهَّم بعض النَّشْأَة في النَّحو أن اسم الفاعل إذا اعتمدَ على شيء ممَّا ذكرناه يتحتَّم إعمالُه في الظاهر، وليس كذلك.

(١) المصادر السابقة.
(٢) من قوله: بجعل عُلِمَ فعلاً... إلى هذا الموضع، سقط من (ح).
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٤-٣٦٥.
(٤) في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع: على. وهو خطأ.
(٥) قوله: أو صفتين، سقط من (أ) و(ح) والمطبوع.
(٦) في المطبوع: رفع خبره.

وقد أعربَ الحَوْفيّ «عندَه عِلمُ الكتاب» مبتدأً وخبراً في صلة «مَنْ».

وقال أبو البقاء[١]: ويجوزُ أن يكون خبراً ـ يعني «عندَه» ـ والمبتدأ: «عِلْمُ الكتاب». انتهى.

ومن قرأ: «ومِنْ عندِه» على أنه حرفُ جرّ؛ فالكتاب في قراءته هو القرآن، والمعنى أنه تعالى من جهة فضلِه وإحسانه عِلْمُ الكتاب، أو: عُلِمَ الكتاب، على القراءتين، أي: عُلمت معانيه، وكونُه أعظم المعجزات، الباقي على مرّ الأعصار، فتشريفُ العبد بعلوم القرآن إنما ذلك من إحسان الله تعالى إليه وتوفيقه على كونه معجزاً، وتوفيقِه لإدراك ذلك[٢].

(١) الإملاء ٢/ ٦٤.

(٢) بعدها في (به): فإنَّ الموفَّق هو الله سبحانه وتعالى.

سورة إبراهيم عليه السلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾.

هذه السورة مكيَّة كلُّها في قول الجمهور، وعن ابن عباس وقتادة: هي مكيَّة إلا من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٢٨] إلى قوله: ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية: ٣٠][(١)].

وارتباط أول هذه السورة بالسورة[(٢)] قبلَها واضحٌ جدًّا، لأنه ذُكر فيها: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ ثم ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ﴾ ثم ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾. فناسبَ هذا قولَه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾.

وأيضاً فإنَّهم لمَّا قالوا على سبيل الاقتراح: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وقيل له: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ أنزل: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ كأنه قيل: أوَلَمْ يَكْفِهم من الآيات كتابٌ أنزلناه إليك لتخرجَ الناسَ من الظلمات، وهي الضلال، إلى النور، وهو الهدى؟

وجوَّزُوا في إعراب «الر» أن يكون في موضع رفع بالابتداء، و«كتاب» الخبر،

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ١٠٢، وهو في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٥٤ دون نسبة.
(٢) في (ح) و(د١): بآخر السورة.

أو في موضع رفع على خبر مبتدأ محذوف تقديرُه: هذه الر، وفي موضع نصب على تقدير: الْزَمْ أوِ اقْرَأْ الر، و«كتابٌ أنزلناه إليك» جملة مفسِّرة في هذين الإعرابين، و«كتاب» مبتدأ، وسَوَّغَ الابتداءَ به كونُه موصوفاً في التقدير، أيْ: كتابٌ أيُّ كتاب[1]، أي: عظيمٌ أنزلناه إليك.

وجوَّزُوا أن يكون «كتاب» خبر مبتدأ محذوف تقديرُه: هذا كتاب، و«أنزلناه» جملة في موضع الصفة.

وفي قوله: «أنزلناه» وإسنادِ الإنزال إلى نون العظَمة ومخاطبتهِ تعالى بقوله: «إليك» وإسنادِ الإخراج إليه عليه الصلاة والسلام تنويهٌ عظيمٌ وتشريفٌ له ﷺ من حيث المشاركةُ في تحصيل الهداية بإنزاله تعالى وبإخراجه عليه الصلاة والسلام، إذ هو الداعي والمنذر، وإن كان في الحقيقة مخترعُ الهداية هو الله تعالى. و«الناس» عامٌّ، إذ هو مبعوثٌ إلى الخلق كلِّهم. والظلماتُ والنورُ مستعارانِ للكفر والإيمان.

ولمَّا ذكرَ علَّةَ إنزال الكتاب ـ وهي قولُه: «لتُخرِجَ» ـ قال: «بإذن ربِّهم» أي: ذلك الإخراجُ بتسهيلِ مالكِهم الناظرِ في مصالحهم، إذْ هم عبيدُه، فناسبَ ذِكْرُ الربِّ هنا تنبيهاً على مِنَّةِ المالك وكونِه ناظراً في حال عبيده.

و«بإذن» ظاهرُه التعلُّق بقوله: «لتُخرِجَ»، وجوَّزَ أبو البقاء أن يكون «بإذنِ ربِّهم» في موضع الحال، قال: أي: مأذوناً لك[2].

وقال الزمخشري[3]: «بإذن ربِّهم»: بتسهيلِه وتيسيرِه، مستعارٌ من الإذْن الذي هو تسهيلُ الحِجاب، وذلك ما يمنحُهم من اللطف والتوفيق. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

والظاهر أنَّ قوله: «إلى صراط» بدل من قوله: «إلى النور»، ولا يضرُّ هذا الفصل بين المبدَل منه والبدَل؛ لأنَّ «بإذْن» معمول للعامل في المبدَل منه، وهو «لِتُخْرِجَ».

---

(١) قوله: أيُّ كتاب، سقط من (د١) و(ح) ومطبوع البحر.
(٢) الإملاء ٢/ ٦٥.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٥.

وأجازَ الزمخشريُّ أن يكون «إلى صراط» على وجه الاستئناف، كأنه قيل: إلى أيّ نور؟ فقيل: إلى صراط العزيز الحميد.

وقرئ: «لِيَخْرُجَ» مضارع خَرَجَ، بالياء بنقطتين من تحتها[١]، و«الناسُ» رفعٌ به.

ولما كان قولُه: «إلى النور» فيه إبهامٌ مَّا أوضحَه بقوله: «إلى صراط». ولمَّا تقدَّم شيئان: أحدُهما إسنادُ إنزالِ هذا الكتاب إليه، والثاني إخراجُ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم؛ ناسبَ ذكرُ هاتين الصفتين صفةَ العزَّة المتضمِّنةَ للقدرة والغلَبة؛ وذلك من حيث إنزالُ الكتاب، وصفةَ الحمد المتضمِّنةَ استحقاقَه الحمدَ من حيث الإخراجُ من الظلمات إلى النور، إذِ الهدايةُ إلى الإيمان هي النِّعمةُ التي يجبُ على العبد الحمدُ عليها والشكر، وتقدَّمت صفة العزيز لتقدُّمِ ما دلَّ عليها، وتَلَتْها صفة الحميد لِتلُوِ ما دلَّ عليها.

وقرأ نافع وابنُ عامر: «اللهُ» بالرفع، فقيل: مبتدأ خبرُه «الذي»، وقيل: خبر مبتدأ[٢] محذوف، أي: هو الله، وهذا الإعراب أمكنُ لظهورِ تعلُّقِه بما قبلَه وتفلُّتِه على التقدير الأول. وقرأ باقي السبعة والأصمعي عن نافع: «اللهِ» بالجرّ على البَدَل في قول ابنِ عطية والحَوْفيّ وأبي البقاء[٣]، وعلى عطف البيان في قول الزمخشري، قال[٤]: لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحقُّ له العبادة كما غلب النجم على الثُّريَّا. انتهى. وهذا التعليل لا يتمُّ إلا على تقدير أن يكون أصلُه: الإله، ثم نُقلت الحركة إلى لام التعريف وحُذفت الهمزة والتُزِمَ فيه النقل والحذف، ومادتُه إذ ذاك الهمزة واللام والهاء. وقد تقدَّمت الأقوال في هذا اللفظ في البسملة أولَ «الحمد».

وقال الأستاذ أبو الحسن بنُ عصفور: لا تُقدَّمُ صفةٌ على موصوف إلا حيث سُمع، وذلك قليل، وللعرب فيما وُجد من ذلك وجهان:

---

(١) المصدر السالف. وهي في القراءات الشاذة ص٦٨ رواية عن ابن عامر وأبي الدرداء.
(٢) قوله: «خبره الذي وقيل خبر مبتدأ» من (ز١) و(به) وسقط من النسخ الأخرى والمطبوع.
(٣) الإملاء ٢/ ٦٥، وقولُ ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٢، وذكرَ فيه روايةَ الأصمعي عن ابن عامر. وينظر السبعة ص٣٦٢، والتيسير ص١٣٤.
(٤) الكشاف ١/ ٣٦٥.

أحدُهما: أن تُقدِّمَ الصفة وتُبقِيَها على ما كانت عليه، وفي إعراب مثلِ هذا وجهان: أحدُهما: إعرابُه نعتاً مقدَّماً، والثاني: أن يُجعل ما بعد الصفة بدلاً.

والوجه الثاني: أن تضيف الصفة إلى الموصوف إذا قدَّمْتَها. انتهى.

فعلى هذا الذي ذكره ابنُ عصفور يجوز أن يكون «العزيزِ الحميدِ» يُعربان صفتين متقدِّمتين، ويعرب لفظ «الله» موصوفاً متأخراً، وممَّا جاء فيه تقديمُ ما لو تأخَّر لكان صفة وتأخيرُ ما لو تقدَّم لكان موصوفاً قولُ الشاعر:

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيْرَ تمسحُها[1] ركبانُ مكةَ بين الغِيلِ والسَّعَدِ[2]

فلو جاء على الكثير لكان التركيب: والمؤمنِ الطيرَ العائذاتِ.

وارتفع «وَيْلٌ» على الابتداء، و«للكافرين» خبرُه، لمَّا تقدَّم ذكر الظلمات دعا بالهَلَكة على مَنْ لم يخرج منها. و«من عذاب شديد» في موضع الصفة لـ «وَيْل»، ولا يضرُّ الفصلُ بالخبر بين الصفة والموصوف، ولا يجوز أن يكون متعلّقاً بـ «وَيْل» لأنه مصدر، ولا يجوز الفصل بين المصدر وما يتعلّق به بالخبر.

ويظهر من كلام الزمخشريّ أنه ليس في موضع الصفة؛ قال: فإنْ قلت: ما وَجهُ اتصال قوله: «من عذاب شديد» بالوَيْل؟ قلت: لأن المعنى أنهم يُوَلْوِلُونَ من عذاب شديد ويَضِجُّون منه ويقولون: يا وَيْلاه، كقوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]. انتهى. وظاهرُه يدلُّ على تقدير عاملٍ يتعلَّق به «من عذابٍ شديد»، ويحتمل هذا العذاب أن يكون واقعاً بهم في الدنيا أو واقعاً بهم في الآخرة.

والاستحبابُ الإيثار والاختيار، وهو استفعال من المحبَّة، لأنَّ المُؤْثِرَ للشيء على غيره كأنَّه يطلب من نفسه أن يكونَ أحبَّ إليها وأفضلَ عندها من الآخر[3]،

(١) المثبت من (ز٢)، وفي النسخ الأخرى: يمسحها، غير (به) فاللفظة فيها مهملة من النقط.
(٢) البيت للنابغة، وهو في ديوانه ص٣٥. قوله: المؤمن، يعني اللهَ عزَّ وجلَّ، والعائذات: ما عاذَ من الطير بالبيت، والغِيل والسَّعَد: أَجَمَتان كانتا بين مكة ومنى. كذا نقله النحاس في شرح المعلَّقات التسع ٢/ ٧٦٠ عن أبي عبيدة، وذكر أن رواية الأصمعي: بين الغَيْل والسَّنَدِ، ونقل عنه أن الغَيْلَ بالفتح الماءُ، وأنَّ النابغة عَنَى به ماءً كان يخرجُ من أبي قُبَيْس.
(٣) الكشاف ١/ ٣٦٦، وفيه: من الآخرة.

ويجوز أن يكون «استفعلَ» بمعنى «أفعلَ» كاستجابَ وأجابَ، ولمَّا ضمن معنى الإيثار عُدِّيَ بـ «على».

وجوَّزُوا في إعراب «الذين» أن يكون مبتدأ خبرُه «أولئك في ضلال بعيد»، وأن يكون مقطوعاً على الذَّمّ إمَّا خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هم الذين، وإمَّا منصوباً بإضمار فعل تقديرُه: أذُمُّ، وأن يكون بدلاً، وأن يكون صفة للكافرين. ونصَّ على هذا الوجه الأخير الحَوْفيُّ والزمخشريّ وأبو البقاء، وهو لا يجوز لأنَّ فيه الفصلَ بين الصفة والموصوف بأجنبي منهما، وهو قوله: «من عذاب شديد» سواءٌ أكان «من عذابٍ شديد» في موضع الصفة لـ «وَيْل» أم متعلّقاً بفعل محذوف، أي يَضِجُّون ويُوَلْوِلُون من عذاب شديد، ونظيرُه إذا كان صفة أن تقول: الدارُ لزيدٍ الحسنةُ القرشيِّ. فهذا التركيبُ لا يجوز لأنك فصلتَ بين زيد وصِفتِه بأجنبيّ منهما، وهو صفة الدار، والتركيب الفصيح أن تقول: الدارُ الحسنةُ لزيدٍ القرشيّ، أو الدارُ لزيدٍ القرشيِّ الحسنةُ.

وقرأ الحسن: «ويُصِدُّون» مضارع «أَصَدَّ» الداخل عليه همزة النقل من «صَدَّ» اللازم صدوداً[(١)].

وتقدَّم الكلام على قوله تعالى: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ في آل عمران [٩٩] وعلى وصف الضلال بالبعد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾.

سببُ نزولها أنَّ قريشاً قالوا: ما بالُ الكتب كلِّها أعجمية، وهذا عربيّ؟ فنزلت[(٢)].

وساق قصة موسى أنه تعالى أرسلَه إلى قومه بلسانه أنْ أخرِجْ قومَك من

(١) القراءات الشاذة ص٦٨، والكشاف ١/ ٣٦٦.
(٢) زاد المسير ٤/ ٣٤٥.

الظلمات إلى النور كما أرسلكَ لتُخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور.

والظاهر أنَّ قولَه: «وما أرسلنا من رسول» العموم، فيندرجُ فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن كانت الدعوة عامّة للناس كلِّهم أو اندرجَ في اتِّباع ذلك الرسول مَنْ ليس من قومه كان مَنْ لم تكن لُغتُهُ لغةَ ذلك النبيِّ موقوفاً على تعلُّم تلك اللغة حتى يفهمها، أو أن يرجع في تفسيرها إلى مَنْ يعلمُها.

وقيل: في الكلام حذف تقديرُه: وما أرسلنا من رسول قبلَك إلا بلسان قومه، وأنتَ أرسلناك للناس كافَّة بلسان قومك، وقومُك يُترجمون لغيرهم بألسنتهم. ومعنى «بلسان قومه»: بلغة قومه.

وقرأ أبو السَّمَّال وأبو الجَوْزاء وأبو عِمْران الجَوْنيّ: «بِلِسْنِ» بإسكان السين[١]؛ قالوا: هو كالرِّيش والرِّياش.

وقال صاحب «اللوامح»: واللِّسْنُ خاصٌّ باللغة، واللسانُ قد يقع على العضو وعلى الكلام. وقال ابنُ عطيَّة مثلَ ذلك، قال: اللسانُ في هذه الآية يُراد به اللغة، ويقال: لِسْن ولِسان في اللغة، وأمَّا العضو فلا يقال فيه: لِسْن[٢]. وقرأ أبو رجاء وأبو المتوكِّل والجَحْدريّ: «بلُسُن» بضمّ اللام والسين[٣]، وهو جمع لسان، كعِماد وعُمُد، وقرئ أيضاً بضم اللام وسكون السين، خُفِّف، كرُسُل ورُسْل.

والضمير في «قومه» عائد على «رسول» أي: قومِ ذلك الرسول. وقال الضحَّاك: والضمير في «قومه» عائد على محمد ﷺ. قال: والكتبُ كلُّها نزلت بالعربية، ثم أدَّاها كلُّ نبيّ بلغةِ قومه. قال الزمخشري[٤]: وليس بصحيح لأنَّ قوله: «لِيُبَيِّن لهم» ضمير القوم، وهم العرب، فيؤدِّي إلى أنَّ الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبيِّن للعرب. وهذا معنى فاسد. انتهى.

---

(١) القراءات الشاذة ص٦٨ عن أبي السَّمَّال والأعمش، وزاد المسير ٤/ ٣٤٥ عن أبي الجوزاء وأبي عمران، والكشاف ٢/ ٣٦٦ دون نسبة، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٢٣ عن أبي السمَّال.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٣.

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٤٥، والكشاف ٢/ ٣٦٧ (دون نسبة). ونسبت في القراءات الشاذة ص٦٨ لجناح بن حبيش.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٦٧، وفيه قول الضحَّاك السالف.

وقال الكلبيّ: جميعُ الكتب تأدَّت إلى جبريل بالعربية، وأمرَه تعالى أن يأتيَ رسولَ كلٌّ قومٍ بلغتهم.

وأورد الزمخشريّ هنا سؤالاً وابنُ عطية آخَرَ؛ هما[١] في كتابيهما. ونقول: قامت الحجَّة على البشر بإذعان الفصحاء الذين يُظَنُّ بهم القدرةُ على المعارضة وإقرارِهم بالعجز كما قامت بإذعان السَّحَرة لموسى والأطبَّاء لعيسى عليهما السلام. وبيَّن تعالى العِلَّةَ في كون مَنْ أرسلَ من الرُّسل بلغةِ قومِه، وهي التبيينُ لهم، ثم ذكرَ أنه تعالى يضلُّ مَنْ يشاء إضلالَهُ، ويهدي من يشاء هِدايتَه، فليس على ذلك الرسول غيرُ التبليغ والتبيين، ولم يُكَلَّفْ أن يهديَ، بل ذلك بيد الله على ما سبق به قضاؤه، وهو العزيزُ الذي لا يغالَبُ، الحكيمُ الواضعُ الأشياءَ على ما اقتضته حكمتُه وإرادتُه.

وقال الزمخشري[٢]: والمرادُ بالإضلال التخليةُ ومنعُ الألطاف، وبالهداية التوفيقُ واللطفُ، وكان ذلك كنايةً عن الكفر والإيمان «وهو العزيزُ» فلا يُغْلَبُ على مشيئته، «الحكيمُ» فلا يَخذُلُ إلا أهلَ الخِذْلان، ولا يلطفُ إلا بأهل اللطف. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

والجمهور على تفسير قوله: «بآياتنا» أنها تِسْعُ الآيات التي أجراها الله على يد موسى عليه السلام[٣].

وقيل: يجوز أن يُراد بها آياتُ التوراة، والتقدير: كما أرسلناك يا محمدُ بالقرآن بلسان عربيّ، وهو آياتُنا، كذلك أرسلنا موسى بالتوراة بلسان قومِه.

و«أنْ أَخْرِجْ» يحتمل «أنْ» أن تكون مفسِّرة وأن تكون مصدرية، ويضعفُ زَعْمُ من زعمَ أنها زائدة. وفي قوله: «قَوْمَكَ» خصوصٌ لرسالته إلى قومه بخلاف «لتُخْرِجَ الناسَ».

---

(١) في (ح) و(د١): انظره، بدل: آخرَ هُما.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٦٧.

(٣) مثل العصا واليد والطوفان...، وهو قول مجاهد، ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٥٩٣-٥٩٤، والنكت والعيون ٣/ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٢٣.

والظاهر أنَّ قومه هم بنو إسرائيل، وقيل: القِبْط، فإن كانوا القِبْط فالظلمات هنا الكفر، والنور الإيمان، وإن كانوا بني إسرائيل وقلنا إنهم كلَّهم كانوا مؤمنين؛ فالظلماتُ ذُلُّ العبوديَّة، والنورُ العزَّةُ بالدِّين وظهورُ أمرِ الله، وإن كانوا أشياعاً متفرِّقين في الدِّين قومٌ مع[1] القِبْط في عبادة فرعون وقومٌ على غير شيء؛ فالظلمات الكفرُ والنورُ الإيمان[2].

قيل: وكان موسى مبعوثاً إلى القِبْط وبني إسرائيل. وقيل: إلى القِبْط بالاعتراف بوحدانية الله وأن لا يُشْرَكَ به، والإيمانِ بموسى وأنه نبيٌّ من عند الله، وإلى بني إسرائيل بالتكليف بفروع[3] شريعته إذ كانوا مؤمنين.

ويحتمل «وذَكِّرْهُمْ» أن يكون أمراً مستأنَفاً، وأن يكون معطوفاً على «أَخْرِجْ»[4] فيكون في حَيِّز «أنْ».

و«أيَّامُ الله» قال ابن عبَّاس ومجاهد وقتادة: نِعَمُ اللهِ عليهم[5]. ورواه أُبيّ مرفوعاً[6]. ومنه قول الشاعر:

وأيامٍ لنا[7] غُرٌّ طِوالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينا[8]

وعن ابن عباس أيضاً ومقاتل وابن زيد: وقائعُه ونَقِماتُه في الأمم الماضية[9]، ويقال: فلان عالِمٌ بأيَّام العرب، أي: وقائِعها وحُروبِها ومَلَاحِمها، كيوم ذي قار،

---

(١) في (يه): من.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٣-٣٢٤.
(٣) في (أ) و(د١) و(د٢) و(ع) والمطبوع: وبفروع. والمثبت من (ح) و(ز١) و(يه).
(٤) المثبت من (ز١) و(يه)، وفي النسخ الأخرى: أن أخرج.
(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٥٩٦-٥٩٧، والنكت والعيون ٣/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٠٦.
(٦) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٢١١٢٨).
(٧) ضبط في (ح) و(ز١): وأيامٌ لنا، ولم أقف على من ضبَطَه كذلك، إنما ذُكر فيه أن قوله: «أيام» معطوف على قوله قبلَه: «بأنَّا»، أو أن تُجعل الواو بدلاً من «رُبَّ».
(٨) البيت لعمرو بن كلثوم التغلبي، والبيت من معلَّقته. ينظر شرحُها لابن كيسان ص٥٩، وشرح القصائد التسع للنحاس ٢/ ٦٢٩، وروايتُه فيهما: وأيامٍ لنا ولهم طوالٍ. وذكر له صاحب اللسان (دين) أيضاً رواية: وأياماً لنا غُرًّا كراماً.
(٩) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٥٩٧، وزاد المسير ٤/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٠٧.

ويوم الفِجَار، ويوم قِضَّة وغيرِها[١]. ورُوِيَ نحوه عن مالك؛ قال: بلاؤه[٢]. وقال الشاعر:

وأيامُنا مشهورةٌ في عَدُوِّنا[٣]

أي: وقائعُنا.

وعن ابن عباس أيضاً: نَعماؤه وبلاؤه. واختاره الطبري[٤]، فنَعْماؤه بتظليلِهِ عليهم الغَمام وإنزالِ المنّ والسَّلْوَى وفَلْقِ البحر، وبلاؤه باستعباد فرعون لهم، وتذبيح أبنائهم، وإهلاك القرون قبلَهم.

وفي حديث أُبَيٍّ في قصَّة موسى والخَضِر: «بينما موسى عليه السلام في قومه يُذَكِّرُهُم بأيَّام الله، وأيامُ الله بلاؤه ونَعماؤه» واختار الطبريّ هذا القول الأخير[٥].

ولفظة الأيام تعمُّ المعنَيَيْن، لأنَّ التذكير يقعُ بالوجهين جميعاً، وفي هذه اللفظة تعظيمُ الكوائن المذكَّر بها، وعبَّر عنها بالظرف الذي وقعَتْ فيه، وكثيراً ما يقع الإسنادُ إلى الظروف، وفي الحقيقة الإسنادُ لغيرها كقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ومن ذلك قولهم: يومٌ عَبُوس، ويومٌ عَصِيب، ويوم بسَّام، والحقيقةُ وصفُ ما وقعَ فيه من شدَّةٍ أو سرور.

والإشارة بقوله: «إن في ذلك» إلى التذكير بأيَّام الله، و«صَبَّار» و«شَكُور» صفتا مبالغة، وهما مشعرتان بأنَّ «أيام الله» المرادُ بهما[٦] بلاؤه ونَعْماؤه، أي: صَبَّارٍ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٧. ويوم ذي قار يومٌ انتصر فيه العرب على الفُرس، ويوم الفِجار، أو أيام الفِجار كانت فيها وقائع بين الأوس والخزرج، ويوم قِضَّة هو اليوم الخامس من الأيام التي اشتدَّت فيها الحرب بين بكر وتغلب. ينظر الكامل في التاريخ ١/ ٤٨٢ و٥٣٧ و٦٧٦-٦٧٨.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ١٠٧.

(٣) هو صدر بيت للسَّمَوْأَل، كما في ديوان المعاني ١/ ٣٧، ومنتهى الطَّلَب من أشعار العرب ٨/ ١٧٤، وهو فيه ضمن قصيدة له، ونُسب في الحماسة ١/ ١١٠ (بشرح المرزوقي) لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي، قال: ويقال إنه للسموأل، وعَجُزُه: لها غُرَرٌ معلومةٌ وحُجُولُ.

(٤) تفسيره ١٣/ ٥٩٤.

(٥) الحديث في صحيح مسلم (٢٣٨٠): (١٧٢). وسلف كلام المصنف عن اختيار الطبري.

(٦) في (ح) و(د١): بها.

على بلائه، شكورٍ لِنَعْمائه، فإذا سمعَ بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو بما أفاضَ عليهم من النِّعَم؛ تنبَّه على ما يجبُ عليه من الصبر إذا أصابه بلاء، ومن الشكر إذا أصابَتْه نَعْماء[١].

وخصَّ الصَّبَّارَ والشَّكُورَ، لأنَّهما هما اللذان ينتفعان بالتذكير والتنبيه ويتَّعظان به.

وقيل: أراد لكلِّ مؤمنٍ ناظرٍ لنفسه؛ لأنَّ الصبر والشكر من سجايا أهل الإيمان[٢].

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾.

لمَّا تقدَّم أمرُهُ تعالى لموسى بالتذكير بأيَّام الله؛ ذكَّرَهم بما أنعم تعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون، وفي ضمنها تعدادُ شيء ممَّا جرى عليهم من نَقِمات الله.

وتقدَّم إعرابُ «إذ» في نحو هذا التركيب في قوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ [آل عمران: ١٠٣] وتفسيرُ نظير هذه الآية إلا أنَّ هنا: «ويُذَبِّحُونَ» بالواو، وفي البقرة [٤٩] بغير واو، وفي الأعراف [١٤١] «يُقَتِّلون» فحيث لم يُؤت بالواو؛ جُعل الفعل تفسيراً لقوله: «يَسُومُونكم» وحيث أتى بها دلَّ على المغايرة، وأنَّ سَوْمَ سوءِ العذاب كان بالتذبيح وبغيره[٣]، وحيث جاء «يُقَتِّلُون» جاء باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح ولغيره من أنواع القتل.

وقرأ ابنُ محيصن: «ويَذْبَحُون» مضارع «ذَبَحَ» ثلاثياً[٤]، وقرأ زيد بنُ عليّ كذلك؛ إلا أنه حَذَفَ الواو.

---

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٣٦٧.
(٢) بنحوه في المصدر السالف.
(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٨-٦٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٥٥، والكشاف ٢/ ٣٦٨.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٥.

وتقدَّم شرحُ «تَأَذَّنَ» وتلقِّيهِ بالقَسَم في قوله في الأعراف [١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ﴾.

واحتمل «إذْ» أن يكون منصوباً بـ «اذكروا»، وأن يكون معطوفاً على «إذْ أنجاكم» لأنَّ هذا الإعلام بالمزيد على الشكر من نِعَمِهِ تعالى.

والظاهرُ أنَّ متعلَّق الشكر هو الإنعام، أي: لئن شكرتم إنعامي. وقاله الحسن والربيع؛ قال الحسن: لأزيدنَّكم من طاعتي، وقال الربيع: لأزيدنَّكم من فضلي[١].

وقال ابن عباس: أي: لئن وَحَّدْتُم وأطعتُم لأزيدنَّكم في الثواب[٢]. وكأنَّه راعى ظاهرَ المقابلة في قوله: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ فظاهرُ الكفر المرادُ به الشركُ، فلذلك فسَّر الشكر بالتوحيد والطاعة.

وغيرُه قال: «ولئن كفرتُم» أي: نعمتي فلم تشكروها؛ رَتَّبَ العذابَ الشديدَ على كفران نِعَمِهِ تعالى[٣]. ولم يبيِّن محلَّ الزِّيادة، فاحتمل أن يكون في الدنيا، أو في الآخرة، أو فيهما[٤].

وجاء التركيب على ما عُهِدَ في القرآن من أنه إذا ذكر الخَيْر[٥] أسند إليه تعالى، وإذا ذكر العذاب بعدَه عَدل عن نسبته إليه، فقال: «لأزيدنَّكم» فنسب الزِّيادة إليه، وقال: «إن عذابي لشديد» ولم يأت التركيب: لَأُعذِّبَنَّكم.

وصُرِّح[٦] في «لأزيدنَّكم» بالمفعول، وهنا لم يُذكر، وإن كان المعنى عليه، أي: إنَّ عذابي لكم لشديد.

---

(١) زاد المسير ٤/ ٣٤٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٠٩. وأخرج الطبري قول الحسن ١٣/ ٦٠٢، وأخرج أيضاً مثله عن سفيان وعليّ بن صالح، وضعَّفَه، فتعقَّبه ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٥ بقوله: بل هو قويّ حسن.

(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ١٠٩، ولفظ قوله في الوسيط للواحدي ٣/ ٢٤: لئن وحَّدتمُوني وأطعتُموني لأزيدنَّكم طاعتي التي تقود إلى جنتي.

(٣) في (د٢) والمطبوع: نعمة الله تعالى.

(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٥.

(٥) في (أ) والمطبوع: الخبر، وهو تصحيف.

(٦) المثبت من (ز١) و(ي٥). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: وخرج.

وقرأ عبد الله: «وإذ قال ربكم»[1] كأنه فسَّر قوله: «تَأَذَّنَ» لأنه بمعنى «أَذِنَ» أي: أعْلَمَ، وأعْلَمَ يكون بالقول.

ثم نَبَّهَ موسى عليه السلام قومَه على أنَّ الباريَ تعالى وإنْ أَوْعَدَ بالعذاب الشديد على الكفر فهو غيرُ مفتقرٍ إلى شُكركم، لأنه تعالى هو الغنيُّ عن شكركم، الحميدُ المستوجبُ الحمدَ على ما أسبغَ من نِعمِهِ وإنْ لم يحمده الحامدون، فثمرةُ شكرِكم إنَّما هي عائدة إليكم.

و«أنتم» خطابٌ لقومه، وقال: «ومَنْ في الأرض» يعني الناسَ كلَّهم لأنَّ مَنْ كان في العالم العُلْويِّ ـ وهم الملائكة ـ لا يدخلون فيمن في الأرض.

وجواب «إنْ تكفُروا» محذوف لدلالة المعنى، التقدير: فإنَّما ضررُ كفرِكم لاحقٌ بكم، واللهُ تعالى متَّصف بالغِنَى المطلق والحمدِ، سواء أكفرُوا أم شكرُوا. وفي خطابِه لهم تحقيرٌ لشأنهم وتعظيمٌ للهِ تعالى، وكذلك في ذكرِ هاتين الصفتين.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾.

الظاهرُ أنَّ هذا من خطاب موسى لقومه. وقيل: ابتداءُ خطاب من الله لهذه الأمَّة. وخبرُ قوم نوح وعاد وثمود قد قصَّه الله في كتابه، وتقدَّم في الأعراف وهود.

والهمزة في «أَلَمْ» للتقرير والتوبيخ، والظاهر أنَّ «والذين» في موضع خفض عطفاً على ما قبلَه؛ إمَّا على «الذين»، وإمَّا على قوم نوح وعاد وثمود.

قال الزمخشري[2]: والجملةُ من قوله: «لا يَعْلَمُهُمْ إلا الله» اعتراضٌ، والمعنى

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٦٠١، والكشاف ٢/ ٣٦٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٠٨.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٦٨.

أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عَدَدَهُم إلا الله. انتهى. وليست جملة اعتراض؛ لأنَّ جملة الاعتراض تكونُ بين جزأين يطلبُ أحدُهما الآخر.

وقال أبو البقاء[١]: تكونُ هذه الجملة حالاً من الضمير في «مِنْ بعدِهم» فإنْ عَنَى من الضمير المجرور في «بعدِهم» فلا يجوز لأنه حالٌ ممَّا جُرَّ بالإضافة، وليس له محلّ إعراب من رفع أو نصب، وإن عَنَى من الضمير المستقرّ في الجارّ والمجرور النائب عن العامل أمكن.

وقال أبو البقاء أيضاً: ويجوز أن يكون مستأنفاً، وكذلك «جاءتهم».

وأجاز الزمخشريّ وتبعَه أبو البقاء أن يكون «والذين» مبتدأ، وخبرُه «لا يعلمهم إلا الله». وقال الزمخشريّ: والجملة من المبتدأ والخبر وقعت اعتراضاً. انتهى. وليست باعتراض لأنها لم تقع بين جزأين أحدُهما يطلبُ الآخَر.

والضميرُ في «جاءتهم» عائدٌ على «الذين من قبلكم» والجملة تفسيرية للنبأ.

والظاهر أنَّ الأيدي هي الجوارح، وأنَّ الضميرين في «أيديهم» وفي «أفواههم» عائدان[٢] على الذين جاءتهم الرسل. قال ابن مسعود وابنُ زيد: أي: جعلوا أيديَ أنفسِهم في أفواه أنفسِهم[٣] لِيَعَضُّوها غيظاً ممَّا جاءت به الرُّسُل، وقرأ ابنُ زيد: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[٤] [آل عمران: ١١٩] والعَضُّ بسبب الغيظ[٥] مشهورٌ من البشر، وقال الشاعر:

قَدَ افْنَى أنامِلَه أَزْمُهُ ... وأَضْحَى يَعَضُّ عَلَيَّ الوَظِيفَا[٦]

---

(١) الإملاء ٢/ ٦٦.
(٢) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: وأن الضمير في... عائد.. إلخ.
(٣) في (ح) و(د١): جعلوا أيديهم أي أيدي أنفسهم في أفواه أنفسهم.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٦٠٥-٦٠٦، والثعلبي ٣/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٢٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١١، وبنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٢٤، وزاد المسير ٤/ ٣٤٨، وذكر القرطبي أنه أصحُّ الأقوال.
(٥) لفظة «الغيظ» من (ز١) و(يه). ولم ترد في النسخ الأخرى والمطبوع.
(٦) البيت لصخر الغي، وهو في ديوان الهذليين ٢/ ٧٣. قوله: الأَزْمُ يعني العضّ الشديد. والوظيف: مستدقّ الذراع والساق. وأراد هنا الكف. قال البكري في شرح الأمالي ١/ ٥٠٢: الوظيف هنا مَثَل، وإنما يريد كفَّه حين ذهبت أصابعه.

وقال آخر:

لـو أنَّ سَـلْـمَـى أبْـصَـرَتْ تَـخَـدُّدِي ودِقَّـةً فـي عَـظْـمِ سـاقـي ويَـدِي

وبُـعْـدَ أهـلـي وجَـفـاءَ عُـوَّدِي عَـضَّـتْ من الـوَجْدِ بأطرافِ الـيَدِ[١]

وقال ابن عباس: لمَّا سمعوا كتابَ الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم[٢].

وقال أبو صالح: لمَّا قال لهم رسول الله ﷺ: «أنا رسولُ اللهِ إليكم» أشارُوا بأصابعهم إلى أفواههم أنِ اسكُت[٣]. تكذيباً له وردًّا لقوله[٤] واستبشاعاً لِما جاء به.

وقيل: رَدُّوا أيديَهم في أفواههم ضَحِكاً واستهزاءً كمن غَلَبَهُ الضَّحِك، فوضعَ يدَه على فيه.

وقيل: أشارُوا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم: «إنَّا كَفَرْنا بما أُرسلتُم به»، أي: هذا جوابٌ لكم ليس عندنا غيره، إقناطاً لهم من التصديق[٥].

وقيل: الضميرانِ عائدانِ على الرُّسل. قاله مقاتل؛ قال: أخذُوا أيديَ الرُّسل ووضعوها على أفواه الرسل ليُسكتوهم ويقطعُوا كلامهم[٦].

(١) البيتان لرجل اعتلَّ في غُربةٍ فتذكَّر أهلَه، كما في الكامل للمبرِّد ١/ ٢٦٣. وهما أيضاً في التذكرة الحمدونيَّة ٨/ ١٣٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٢٦، والنكت والعيون ٣/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١٢.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٦٠٧، والثعلبي ٣/ ٤٥٧، والنكت والعيون ٣/ ١٢٤، والقرطبي ١٢/ ١١١، وبنحوه مختصر في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٦.

(٣) لفظ الخبر في المصادر (وهذا لفظ القرطبي): «كانوا إذا قال لهم نبيُّهم: أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم أن اسكت». وسياقة المصنف تُوهم أنَّ الكلام عن نبيِّنا ﷺ وينظر النكت والعيون ٣/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١١. وهو في معاني الفراء ٢/ ٦٩ وزاد المسير ٤/ ٣٤٨ عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) في (ح) و(د١): تكذيباً لقوله ورداً له.

(٥) القولان في الكشاف ٢/ ٣٦٩.

(٦) تفسير القرطبي ١٢/ ١١٢، ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٦ للمهدوي وضعَّفه. وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٥٧.

وقال الحسن وغيرُه: جعلوا أيديَ أنفسِهم في أفواه الرُّسل ردًّا لقولهم[١]. وهذا أشنعُ في الردّ وأذهبُ في الاستطالة على الرُّسل والنَّيْلِ منهم. فعلى هذا الضمير في «أيديهم» عائد على الكفار، وفي «أفواههم» عائد على الرُّسل.

وقيل: المراد بالأيدي هنا النِّعم، جمعُ يَدٍ، المرادُ بها النِّعمة[٢]، أي: رَدُّوا نِعَمَ الأنبياء التي هي أجلُّ النِّعَم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواه الأنبياء؛ لأنهم إذا كذَّبوها ولم يقبلوها فكأنَّهم رَدُّوها في أفواههم ورَجَعُوها إلى حيث جاءت منه على طريق المَثَل. وقيل: الضمير في أفواههم على هذا القول عائدٌ على الكفار، و«في» بمعنى الباء، أي: بأفواههم، والمعنى كذَّبوهم بأفواههم. و«في» بمعنى الباء يقال: جلستُ في البيت وبالبيت[٣].

وقال الفرَّاء: قد وجدنا من العرب مَنْ يجعلُ «في» موضعَ الباء فتقول: أدخلك الله بالجنَّة[٤] وفي الجنَّة. وأنشد:

وأرغب فيها[٥] عن لقيطٍ ورَهْطِهِ ولكنَّني عن سِنْبِسٍ لستُ أَرْغَبُ[٦]

يريد: أرغبُ بها.

وقال أبو عبيدة[٧]: هذا ضَرْبُ مَثَل، أي: لم يؤمنوا ولم يُجيبوا، والعربُ تقول للرجل إذا سكتَ عن الجواب وأمسكَ: رَدَّ يدَه في فيه. وقاله الأخفش أيضاً.

وقال القتبي[٨]: لم نسمع أحداً من العرب يقول: رَدَّ يدَه في فيه إذا تركَ ما أُمِرَ به. انتهى. ومن سمعَ حُجَّةٌ على مَنْ لم يسمع. هذا أبو عبيدة والأخفش نقلا ذلك

(١) النكت والعيون ٣/ ١٢٥، وزاد المسير ٤/ ٣٤٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١٢.
(٢) بمعنى الأيادي، كما في الكشاف ٢/ ٣٦٩، والكلام فيه.
(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ١١٢.
(٤) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: الجنة. (وليست مرادةً هنا).
(٥) المثبت من النسختين السالفتين. وفي الأخرى: من.
(٦) معاني الفراء ٢/ ٧٠، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٠٨، وزاد المسير ٤/ ٣٤٩. قال الفراء: «أرغب فيها، يعني بنتاً له». وسِنْبِس: قبيلة. ينظر القاموس.
(٧) بمعناه في مجاز القرآن ١/ ٣٣٦، ولفظهُ عنه في تفسير القرطبي ١٢/ ١١٢.
(٨) هو ابن قُتيبة، وكلامه في تفسير القرطبي ١٢/ ١١٣، وينظر غريب القرآن له ص٢٣٠-٢٣١.

عن العرب، فعلى ما قاله أبو عبيدة يكون ذلك من مجاز التمثيل، كأنَّ المُمسك عن الجواب الساكت عنه وضعَ يده على فيه.

وقد ردَّ الطبريّ[١] قولَ أبي عبيدة وقال: إنهم قد أجابوا بالتكذيب لأنهم قالوا: «إنَّا كفَرْنا بما أُرسلتم به». ولا يَرِدُ ما قاله الطبريّ؛ لأنه يريد أبو عبيدة أنهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضيّ الذي يقتضيه مجيء الرسل بالبيِّنات، وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق للرسل.

قال ابن عطية[٢]: ويحتمل أن يُتَجَوَّز في لفظة الأيدي، أي إنَّهم رَدُّوا قوَّتهم ومدافعتَهم ومكافحتَهم فيما قالوا بأفواههم من التكذيب، فكأنَّ المعنى: رَدُّوا جميعَ مدافعتِهم في أفواهِهم، أي: في أقوالهم، وعُبِّر عن جميع المدافعة بالأيدي، إذ الأيدي موضع أشدّ المدافعة والمرادَّة. انتهى.

بادروا أولاً إلى الكفر، وهو التكذيب المحض، ثم أخبَرُوا بأنهم في شكّ، وهو التردُّد، كأنَّهم نظروا بعضَ نظر اقتضى أن انتقلوا من التكذيب المحض إلى التردُّد، أو هما قولان من طائفتين؛ طائفةٍ بادرَتْ بالتكذيب والكفر وطائفةٍ شكَّتْ، والشكُّ في مثل ما جاءت به الرُّسل كفرٌ.

وقرأ طلحة: «ممَّا تَدْعُونَّا» بإدغام نون الرفع في الضمير[٣] كما تُدغم في نون الوقاية في مثل ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ [الأنعام: ٨٠]. والمعنى: ممَّا تدعوننا إليه من الإيمان بالله. و«مُرِيب» صفة توكيديَّة.

ودخلت همزة الاستفهام الذي معناه الإنكار على الظرف الذي هو خبرٌ عن المبتدأ لأنَّ الكلام ليس في الشكّ إنَّما هو في المشكوك فيه، وأنه لا يحتمل الشَّكَّ لظهور الأدلَّة وشهادتِها عليه[٤]، وقُدِّرَ مضاف، فقيل: أفي إلاهيَّةِ الله؟ وقيل: أفي وحدانيَّتِه؟

---

(١) تفسيره ١٣/٦٠٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٢٦.
(٣) المصدر السالف، وهي في الكشاف ٢/٣٦٩ دون نسبة.
(٤) الكشاف ٢/٣٦٩.

ثم نبَّههم على الوصف الذي يقتضي أن لا يقعَ فيه شكٌّ البتَّة ـ وهو كونهُ منشئَ العالَمِ ومُوجِدَه ـ فقال: «فاطرِ السماوات والأرض»، و«فاطر» صفة لله، ولا يضرُّ الفصلَ بين الموصوف وصفتِه بمثل هذا المبتدأ، فيجوز أن تقول: في الدار زيدٌ الحسنةِ. وإن كان أصلُ التركيب: في الدار الحسنةِ زيدٌ.

وقرأ زيد بن عليّ: «فاطِرَ» نصباً على المدح.

ولمَّا ذكرَ أنه مُوجِدُ العالَمِ ونبَّه على الوصف الذي لا يناسبُ أن يكون معه فيه شكٌّ ذكرَ ما هو عليه من اللُّطف بهم والإحسان إليهم، فقال: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ أي: يدعوكم إلى الإيمان كما قال: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [المؤمن: ١٠] أو يدعوكم لأجل المغفرة، نحو: دعوتُه لينصرني[١]. وقال الشاعر:

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَراً فَلَبَّى، فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ[٢]

و«من ذنوبكم» ذهبَ أبو عبيدة والأخفش إلى زيادة «مِنْ» أي: ليغفرَ لكم ذنوبَكم، وجمهورُ البصريين لا يُجيزُ زيادتها في الواجب، ولا إذا جرَّت المعرفة، والتبعيضُ يصحُّ فيها، إذِ المغفورُ هو ما بينَهم وبين الله، بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم، وبطريق آخر يصحُّ التبعيض، وهو أنَّ الإسلام يَجُبُّ ما قبلَه، ويَبقَى ما يُستأنف بعد الإيمان من الذنوب مسكوتاً عنه، فهو في المشيئة، والوعدُ إنَّما هو بغفران ما تقدَّم، لا بغفران ما يُستأنف.

وقال الزمخشريّ ما معناه[٣]: إنَّ الاستقراء في الكافرين أن يأتيَ «من ذنوبكم» وفي المؤمنين «ذنوبَكم» وكأنَّ ذلك للتفرقة بين الخطابَيْن، ولئلا يُسَوَّى بين الفريقين. انتهى. ويقال: ما فائدةُ الفرق في الخطاب والمعنى مشترك؟ إذِ الكافرُ

(١) المصدر السالف.

(٢) الكتاب ١/ ٣٥٢، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٧٤٧، والحماسة ٣/ ١٢٤٧ و٤/ ١٨١٨ (بشرح المرزوقي)، واللسان (لبب ـ لبَّى)، ولا يُعرف قائلُه كما ذكر صاحب الخزانة ٢/ ٩٣. قولُه: فلبَّى، أي قال: لبَّيْك. فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ، أي: أجبتُه إجابةً بعدَ إجابة. والبيت شاهدٌ على إضافة «لَبَّيْ» إلى الظاهر، إذ هي ملازمة للإضافة إلى ضمير المخاطب غالباً في قولك: لبيك.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٦٩.

إذا آمنَ والمؤمنُ إذا تابَ مشتركانِ في الغفران، وما تُخُيِّلَتْ فيه مغفرةُ بعضِ الذنوب في الكافر الذي آمنَ هو موجودٌ في المؤمن الذي تاب.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: أمَّا قولُ صاحب «الكشاف»: المرادُ تمييزُ خطابِ المؤمن من خطابِ الكافر، فهو من باب الطَّامَّات[١] لأنَّ هذا التبعيضَ إن حصل فلا حاجة إلى ذكر هذا الجواب، وإن لم يحصل كان هذا الكلام فاسداً[٢].

وقال: «إلى أجلٍ مسمًّى»: إلى وقتٍ قد سمَّاه وبَيَّنَ[٣] مقدارَه [يبلِّغكمُوه][٤] إنْ آمنتُم، وإلَّا عاجَلَكُم بالهلاك قبل ذلك الوقت. انتهى. وهذا بناءً على القول بالأجلَيْن، وهو مذهب المعتزلة.

وتقدَّم الكلام في طرفٍ من هذا في سورة الأعراف [٣٤] في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

وقيل هنا ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قبل الموت[٥] فلا يعاجلُكم بالعذاب.

«إنْ أنتم»: ما أنتم[٦] «إلا بشرٌ مثلُنا» لا فضلَ بينَنا وبينَكم، ولا فضلَ لكم علينا، فلِمَ تُخَصُّون بالنُّبوَّة دوننا؟

قال الزمخشري[٧]: ولو أرسلَ الله إلى البشر رسلاً لجعلَهم من جنسٍ أفضلَ منهم، وهم الملائكة. انتهى. وهذا على مذهب المعتزلة في تفضيل الملائكة على مَنْ سواهم.

---

(١) كلمة «الطامات» من المطبوع وتفسير الرازي ١٩/ ٩٤، ولم ترد في (أ) و(د١)، ومكانها بياض في النسخ الأخرى.

(٢) إلى هذا الموضع من تفسير الرازي ١٩/ ٩٤. وينظر التعليق التالي.

(٣) في (ح) والمطبوع: قد بيَّنَاه وبيَّنَّا. وفي النسخ الأخرى غير (يه): قد بيَّنَاه وبيَّن. والمثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٢/ ٣٦٩، وقد وُصل الكلام منه بكلام الرازي قبله، لكنه بنحوه أيضاً في تفسير الرازي ١٩/ ٩٥.

(٤) ما بين حاصرتين من الكشاف.

(٥) كذا. ولعل صواب العبارة: يعني الموت، ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٥٧، وزاد المسير ٤/ ٣٥١، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١٤.

(٦) لفظ «ما أنتم» من (ز١) و(يه). ولم يرد في النسخ الأخرى.

(٧) الكشاف ٢/ ٣٦٩-٣٧٠.

وقال ابن عطية: في قولهم استبعادُ بعثةِ البشر، وقال بعض الناس: بل أرادوا إحالتَه، وذهبوا مذهبَ البراهمة أو مَنْ يقولُ من الفلاسفة أنَّ الأجناس لا يقعُ فيها هذا التباين[1]، فظاهرُ كلامِهم لا يقتضي أنَّهم أغمضوا هذا الإغماض. ويدلُّ على ما ذكرتُ أنَّهم طلبوا منهم حجة[2]، ويحتمل أنَّ طلبهم منهم السلطان إنَّما هو على جهة التعجيز، أي: بِعْثَتُكم محالٌ، وإلا فأتوا بسلطان مبين، أي إنكم لا تفعلون ذلك أبداً. فيقوى بهذا الاحتمال منحاهم إلى مذهب الفلاسفة. انتهى.

والذي يظهر أنَّ طلبَهم السلطان المبين وقد أتتهم الرسل بالبينات إنما هو على سبيل التعنُّت والاقتراح، وإلا فما أَتَوْا به من الدلائل والآيات كافٍ لمن استبصر، ولكنهم قَلَّدُوا آباءهم فيما كانوا عليه من الضلال، ألا ترى إلى أنَّهم لمَّا ذكروا أنهم مماثِلُوهم قالوا: ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ أي ليس مقصودُكم إلا أن نكونَ لكم تبعاً ونتركَ ما نشأنا عليه من دين آبائنا.

وقرأ طلحة: «أنْ تَصُدُّونَّا» بتشديد النون، جعل «أنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، وقدَّر فصلاً بينها وبين الفعل، وكان الأصل: أنَّه تَصُدُّونَنَا[3]، فأدغم نون الرفع في الضمير، والأَوْلَى أن تكون «أنْ» الثنائية التي تنصب المضارع[4]، لكنه هنا لم يُعملها بل ألغاها كما ألغاها من قرأ ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] برفع «يُتِمُّ» حملاً على «ما» المصدرية أختِها.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

(١) المثبت من (ز١) و(يه). وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٨ والكلام منه، وفي النسخ الأخرى: القياس، بدل: التباين.

(٢) عبارة المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٨: ويدلُّ على ما ذكرتُ أنهم طلبوا منهم الإتيان بآية وسلطان مبين، ولو كانت بعثُهم عندهم محالاً لما طلبوا منهم حجة. . . . إلخ.

(٣) وعلى تقدير الفصل، أي: أنه قد تصدوننا. وشذَّ عدم الفصل. ينظر الدر المصون ٧/ ٧٥، وروح المعاني ١٣/ ٢٤٠.

(٤) و«أنْ» الناصبة هذه ثنائية اللفظ والوضع، أمَّا «أنْ» المخففَّة من الثقيلة، فهي ثنائية اللفظ، ثلاثية الوضع. ينظر شرح ابن عقيل ٢/ ٣٤٢، ومغني اللبيب ص٤٧.

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾.

سَلَّمُوا لهم في أنهم يماثلونهم[١] في البشرية وحدَها، وأمَّا ما سوى ذلك من الأوصاف التي اختُصُّوا بها فلم يكونوا مثلَهم، ولم يذكروا ما هم عليه من الوصف الذي تميَّزُوا به تواضعاً منهم، ونسبوا[٢] ذلك إلى الله، ولم يُصَرِّحُوا بمَنِّ اللهِ عليهم وحدَهم ولكن أبرزُوا ذلك في عموم «مَنْ يشاءُ مِنْ عِباده»، والمعنى: يَمُنُّ بالنبوَّة على مَنْ يشاء تنبيئَهُ[٣].

ومعنى «بإذن الله»: بتسويغِه وإرادتِه، أي الآيةُ التي اقترحتُموها ليس لنا الإتيانُ بها، ولا هي في استطاعتنا، ولذلك كان التركيب: «وما كان لنا»، وإنَّما ذلك أمرٌ متعلِّقٌ بالمشيئة.

و«فَلْيَتَوَكَّلْ» أمرٌ منهم للمؤمنين بالتوكّل وقصدوا به أنفسَهم قصداً أوليًّا، وأمرُوها به، كأنَّهم قالوا: ومِن حقِّنا أنْ نتوكَّلَ على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم. ألا ترى إلى قولهم[٤]: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾؟ ومعناه: وأيُّ عُذْرٍ لنا في أن لا نتوكّل على الله «وقد هدانا» فعلَ بنا ما يُوجب توكُّلَنا عليه، وهو التوفيقُ لهداية كلِّ واحدٍ منا سبيلَه الذي يجب[٥] عليه سلوكُه في الدِّين. والأمرُ الأولُ ـ وهو قولُه: «فلْيتوكَّل المؤمنون» ـ لاستحداث التوكُّل، والثاني للثبات على ما استحدثُوا من توكُّلهم[٦].

«ولَنَصْبِرَنَّ» جوابُ قَسَمٍ، ويدلُّ على سبقِ ما يجبُ فيه الصبر وهو الأذى. و«ما»

(١) في (ح) و(د٢): مماثلوهم، وفي (ع): ماثلوهم.
(٢) في النسخ عدا (ح): ونسبة، والمثبت منها.
(٣) في (ح) والمطبوع: تنبئته.
(٤) في (يه): قوله. وكذلك هو في الكشاف ٢/ ٣٧٠ والكلام فيه.
(٥) في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع): يوجب. والكلام في المصدر السالف.
(٦) بنحوه في المصدر السالف بسياق سؤال وجواب.

مصدريَّة، وجوَّزوا أن تكون بمعنى «الذي» والضمير محذوف، أي: ما آذيتموناه، وكان أصلُه: «به»، فهل حُذف «به» أو الباء فوصَلَ الفعلُ إلى الضمير؟ قولان.

وقرأ الحسن بكسر لام الأمر في «ليتوكل» وهو الأصل[١].

و«أو» لأحد الأمرين؛ أقسموا على أنه لا بدَّ من إخراجهم أو عودِهم في ملّتهم، كأنهم قالوا: ليَكوننَّ أحدُ هذين. وتقديرُ «أو» هنا بمعنى «حتى» أو بمعنى «إلا أنْ» قولُ مَنْ لم يُنعم النظرَ في ما بعدَها، لأنه لا يصحُّ تركيب «حتى» ولا تركيب «إلا أن» مع قوله: «لَتَعُودُنَّ» بخلاف: لألزمنَّك أو تَقْضِيَني حقِّي[٢].

والعَوْدُ هنا بمعنى الصيرورة[٣]، أو يكون خطاباً للرُّسل ومَنْ آمنُوا بهم. وغلبَ حكمُ مَنْ آمنوا بهم لأنهم كانوا قبل ذلك في ملَّتهم، فيصحُّ إبقاء «لَتَعُودُنَّ» على المفهوم منها أولاً، إذ سبقَ كونُهم كانوا في ملَّتهم، وأمَّا الرُّسل فلم يكونوا في ملَّتهم قطّ، أو يكون المعنى في عَوْدِهم إلى ملَّتهم: سكوتهم عنهم وكونهم أغفالاً عنهم لا يطالبونهم بالإيمان بالله وما جاءت به الرسل[٤].

وقرأ أبو حَيْوة: «لَيُهلكنَّ الظالمين ولَيُسْكِنَنَّكُم» بياء الغائب[٥] اعتباراً بقوله: «فأوْحَى إليهم ربُّهم» إذ لفظُه لفظُ الغائب.

وجاء «ولَنُسْكِنَنَّكُم» بضمير الخطاب[٦] تشريفاً لهم بالخطاب، ولم يأت بضمير الغيبة كما في قوله: «فأوْحَى إليه ربُّهم».

ولمَّا أقسموا هم[٧] على إخراج الرُّسل أو العودة[٨] في ملتهم؛ أقسمَ تعالى

---

(١) المحتسب ١/ ٣٥٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٢٩.
(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٧٠.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٢٩-٣٣٠.
(٥) القراءات الشاذة ص٦٨، والكشاف ٢/ ٣٧٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٠.
(٦) المثبت من (ز١) و(يه): وليسكننَّكم.
(٧) المثبت من (ز١) و(يه) ولم ترد لفظة «هم» في (ح) و(د١)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: بهم.
(٨) المثبت من (ح) و(ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى: والعودة.

على إهلاكِهم. وأيُّ إخراجٍ[(١)] أعظم من الإهلاك بحيث لا يكون لهم عودةٌ إليها أبداً وعلى إسكانِ الرُّسُلِ ومن آمنَ بهم وذُرِّيَّاتِهم أرضَ أولئك المُقسِمين على إخراج الرسل؟

قال ابن عطية: وخصَّ الظالمين من الذين كفروا، إذ جائز أن يؤمنَ من الكفَرة الذين قالوا المقالة ناسٌ، وإنَّما توعَّد لإهلاك[(٢)] من خَلَصَ للظلم.

وقال غيره: أراد بالظالمين المشركين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

والإشارة بـ «ذلك» إلى توريث الأرض الأنبياءَ ومَنْ آمنَ بهم بعد إهلاك الظالمين، كقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

و«مقام» يحتمل المصدر والمكان، فقال الفرَّاء: «مَقَامي» مصدر أُضِيفَ إلى الفاعل، أي: قيامي عليه بالحفظ لأعماله ومراقبتي إيَّاه؛ لقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال الزجاج: مكانَ[(٣)] وقوفِه بين يديَّ للحسابِ وهو موقف الله الذي يقفُ فيه عباده يومَ القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

أو على إقحام «المقام» أي: لمن خافني.

والظاهر أنَّ الضمير في «واستفتحوا» عائدٌ على الأنبياء، أي: استنصروا اللهَ على أعدائهم، كقوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]. ويجوزُ أن يكون من الفُتاحة، وهي الحكومة، أي: استحكموا الله: طلبوا منه القضاءَ بينَهم.

واستنصارُ الرُّسل في القرآن كثير، كقولِ نوح: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي﴾ [الشعراء: ١١٨]، وقولِ لوط: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩]. وقولِ

(١) في (يه): وأتى بإخراج.
(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٠: بالإهلاك.
(٣) لفظة «مكان» ليست في (ح) و(د١) و(يه).

شعيب: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقولِ موسى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾ الآية [يونس: ٨٨].

وقال ابنُ زيد: الضميرُ عائد على الكفار، أي: واستفتح الكفار، على نحو ما قالت قريش: ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦]، وقول أبي جهل: اللهمَّ، أقْطَعُنا للرَّحِم وآتانا بما لا يُعرف[١]، فأحِنْهُ الغداة[٢]. وكأنَّهم لمَّا قَوِيَ تكذيبُهم وأذاهُم ولم يُعاجَلُوا بالعقوبة ظنُّوا أنَّ ما جاؤوا به باطل، فاستفتحوا على سبيل التهكّم والاستهزاء، كقول قوم نوح: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [هود: ٣٢]، وقومِ شعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وعادٍ: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٨]، وبعضِ قريش: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ [الأنفال: ٣٢].

وقيل: الضمير عائد على الفريقين الأنبياء ومكذِّبيهم لأنهم كانوا كلُّهم سألوا أن يَنصر المُحقَّ ويُبطل المُبطل.

ويُقَوِّي عودَ الضمير على الرُّسل خاصة قراءةُ ابن عباس ومجاهد وابن مُحيصن: «واسْتَفْتِحُوا» بكسر التاء[٣]، أمراً للرُّسل معطوفاً على «لَنُهلكنَّ» أي: أوحى إليهم ربُّهم وقال لهم: لَنُهلكنَّ، وقال لهم: اسْتَفْتِحُوا، أي: اطلُبوا النصرَ وسلُوه من ربّكم.

وقال الزمخشري[٤]: ويحتمل أن يكون أهلُ مكة قد استفتَحوا، أي: استمطروا، والفتح المطر في سِني القحط التي أُرسلت عليهم بدعوة الرسول فلم يُسْقَوْا، فذكر سبحانه ذلك، وأنه خيَّبَ رجاء كلِّ جبارٍ عنيد، وأنه يُسقى في جهنَّم بدَلَ سقياه ماءً آخرَ، وهو صَدِيدُ أهل النار، و«استفتحوا» على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرُّسل وأممِهم. انتهى.

---

(١) في (ح) و(يه): نعرف.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٠. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٢٧، وزاد المسير ٤/ ٣٥١، وتفسير القرطبي ١٢/ ١١٧. قوله: فأحِنْهُ، أي: أهْلِكْه.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٨، والمحتسب ١/ ٣٥٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٠، وزاد المسير ٤/ ٣٥١. وهي في الكشاف ٢/ ٣٧١ دون نسبة.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٧١.

و«خاب» معطوف على محذوف تقديرُه: فنُصِرُوا وظَفِرُوا وخابَ كلُّ جبَّارٍ عنيد، وهم قومُ الرُّسل.

وتقدَّم شرح «جبَّار». والعنيد المعانِد كالخليط بمعنى المُخالِط.

وعلى قول من جعل الضمير عائداً على الكفار كان «وخابَ» عطفاً على «واستفتحوا».

«من ورائه» قال أبو عبيدة وابنُ الأنباريّ: أي: من بعده[1]. وقال الشاعر:

حَلَفْتُ فلم أتركْ لنفسكَ رِيبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ[2]

وقال أبو عبيدة أيضاً وقُطرب والطبريّ وجماعة: و«من ورائه» أي: ومن أمامه[3]، وهو معنى قول الزمخشري: من بين يديه. وأَنْشَدَ:

عَسَى الكَرْبُ الذي أمْسَيْتُ فيهِ ... يكونُ وراءَه فَرَجٌ قَرِيبُ

وهذا وصفُ حالِهِ في الدنيا لأنَّه مُرصَدٌ لجهنم، فكأنها بين يديه وهو على شَفِيرِها، أو وصفُ حالِه في الآخرة حين يُبعث ويُوقف[4].

وقال الشاعر:

أيرجُو بنُو مروانَ سمعي وطاعتي ... وقَوْمي تميمٌ والفلاةُ وَرَائِيا[5]

وقال آخر:

أليسَ ورائي إنْ تراخَتْ مَنِيَّتي ... لزُومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابعُ[6]

---

(١) هو في زاد المسير ٤/ ٣٥٢ عن ابن الأنباري، وفي تفسير القرطبي ١٢/ ١١٩ عن أبي عبيد.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص١٧. ووقع في (د٢) ومطبوع البحر: مهرب، بدل: مذهب.

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٣٧، وتفسير الطبري ١٣/ ٦١٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٧١. والبيت ضمن قصيدة لهُدْبَة بن خشرم في الأمالي للقالي ١/ ٧٢، والحماسة البصرية ١/ ٤٤. وهو من شواهد سيبويه ٣/ ١٥٩.

(٥) نُسب البيت لسوار بن المضرّب في الكامل ٢/ ٦٢٨، وأضداد كلٌّ من ابن السكّيت ص١٧٦، والأصمعي ص٢٠، وابن الأنباري ص٦٨. ونُسب في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٠ لمساور بن حمثان من بني ربيعة بن كعب.

(٦) البيت للبيد، وهو في ديوانه ص٨٩.

و«وراء» من الأضداد، قاله أبو عُبيدة والأزهريّ، وقيل: ليس من الأضداد[(١)].

وقال ثعلب: اسمٌ لما تَوارَى عنك سواءٌ كانَ أمامَك أم خلفَك[(٢)].

وقيل: بمعنى: من خلفه، أي في طلبه، كما تقول: الأمر من ورائك، أي: سوفَ يأتيك[(٣)].

«ويُسْقى» معطوف على محذوف، تقديرُه: يُلْقَى فيها ويُسْقَى، أو معطوف على العامل في «من ورائه» إذْ هو واقع موقعَ الصفة، وارتفاعُ «جهنم» به على الفاعليَّة.

والظاهر إرادةُ حقيقة الماء، و«صَدِيد»؛ قال ابنُ عطية: هو نعتٌ لـ «ماء»، كما تقول: هذا خاتمُ حديدٍ، وليس بماء، لكنَّه لمَّا كانَ بَدَلَ الماء في العُرف عندنا يعني أُطلِقَ عليه ماء[(٤)].

وقيل: هو نعت على إسقاط أداة التشبيه كما تقول: مرَرْتُ برجلٍ أسدٍ، التقدير: مثل صديد[(٥)]. فعلى قول ابن عطية هو نفسُ الصَّديد، وليس بماء حقيقة، وعلى هذا القول لا يكون صديداً ولكنه ماءٌ شُبِّه بالصَّدِيد.

وقال الزمخشري[(٦)]: «صَدِيد» عطف بيان لـ «ماء»؛ قال: ويُسْقَى من ماء، فأبهمَه إبهاماً ثم بيَّنَه بقوله: «صَدِيد». انتهى. والبصريُّون لا يُجيزون عطفَ البيان في النكرات، وأجازه الكوفيُّون وتبعَهم الفارسيّ فأعربَ «زيتونةٍ»، عطف بيان لـ «شجرةٍ مباركة»[(٧)] فعلى رأي البصريِّين لا يجوزُ أن يكون قولُه: «صَدِيد» عطف بيان. وقال الحوفي: «صَدِيد» نعت لـ «ماء».

---

(١) ينظر مجاز القرآن ١/ ٣٣٧، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٠٤، والنكت والعيون ٣/ ١٢٧.

(٢) زاد المسير ٤/ ٣٥٢. وينظر معاني القرآن للزجَّاج ٣/ ١٥٦-١٥٧.

(٣) هو في تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٠ عن الأخفش، وينظر معانيه ٢/ ٥٩٨.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣١: عُدَّ ماءً، بدل: يعني أطلق عليه ماء.

(٥) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٢٨.

(٦) الكشاف ٢/ ٣٧١.

(٧) في الآية (٢٥) من سورة النور.

وقال مجاهد وقتادة والضحَّاك: هو ما[1] يسيلُ من أجساد أهلِ النار[2].

وقال محمد بنُ كعب والرَّبيع: هو غُسالةُ أهلِ النار في النار، وهو[3] ما يسيلُ من فروج الزناة والزواني.

وقيل: «صَدِيد» بمعنى مصدود عنه، أي: لكراهته يُصَدُّ عنه، فيكون مأخوذاً من الصَّدِّ[4].

وذكر ابنُ المبارك من حديث أبي أُمامة عن رسول الله ﷺ قال في قوله: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَكِدِيدٍ﴾ قال: «يُقَرَّبُ إليه[5] فيتَكَرَّهُهُ، فإذا أُدْنِيَ منه شَوَى وجهَه ووقَعَتْ فروةُ رأسه، وإذا شَرِبَه قَطَّعَ أمعاءَه حتى تخرج من دُبُره»[6].

«يَتَجَرَّعُهُ» يتكلَّفُ جَرْعَهُ «ولا يكادُ يُسِيغُه» أي: ولا يُقارب أن يُسِيغَهُ، فكيف تكون الإساغة؟ والظاهرُ هنا انتفاءُ مقاربةِ إساغتِه إيَّاه، وإذا انتفَتْ؛ انتفَتْ الإساغة، فيكون كقوله: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠] أي: لم يَقْرُبْ من رؤيتها، فكيف يراها؟ والحديث جاء بأنه يشربُه، فإنْ صحَّ الحديث كان المعنى: ولا يكادُ يُسِيغُه قبل أن يشربَه، ثم شَرِبَه، كما جاء: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] أي: وما كادوا يفعلون قبل الذبح.

وتَجرَّعَ تَفَعَّلَ، ويحتمل هنا وجوهاً: أن يكون للمطاوعة، أي: جَرَّعَهُ فتجرَّع، كقولك: علَّمتُه فتعلَّم، وأن يكون للتكلُّف، نحو: تَحَلَّم[7]، وأن يكون لمواصلة العمل في مُهلة، نحو: تَفَهَّم، أي: يأخذه شيئاً فشيئاً، وأن يكون موافقاً للمجرَّد، أي: تجرَّعَه، كما تقول: عدا الشيءَ وتعدَّاه.

---

(١) في (ح): ماء.
(٢) تفسير الطبري ١٣/ ١١٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣١، وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٠-١٢١.
(٣) في (د١) والمطبوع: وقيل: هو. وهو خطأ. فالكلام تابع لما قبله. وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٥٩، وزاد المسير ٤/ ٣٥٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢١.
(٤) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٢٨.
(٥) في (به): منه.
(٦) الزهد لابن المبارك (زوائد نُعيم بن حمَّاد) (٣١٤). وأخرجه الترمذي (٢٥٨٣) وقال: حديث غريب.
(٧) أي: يتكلَّف جَرْعَه. ينظر الدر المصون ٧/ ٨١.

و«يتجرَّعُه» صفة لِما قبله، أو حال من ضمير «يُسْقَى»، أو استئناف. «ويأتيه الموت» أي: أسبابُه. والظاهر أنَّ قوله: «من كلِّ مكان» معناه من الجهات الستّ، وذلك لفظيع ما[1] يصيبُه من الآلام.

وقال إبراهيم التيمي: من كل مكانٍ من جسده حتى من أطراف شعره[2]. وقيل: حتى من إبهام رجليه[3].

والظاهر أن هذا في الآخرة، وقال الأخفش: أرادَ البلايا التي تصيب الكافر في الدنيا[4]، سمَّاها موتاً، وهذا بعيد لأنَّ سياق الكلام يدلُّ على أنَّ هذا من أحوال الكافر في جهنم.

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ لتطاول شدائد الموت وامتدادِ سَكَراتِه.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ الخلاف في «من ورائه» كالخلاف في «من ورائه جهنم».

وقال الزمخشريّ[5]: ومن بين يديه عذابٌ غليظ، أي: في كل وقت يستقبلُه يتلقَّى عذاباً أشدَّ ممَّا قبلَه وأغلظ. وعن الفُضَيْل: هو قَطْعُ الأنفاس وحَبْسُها في الأجساد. انتهى.

وقيل: الضمير في «ورائه» هو يعود إلى العذاب المتقدّم لا على «كلّ جبار»[6].

❁ ❁ ❁

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ

---

(١) في (ز١): تفظيع لما.
(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٦٢١، والنكت والعيون ٣/ ١٢٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣١، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٢. وهو في زاد المسير ٤/ ٣٥٣ عن عطاء عن ابن عباس.
(٣) هو قطعة من قول الضحاك كما في تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٢.
(٤) كذا ذكر المصنف. ولفظه في زاد المسير ٤/ ٣٥٤ ونقله عنه القرطبي ١٢/ ١٢٢: في النار. وعندئذ لا معنى لتعقُّب المصنف كما سيرد.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٧١.
(٦) ينظر زاد المسير ٤/ ٣٥٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣١.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ
﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ
عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا
مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ
وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ
إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن
تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ
مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ
حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ
﴿٢٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ
يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ
مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا
وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ
فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ
لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ
إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾.

المفردات

الرَّماد معروف، وقال ابنُ عيسى: هو جسم يسحقُه الإحراق سَحْقَ الغُبار، ويُجمع على رُمُد في الكثرة، وأرْمِدَة في القلَّة، وشذَّ جمعُه على أفْعِلاء، قالوا: أرْمِداء[1]، ورَمَادٌ رِمْدِدٌ: إذا صارَ هَباءً أرقَّ ما يكون.

الجَزَع: عدمُ احتمالِ الشِّدَّة، وهو نقيضُ الصَّبر، قال الشاعر:

(١) جاء في الصحاح ومعجم مقاييس اللغة والقاموس أن الأرمداء هو الرَّماد، ولم يُذكر فيها أنه جمع، وذُكر ذلك في اللسان.

جَزِعْتُ ولم أجْزَعْ من البَيْنِ مَجْزَعاً وعَزَّيْتُ قلباً بالكَوَاعِبِ مُولَعَا[١]

المُصْرِخ المُغِيث. قال الشاعر:

فَلا تَجْزَعُوا إنّي لكم غَيْرُ مُصْرِخٍ وليس لكم عندي غَنَاءٌ ولا نَصْرُ[٢]

والصارخ المُستغيث، صَرَخَ يَصْرُخُ صَرْخاً وصُراخاً وصَرْخَةً. قال سلَّامة بنُ جَنْدَل:

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظَّنابِيبِ[٣]

واصطرخَ بمعنى صَرَخَ، وتَصَرَّخَ: تكلَّف الصُّراخ، واستصرخَ استغاثَ، يقال: استَصْرَخَني فأَصْرَخْتُهُ، والصَّريخ مصدر كالبَرِيح[٤]، ويُوصف به المُغيث والمُستغيث، من الأضداد.

الفَرْعُ: الغُصن من الشجرة، ويُطلق على ما تَوَلَّدَ من الشيء، والفَرْعُ: الشَّعْر، يقال: رجل أَفْرَعُ، وامرأةٌ فَرْعَاء لمن كثُر شَعْرُه.

وقال الشاعر[٥]:

وفَرْعٍ يُغَشِّي[٦] المتنَ أسودَ فاحِمٍ

اجْتَثَّ الشيء: اقتلَعَه، وجَثَّ الشيءَ: قَلَعَه، والجُثَّة: شَخْصُ الإنسان قاعداً وقائماً. وقال لقيط الإيادي:

(١) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٤٠.
(٢) البيت في النكت والعيون ٣/ ١٣١، وتفسير القرطبي ١٢٩/١٢، ونُسب فيهما لأمية بن أبي الصَّلت.
(٣) ديوان سلَّامة (رواية الأصمعي وأبي عَمرو الشيباني) ص١٢٥، وهو في المفضَّليات ص١٢٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٤، وتفسير القرطبي ١٢٩/١٢، قوله: الظنابيب هو جمع ظُنْبُوب، وهو عظم الساق. قال الأصمعي: يقال: ضربَ لهذا الأمر ظُنْبُوبَهُ: إذا هو جَدَّ فيه.
(٤) المثبت من (يه)، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٤. ووقع في (ز١): التريح، ولم تنقط في (ح) ولم تجوَّد في النسخ الأخرى.
(٥) بعدها في (د٢) ومطبوع البحر: وهو امرؤ القيس بن حُجر.
(٦) في (د٢): يَزِينُ، وهي رواية. والبيت في ديوان امرئ القيس ص١٦.

هو[١] الجلاءُ الذي يجْتَثُّ أصْلَكُمُ فمَنْ رأى مثلَ ذا آتٍ ومَنْ سَمِعَا[٢]

البَوَار: الهلاك. قال الشاعر:

فلم أرَ مثلَهُمْ أبطالَ حَرْبٍ غَداةَ الحَرْبِ إذْ خِيفَ البَوَارُ[٣]

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

التفسير

ارتفاع «مَثَلُ» على الابتداء، وخبرُه محذوف، تقديرُه عند سيبويه: فيما يُتلى عليكم أو يُقصُّ، والمَثَلُ مستعارٌ للصِّفة التي فيها غَرَابة. و«أعمالُهم كرماد» جملة مستأنَفة على تقدير سؤال، كأنه قيل: كيف مَثَلُهم؟ فقيل: أعمالُهم كرماد، كما تقول: صفةُ زيد عِرْضُهُ مَصُونٌ ومالُه مبذول[٤].

وقال ابن عطية: ومذهب الكسائيّ والفرَّاء أنه على إلغاء «مَثَل» وأنَّ المعنى: الذين كفروا أعمالُهم كرماد[٥].

وقال الحَوْفيّ: «مَثَلُ» رفعٌ بالابتداء، و«أعمالُهم» بدل من «مَثَلُ» بدلَ اشتمال، كما قال:

ما لِلجِمالِ مَشْيِها وَئِيدَا
أجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أمْ حَدِيدَا[٦]

---

(١) في (د٢): لولا.
(٢) ديوان لقيط ص٨٦، وفيه: رأياً، بدل: آتٍ. وهو برواية يوماً في النكت والعيون ٣/ ١٣٤-١٣٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٧، ولم أقف على رواية المصنف: آتٍ.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١٣٦-١٣٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤٢.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٢.
(٥) كذا نسبَ المصنف للكسائيّ والفرَّاء إلغاء «مَثَل» فيما نقلَه عن ابن عطية، ونسبَ إليهما إلغاءَها أيضاً السمين في الدُّرّ ٧/ ٨٢، والآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٢٥٢. والواقع أنَّ ابن عطية قد نسبَ إلغاءَها للفرَّاء وحدَه، فقال في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣١: «ومذهب الكسائي والفرَّاء أنه (يعني لفظ «مَثَل») ابتداء، خبرُه «كَرَماد»، والتقدير عندهم: مَثَلُ أعمالِ الذين كفروا كرماد، وقد حُكي عن الفرَّاء أنه يرى إلغاء «مَثَل»، وأن المعنى: الذين كفروا أعمالُهم كرماد». اهـ. فلعلَّ سقطاً وقع للمصنف، وهو ما نقله ابن عطية عن الكسائي والفراء أولاً. والله أعلم.
(٦) الرَّجَز للزَّبَّاء، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/ ٧٣، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٦٧، =

و«كَرَمَاد» الخبر.

وقال الزمخشري[١]: أو يكون «أعمالُهم» بدلاً من «مَثَلُ الذين كفروا» على تقدير: مَثَلُ أعمالِهم، و«كرماد» الخبر.

وقال ابن عطية[٢]: وقيل: هو ابتداء، و«أعمالُهم» ابتداء ثانٍ، و«كَرَمَاد» خبر الثاني، والجملة خبر الأوَّل، وهذا عندي أرجحُ الأقوال، وكأنَّك قلت: المتحصلُ مثالاً في النفس للذين كفروا هذه الجملة المذكورة، وهي أعمالهم في فسادها وقتَ الحاجة وتلاشيها كالرَّماد الذي تَذْرُوه الرِّيح وتفرِّقُه بشدَّتها حتى لا يبقى له أثر ولا يجتمع منه شيء. انتهى[٣].

وهذا القولُ الذي رجَّحه ابنُ عطيَّة قاله الحَوْفيّ، وهو لا يجوزُ؛ لأنَّ الجملةَ الواقعة خبراً عن المبتدأ الأول الذي هو «مَثَل» عاريةٌ من رابط يعودُ على المَثَل، وليست نفسَ المبتدأ في المعنى، فلا تحتاجُ إلى رابط، وأعمال الكفرة؛ المكارمُ التي كانت لهم من صلة الأرحام وعِتْقِ الرِّقاب وفِداءِ الأسارى وعَقْرِ الإبل للأضياف وإغاثةِ الملهوفين والإجارةِ وغيرِ ذلك؛ شَبَّهها في حُبوطها وذَهابِها هَباءً منثوراً لبنائها على غيرِ أساس من معرفة الله والإيمان به وكونِها لوجهه برمادٍ طَيَّرتْه الرِّيح العاصف[٤].

وقرأ نافع وأبو جعفر: «الرِّياح»، على الجمع[٥]، والجمهورُ على الإفراد. ووصفَ اليوم بقوله: «عاصف» ـ وإن كان من صفة الرِّيح ـ على سبيل التجوُّز، كما قالوا: يومٌ ماطر[٦]، وليلٌ نائم.

= وأمالي الزجَّاجي ص١٦٦، وأخبارِه ص١٨٠. وينظر المحاسن والأضداد ص١٢٩، ومجمع الأمثال ١/ ٢٣٦. قولُه: وئيداً، أي: على تُؤَدَة، والجَنْدَل: الحجارة. ويجوز أيضاً الرفع في قوله: «مشيها» على أنه فاعل لـ «وئيد»، أي: وئيداً مَشْيُها، على التقديم والتأخير للضرورة. ينظر خزانة الأدب ١٠/ ٢٢٨.

(١) الكشاف ٢/ ٣٧٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣١، وفيه اختصار.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣١، وقد اختُصر منه بعض الكلام أو سقط منه، فليراجع.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٢.

(٥) السبعة ص١٧٢، والتيسير ص٧٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٢، والنشر ٢/ ٢٢٣.

(٦) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: ما حل. وينظر الكشاف ٢/ ٣٧٢.

وقال الهروي: التقدير: في يوم عاصفِ الرِّيح، فحذَف لتقدُّم ذكرِها، كما قال الشاعر:

إذا جاءَ يومٌ مظلمُ الشمسِ كاسفٌ[١]

يريد: كاسفُ الشمس.

وقيل: «عاصف» من صفة الرِّيح إلا أنه لمَّا جاء بعد اليوم أُتبع إعرابَه، كما قيل: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، يعني أنه خُفض على الجوار[٢].

وقرأ ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن أبي بكر عن الحسن: «في يومِ عاصفٍ» على إضافة اليوم لعاصف[٣]، وهو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامَه، تقديرُه: في يومِ ريحٍ عاصفٍ.

وتقدَّم تفسير العُصوف في «يونس» في قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [٢٢] وعلى قول من أجاز إضافة الموصوف إلى صفته يجوزُ أن تكون هذه القراءة منه.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يومَ القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من أعمالهم ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: لا يرون لها أثراً من ثواب كما لا يُقْدَرُ من الرَّماد المطيَّر بالرِّيح على شيء.

وقيل: لا يقدرون من ثواب ما كسبوا، فهو على حذف مضاف، وفي الصحيح عن عائشة ﵂ قالت: يا رسول الله، ابنُ جُدْعَانَ كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحِم، ويُطعم المسكين، هل ذلك نافعُه؟ قال: «لا ينفعُه لأنه لم يقل: ربِّ اغْفِرْ لي خطيئتي يوم الدين»[٤].

---

(١) هو عجز بيت لمسكين الدارمي، وصدرُه: وتُضحِكُ عِرْفانُ الدُّرُوعِ جُلودَنا، وهو في ديوانه ص٥٣. وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦١، وزاد المسير ٤/ ٣٥٤-٣٥٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦١، والنكت والعيون ٣/ ١٢٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٤. وينظر تعقُّب النحَّاس لهذا القول في إعراب القرآن ٢/ ٣٦٧.

(٣) القراءات الشاذة ص٦٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٥، وليس في هذه المصادر قوله: عن الحسن، ونُسبت القراءة في زاد المسير ٤/ ٣٥٥ للنخعي وابن يعمر والجحدري، وهي في الكشاف ٢/ ٣٧٢ دون نسبة.

(٤) صحيح مسلم (٢١٤).

وفي الصحيح أيضاً: «أنَّ الكافر لَيُطْعَمُ بحسناته في الدنيا ما عمل للهِ منها»[١].

«ذلك» إشارة إلى كونهم بهذه الحال، وعلى[٢] مثل هذا الغَرَر «البعيد» الذي تَعمَّقَ فيه صاحبُه وأبعد عن طريق النجاة، أو البعيد عن الحقّ أو الثواب.

وفي البقرة: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ وهنا[٣]: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من التفنُّن في الفصاحة والمغايرة في التقديم والتأخير، والمعنى واحد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾.

قرأ السُّلَميُّ: «ألم تَرْ» بسكون الراء[٤]، ووجهُه أنه أجرى الوصلَ مجرى الوقف، وتوجيهٌ آخرُ وهو أن «تَرَى» حذفت العرب ألفَها في قولهم: قام القوم ولو تَرَ ما[٥] زيدٌ، كما حَذفَتْ ياء لا أُبالي، فقالت[٦]: لا أُبال، فلمَّا دخل الجازم تُخُيِّل أنَّ الرَّاء هي آخر الكلمة، فسكنت للجازم، كما قالوا في «لا أبالي»: لم أُبَلْ، تَخيَّلُوا اللام آخر الكلمة[٧].

والرؤية هنا بمعنى العلم، فهي من رؤية القلب.

(١) هو بنحوه قطعة من حديث أنس ﷺ، أخرجه مسلم (٢٨٠٨).
(٢) في (يه): على.
(٣) قوله: «لا يقدرون على شيء مما كسبوا وهنا» من (ز١) و(يه) وسقط من النسخ الأخرى والمطبوع.
(٤) المحتسب ١/ ٣٦٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٢.
(٥) قولهم: ولو تَرَ ما، ولو ترى ما؛ جزماً ورفعاً، وكذلك: ولا تَرَ ما، ولا ترى ما، بمعنى: ولاسيَّما. ينظر اللسان (رأى).
(٦) في (ح) و(د١) و(أ) والمطبوع: في، بدل: فقالت، وفي (د): في قولهم.
(٧) والمشهور التوجيه الأول كما ذكر الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٢٥٥.

وقرأ الأخَوَان: «خالقُ» اسم فاعل. «والأرضِ» بالخفض، وقرأ باقي السبعة: «خَلقَ» فعلاً ماضياً «والأرض» بالفتح[١].

ومعنى «بالحق» قال الزمخشريّ[٢]: بالحكمةِ والغرَضِ الصحيح والأمرِ العظيم، ولم يخلقها عبثاً ولا شهوة.

وقال ابن عطية[٣]: «بالحقّ» أي بما يَحُقُّ من جهة مصالح عبادِه وإنفاذِ سابقِ قضائِه، وليدلَّ عليه وعلى قدرتِهِ.

وقيل: بقوله وكلامه. وقيل: «بالحقّ» حال، أي: مُحِقّاً.

والظاهر أنَّ قوله: «يُذْهِبْكُم» خطابٌ عامٌّ للناس، وعن ابن عباس: خطابٌ للكفار[٤].

﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يحتمل أن يكون المعنى إنْ يشأْ يُعْدِمْكُم[٥] أيُّها الناسُ ويأتِ بناسٍ آخرينَ من جنسِكم آدميِّين، ويحتمل: من غير جنسكم، والأول قولُ جمهور المفسِّرين. وتقدَّم تجويزُ هذين الاحتمالين للمفسِّرين في قوله في النساء: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ [١٣٣]. وبيَّنَّا في ذلك أنه لا يحتمل إلا الوجه الأول.

«وما ذلك» أي: وما إذْهابُكم والإتيانُ بخلق جديد بممتنع ولا متعذِّرٍ عليه تعالى، لأنَّه تعالى هو القادرُ على ما يشاء.

وقال الزمخشريّ: لأنه قادرُ الذات[٦] لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، فإذا خَلَصَ له الداعي إلى شيء وانتفَى الصارف تكوَّنَ من غير توقُّف، كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داعٍ، ولم يعترض من دونه صارف. انتهى. وفيه دسيسةٌ

(١) السبعة ص٣٦٢، والتيسير ص١٣٤. والأخَوان: حمزة والكسائي.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٢.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٢.
(٤) ينظر زاد المسير ٤/ ٣٥٥.
(٥) في (د٢) و(يه): يعذبكم، وفي المطبوع: يذهبكم.
(٦) في الكشاف ٢/ ٣٧٢: بالذات.

الاعتزال لقوله: القادر الذات؛ لأنهم يُثبتون القادرية وينفون القدرة ولتشبيه فعلِه تعالى بفعل العبد في قوله: كتحريك أصبعك، وعندنا أنَّ تحريكَ أصبعنا ليس إلا بقدرة الله تعالى، وأنَّ ما نسب إلينا من القدرة ليس مؤثراً في إيجاد شيء.

وقال الزمخشري أيضاً: وهذه الآية بيانٌ لإبعادهم في الضلال وعظيمِ خَطْبهم في الكفر بالله لوضوحِ آياتِه الشاهدة له الدالةِ على قدرته الباهرة وحكمتهِ البالغة، وأنَّه هو الحقيقُ بأنْ يُعبَدَ ويُخاف عقابُه، ويُرجى ثوابُه في دار الجزاء. انتهى.

﴿وَبَرَزُواْ﴾ أي: ظهرُوا من قبورهم إلى جزاء الله وحسابه، وقال الزمخشريّ: ومعنى بُروزِهم لله ـ واللهُ تعالى لا يتوارَى عنه شيء حتى يبرز ـ أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكابِ الفواحش، ويظنُّون أنَّ ذلك خافٍ على الله، فإذا كان يومُ القيامة انكشفُوا للهِ عند أنفسهم، وعلموا أنَّ الله لا تخفى عليه خافية.

وقال ابن عطية[1]: «وبَرَزُوا» معناه صارُوا بالبَرَاز، وهي الأرض المتَّسعة، فاستُعير ذلك لجمع يوم القيامة.

وقال أبو عبد الله الرازي[2]: تأويلُ الحكماء أنَّ النفس إذا فارقت الجسد فكأنَّه زالَ الغطاء، وبقيت متجرِّدةً بذاتها عاريةً عن كلِّ ما سواها، وذلك هو البُرُوزُ للهِ تعالى. انتهى. وهذا الرجلُ كثيراً مّا يُوردُ كلامَ الفلاسفة، وهم مباينون لأهل الشرائع في تفسير كلام الله تعالى المنزَّل بلغة العرب، والعربُ لا تفهم شيئاً من مفاهيم أهل الفلسفة، فتفسيرُهم كاللُّغز والأحاجِيّ، ويُسَمِّيهم هذا الرجلُ حكماءَ، وهم من أجهل الكفَرَةِ بالله تعالى وبأنبيائه.

والضمير في «وبَرَزُوا» عائدٌ على الخلق المحاسَبين، وعبَّر بلفظ الماضي لصدق المخبَر بِهِ، فكأنَّه قد وقع[3].

وقرأ زيد بنُ عليّ: «وبُرِّزُوا» مبنيًّا للمفعول وبتشديد الراء.

والضعفاء: الأتباع والعَوَامّ، وكُتب بواو في المصحف قبل الهمزة على لفظ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٢.
(٢) تفسيره ١٩/ ١٠٧.
(٣) بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٧٢.

من يُفَخِّم الألف قبل الهمزة فيُميلها إلى الواو، ومثله: ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[١] [الشعراء: ١٩٧].

والذين استكبروا هم رؤساؤهم وقاداتُهم استغْوَوا الضعفاء واستتبعوهم. و«استكبروا»: تكبَّروا وأظهروا تعظيمَ أنفسِهم، أو استكبروا عن اتِّباع الرُّسلِ وعبادةِ الله.

و«تَبَعاً» يحتمل أن يكون اسمَ جمع لتابع[٢]، كخادم وخَدَم، وغائب وغَيَب، ويحتمل أن يكون مصدراً، كقومٍ[٣] عَدْلٍ ورضاً.

و«هَلْ أنتم مُغْنُون» استفهامٌ معناه توبيخُهم إيَّاهم وتقريعُهم وقد علموا أنهم لن يُغنوا، والمعنى: إنَّا تَبِعْناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتُمونا، وما أغنيتُم عنَّا شيئاً، ولذلك جاء جوابُهم: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجَل وردِّ الهدايةِ إلى الله تعالى، وهو كلامٌ حقٌّ في نفسه.

وقال الزمخشريّ: «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض، كأنه قيل: هل أنتم مُغْنُون عنَّا بعضَ الشيء الذي هو عذابُ الله؟ ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً بمعنى: هل أنتم مُغْنُون عنَّا بعضَ شيء هو بعضُ عذابِ الله؟ أي: بعضَ بعضِ عذابِ الله. انتهى.

وهذان التوجيهان اللذان وجَّهَهما الزمخشريّ في «مِن» في المكانَين يقتضي أوَّلهُما التقديم في قوله: «من شيء» على قوله: «من عذاب الله» لأنه جعلَ «من شيء» هو المبيَّن بقوله: «من عذاب الله»، و«من» التبيينيَّة يتقدَّم عليها ما تُبيِّنُه ولا يتأخَّر.

والتوجيهُ الثاني وهو بعضُ شيء هو بعضُ العذاب يقتضي أن يكون بدلاً، فيكون بدلَ عامّ من خاصّ، لأنَّ «من شيء» أعمُّ من قوله: «من عذاب الله»، وإنْ

(١) المصدر السالف.
(٢) أو جمع. وينظر روح المعاني ١٣/ ٢٥٧.
(٣) في النسخ عدا (ز١، به): كقوله، والمثبت منهما.

عَنَى بشيء شيئاً من العذاب فيؤول المعنى إلى ما قدَّر، وهو بعضُ بعضِ عذابِ الله، وهذا لا يُقال، لأنَّ بعضيَّة الشيء مطلقة، فلا يكون لها بعض[١].

ونصَّ الحَوْفيُّ وأبو البقاء على أنَّ «من» في قوله: «مِنْ شيء» زائدة؛ قال الحَوْفيّ: «من عذاب الله» متعلّق بـ «مغنون»، و«من» في «من شيء» لاستغراق الجنس زائدة للتوكيد.

وقال أبو البقاء: و«من» زائدة، أي: شيئاً كائناً من عذاب الله، ويكون محمولاً[٢] على المعنى، تقديرُه: هل تمنعون عنا شيئاً. ويجوز أن يكون «شيء» واقعاً موقعَ المصدر، أي: غَنَاءً، فيكون «من عذاب الله» متعلّقاً بـ «مُغْنُون» انتهى. ومُسَوِّغ الزِّيادة كون الخبر في سياق الاستفهام فكأنَّ الاستفهام دخل عليه وباشرَه، وصارت الزيادة هنا كالزيادة في تركيب: فهل تغنون؟

وقال الزمخشريّ[٣]: أجابوهم معتذرين عمَّا كان منهم إليهم بأنَّ الله لو هداهم إلى الإيمان لَهَدَوْهُم ولم يُضِلُّوهم إمَّا مُوَرِّكِين الذنب[٤] في ضلالهم وإضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدُّنيا، ويدلُّ عليه قوله حكايةً عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المجادلة: ١٨]. انتهى.

وحكى أبو عبد الله الرازيّ[٥] عن الزمخشريّ أنهم قالوا ذلك مع أنهم كذَبُوا فيه، ويدلُّ عليه قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾. قال أبو عبد الله: واعلم أنَّ المعتزلة لا يُجَوِّزون

(١) للسمين الحلبي في الدّرّ المصون ٧/ ٨٦ تعقيب على كلام أبي حيَّان في هذين التوجيهين، وينظر أيضاً روح المعاني ١٣/ ٢٥٨.
(٢) في الإملاء ٢/ ٦٧ (والكلام منه): ويكون الفعل محمولاً . . .
(٣) الكشاف ٢/ ٣٧٣.
(٤) في اللسان (ورك): ورَّك فلان ذنبه على غيره: إذا أضافه إليه.
(٥) تفسيره ١٩/ ١٠٩.

صدورَ الكذب على أهل القيامة، فكان هذا القولُ منه مخالفاً لأصول مشايخِه فلا يقبلُ منه.

وقال الزمخشري أيضاً: ويجوز أن يكون المعنى[١]: لو كنَّا من أهل اللُّطف فلَطَفَ بنا ربُّنا واهتدَيْنا لَهَدَيْناكم إلى الإيمان.

قال أبو عبد الله الرازيّ: وذكر القاضي هذا الوجهَ وزيَّفَه بأن قال: لا يجوزُ حملُ هذا على اللطف لأنَّ ذلك قد فعلَه الله، وقيل: لو خَلَّصَنا الله من العذاب وهدانا إلى طريق الجنة لهديناكم.

وقال الزمخشري في بسط هذا القول: لو هدانا اللهُ طريقَ النَّجاة من العذاب لهديناكم، أي: لأغنَيْنا عنكم وسَلَكْنا بكم طريقَ النجاة كما سَلَكْنا بكم سبيلَ الهلكة. انتهى.

وقيل: ويدلُّ على أنَّ المراد بالهدى الهدى إلى طريق الجنة أنه هو الذي التمسوه وطلبوه، فوجَبَ أن يكون المرادَ[٢].

وقال ابن عباس: لو أرشَدَنا الله لأرشَدْناكم[٣].

والظاهر أن قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾إلى آخره داخلٌ تحت قولِ المستكبرين، وجاءت جُمَلاً[٤] بلا واو عطف، كأنَّ كلَّ جملة أُنشئت مستقلَّة غير معطوفة، وإن كانت مرتبطاً بعضُها ببعض من جهة المعنى، لأنَّ سؤالهم: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا﴾ إنَّما كان لجَزَعهم ممَّا هم فيه، فقالوا لهم ذلك؛ سَوَّوْا بينهم وبينهم في ذلك لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها، يقولون: ما هذا الجَزَع والتوبيخ؟ ولا فائدة في الجَزَع كما لا فائدة في الصبر، أوْ لمَّا[٥]

(١) سلف قول الزمخشري: إمَّا مُوَرِّكين... إلخ، وكلامه هنا القسم الثاني منه فقال: وإمَّا أن يكون المعنى... الخ.

(٢) تفسير الرازي ١٩/١٠٩، وفيه: فوجبَ أن يكون المرادُ من الهداية هذا المعنى.

(٣) المصدر السابق. وهو في تفسير الواحدي ٣/٢٩، وزاد المسير ٤/٣٥٦ دون نسبة.

(٤) المثبت من (ز١) و(به). وفي (ح) والمطبوع: جُمَلُهُ، وفي باقي النسخ: جملة.

(٥) في (د٢) و(ع) والمطبوع: ولما. والكلام في الكشاف ٢/٣٧٣.

قالوا: «لو هدانا الله» أَتبَعُوا ذلك بالإقناط من النَّجاة فقالوا: ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾أي، مَنْجًى ومَهْرَبٍ جَزِعْنا أم صَبَرْنا.

وقيل: «سواءٌ علينا» من كلام الضُّعفاء والذين استكبروا، التقدير: قالوا جميعاً: «سواءٌ علينا» يُخبرون عن حالهم[1].

وتقدَّم الكلام في مثل هذه التسوية في أول البقرة.

والظاهر أنَّ هذه المحاورة بين الضعفاء والرؤساء هي في موضع العَرْض وقتَ البُرُوز بين يدي الله.

وعن محمد بن كعب وابن زيد أنَّ قولهم: «سواءٌ علينا أجَزِعنا أم صَبَرْنا» بعد صبرهم في النار خمس مئة عام وبعد جَزَعِهم مثلها[2].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

مناسبة هذه الآية لما قبلَها أنه لما ذكرَ محاورةَ الأتباع لرؤسائهم الكفرة ذكر محاورةَ الشيطان وأتباعه من الإنس، وذلك لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبُّس بالإضلال، والشيطان هنا إبليس، وهو رأس الشياطين.

وفي حديث الشفاعة من حديث عقبة بن عامر أنَّ الكافرين يقولون: وجدَ المؤمنون مَنْ يشفعُ لهم، فمن يشفعُ لنا؟ فيقولون: ما هو غير إبليس؛ هو الذي أضلَّنا. فيأتونه فيقولون: قد وجدَ المؤمنون من يشفعُ لهم، فقُم أنت فاشفَعْ لنا، فإنَّك أضلَلْتَنا. فيقوم فيثورُ من مجلسه أنتَنُ ريحٍ شَمَّهُ أحد، يقول عند ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾الآية[3].

---

(١) المصدر السالف ٢/ ٣٧٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٢-٣٣٣. وينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٢٧.

(٣) مسند ابن المبارك (١١١)، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٣٠-٦٣١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٢-٤٦٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٨، وأشار إليه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٣. وإسناده ضعيف.

وعن الحسن: يقفُ إبليس خطيباً في جهنَّم على منبرٍ من نار يسمعُه الخلائق جميعاً فيقول: «إنَّ اللهَ وعَدَكم وَعْدَ الحقِّ» يعني البعثَ والجنةَ والنارَ وثوابَ المطيع وعقابَ العاصي، فَصَدَقَكُم وَعْدَه «ووعَدْتكم» أنْ لا بعثَ ولا جنةَ ولا نارَ ولا ثوابَ ولا عقاب «فأخلفتُكم»[١].

ومعنى «قُضِيَ الأمر» تعيَّن قومٌ للجنة وقومٌ للنار، وذلك كلُّه في الموقف، وعليه يدلُّ حديث الشفاعة، أو بعد حصول أهلِ الجنة في الجنة، وأهلِ النار في النار، ويدلُّ عليه ما ذكرناه عن الحسن. وهو تأويل الطبري[٢].

وقيل: «قُضِيَ الأمر» قُطِعَ وفُرِغَ منه، وهو الحساب، وتَصادُرُ الفريقين[٣] إلى مقرَّيهما.

و«وَعْدَ الحقّ» يحتمل أن يكون من إضافة الموصوف إلى صفتِه، أي: الوعد الحقّ، وأن يكون «الحقّ» صفةَ الله، أي: وعدَه، وأن يكون «الحقّ» الشيء الثابت، وهو البعثُ والجزاء على الأعمال، أي فوفى لكم بما وعدَكم، «ووعدتُكم» خلافَ ذلك «فأخلفتُكم»[٤].

و«إلا أن دعوتُكم» الظاهر أنه استثناءٌ منقطع[٥]؛ لأنَّ دعاءه إياهم إلى الضلالة ووسوستَه ليس من جنس السلطان، وهو الحجَّة البيِّنة.

قيل: ويحتمل أن يريد بالسلطان الغَلَبة والتسليط[٦] والقدرة، أي: ما اضطررتُكم ولا خوَّفتُكم بقوَّة مني، بل عرضتُ عليكم شيئاً فأتى رأيُكم عليه.

وقيل: هو استثناءٌ متصل؛ لأنَّ القدرة على حمل الإنسان على الشيء تارةً يكون بالقَهْر من الحامل، وتارةً يكون بتقوية الداعية في قلبه، وذلك بإلقاء الوَسْواس إليه، فهذا نوعٌ من أنواع التسليط.

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٣٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٧.
(٢) تفسيره ١٣/ ٦٢٨. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٣.
(٣) في (ح) و(د١): وصار الفريقان. والكلام في الكشاف ٢/ ٣٧٤.
(٤) المصدر السالف.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٣، وزاد المسير ٤/ ٣٥٧، والإملاء ٢/ ٦٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٢٨، وهو مراد الزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٧٤.
(٦) في (ز١) و(يه): والتسلُّط.

قيل: وظاهر هذا الكلام يدلُّ على أنَّ الشيطان لا قدرة له على صَرْعِ الإنسان وتعويج أعضائِهِ وجوارحِه وإزالةِ عقلِه.

﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾وقُرئ: «فلا يلوموني» بالياء على الغيبة[١]، وهو التفات، يريد في ما أتيتُموه من الضلال «ولُومُوا أنفسكم» في سوء نظركم واستجابتكم لدعائي من غير تثبُّت ولا حجَّة.

وقال الزمخشري: «ولُومُوا أنفسكم» حيث اغتررتُم بي[٢] وأطعتموني إذْ دعوتُكم، ولم تطيعوا ربَّكم إذْ دعاكم، وهذا دليل على أنّ الإنسان هو الذي يختار الشقاوةَ والسعادة[٣] ويُحصِّلُها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين، ولو كان الأمر كما تزعم المُجْبِرَة[٤] لقال: فلا تلُوموني ولا أنفسَكم، فإنَّ الله قَضَى عليكم الكُفر وأجبرَكم عليه. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

﴿مَآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾قال ابن عباس: بنافعكم. وقال ابن جُبير: بمنقذكم. وقال الربيع: بمنجيكم. وقال مجاهد: بمغيثكم[٥]. وكلُّها أقوال متقاربة.

وقرأ يحيى بن وثَّاب والأعمش وحمزة: «بمُصْرِخيِّ» بكسر الياء[٦]. وطعنَ كثيرٌ من النُّحاة في هذه القراءة؛ قال الفرَّاء: لعلَّها من وَهْم القُرَّاء، فإنَّه قلَّ من سَلِمَ منهم من الوَهْم، ولعله ظنَّ أنَّ الباء في «بمصرخيّ» خافضة للفظ كلِّه والياء للمتكلِّم خارجة من ذلك.

وقال أبو عبيد: نراهم غلطوا، ظنُّوا أن الباء تكسرُ لِما بعدَها.

وقال الأخفش: ما سمعتُ هذا من أحد من العرب ولا من النحويين.

---

(١) القراءات الشاذة ص٦٨.
(٢) لفظة «بي» من (زا). وهي كذلك في الكشاف ٢/ ٣٧٤، والكلام منه.
(٣) في المصدر السابق: أو السعادة.
(٤) المُجْبِرَة أو الجَبْرِيَّة، فرقة تعتقد أن العبد مجبورٌ لا اختيارَ له.
(٥) النكت والعيون ٣/ ١٣١.
(٦) السبعة ص٣٦٢، والتيسير ص١٣٤، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ١٥٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٦٨، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٤.

وقال الزجَّاج: هذه القراءةُ عند جميع النحويين رديئة مرذُولة، ولا وجهَ لها إلا وُجَيْهٌ ضعيف.

وقال النحَّاس: صار هذا إجماعاً ولا يجوز أن يُحمَلَ كتابُ الله على الشذوذ(١).

وقال الزمخشري(٢): هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيتٍ مجهول:

قالَ لها هل لكِ يا تا فيِّ
قالَتْ لهُ ما أنتَ بالمَرْضِيِّ(٣)

وكأنَّه قَدَّرَ ياءَ الإضافة ساكنةً وقبلَها ياء ساكنة، فحرَّكها بالكسر لِما عليه أصلُ التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح، لأنَّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحةً حيث قبلَها ألف في نحو: عَصَايَ، فما بالُها وقبلها ياء؟

فإنْ قلتَ: جرتِ الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام، فكأنَّها ياءٌ وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحُرِّكت بالكسر على الأصل.

قلت: هذا قياس حسن، ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات. انتهى.

أمَّا قولُه: واستشهدُوا لها ببيت مجهول، قد ذكرَ غيرُه أنه للأغلب العِجْلي وهي لغة باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم، يقول القائل ما فيِّ أفعل كذا، بكسر الياء.

وأمَّا التقدير الذي قال، فهو توجيهُ الفَرَّاء، ذكره عنه الزجَّاج.

---

(١) ينظر ما سلف في: معاني كلٍّ من الفراء ٢/ ٧٦، والأخفش ٢/ ٥٩٩، والزجَّاج ٣/ ١٥٩، والنحاس ٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٣) الرَّجَز للأغلب العجلي كما سيرد، وهو في المصادر المذكورة في التعليقين قبلَه. وقال ابن مجاهد في المحتسب ٢/ ٤٩: أراد: فيَّ، ثم أشبعَ الكسرةَ للإطلاق. اهـ. وقال البغدادي في الخزانة ٤/ ٤٣١: «تا» منادى، وهو اسم إشارة يُشار به إلى المؤنث، و«لكِ» جار ومجرور خبر مبتدأ محذوف وهو متعلَّق قوله: فيِّ. يقول: هل لكِ رغبةٌ فيِّ؟

وأمَّا قولُه في غُضون كلامه: حيث قبلَها ألف، فلا أعلمُ «حيثُ» تضاف إلى الجملة المصدَّرة بالظرف، نحو: قعدَ زيدٌ حيثُ أمامَ عَمرٍو بكرٌ[١]، فيحتاج هذا التركيب إلى سماع[٢].

وأمَّا قولُه: لأنَّ ياء الإضافة إلى آخره، قد رُوِيَ سكونُ الياء بعد الألف، وقرأ بذلك القُرَّاء، نحو: «ومَحْيَايْ»[٣].

وما ذهب إليه مَنْ ذكَرْنَا من النُّحاة لا ينبغي أن يُلتفت إليه، لأنَّ هذه قراءةٌ متواترة، نقلَها السَّلَفُ[٤]، واقتفى آثارَهم فيها الخَلَفُ، فلا يجوزُ أن يقال فيها: إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة، وقد نقلَ جماعةٌ من أهل اللغة أنها لغة، لكنه قلَّ استعمالُها، ونَصَّ قُطْرُب على أنها لغة في بني يربوع.

وقال القاسم بنُ معن وهو من رؤساء النحويِّين الكوفيين: هي صواب، وسأل حسينُ الجُعْفيُّ أبا عَمرو بنَ العلاء وذكرَ له تلحينَ أهلِ النحو، فقال: هي جائزة. وقال أيضاً: لا تُبالي إلى أسفلَ حَرَّكْتَها أم إلى فوق. وعنه أنه قال: هي بالخفض حسنة. وعنه أيضاً أنه قال: هي جائزة، وليست عند الإعراب[٥] بذاك.

ولا التفاتَ إلى إنكار أبي حاتم على أبي عَمرٍو تحسينَها، فأبو عَمرو إمامُ لغة وإمامُ نحو وإمام قراءة، وعَربيٌّ صريح، وقد أجازَها وحسَّنَها، وقد رَوَوْا بيت النابغة:

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعْمَةٌ بعدَ نِعْمَةٍ ... لِوَالِدِهِ ليسَتْ بذاتِ عَقَارِبِ[٦]

---

(١) المثبت من (ز١) والمطبوع، ووقع في (يه): عمرو وبكر، وفي الأخرى: عمرو من بكر. وكلاهما خطأ.

(٢) تعقَّب السمين في الدُّرّ ٧/ ٩١-٩٢ المصنِّفَ بقوله: إطلاقُ النحاةِ قولهم: إنَّ «حيثُ» تُضاف إلى الجُمل كافٍ في هذا، ولا يحتاجُ إلى تتبُّع كل فردٍ فرد؛ مع إطلاقهم القوانين الكليَّة.

(٣) هي من الآية (١٦٢) من سورة الأنعام، والقراءة بسكون الياء لنافع.

(٤) قوله: «لأن هذه قراءة متواترة نقلها السلف» من (ز١)، وسقط من النسخ الأخرى.

(٥) في إبراز المعاني ٢/ ٥٥١: عند أهل الإعراب.

(٦) ديوان النابغة الذبياني ص٩. وعمرو: هو ابنُ الحارث الذي صارَ إليه النابغة حين فارقَ النعمان بن المنذر. كذا في المعارف ص٦٤٣، وقوله: بذات عقاربِ، أي: لا يُكَدِّرُها ولا يَمُنُّها، قاله أبو الفرج في الأغاني ١١/ ١٧، وقال ابن منظور في اللسان ١/ ٦٢٤: أي هنيئة غير ممنونة.

بخفض الياء من «عَلَيّ»[1].

و«ما» في «بما أشركتموني» مصدريَّة، و«من قبلُ» متعلِّق بـ «أشْرَكْتُموني» أي: كفرتُ اليومَ بإشراككم إيَّايَ من قبلِ هذا اليوم، أي: في الدنيا، كقوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤]. وقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[2] [فاطر: ١٤].

وقيل: موصولة بمعنى «الذي» والتقدير: كفرتُ بالصنم الذي أشركتمونيه، فحذفَ العائد[3].

وقيل: «من قبلُ» متعلِّق بـ «كفرتُ» و«ما» بمعنى: «الذي» أي: كفرتُ من قبلُ حين أبيتُ السجودَ لآدم بالذي أشركتمونيه، وهو الله عزَّ وجلَّ. تقول: شَرِكْتُ زيداً، فإذا أدخلتَ همزةَ النقل قلت: أشْرَكْتُ زيداً عَمْراً، أي: جعلتُه له شريكاً[4]، إلا أنَّ في هذا القول إطلاقَ «ما» على الله تعالى، و«ما» الأصحُّ فيها أنها لا تُطلق على آحاد من يعلم.

وقال الزمخشري: ونحوُ «ما» هذه - يعني في إطلاقها على الله - «ما» في قولهم: «سبحان ما سَخَّرَكُنَّ لنا» انتهى. ومَنْ منعَ ذلك جعلَ «سبحان» عَلَماً على معنى التسبيح كما جعل «بَرَّة» عَلَماً للمبرَّة، و«ما» مصدريَّة ظرفية[5].

ويكون ذلك من إبليس إقراراً على نفسه بِكفرِهِ الأقدم، أي: خطيئتي قبلَ خطيئتِكم، فلا إصراخَ عندي[6].

﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الظاهرُ أنه من تمام كلام إبليس؛ حكى اللهُ عنه ما سيقولُه في ذلك الوقت ليكون تنبيهاً للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعدادِ

---

(١) ذكر السمين في الدُّرّ المصون ٧/ ٩٢ أنَّ النُّحاة أنشدوها بالكسر والفتح.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٥.
(٣) ينظر الإملاء ٢/ ٦٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٥.
(٥) قال السمين ٧/ ٩٧: فيكون على حذف مضاف، أي: سبحان صاحبِ تسخيرِكُنّ؛ لأن التسبيح لا يليق إلا بالله.
(٦) وتكون «ما» على هذا المعنى موصولة، يريد الله تعالى. ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٤.

لِما لا بدَّ منه، وأن يتصوَّروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول، فيخافوا ويعملوا ما يُخَلِّصُهم منه ويُنجيهم[١].

وقيل: هو من كلام الخَزَنَة يوم ذاك. وقيل: من كلام الله تعالى.

ولأبي عبد الله الرازي كلامٌ هنا في الشيطان والملائكة يُوقف عليه من تفسيره[٢].

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ لمَّا جمعَ الفريقين في قوله: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ وذكرَ شيئاً من أحوال الكفار؛ ذكرَ ما آلَ إليه أمرُ المؤمنين من إدخالهم الجنة.

وقرأ الجمهور: «وأُدْخِلَ» ماضياً مبنيًّا للمفعول. وقرأ الحسن وعَمرو بن عبيد: «وأُدْخِلُ» بهمزة المتكلِّم مضارع: «أَدْخَلَ» أي: وأُدْخِلُ أنا[٣]. وعلى قراءة الجمهور يحتمل أن يكون الفاعل الملائكة.

والظاهر تعلُّق «بإذن ربِّهم» بـ «أُدْخِلَ»[٤]، وقال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: فبم يتعلَّق - يعني «بإذن رَبِّهم» - في القراءة الأخرى، وقولُك: وأُدخِلُهم أنا بإذن ربِّهم؛ كلامٌ غيرُ ملتئم؟ قلت: الوجهُ في هذه القراءة أنْ يتعلَّق قوله: «بإذنِ ربِّهم» بما بعدَه، أي: تحيَّتُهم فيها سلامٌ بإذن ربِّهم. يعني أنَّ الملائكة يُحيُّونَهم بإذنِ ربِّهم. انتهى.

فظاهرُ كلامه أنَّ «بإذنِ ربِّهم» معمولٌ لقوله: «تحيَّتُهم» ولذلك قال: يعني أنَّ الملائكة يُحَيُّونَهم بإذن ربِّهم. وهذا لا يجوزُ، لأنَّ فيه تقديمَ معمول المصدر المنحلِّ بحرف مصدري والفعل عليه، وهو غير جائز.

وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازيّ: الحَسَنُ: «أُدْخِلُ» برفع اللام

(١) الكشاف ٢/ ٣٧٥.
(٢) تفسير الرازي ١٩/ ١١٢-١١٤.
(٣) المحتسب ١/ ٣٦١، والكشاف ٢/ ٣٧٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣١. ووقع في القراءات الشاذة ص٦٨: وأُدخِلُوا. وهو خطأ.
(٤) قال السمين: ويجوز تعلُّقه بمحذوف على أنه حال، أي ملتبسين بأمر ربِّهم، وجوَّز أبو البقاء أن يكون من تمام «خالدين» يعني أنه متعلق به، وليس بممتنع.

على الاستقبال بإخبار الله تعالى عن نفسِه، فيصيرُ بذلك «بإذنِ ربهم» ألطفَ لهم وأحنى عليهم.

وتقدَّم تفسير «تَحيَّتُهُمْ فيها سلام» في أوائل «يونس» [١٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

تقدَّم الكلامُ في «ضَرَبَ» مع المَثَل في أوائل «البقرة» [١٧ و٢٦] فكان يغني ذلك عن الكلام فيه هنا إلا أنَّ المفسِّرين أَبْدَوْا هنا تقديراتٍ، فأعربَ الحَوْفيُّ والمهدويُّ وأبو البقاء[١] «مَثَلاً» مفعولاً بـ «ضَرَبَ» و«كلمةً» بدلاً من «مَثَلاً» وإعرابُهم هذا تفريع على أن «ضَرَبَ» مع المَثَل لا يتعدَّى إلا إلى مفعول واحد.

وقال ابنُ عطية وأجازَه الزمخشريّ[٢]: «مَثَلاً» مفعول بـ «ضَرَبَ»، و«كلمة» مفعول أول تفريعاً على أنها مع المَثَل تتعدَّى إلى اثنين، لأنَّها بمعنى «جَعَلَ»، وعلى هذا تكون «كشجرة» خبرَ مبتدأ محذوف، أي: جعلَ كلمةً طيبةً مثلاً هي - أي الكلمة - كشجرةٍ طيِّبة، وعلى البَدَل تكون «كشجرة» نعتاً للكلمة.

وأجاز الزمخشريّ وبدأ به أن تكون «كلمةً» نصباً بمضمر، أي: جعلَ كلمةً طيِّبةً كشجرةٍ طيِّبة، وهو تفسير لقوله: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ كقولك: شَرَّفَ الأميرُ زيداً كساه حُلَّةً وحملَه على فرس. انتهى. وفيه تكلُّف إضمار لا ضرورةَ تدعو إليه[٣].

وقرئ شاذًّا: «كلمةٌ طيِّبةٌ» بالرفع؛ قال أبو البقاء[٤]: على الابتداء، و«كشجرة»

(١) الإملاء ٢/ ٦٨.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٤-٣٣٥.
(٣) قال السمين: بل معناه محتاجٌ إليه، فيُضطرُّ إلى تقديره محافظةً على لمح هذا المعنى الخاص. الدر المصون ٧/ ٩٩.
(٤) الإملاء ٢/ ٦٨.

خبرُه. انتهى. ويجوز أن يكون خبرَ مبتدأ محذوف، والتقدير: هو ـ أي: المَثَلُ ـ كلمةٌ طيِّبة كشجرة، و«كشجرة» نعتٌ لـ «كلمة».

والكلمة الطيِّبة هي: «لا إله إلا الله»، قاله ابن عباس، أو الإيمان، قاله مجاهد وابنُ جُريج، أو المؤمن نفسُه، قاله عطيَّة العَوْفي والرَّبيع[١]، أو جميعُ طاعاتِه أو القرآن، قاله الأصمّ، أو دعوة الإسلام، قاله ابنُ بحر، أو الثناء على الله أو التسبيح والتنزيه.

والشجرة الطيِّبة المؤمن، قاله ابنُ عباس، أو جوزة الهند، قاله علي وابنُ عباس[٢]، أو شجرة في الجنة، قاله ابن عباس أيضاً، أو النخلة، وعليه أكثرُ المتأوِّلين، وهو قول ابن مسعود وابن عباس وأنس ومجاهد وعكرمة والضحَّاك وابنِ زيد[٣]، وجاء ذلك نصًّا من حديث ابنِ عمر ممَّ خرَّجَهُ الدَارَقطنيُّ عنه قال: قرأ رسولُ الله ﷺ وذكرَ الآية، فقال: «أتَدْرُونَ ما هي؟» فوقع في نفسي أنها النخلة، الحديث[٤].

وقال أبو العالية: أتيتُ أنس بنَ مالك فجيء بطَبَقٍ عليه رُطَب، فقال أنس: كُلْ يا أبا العالية، فإنَّها الشجرة الطيِّبة التي ذكرَها الله في كتابه. ثم قال: أُتيَ رسولُ الله ﷺ بقِناعِ بُسْرٍ[٥]، وتلا هذه الآية[٦]، وفي الترمذي من حديث أنس نحوُ هذا[٧].

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٣٥-٦٣٦، والنكت والعيون ٣/ ١٣٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٢.

(٢) نسبه ابنُ مردويه لابن عباس (كما في الدر المنثور ٤/ ٧٧)، ونسبه السهيليّ في التعريف والإعلام ص٨٥ لعليّ وقال: لا يصحّ.

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٣٧-٦٤١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٥، وزاد المسير ٤/ ٣٥٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٢.

(٤) لم أقف عليه عند الدارقطني، وذكره عنه القرطبي ١٢/ ١٣٣، وهو بنحوه في صحيح البخاري (٦١) وصحيح مسلم (٢٨١١) دون ذكر الآية.

(٥) البُسْر: التَّمْرُ قبل إرطابه، والقِناع (والقِنْع أيضاً): الطَّبق من عُسُب النَّخْل. (القاموس: بسر ـ قنع). وتحرَّف لفظ «قِناع» في النسخ الخية والمطبوع إلى: صاع.

(٦) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٣٧-٦٣٩، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٣.

(٧) رواه الترمذي عنه (٣١١٩) مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصحّ كما ذكر الترمذي بإثره والقرطبي ١٢/ ١٣٣.

وقال الزمخشريّ[(١)]: كلُّ شجرةٍ مثمرةٍ طيِّبةِ الثمار، كالنَّخلة، وشجرةِ التين، والعِنَب، والرُّمَّان، وغير ذلك. انتهى.

وقد شبَّه الرَّسولُ المؤمنَ الذي يقرأ القرآن بالأُتْرُجَّة[(٢)]، فلا يبعد أن يُشَبَّهَ أيضاً بشجرتها.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ أي: في الأرض، ضاربٌ بعروقِهِ فيها[(٣)].

وقرأ أنس بن مالك: «كشجرة طيبةٍ ثابتٍ أصلُها»[(٤)]. أجريت الصفة على الشجرة لفظاً وإن كانت في الحقيقة للسَّبَبيّ، وقراءةُ الجماعة فيها إسنادُ الثبوت إلى السببيِّ لفظاً ومعنًى، وفيها حُسن التقسيم، إذْ جاء «أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء» يريد بالفَرْع أعلاها ورأسَها، وإن كان المشَبَّهُ به ذا فروع، فيكون من باب الاكتفاء بلفظ الجنس[(٥)].

ومعنى «في السماء» جهةُ العُلُوّ والصعود، لا المِظَلَّة[(٦)]، وفي الحديث: «خلقَ اللهُ آدمَ طولُه في السماء ستُّون ذراعاً»[(٧)].

ولمَّا شبهتْ الكلمةُ الطيبةُ بالشجرة الطيّبة كانت الكلمةُ أصلُها ثابتٌ في قلوب أهلِ الإيمان، وما يصدرُ عنها من الأفعال الزكيَّة والأعمالِ الصالحِة هو فَرْعُها يصعدُ إلى السماء إلى الله تعالى[(٨)]: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وما يترتَّب على ذلك العمل ـ وهو ثوابُ الله ـ هو جَنَاها.

ووصفَ هذه الشجرةَ بأربعة أوصاف:

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٧٦.
(٢) الأُتْرُجَّة واحدة الأُتْرُجّ، من فصيلة الحمضيات، كبيرة الحجم، تسمى في بلاد الشام الكَبَّاد.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٧٦.
(٤) المحتسب ١/ ٣٦٢ (وينظر فيه كلام ابن جنّي عليها) والكشاف ٢/ ٣٧٦.
(٥) ينظر الكشاف ٢/ ٣٧٦.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٧٦.
(٧) هو نحو قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٥.
(٨) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٥.

الأول: قولُه: «طيِّبة» أي: كريمةُ المنبتِ والأصلِ في الشجر، لذيذة في المَطْعَم؛ قال الشاعر:

طَيِّبُو البَاءَةِ سَهْلٌ ولَهُمْ سُبُلٌ إنْ شئتَ في وَحْشٍ وَعِرْ[1]

أي: ساحتُهم طيبةٌ سَهْلَة.

الثاني: رُسُوخ أَصْلِها، وذلك يدلُّ على تمكُّنها، وأنَّ الرِّياح لا تَقْصفُها، فهي بطيئةُ الفَناء، وما كان كذلك حصلَ الفَرَحُ بوِجْدانِه.

والثالث: عُلُوُّ فَرْعِها، وذلك يدلُّ على تمكُّن الشجرة ورُسوخِ عُروقِها، وعلى بعدها عن عفونات الأرض، وعلى صفائها من الشوائب.

الرابع: ديمومةُ وجودِ ثمرتِها وحضورها في كلِّ الأوقات.

والحينُ في اللغة قطعةٌ من الزَّمان. قال الشاعر:

تناذَرَها الرَّاقونَ من سُوءِ سُمِّها تطلِّقُهُ حِيناً وحِيناً تُراجِعُ[2]

والمعنى: تُعطي جَنَاها كلَّ وقتٍ وقتَه الله له.

وقال ابنُ عباس وعكرمة ومجاهد والحسن: أي كلَّ سنة[3]. ولذلك قال ابنُ عباس وعكرمة ومجاهد والحَكَم وحمَّاد وجماعة من الفقهاء: مَنْ حَلَفَ أن لا يفعلَ شيئاً حِيناً، فإنه لا يفعلُه سنة، واستشهدوا بهذه الآية[4].

---

(١) البيت لطَرَفَة بن العبد، وهو في ديوانه ص٥٤، واللسان (بوأ). قال البغدادي في الخزانة ٨/ ٤٨٨: الباءة الساحة والفِناء، أي: ساحتُهم طيِّبةٌ سهلة لمن أراد معروفهم، وهي وعرة خشنة لمن أرادهم بسوء، والوحش المتوحِّش، وهو كناية عن خشونة الجانب وشدَّتِه.

(٢) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو بهذه الرواية في النكت والعيون ٣/ ١٣٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٥، وذكر أنها رواية الأصمعي. وروايتُه في ديوانه ص٨٠: تُطَلِّقُهُ طَوْراً وطَوْراً تُراجِعُ.

(٣) نُسب القول في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٣ لمجاهد وعكرمة وابن زيد، ونسب في زاد المسير ٤/ ٣٥٩ لابن عباس ومجاهد وابن زيد.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٥. وينظر تفسير القرطبي ١/ ٤٧٩.

وقيل: ثمانية أشهر؛ قاله عليٌّ، وقال مجاهد: ستة أشهر[١]، وهي مدَّة بقاء الثمر عليها.

وقال ابن المسيِّب: الحين شهران؛ لأنَّ النخلة تدومُ مثمرةً شهرين[٢].

وقيل: لا تتعطَّل من ثمر تحمل في كلِّ شهر، وهي شجرة جَوْز الهند.

وقال ابن عباس أيضاً والضحاك والربيع: «كلَّ حين» أي: كلَّ غُدوة وعَشِيَّة ومتى أُرِيدَ جَنَاها[٣]. ويتخرَّجُ على أنَّها شجرةٌ في الجنة.

والتذكُّر المرجُوّ بضرب المَثَل هو التفهُّم والتصوُّر للمعاني المُدْرَكة بالعقل، فمتى أُبرزت مشبَّهةً بالمحسوسات لم ينازِع فيها الحسّ والخيال والوَهْم، وانطبق المعقول على المحسوس، فحصل الفهمُ والوصول إلى المطلوب.

والكلمة الخبيثة هي كلمة الكفر على قول الجمهور[٤]، وقال مسروق: الكذب، وقال ابن بَحْر[٥]: دعوة الكفر وما يُعزى إليه الكافر، وقيل: كل كلام لا يرضاه الله تعالى.

وقرأ أُبيّ: «وضَرَبَ الله مثلاً كلمةً خبيثة»[٦]، وقُرِئ: «ومَثَلَ كلمةٍ» بنصب «مَثَل» عطفاً على «كلمةً طيبةً»[٧].

---

(١) نُسب هذا القول في النكت والعيون ٣/ ١٣٢ للحسن وعكرمة، وزادَ ابنُ عطية ٣/ ٣٣٥ نسبتَه لابن عباس، وزادَ أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ٣٥٩ نسبتَه لقتادة.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٤، وزاد المسير ٤/ ٣٥٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٥، وفي النكت والعيون ٣/ ١٣٢: أربعة أشهر.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٥. وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٤.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٠٦، والوسيط ٣/ ٣٠، والنكت والعيون ٣/ ١٣٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٦.

(٥) المثبت من (د١) و(ز١) و(يه) ولم أقف على هذا القول. ووقع في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع) والمطبوع: أن تجرَّ (؟).

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٦.

(٧) الكشاف ٢/ ٣٧٧.

والشجرة الخبيثة شجرةُ الحنظل. قاله الأكثرون؛ ابنُ عباس ومجاهدٌ وأنسُ بنُ مالك ورواه عن النبيِّ ﷺ[(١)].

وقال الزجَّاج وفرقة: شجرة الثوم[(٢)]، وقيل: شجرة الكَشُوث، وهي شجرة لا ورقَ لها ولا أصل؛ قال:

وَهْيَ كَشُوثٌ[(٣)] فلا أصلٌ ولا ثمرُ[(٤)]

قال ابن عطية[(٥)]: ويَرِدُ على هذه الأقوال أنَّ هذه كلَّها من النَّجْم[(٦)] وليست من الشجر، واللهُ تعالى إنَّما مثَّل بالشجر، فلا تسمَّى هذه شجرة إلا بتجوُّز، فقد قال رسول الله ﷺ في الثُّوم والبصل: «مَنْ أَكَلَ من هذهِ الشجرةِ».

وقيل: الطُّحْلُبة، وقيل: الكَمْأة، وقيل: كلُّ شجر لا يَطِيبُ له ثَمَر، وعن ابن عباس: هي الكافر، وعنه أيضاً: شجرة لم تُخلق على الأرض[(٧)].

وقال ابن عطية: والظاهرُ عندي أنَّ التشبيهَ وقعَ بشجرةٍ غيرِ معيَّنة إذا

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٦٥٣-٦٥٤، والنكت والعيون ٣/ ١٣٤، وزاد المسير ٤/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٧. وحديث أنس المرويّ هنا هو تتمة حديثه السالف في تفسير الكلمة الطيِّبة عند الترمذي (٣١١٩) وذكر الترمذي أنَّ وَقْفَهُ على أنس أصحُّ من رَفْعِه.

(٢) لعلّ في نسبة هذا القول إلى الزَّجَّاج وهماً، فقولُه في معانيه ٣/ ١٦١ (ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٦) هو القولُ الآتي بعده: شجرة الكَشُوث.

(٣) في (ح): الكشوت. ووقع في النسخ الأخرى: تشُوت (بالتاء) وهو خطأ.

(٤) هو صدر بيت، وعجُزه: ولا نسيمٌ ولا ظِلٌّ ولا ثمرُ. كما في مجمع الأمثال ١/ ٢٨٤ و٢/ ٢٥٠، واللسان (كشث) وفيهما: هو الكَشُوث... إلخ. وروايةُ صدره في تفسير القرطبي ١٢/ ١٣٧: وهم كَشُوث... إلخ. وفي التذكرة الحمدونية ٥/ ١٥٨: هم الكَشُوث، وفي عجزه: ولا زَهَرُ، بدل: ولا ثمرُ. ونُسب فيه لأبي علي بن عبدوس الرازي. وروايتُه في غرر الخصائص الواضحة ص٥٦:

هم الكَشُوثُ فلا أصلٌ ولا ثَمَرُ ولا نسيمٌ ولا ظلٌّ ولا ورقُ

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٦.

(٦) النجم من النبات ما لم يكن على ساق.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٥٤، والنكت والعيون ٣/ ١٣٤، وزاد المسير ٤/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٣٧. وقوله ﷺ: «من أكلَ من هذه الشجرة...» أخرجه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (٥٦١) عن ابن عمر ﵄.

وُجدت منها هذه الأوصاف، هو[١] أن يكون كالعِضاهِ أو شجرة السَّموم ونحوِها إذا اجْتُثَّت - أي اقتُلعت جُثَّتُها - بنزع الأصول وبقيت في غاية الوَهْي والضَّعْف، فيُقلِّهُا أقلُّ ريح، فالكافرُ يرى أنَّ بيده شيئاً وهو لا يستقرُّ ولا يُغني عنه، كهذه الشجرة التي يَظُنُّ بها على بُعد الجاهلُ أنها شيءٌ نافعٌ وهي خبيثةُ الجَنَى غيرُ نافعة. انتهى. و«اجتُثَّتْ من فوق الأرض» مقابلٌ لقوله: «أصلُها ثابت» أي: لم يتمكَّن لها أصلٌ ولا عِرْقٍ في الأرض، وإنَّما هي نابتةٌ على وجه الأرض. «ما لَها من قَرار» أي: استقرار، يقال: قَرَّ الشيءُ قَرَاراً: ثَبَتَ ثباتاً، شَبَّهَ بهذه الشجرةِ القولَ الذي لم يُعْضَد بحُجَّة، فهو لا يثبت، بل يضمحلُّ عن قريبٍ لبطلانه[٢].

و«القولُ الثابت» هو الذي ثبتَ بالحُجَّة والبُرهان في قلب صاحبِه وتمكَّن فيه، واطمأنَّت إليه نفسُه، وتثبيتُهم به في الدنيا كونُهم لو فُتنوا عن دينهم في الدنيا لَثَبَتُوا عليه ومازَلُّوا، كما جرى لأصحاب الأخدود، والذين نُشِرُوا بالمناشير، ومُشطت[٣] لحومُهم بأمشاط الحديد، وكما ثبت جِرْجِيس وشمعون وبلال حين كان يُعَذَّبُ بالرَّمضاء وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد.

وتثبيتُهم في الآخرة كونهم إذا سُئلوا عند تواقف[٤] الأشهاد عن معتقدهم لم يتلعثموا ولم يُبْهَتُوا ولم تُحيِّرْهُم أهوالُ الحَشْرِ.

و«الذين آمنوا» عامٌّ من لدن آدم إلى يوم القيامة، وقال طاوس وقتادة وجمهورٌ من العلماء: إنَّ تثبيتَهم في الدُّنيا هو مدَّةُ حياة الإنسان. وفي الآخرة هو في وقت سؤالِهِ في قبره. ورجَّحَ هذا القولَ الطبريُّ[٥].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٦: فالخُبْثُ هو...

(٢) الكشاف ٢/ ٣٣٧.

(٣) المثبت من (ز١) و(يه)، وهي كذلك في المصدر السالف (والكلام منه بنحوه). وفي النسخ الأخرى: كُشطت.

(٤) في (د١) والمطبوع: توافق. وهو خطأ. والكلام في المصدر السالف.

(٥) تفسيره ١٣/ ٦٦٧. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٧.

وقال البراء بن عازب وجماعة: «في الحياة الدنيا» هي وقتُ سؤالِهِ في قبرِه، ورواه البراء عن النبي ﷺ[١].

«وفي الآخرة» هو يوم القيامة عند العرض[٢].

وقيل: معنى تثبيته في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو حياتُه على الإيمان وحشرُه عليه.

وقيل: التثبيت في الدنيا الفتح والنصر، وفي الآخرة الجنةُ والثوابُ، وما صحَّ عن الرسول ﷺ في حديث البراء[٣] من تلاوته عند إقعاد[٤] المؤمن في قبرِهِ وسُئلَ وشهدَ شهادة الإخلاص قولَه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الآية = لا يَظْهَرُ منه تَعَيُّنُ أنَّ الحياة الدنيا هي حياة الإنسان، وأنَّ الآخرة هي في القبر، ولا أنَّ الحياةَ الدنيا هي في القبر وأنَّ الآخرة هي يوم القيامة، بل اللفظُ مُحْتَمِل.

ومعنى «يُثَبِّتُ» يُديمُهم عليه ويمنعُهم من الزَّلَل، ومنه قولُ عبد الله بنِ رواحة:

فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونَصْراً كالذي نُصِروا[٥]

والظاهرُ أنَّ «بالقول الثابت» متعلّق بقوله: «يُثَبِّتُ»، وقيل: يتعلَّق بـ «آمنوا».

وسؤالُ العبدِ في قبره معتقدُ أهلِ السُّنَّة وأنكره المعتزلة، والحديثُ الصحيح يشهد لأهل السُّنَّة[٦].

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾أي: الكافرين، لمقابلتهم المؤمنين، وإضلالُهم في الدنيا كونُهم لا يَثْبُتُون في مواقف الفتن، وتزلُّ[٧] أقدامُهم، وهي الحَيْرةُ التي

---

(١) عبارة المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٧: «ورواه البراء عن النبي ﷺ في لفظ متأوَّل». وسيشير المصنف إلى حديثه.

(٢) المصدر السالف.

(٣) ينظر صحيح البخاري (١٣٦٩)، وصحيح مسلم (٢٨٧١).

(٤) في (أ) و(ع): إبعاد، وفي المطبوع: إيعاد. وكلاهما تحريف.

(٥) تفسير الطبري ٤/ ٦٦٨، والنكت والعيون ٣/ ١٣٥ (وفيه: نُصِرا). وينظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٣. والاستيعاب ص٣٩٧ (ترجمة عبد الله بن رواحة).

(٦) قوله: وأنكره المعتزلة... الخ. من (ز١) و(يه). ولم يرد في المطبوع والنسخ الأخرى.

(٧) في (ح) و(د١): وتزول.

تلحقُهم، إذ ليسوا متمسِّكين بحُجَّة، وفي الآخرة هو اضطرابُهم في جوابهم.

ولمَّا تقدَّم تشبيهُ الكلمة الطيبة على تشبيه الكلمة الخبيثة؛ تقدَّم في هذا الكلام مَنْ نُسبت إليه الكلمة الطيِّبة، وتلاه مَنْ نُسبت إليه الكلمةُ الخبيثة.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما فعلَ بكلٍّ واحد من القسمين ذكرَ أنه لا يمكنُ اعتراضٌ فيما خَصَّ به كلَّ واحدٍ منهما؛ إذ ذاك راجعٌ إلى مشيئتِهِ فقال[1]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾[2] [الحج: ١٨]، ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقال الزمخشري: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾أي: [ما] تُوجِبُهُ[3] الحكمة؛ لأنَّ مشيئة الله تابعةٌ للحكمة من تثبيتِ المؤمنين وتأييدهم وعصمتِهم عند ثباتِهم وعزمِهم، ومن إضلالِ الظالمين وخِذْلانِهم، والتَّخليةِ بينَهم وبينَ شأنِهم عند زلَلِهم. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾.

لمَّا ذكرَ حالَ المؤمنين وهُداهم، وحالَ الكافرين وإضلالهم؛ ذكرَ السببَ في إضلالهم.

و«الذين بدَّلوا» ظاهرُه أنَّه عامٌّ في جميع المشركين. قاله الحسن[4]، بدَّلُوا بنعمةِ الإيمانِ الكُفْرَ.

وقال مجاهد: هم أهل مكة[5]، أنعم الله تعالى عليهم ببَعْثِهِ رسولاً منهم يُعلِّمُهم أمرَ دينِهِ، وشرَّفَهم به، وأسكنَهم حَرَمَهُ وجعلَهم قُوَّامَ بيته، فوضعوا مكانَ شكرِ هذه النعمةِ كفراً.

---

(١) لفظة: فقال، من (ز١) و(يه). وجاء بدلها في النسخ الأخرى: تعالى.
(٢) كذا وقع في النسخ الخطية. ولفظ الآية هنا: ويفعل الله ما يشاء.
(٣) تحرفت اللفظة في (أ) و(د١) و(د٢) والمطبوع إلى: توجيه. ولفظة «ما» بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٣٧٧.
(٤) النكت والعيون ٣/ ١٣٦، وزاد المسير ٤/ ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤١.
(٥) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٣٦، وجاء في الطبري ١٣/ ٦٧٥ عن ابن عباس.

وسألَ ابنُ عباسٍ عمرَ عنهم، فقال: هما الأفجران[١] من قريش: أخوالي، أي: بني مخزوم، واستُؤصلوا ببدر، وأعمامُك، أي بني أمية، ومُتِّعُوا إلى حين. وعن علي نحوٌ من ذلك[٢].

وقال قتادة: هم قادةُ المشركين يومَ بدر، وعن عليٍّ: هم قريش الذين تحزَّبُوا يومَ بدر. وعلى أنهم قريشٌ جماعةٌ من الصحابة والتابعين.

وعن علي أيضاً: هم منافقو قريش[٣]؛ أنعمَ عليهم بإظهار عَلَم الإسلام، بأن صانَ دماءَهم وأموالَهم وذَرَارِيهم، ثم عادُوا إلى الكفر، وعن ابن عبَّاس: في جَبَلَة بن الأيْهَم[٤]. ولا يريد أنَّها نزلت فيه؛ لأنَّ نزول الآية قبلَ قصَّتِه، وقصتُه كانت في خلافة عُمر، وإنَّما يريدُ ابنُ عبَّاس أنَّها تخصُّ مَنْ فَعَلَ فِعْلَ جَبَلَة إلى يوم القيامة.

و«نعمةُ الله» على حذف مضاف، أي: بَدَّلُوا شُكْرَ نعمةِ الله، كقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، أي: شُكْرَ رِزْقِكُم، كأنَّه وجبَ عليهم الشُّكْر، فوَضَعوا مكانَه كفراً وجعلُوا مكانَ شكرهم التكذيب.

قال الزمخشريّ: ووَجْهٌ آخرُ؛ وهو أنَّهم بدَّلُوا نفسَ النعمةِ كُفْراً، على أنَّهم لمَّا كَفَرُوها سُلِبُوها، فبَقُوا مسلوبي النِّعمَة، موصوفين[٥] بالكفر حاصلاً لهم الكفرُ بَدَلَ النعمة، وهم أهلُ مكة، أسكنَهم الله حَرَمَهُ، وجعلَهم قوَّامَ بيتهِ، وأكرمَهم بمحمدٍ ﷺ، فكفَرُوا نعمةَ الله بَدَلَ ما ألزمَهم[٦] من الشكر العظيم، أو أصابَهم اللهُ بالنِّعمة[٧] والسَّعة لإيلافهم الرِّحلتين، فكفرُوا نعمتَه، فضربَهم الله بالقَحْط سبعَ

(١) المثبت من (ز١) و(به). وتحرَّف في النسخ الأخرى والمطبوع إلى: الأعراب.
(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٦٧٠-٦٧١، وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٨، والنكت والعيون ٣/ ١٣٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٧، وزاد المسير ٤/ ٣٦٢.
(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٦٧٢ و٦٧٣، وزاد المسير ٤/ ٣٦٢.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٦٧٧، والنكت والعيون ٣/ ١٣٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٨. وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ١٤١.
(٥) من قوله: كفراً على أنهم لما... إلى هذا الموضع من (ز١) و(به). والكلام في الكشاف ٢/ ٣٧٧.
(٦) في (ح) و(د١): لزمهم. وهو كذلك في الكشاف ٢/ ٣٧٧.
(٧) بعدها في المصدر السالف: في الرخاء.

سنين، فحصلَ لهم الكفرُ بَدَلَ النِّعمة، وكذلك حين أُسِرُوا وقُتِلُوا يوم بدر؛ قد ذهبت عنهم النعمة[١]. وبقيَ الكفرُ طوقاً في أعناقهم. انتهى.

و«نعمةَ الله» هو المفعولُ الثاني، لأنه هو الذي يدخلُ عليه حرف الجرّ، أي: بنعمةِ الله، و«كفراً» هو المفعول الأول، كقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾ [الفرقان: ٧٠] أي: بسيِّئاتهم حسناتٍ، فالمنصوبُ هو الحاصل، والمجرورُ بالباء ـ أو المنصوبُ على إسقاطها ـ هو الذاهبُ، على هذا لسانُ العرب، وهو على خلاف ما يفهمُه العوامُّ وكثيرٌ ممن ينتمي إلى العلم، وقد أوضحنا هذه المسألة في قوله في البقرة: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [١٠٨].

وإذا قدَّرْتَ مضافاً محذوفاً ـ وهو شكرُ نعمة الله ـ فهو الذي دخلت عليه الباء ثم حُذفت، وإذا لم يقدَّر مضاف محذوف فالباء دخلت على «نعمة» ثم حُذفت.

﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ﴾ أي: مَنْ تابعَهم على الكفر.

وزعمَ الحَوْفيّ وأبو البقاء[٢] أنَّ «كُفراً» هو مفعولٌ ثانٍ لـ «بدَّلُوا»، وليس بصحيح، لأنَّ «بدَّلَ» من أخوات «اختار» فالذي يُباشرُه حرفُ الجرّ هو المفعولُ الثاني، والذي يصلُ إليه الفعلُ بنفسه لا بوساطة حرف الجرّ هو المفعولُ الأولُ.

وأعربَ الحَوْفيّ وأبو البقاء «جهنمَ» بَدَلاً من «دار البَوَار»، والزمخشريُّ: عطفَ بيان، فعلى هذا يكون الإحلال في الآخرة.

و«دار البَوَار» هي جهنم، وقاله ابنُ زيد، وقيل عن عليّ: يوم بدر[٣]. وعن عطاء بن يسار: نزلت في قتلى بدر[٤]. فيكون «دار البَوَار» أي: الهلاك في الدنيا، كقَلِيب بدر، وغيرِه من المواضع التي قُتِلُوا فيها.

وعلى هذا أعربَ ابنُ عطية وأبو البقاء «جهنَّمَ» منصوباً على الاشتغال، أي: يَصْلَوْن جهنَّم يَصْلَوْنَها. ويؤيِّد هذا التأويلَ قراءةُ ابن أبي عَبْلة «جهنم» بالرفع على

---

(١) قوله: وكذلك حين أُسروا . . . إلى هذا الموضع من (ز١). وهو كذلك في الكشاف ٢/ ٣٧٧.
(٢) الإملاء ٢/ ٦٨.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١٣٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤٢. وأخرج الطبري ١٣/ ٦٧٧-٦٧٨ قول ابن زيد.
(٤) تفسير الطبري ١٣/ ٦٧٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٨.

أنه يحتمل أن يكون «جهنم» مرفوعاً على أنه خبرُ مبتدأ محذوف، وهذا التأويل أولى لأنَّ النصب على الاشتغال مرجوح من حيث إنه لم يتقدَّم ما يرجِّحُه، ولا ما يكون مساوياً له.

وجمهورُ القرَّاء على النصب، ولم يكونوا ليقرؤوا بغير الرَّاجح أو المساوي، إذ: زيدٌ ضربتُه أفصحُ من زيداً ضربتُه، فلذلك كان ارتفاعه على أنه خبرُ مبتدأ محذوف في قراءة ابنِ أبي عَبْلَة راجحاً.

وعلى تأويل الاشتغال يكون «يَصْلَوْنَها» لا موضعَ له من الإعراب، وعلى التأويل الأوَّل جوَّزُوا أن يكون حالاً من «جهنَّم» أو حالاً من «دار البَوَار» أو حالاً من «قَوْمَهم».

والمخصوصُ بالذمِّ محذوف، تقديرُه: وبئس القرار هي، أي: جهنَّم.

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: زادوا إلى كُفرِ نعمتِه أنْ صَيَّرُوا له أنداداً، وهي الأصنامُ التي اتخذوها آلهةً من دون الله.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو: «لِيَضِلُّوا» هنا، و«لِيَضِلَّ» في الحجِّ [٩] ولقمان [٦] والزُّمَر[١] [٨] بفتح الياء، وباقي السبعة بضمِّها[٢].

والظاهرُ أنَّ اللام لامُ الصيرورة والمآل؛ لمَّا كانت نتيجةُ جعلِ الأندادِ آلهةً الضلالَ أو الإضلال؛ جرى مجرى لام العلَّة في قولك: جئتُك لتُكرِمَني، على طريقة التشبيه.

وقيل: قراءة الفتح لا تَحتمِلُ أن تكون اللام إلا لامَ العاقبة[٣]، وأمَّا بالضمِّ فتَحتمِلُ العاقبة والعلَّة.

والأمرُ بالتَّمتُّع أمرُ تهديدٍ ووعيد، على حدِّ قوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. قال الزمخشري[٤]: «تَمَتَّعُوا» إيذانٌ بأنَّهم لانغماسِهم في التَّمتُّع بالحاضرِ وأنَّهم

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه). ووقع في النسخ الأخرى والمطبوع: الروم. وهو خطأ.
(٢) السبعة ص٢٦٧، والتيسير ص١٣٤. وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ١٤٢.
(٣) لفظة «إلا» من (ز١) و(يه)، وسقطت من النسخ الأخرى، وهذا القولُ لابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٨، وينظر الدر المصون ٧/ ١٠٣.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٨.

لا يعرفون غيرَه ولا يريدونَه مأمورُون به قد أمرَهم آمِرٌ مُطاع لا يسعُهم أن يخالفوه، ولا يملكون لأنفسهم أمراً دونَه، وهو أمرُ الشهوة، والمعنى: إنْ دُمتُم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمرِ الشهوة فإنَّ مصيرَكم إلى النار. ويجوزُ أن يُراد الخِذْلانُ والتخلية، ونحوُه: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]. انتهى.

و«مصيركم» مصدر «صار» التامَّة بمعنى: «رَجَعَ»، وخَبرُ «إنّ» هو قوله: «إلى النار»؛ ولا يقال هنا «صار» بمعنى «انتقلَ»، ولذلك تعدَّت بـ «إلى»، أي: فإنَّ انتقالكم إلى النار، لأنه تبقى «إنَّ» بلا خبر، ولا ينبغي أن يُدَّعَى حذفُه فيكون التقدير: فإنَّ مصيركم إلى النار واقعٌ لا محالة أو كائن، لأنَّ حذفَ الخبر في مثل هذا التركيب قليل، وأكثرُ ما يُحذف إذا كان اسم «إنَّ» نكرة، والخبرُ جارٌّ ومجرور[١]. وقد أجازَ الحَوْفيُّ أن يكون «إلى النار» متعلِّقاً بـ «مصيركم»، فعلى هذا يكون الخبرُ محذوفاً.

﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى حالَ الكفار وكُفْرَهم نعمتَه وجَعْلَهم له أنداداً وتَهدُّدَهم؛ أمَرَ المؤمنين بلزوم الطاعةِ والتيقُّظِ لأنفسهم والتزامِ[٢] عمودَي الإسلام الصلاة والزكاة قبلَ مجيء يومِ القيامة.

ومعمول «قُلْ» محذوف، تقديرُه: أقيموا الصلاةَ يقيموا، و«يقيموا» مجزوم على جواب الأمر، وهذا قولُ الأخفش والمازنيّ، ورُدَّ بأنه لا يلزمُ من القول أن يُقيموا،

(١) وشاهدُه قولُ الأعشى (كما في ديوانه ص٢٨٣): إنَّ مَحَلًّا وإنَّ مُرْتَحَلاً. والتقدير كما قال البغدادي في الخزانة ١٠/ ٤٥٢: إنَّ لنا مَحَلًّا في الدنيا ما عشنا، وإنَّ لنا مُرْتَحَلاً إلى الآخرة. وينظر الكتاب ٢/ ١٤١، وسرّ صناعة الإعراب ٢/ ٥١٧، والدرّ المصون ٧/ ١٠٤.

(٢) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: وإلزام.

ورُدَّ هذا الردُّ بأنه أمرٌ للمؤمنين بالإقامة؛ لا للكافرين، والمؤمنون متى أمرَهم الرسولُ بشيء فعلُوه لا محالة.

قال ابنُ عطية[١]: ويحتمل أن يكون «يقيموا» جوابَ الأمر الذي يعطينا معناه قولهُ: «قل» وذلك أن تجعلَ «قُلْ» في هذه الآية بمعنى: بَلِّغْ وَأَدِّ الشريعةَ يُقِيمُوا الصلاة. انتهى. وهذا قريب ممَّا قبلَه إلا أن فيما قبلَه معمول القول «أقيموا»، وفي هذا: الشريعة، على تقدير: بلِّغ الشريعةَ.

وذهبَ الكسائيُّ والزجَّاج وجماعة إلى أنَّ معمول «قُلْ» هو قولُه: «يُقيموا» وهو أمر مجزوم بلام الأمر محذوفة على حدِّ قول الشاعر:

مـحـمَّـدُ تَـفْـدِ[٢] نَـفْـسَـكَ كـلُّ نَـفْـسٍ

أنشدَه سيبويهِ إلا أنه قال: إنَّ هذا لا يجوزُ إلا في الشِّعر[٣].

وقال الزمخشري[٤] في هذا القول: وإنَّما جازَ حذفُ اللام لأنَّ الأمر الذي هو «قُلْ» عِوَضٌ منه، ولو قيل: يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداءً بحذف اللام؛ لم يَجُزْ. انتهى.

وذهب المبرِّد[٥] إلى أنَّ التقدير: قل لهم أقيموا يقيموا، فـ «يُقِيمُوا» المصرَّح به جواب «أقيموا» المحذوف، قيل: وهو فاسدٌ لوجهين:

أحدُهما: أنَّ جوابَ الشرط يخالف الشرط إمَّا في الفعل، أو في الفاعل، أو فيهما. فأمَّا إذا كان مثلَه فيهما فهو خطأ، كقولك: قُم تقم، والتقدير على هذا الوجه: إنْ يُقيموا يقيموا.

والوجه الثاني: أنَّ الأمر المقدَّر للمواجهة، و«يقيموا» على لفظ الغيبة، وهو خطأ إذا كان الفاعل واحداً[٦].

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩.
(٢) أي: لِتَفْدِ.
(٣) بنحوه في الكتاب ٣/ ٨. وينظر خزانة الأدب ٩/ ١١.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٧٨.
(٥) نقله عنه أبو البقاء في الإملاء ٢/ ٦٩. وهو بنحوه في المقتضب ٢/ ٨٤.
(٦) الإملاء ٢/ ٦٩.

وقيل: التقدير: إنْ تَقُلْ لهم أقيموا يقيموا. قاله سيبويه فيما حكى ابنُ عطية[١].

وقال الفرَّاء[٢]: جواب الأمر معه شرطٌ مقدَّر، تقول: أطعِ اللهَ يُدخِلْكَ الجنة، أي: إنْ تُطعه يُدْخِلْك الجنة. ومخالفةُ هذا القول للقول قبلَه أنَّ الشرط في هذا مقدَّر بعد فعل الأمر، وفي الذي قبلَه الأمرُ مضمَّنٌ معنى الشرط.

وقيل: هو مضارع بلفظ الخبر، صُرف عن لفظ الأمر، والمعنى: أقيموا. قاله أبو علي وفرقة. ورُدَّ بأنَّه لو كان مضارعاً بلفظ الخبر ومعناه الأمرُ لَبَقِيَ على إعرابه بالنون، كقوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ﴾ [الصف:١٠]. ثم قال: «تؤمنون» والمعنى: آمِنُوا. واعتلَّ أبوعليّ لذلك بأنه لمَّا كان بمعنى الأمر بُنِيَ، يعني على حذف النون لأنَّ المراد: أقيموا. وهذا كما بُنِيَ الاسم المتمكِّن في النِّداء في قولك: يا زيد - يعني على الضمة - لمَّا شُبِّه بـ «قبلُ وبعدُ»[٣]. انتهى.

ومتعلَّق القولِ الملفوظ به أو المقدَّر في هذه التخاريج هو الأمرُ بالإقامة والإنفاق إلا في قول ابن عطية؛ فتعلَّقُه: الشريعة، فهو أعمُّ؛ إذْ قَدَّرَ «قُلْ» بمعنى: بَلِّغْ وأدِّ الشريعة. قال ابنُ عطية: ويظهرُ[٤] أنَّ المَقُول هو الآية التي بعدُ، أعني قولَه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾. انتهى.

وهذا الذي ذهبَ إليه من كون معمولِ القول هو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى﴾ الآية تفكيكٌ للكلام يُخالفه ترتيبُ التركيب، ويكون قولُه: «يقيموا الصلاة» كلاماً مفلَّتاً من القول ومعمولِه، أو يكون جواباً فُصل به بين القول ومعمولِه، ولا يترتَّبُ أن يكون جواباً؛ لأنَّ قولَه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لا يستدعي إقامةَ الصلاة والإنفاقَ إلا بتقديرٍ بعيدٍ جدّاً.

واحتمل «الصلاة» أن يُراد بها العموم، أي: كلَّ صلاة فرض وتطوُّع، وأن يُراد بها الخَمْسُ، وبذلك فسَّرها ابنُ عبَّاس، وفَسَّرَ الإنفاقَ بزكاة الأموال[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٨.
(٢) نقله عن الفراء القرطبيُّ في تفسيره ١٢/ ١٤٣. وهو بمعناه في معاني الفراء ٢/ ٧٧.
(٣) ذكر الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٢٨٩ أنَّ هذا القول ممَّا لا يكاد يُلتفت إليه.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩: وقيل، بدل: ويظهر.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٦٨٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤٣.

وتقدَّم إعرابُ «سرًّا وعلانيةً» وشرحُهما في أواخر البقرة.

وقال أبو عبيدة: البيع هنا: البَذْل[١]، والخِلال المُخَالَّة، وهو مصدر من: خالَلْتُ خِلالاً ومُخالَّةً، وهي المصاحبة. انتهى. ويعني بالبَذْل مقابل شيء.

وقال امرؤ القيس:

صرفْتُ الهوى عنهنَّ من خشية الرَّدَى ولَسْتُ بِمَقْلِيِّ الخِلَالِ ولا قَالِ[٢]

وقال الأخفش[٣]: الخِلال جمع خُلَّة.

وتقدَّم الخلاف في قراءة ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ بالفتح أو بالرفع في البقرة[٤] [٢٥٤]. والمرادُ بهذا اليوم يومُ القيامة.

قال الزمخشريّ: فإن قلت: كيف طابقَ الأمرُ بالإنفاق وصفَ اليوم بأنه لا بيعٌ فيه ولا خِلال؟ قلت: من قِبَلِ أنَّ الناسَ يُخرِجون أموالَهم في عقود المعاوضات، فيُعطونَ بَدَلاً ليأخذوا مِثلَه، وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء، ليستجرُّوا[٥] بهداياهم أمثالَها أو خيراً منها، وأمَّا الإنفاقُ لوجهِ الله خالصاً كقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] فلا يفعلُه إلا المؤمنون الخُلَّص، فبعثوا عليه ليأخذوا بَدَلَه في يوم لا بيعٌ فيه ولا خِلال، أي: لا انتفاعَ فيه بمبايعة ولا مُخَالَّة ولا بما ينفقون فيه أموالهم من المعاوضات والمكارمات، وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله. انتهى.

ولما أطالَ تعالى الكلامَ في وصف أحوال السُّعداء والأشقياء وكان حصولُ السَّعادة بمعرفة الله وصِفاته، والشقاوةِ بالجهل بذلك؛ ختَم وَصْفَه بالدلائل الدالَّة

---

(١) قول أبي عبيدة هذا نقله الرازي ١٩/ ١٢٥ وفيه: الفداء، بدل: البذل. وفي مجاز القرآن ١/ ٣٤١: مبايعة فِدْية. ووقع في (ح) و(د١): البَدَل. وكذا في الموضع التالي.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٣٥. قال شارحه: يقول: لم أصرمهنَّ؛ لا لأنَّني قليتُهنَّ ولا لأنهنَّ قَلَيْنَني، ولكن خشية الافتضاح والعار.

(٣) في معانيه ٢/ ٥٩٩، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عَمرو ويعقوب بالفتح من غير تنوين، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين. وينظر السبعة ص١٨٧، والتيسير ص٨٢، والنشر ٢/ ٢١١.

(٥) في المطبوع: ليستخرجوا. والكلام في الكشاف ٢/ ٢٧٨-٢٧٩.

على وجود الصانع، وكمالِ علمه وقدرتِه، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وذكر عَشَرَةَ أنواع من الدَّلائل، فذكرَ أوّلاً إبداعَه وإنشاءَه السماواتِ والأرضَ، ثم أعقبَ بباقي الدَّلائل، وأبرزَها في جُمل مستقلَّة لِيَدُلَّ وينبِّهَ على أنَّ كلَّ جملة منها مستقلَّةٌ في الدِّلالة، ولم يجعل متعلَّقاتِها معطوفاتٍ عَطْفَ المفردِ على المفرد.

و«الله» مرفوع على الابتداء، و«الذي» خبرُه، قال ابنُ عطية[1]: ومن أُخْبِرَ بهذه الجملة وتقرَّرَتْ في نفسه آمنَ وصلَّى وأنفق. انتهى. يشيرُ إلى ما تقدَّم من قوله: إنَّ معمول «قُلْ» هو قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية، فكأنَّه يقولُ: «يقيموا الصلاة» جوابٌ لقوله: قُلْ لعبادي الله الذي خلق السماوات والأرض.

والظاهر أنَّ مفعول «أخْرَجَ» هو «رِزْقاً لكم»، و«مِنْ» للتبعيض، ولمَّا تقدَّم على النَّكرة كان في موضع الحال، ويكون المعنى أنَّ الرِّزقَ هو بعضُ جَنْي الأشجار، ويخرجُ منها ما ليس برزق، كالمجرَّد للمضرَّات.

ويجوز أن تكون «مِنْ» لبيان الجنس، قاله ابن عطية والزمخشريّ، وكأنَّه قال: فأخرجَ به رزقاً لكم هو الثمرات. وهذا ليس بجيِّد؛ لأنَّ «مِنْ» التي لبيان الجنس إنما تأتي بعد المبهم الذي تُبَيِّنُه[2].

وقال الزمخشريّ[3]: ويجوز أن يكون «من الثمرات» مفعول «أخْرَجَ»، و«رزقاً» حالاً من المفعول، أو نصباً على المصدر من «أخْرَجَ» لأنه في معنى رَزَقَ.

وقيل: «مِنْ» زائدة، وهذا لا يجوز عند جمهور البصريِّين؛ لأنَّ ما قبلَها واجبٌ، وبعدَها معرفة، ويجوزُ عند الأخفش[4].

و«الفُلْك» هنا جمع «فُلْك»[5]، ولذلك قال: «لِتجرِيَ»، ومعنى «بأمْرِهِ» راجع

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩.
(٢) قال السمين: قد يُجاب عنهما بأنهما أرادا ذلك من حيث المعنى لا الإعراب. ينظر الدر المصون ٧/ ١٠٨.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٧٩.
(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩.
(٥) الفُلْك: السفينة، واحدٌ وجمع، يُذكَّر ويؤنَّث. ينظر الصحاح (فلك).

إلى الأمر القائم بالذات. وقال الزمخشريّ: بقوله[١]: «كُنْ»، وانطوى في تسخير الفُلك تسخيرُ البحار وتسخيرُ الرِّياح، وأمَّا تسخيرُ الأنهار فبجريانِها وبتفجيرِها للانتفاع بها.

وانتصب «دائبَيْن» على الحال، والمعنى: يَدْأبانِ في سَيْرِهما وإنارتِهما وإصلاحِهما ما يُصلحانِ من الأرض والأبدان والنبات[٢].

وعن مقاتل بن حَيَّان[٣] يرفعُه إلى ابن عباس أنه قال: معناه دائبَيْنِ في طاعة الله، قال ابنُ عطية[٤]: وهذا قولٌ إنْ كانَ يُرادُ به أنَّ الطاعةَ انقيادٌ منهما في التسخير فذلك موجودٌ في قوله: «سَخَّرَ»، وإن كان يُرادُ أنَّها طاعةٌ مقصودة كطاعة العبادة من البشر، فهذا جيِّد. والله أعلم. انتهى.

وتسخيرُ الليلِ والنهار كونُهما يتعاقبانِ خِلْقَةً للمنام والمعاش. وقال المتكلِّمون[٥]: تسخيرُ الليل والنهار مجازٌ لأنهما عَرَضان، والأعراضُ لا تُسَخَّر.

ولمَّا ذكرَ تعالى تلك النعم العظيمة؛ ذكرَ أنه لم يقتصر عليها، فقال: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ﴾ والخطاب للجنس من البشر، أي إنَّ الإنسان قد أوتيَ من كلِّ ما شأنُه أن يُسألَ ويُنتفع به، ولا يطَّردُ هذا في كلِّ واحدٍ من الناس، وإنَّما تفرَّقت هذه النِّعم في البشر، فيقال بحسب هذا للجميع: أوتيتُم كذا، على جهة التقرير للنعمة[٦].

وقرأ ابنُ عبَّاس والضحَّاك والحسن ومحمد بن عليّ وجعفر بنُ محمد وعَمرو بن فائد وقتادة وسَلَّام ويعقوب ونافع في رواية: «من كلٍّ» بالتنوين[٧]، أي: من كلِّ هذه المخلوقات المذكورات.

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه)، وهو كذلك في الكشاف ٢/ ٣٧٩. ووقع في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع) والمطبوع: لقوله. وفي (د١): كقوله.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٩.
(٣) في (أ) و(د١) و(ع) والمطبوع: حبان. وهو خطأ.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٣٩. وقول ابن عباس فيه، وفي تفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٨.
(٥) تفسير الرازي ١٩/ ١٢٨.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٠. وفيه: التعديد للنعمة.
(٧) ينظر القراءات الشاذة ص٦٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٦٨، والمحتسب ١/ ٣٦٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٠، وزاد المسير ٤/ ٣٦٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤٥.

و«ما» موصولة مفعول ثانٍ، أي: ما شأنُه أن يُسأل، بمعنى: يُطلب الانتفاعُ به. وقيل: «ما» نافية، والمفعول الثاني هو: «من كلٍّ»[١]، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أي: غيرَ سائليه، أخبرَ بسُبوغ نعمتِه عليهم بما لم يسألوه من النِّعم، ولم يعرض لما سألوه، والجملة المنفيةُ في موضع نصب على الحال، وهذا القول بدأ به الزمخشريُّ، وثنَّى به ابنُ عطية وقال: إنه تفسيرُ الضحَّاك، وهذا التفسير يظهرُ أنَّه منافٍ لقراءة الجمهور: «من كلِّ ما سألتموه» بالإضافة، لأنَّ في تلك القراءة على ذلك التخريج تكون «ما» نافية، فيكونون لم يسألوه، وفي هذه القراءة يكونون قد سألوه، و«ما» بمعنى الذي.

وأُجيز أن تكون مصدرية، ويكون المصدر بمعنى المفعول.

ولمَّا أَحسَّ الزمخشريُّ بظهور التنافي بين هذه القراءة وبين تلك على تقدير أنَّ «ما» نافية قال: ويجوز أن تكون «ما» موصولة على: وآتاكم من كلِّ ذلك ما احتجتُم إليه ولم تصلُح أحوالُكم ومعايشكم إلَّا به، فكأنَّكم سألتمُوه أو طلبتُموه بلسان الحال[٢]. فتأوَّلَ «سألتمُوه» بقوله: ما احتجتُم إليه.

والضمير في «سألتموه» إنْ كانت «ما» مصدريَّة عائدٌ على الله تعالى، ويكون المصدرُ يُرادُ به المسؤول، وإنْ كانت موصولة بمعنى «الذي» عادَ عليها، والتقدير: من كلِّ الذي سألتُموه إيَّاه، ولا يجوز أن يكون عائداً على الله، والرابط للصلة بالموصول محذوف، لأنك إن قدَّرتَه متصلاً فيكون التقدير: ما سألتموه، فلا يجوز، أو منفصلاً فيكون التقدير: ما سألتموه إيَّاه، فالمنفصل لا يجوز حذفُه.

والنعمة هنا؛ قال الواحديّ[٣]: اسمٌ أُقيم مقامَ المصدر، يقال: أنعم إنعاماً ونعمة، أُقيم الاسم مقام الإنعام، كقولك: أنفقتُ إنفاقاً ونَفَقةً، ولذلك لم يُجمع لأنه في معنى المصدر. انتهى.

والذي يظهر أن النعمة هو المُنعَمُ به، وأنه هو اسمُ جنس لا يرادُ به الواحد بل يُرادُ به الجمع، كأنَّه قيل: وإنْ تعدُّوا نِعَمَ الله. ومعنى «لا تُحْصُوها»: لا تحصُرُوها

(١) وهذا على القراءة الشاذَّة المذكورة آنفاً.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٩.
(٣) الوسيط ٣/ ٣٢-٣٣، ونقله المصنف عنه بواسطة تفسير الرازي ١٩/ ١٢٩.

ولا تُطيقوا عدَّها، هذا إذا أرادُوا أن يَعُدُّوها على الإجمال، وأمَّا التفصيل فلا يقدرُ عليه ولا يعلمُه إلا الله.

وقال أبو الدرداء: مَنْ لم يَرَ نعمةَ الله عليه إلا في مطعمه ومشربِه فقد قلَّ عِلْمُهُ[١] وحَضَرَ عذابُه.

والمراد بالإنسان هنا الجنس، أي: تُوجَدُ فيه هذه الخِلال، وهي الظُّلْم والكُفر، يظلمُ النعمةَ بإغفال شُكرها، ويكفُرُها بجَحْدِها.

وقيل: ظَلُومٌ في الشدَّة يشكو ويجزع، كَفَّارٌ في النِّعمة يجمعُ ويمنعُ[٢].

وفي «النحل»: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٨] والفرق بين الختمين أنَّه هنا تقدَّم قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ وبعدَه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ فكان ذلك نصًّا على ما فعلوا من القبائح من كُفران النِّعمة والظلم الذي هو الشِّرك بجعل الأنداد؛ ناسبَ[٣] أن يختم بذمٍّ من وقع ذلك منه، فجاء: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

وأمَّا في النحل فلما ذكر عدَّة تفضُّلات؛ وأطنبَ فيها وقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ أي: مَنْ أوجدَ هذه النِّعم السابقَ ذِكرُها ليس كمن لا يقدرُ على الخلق ولا على شيء منه؛ ذكرَ من تفضُّلاته اتِّصافَه بالغفران والرحمة[٤] تحريضاً على الرجوع إليه، وأنَّ هاتين الصفتين هو متصفٌ بهما كما هو متَّصف بالخلق، ففي ذلك إطماعٌ لمن آمنَ به وانتقلَ من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق أنَّه يغفرُ زَلَلَهُ السابقَ ويرحمهُ، وأيضاً فإنَّه لما ذكرَ أنه تعالى هو المتفضِّلُ بالنِّعم على الإنسان ذكرَ ما حصلَ من المُنْعِم وجنسِ المُنْعَم عليه، فحصلَ من المُنْعِم ما يناسبُه حالة إعطائه، وهو الغفران والرحمة، إذْ لولاهما لما أنعمَ عليه، وحصل من جنس المنعَم عليه

(١) المثبت من (د٢). وهو الصواب، وفي النسخ الأخرى: عمله. والخبر في الزهد لأحمد ص١٦٦، وشعب الإيمان ٦/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٠.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٧٩، وتفسير الرازي ١٩/ ١٣٠.

(٣) كذا وقع الكلام. ولعل الجادَّة: فناسبَ.

(٤) المثبت من (ز١)، وفي (يه): بالغفران أو الرحمة، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: بالعذاب والرحمة.

ما يناسبُه حالة الإنعام عليه، وهو الظلم والكفران، فكأنه قيل: إنْ صَدَرَ من الإنسان ظلمٌ فالله غفورٌ، أو كفرانُ نعمةٍ فالله رحيمٌ لعلمِه بعجزِ الإنسان وقصورِه[١].

ودعوى أنَّ هذه الآية منسوخة بآية النحل لا يُلتفت إليها، ونقل ذلك السخاويّ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

❊ ❊ ❊

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)
رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا
إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨)
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ
اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا
يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ
وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى
أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ
زَوَالٍ (٤٤) وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا
بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٤٥) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ
مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو
انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ
(٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ
وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾.

---

(١) بنحوه في تفسير الرازي ١٩/ ١٣٠-١٣١.

المفردات

جَنَبَ مخفَّفاً وأَجْنَبَ رباعيًا لغة نجد، وجَنَّبَ مشدَّداً لغة الحجاز، والمعنى مَنَعَ، وأصلُه من الجانب.

الهُوِيُّ: الهبوطُ بسرعة، قال:

وإذا رَمَيْتَ بهِ الفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخارمَها هُوِيَّ الأجْدَلِ[١]

شَخَصَ البصرُ: أَحَدَّ النظرَ ولم يستقرَّ في مكانِهِ.

المُهْطِع: المُسرع في مَشْيِه، قال الشاعر:

بِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ عِنانَهُ في رأسِ جِذْعٍ من أَوَالَ[٢] مُشَذَّبِ[٣]

وقال عِمْران بنُ حِطَّان:

إذا دعانا فأهْطَعْنا لدَعْوَتِهِ داعٍ سميعٌ فَلَفُّونا[٤] وسَاقُونَا

وقال أبو عبيدة: قد يكون الإهطاع الإسراع وإدامة النظر[٥].

المُقْنِع: هو الرافعُ رأسَه المُقْبِلُ ببصرِه على ما بين يديه، قاله ابنُ عرفة والقُتَبِيّ[٦]. وقال:

---

(١) البيت لأبي كبير الهُذَليّ، وهو في ديوان الهُذَلِيّين ٢/ ٩٤، وفيه: يَنْضُو، بدل: يَهْوِي. ويَنْضُو، يعني: يقطع ويجوزُ، والمَخَارم أُنوف الجبال، الواحد منها مَخْرَم، والأجْدَل: الصَّقْر. كذا في شرح الديوان. والبيت برواية المصنِّف في معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢، واللسان (خرم). قال ابنُ منظور: أراد: في مخارمها، فهو على هذا ظرف، كقولهم: ذهبت الشامَ... وقيل: «يهوي» هنا في معنى: يقطع.

(٢) المثبت من (ز١) و(يه). ووقع في النسخ الأخرى: أراك.

(٣) البيت في مجاز القرآن ١/ ٣٤٢ وتفسير الطبري ١٣/ ٧٠٧ (وفيهما: زمامه، بدل: عِنانه) والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤. والبيت من الكامل، ووقع في تفسير الطبري: وبمهطعٍ، وكلاهما صواب، فبالواو على الجادّة: متفاعلن، وبدون واو: مفاعلن، وفيه وَقْصٌ. وقوله: سُرُح، هو جمع سَرُوح، وهي السريعة من الإبل والخيل. وأوال: اسم موضع مما يلي الشام، كما في اللسان (أول).

(٤) المثبت من (ز١) و(يه)، وهو كذلك في إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٨٨. ووقع في النسخ الأخرى: فلبُّونا، ولم تجوَّد هذه اللفظة في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤، وجاء في تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٨-١٥٩ عن أبي عُبيد.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٣٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٥٩.

يُباكِرنَ العِضَاهَ بمُقْنَعاتٍ نَواجِذُهنَّ كالحَدَأ الوَقِيعِ[(١)]

يصفُ الإبلَ بالإقناع عند رَعْيها أعالي الشجر. ويقال: أَقْنَعَ رأسَه: نكَّسه وطأطأه، فهو من الأضداد.

قال المبرِّد: وكونُه بمعنى رفَعَ أعرفُ في اللغة[(٢)]. انتهى.

وقيل منه: قَنِعَ الرجلُ: إذا رَضِيَ، أي: رَفَعَ رأسَه عن السؤال. وفَمٌ مُقْنَعٌ: معطوفةٌ أسنانُه إليه داخلاً، ورجلٌ مُقَنَّع ـ بالتشديد ـ عليه بيضة[(٣)].

الرأسُ معروف، ويُجمع في القلَّة على أرْؤس.

الطَّرْفُ: العَيْن. قال:

وأَغُضُّ طَرْفي ما بَدَتْ لِي جارتي حتى يُواري جارتي مَأْوَاهَا[(٤)]

ويقال: طَرَفَ الرجلُ: طَبَّقَ جَفْنَه على الآخَر، وسُمِّيَ الجَفْنُ طَرْفاً لأنه يكون فيه ذلك.

الهواء ما بين السماء والأرض، وهو الخلاء الذي لم تَشْغَلْهُ الأجرام الكثيفة، واستُعير للجَبَان، فقيل: قلبُ فلانٍ هواء. وقال:

كأنَّ الرَّحْلَ منها فَوقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلْمانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ[(٥)]

المقرَّن المشدود في القَرَن، وهو الحَبْل.

---

(١) البيت للشمَّاخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص٢٢٠، وفيه: يُبَادِرْنَ، بدل: يُبَاكِرْنَ. والبيت في وصف إبل. قوله: العِضاه: هو كلُّ شجر يعظُم وله شوك، واحدُها عِضاهة. والحَدَأ: جمع حَدَأة، وهي الفأس ذات الرأسين.

(٢) هذا كلام القرطبي في تفسيره ١٢/ ١٥٩ قاله بإثر نقلِه عن المهدويّ والمبرِّد المعنَيَيْن المذكورين في الإقناع. والله أعلم.

(٣) الصحاح (قنع). وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ١٦٠.

(٤) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص٧٦.

(٥) البيت لزهير في وصف ناقة صغيرة الرأس، وهو في ديوانه ص٦٣. قال ثعلب في شرحه: «فوق صَعْل: فوق ظليم دقيق العُنقِ صغير الرأس. جُؤْجُؤه: صدرُه. هواء: لا مخَّ فيه». قلت: والظَّليم واحدُ الظِّلْمان، وهو الذَّكَرُ من النَّعام.

الصَّفَد: الغُلّ والقَيْد، يقال: صَفَدَهُ صَفْداً: قيَّده، والاسم الصَّفَد، وفي التكثير: صَفَّدَه، مُشَدَّداً. قال:

وأُبْنَا بالملوكِ مُصَفَّدِينا[١]

وأَصْفَدْتُهُ: أعطيتُه، وقيل: صَفَدَ وأصْفَدَ معاً في القَيْد والإعطاء.

قال:

فلم أُعَرِّضْ أبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ[٢]

أي: بالعطاء. وسُمِّيَ العَطَاءُ صَفَداً لأنهُ يُقَيِّدُ ويُعَبِّدُ.

السِّرْبال: القميص، يقال: سَرْبَلْتُهُ فتَسَرْبَلَ.

القَطِرَان: ما تَحَلَّبَ من شجرِ الأبْهَل[٣]، فيُطبخ وتُهْنَأُ به الإبل الجَرْبَى، فيحرقُ الجَرَبَ بحرِّه وحِدَّتِه، وهو أقبلُ الأشياء اشتعالاً، ويقال فيه: قَطْرَان، بوزن: سَكْرَان، وقِطْران، بوزن سِرْحان.

* * *

التفسير ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

مناسبةُ هذه الآية لما قبلَها أنه تعالى لَمَّا ذكرَ التعجيب من الذين بدَّلوا نعمة الله كفراً وجعلوا للهِ أنداداً، وهم قريشٌ ومن تابعَهم من العرب الذين اتَّخذُوا آلهةً من دون الله، وكان من نعم الله عليهم إسكانُه إياهم حَرَمَه = أردفَ ذلك بذكر أصلهم إبراهيم، وأنه صلواتُ الله عليه دعا اللهَ تعالى أن يجعلَ مكةَ آمنةً ودعا بأنْ يَجْنُبَ بنيه عبادةَ الأصنام، وأنه أسكنه ذُرِّيَّتَهُ ليعبدوه[٤] وحدَه بالعبادة التي هي

(١) هو عجز بيت لعَمرو بن كلثوم، وصدرُه: فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا. وهو في معلَّقته ص١٠٠.
(٢) هو عجز بيت للنابغة الذُّبياني، وصدرُه: هذا الثناءُ فإنْ تَسْمَعْ به حَسَناً. وهو في ديوانه ص٣٧.
(٣) في القاموس (بهل): الأبْهَلُ حَمْلُ شجرٍ كبير، ثمرُهُ كالنَّبِق.
(٤) في (ح) و(د١) والمطبوع: وأنه أسكنه وذريَّته في بيته ليعبدوه.

أشرفُ العبادات ـ وهي الصلاة ـ لينظروا في دين أبيهم، وأنه مخالفٌ لما ارتكبوه من عبادة الأصنام فيزدجروا ويرجعوا عنها.

وتقدَّم الكلام على قوله هنا: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ معرَّفاً، وفي البقرة: ﴿هَٰذَا بَلَدًا﴾ [١٢٦] مُنكَّراً.

وقال الزمخشريُّ هنا[١]: سألَ في الأوَّل أنْ يجعلَه من جملة البلاد التي يأمنُ أهلُها ولا يخافون، وفي الثاني أن يُخرجَه من صفةٍ كان عليها من الخوف إلى ضدِّها من الأمن، كأنَّه قال: هو بلدٌ مَخُوفٌ فاجعلْه آمناً. انتهى.

ودعا إبراهيم أوَّلاً بما هو مُعِينٌ على طاعة الله تعالى، وهو كونُ محلِّ العابد آمِناً لا يُخاف فيه، إذْ يتمكَّن فيه من عبادة الله تعالى، ثم دعا ثانياً بأن يُجَنَّب هو وبنوه من عبادة الأصنام.

ومعنى «واجْنُبْني وبَنِيَّ»: أَدِمْني وإيَّاهم على اجتناب عبادةِ الأصنام، وأراد بقوله: «وبَنِيَّ» أولادَه من صُلْبِه الأقرباء، وأجابه اللهُ تعالى، فجعلَ الحَرَمَ آمِناً، ولم يعبد أحدٌ من بنيه الأقرباءِ لصُلبهِ صنماً. قال سفيان بن عيينة وقد سُئل كيف عَبَدَتِ العربُ الأصنام؟ فقال: ما عبدَ أحدٌ من ولد إسماعيلَ صنماً ـ وكانوا ثمانية ـ إنما كانت لهم حجارةٌ يَنْصِبُونها ويقولون: البيت حَجَر، فحيثما نَصَبنَا حَجَراً فهو بمعنى البيت، فكانوا يَدُورُونَ بذلك الحَجَرِ ويُسَمُّونه الدَّوَّار. انتهى[٢].

قال ابن عطيَّة[٣]: وهذا الدعاءُ من الخليل عليه السلام يقتضي إفراطَ خوفِه على نفسه ومن حصلَ في رتبته، فكيف يخافُ أن يعبدَ صنماً؟ لكن هذه الآية ينبغي أن يُقتَدى بها في الخوف وطلبِ الخاتمة.

وكرَّر النِّداءَ استعطافاً لربِّه تعالى، وذكرَ سببَ طلبِه أن يُجَنَّبَ هو وبنوه عبادةَ

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٧٩.

(٢) المصدر السالف، وقال مجاهد نحوه. قال الرازي ١٩/ ١٣٣: هذا الجوابُ ليس بقويّ، لأنه عليه السلام لا يجوز أن يريد بهذا الدعاء إلا عبادة غير الله تعالى. والحجر كالصَّنم في ذلك. وقال الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٢١٧: ليت شعري! كيف ذهبت على هذين الجليلين ما في القرآن من قوارعَ تَنْعَى على قريش عبادة الأصنام؟!

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤١.

الأصنام بقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ إذْ قد شاهدَ أباه وقومَه يعبدون الأصنام.

ومعنى «أَضْلَلْنَ»: كنَّ سبباً لإضلالِ كثيرٍ من النَّاس، والمعنى أنَّهم ضلُّوا بعبادتها، كما تقول: فَتَنَتْهم الدنيا، أي: افتُتِنُوا بها واغترُّوا بسببها.

وقرأ الجَحْدريّ وعيسى الثقفيّ: «وأَجْنِبْني»[1] من: أَجْنَبَ. وأنَّثَ الأصنام لأنَّ جَمْعَ ما لا يعقل يُخبَرُ عنه إخبارَ المؤنَّث، كما تقول: الأجْذاعُ انكَسَرْنَ[2]، والإخبارُ عنهم إخبارَ جمع العاقل المذكَّر بالواو مجازٌ، نحو قوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح: ٢٤].

﴿فَمَن تَبِعَنِي﴾ أي: على ديني وما أنا عليه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ جعله بعضَه[3] لفَرْطِ الاختصاصِ به وملابستِه له، كقوله: «مَنْ غَشَّنا فليس منَّا» أي: ليس بعضَ المؤمنين، تنبيهاً على تعظيم الغِشّ بحيث هو يَسْلُبُ الغاشَّ الإيمانَ، والمعنى أنَّ الغِشَّ ليس من أوصاف أهلِ الإيمان[4].

﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ هذا فيه طباق معنويّ، لأنَّ التبعيَّة طاعة، وقوله: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال مقاتل: ومن عصاني فيما دُونَ الشِّرْك[5].

وقال الزمخشريّ: تغفرُ له ما سلفَ من[6] عصياني إذا بدا له فيه واستحدثَ الطاعةَ لي.

وقال ابن عطيَّة: «ومن عصاني» ظاهرُه بالكفر؛ لمعادلة قوله: «فمن تَبِعني فإنَّه منِّي» وإذا كان كذلك فقولُه: «فإنك غفور رحيم» معناه حين يؤمنوا لا أنَّه[7] أرادَ

---

(١) المحتسب ١/ ٣٦٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤١، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤٦.
(٢) في (د١) والمطبوع: انكسرت.
(٣) لفظة «بعضه» سقطت من (د١) والمطبوع.
(٤) بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٨٠.
(٥) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٧٠، وزاد المسير ٤/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٤٦، وهو في الكشاف ٢/ ٣٨٠ دون نسبة. وتحرف قوله: «فيما دون» في مطبوع البحر إلى: فيحادون!
(٦) في الكشاف ٢/ ٤٣١: ما سلف منه من... ووقع في مطبوع البحر في هذا الموضع أخطاء لم أُشر إليها لئلا تطول الحواشي.
(٧) في (أ) و(ح) و(د٢) و(ع) والمطبوع: لأنه، بدل: لا أنه. وهو خطأ قبيح.

أنَّ الله يغفرُ لكلِّ كافر[1]، لكنَّه حملَه على هذه العبارة ما كان يأخذُ نفسَه به من القول الجميل والنُّطق الحَسَن وجميل الأدب ﷺ، وكذلك قال نبيُّ الله عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ كـرَّر النِّداء رغبةً في الإجابة وإظهاراً للتذلُّل والالتجاء إلى الله تعالى، وأتى بضمير جماعة المتكلِّمين لأنه تقدَّم ذكرُه وذكرُ بَنِيْه في قوله: «واجْنُبْني وبَنيَّ».

﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ هو إسماعيلُ ومَنْ وُلِدَ منه، وذلك أنَّ هاجَرَ لمَّا وَلَدَتْ إسماعيلَ غارَتْ منها سارة، فرُوِيَ أنه ركبَ البُراقَ هو وهاجَرُ والطفلُ، فجاء في يوم واحد من الشام إلى بَطْنِ مكة، فنزلَ وتركَ ابنَه وأَمَتَه هنالك، ورَكِبَ منصرِفاً من يومِه ذلك، وكان هذا كلُّه بوَحْيٍ من الله تعالى، فلمَّا ولَّى دعا بضمنِ[2] هذه الآية. وأمَّا كيفيةُ بقاء هاجَرَ وما جرى لها ولإسماعيلَ هناك ففي كتاب البخاري والسِّيَر وغيرِه[3].

و«من» للتبعيض لأنَّ إسحاق كان بالشام.

والوادي: ما بين الجَبَلَيْن، وليس من شرطه أن يكون فيه ماء، وإنَّما قال: «غيرِ ذي زَرْع» لأنه كان عَلِمَ أنَّ اللهَ لا يُضيع هاجَرَ وابنَها في ذلك الوادي وأنه يرزقُها[4] الماءَ، وإنَّما نظرَ النظرَ البعيدَ، فقال: «غيرِ ذي زرعٍ» ولو لم يعلم ذلك من الله تعالى لقال: غيرِ ذي ماء، على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك. قاله ابنُ عطية.

وقد يقال: إنَّ انتفاءَ كونِهِ ذا زرع مستلزم لانتفاء الماء، إذْ لا يمكنُ أن يوجد زرعٌ إلا حيث الماء، فنَفَى ما يتسبَّبُ عن الماء ـ وهو الزَّرع ـ لانتفاء سببِه، وهو الماء.

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤١ (والكلام فيه): يغفر لكافر.

(٢) في (ح) و(د١) والمطبوع: بما في ضمن، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٣٤١. (والكلام فيه): دعا بمضمَّن.

(٣) الخبر مطوَّل في صحيح البخاري (٣٣٦٤)، وتفسير الطبري ١٣/ ٦٩٠-٦٩٤ وغيرهما عن ابن عباس.

(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤١ (والكلام منه كما سيرد): يرزقهما.

وقال الزمخشريّ[(١)]: «بوادٍ» هو وادي مكة «غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» لا يكونُ فيه شيء من زَرْعٍ قَطّ، كقوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٢٨] بمعنى لا يوجدُ فيه اعوجاج، ما فيه إلا استقامةٌ لا غير. انتهى. واستعمل «قَطّ» ـ وهي ظرف لا يُستعمل إلا مع الماضي ـ معمولاً لقوله: لا يكون، وهو ليس ماضياً، وهو مكان «أبداً» الذي يُستعمل مع غير الماضي من المستقبَلات.

والظاهر أن قوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ يقتضي وجودَ البيت حالةَ الدُّعاء وسبقَه قبلَه. وتقدَّم الكلام في البيت ومتى وُضع في «البقرة» وفي «آل عمران».

ووُصف بالمحرَّم لكونه حُرِّمَ على الطُّوفان، أي: مُنِعَ منه، كما سمِّي بـ «عَتِيق» لأنّه أُعْتِقَ منه، فلم يَسْتَوْلِ عليه، أو لكونه لم يزل عزيزاً مُمَنَّعاً من الجبابرة، أو لكونه محترماً لا يَحِلُّ انتهاكهُ[(٢)].

و«ليقيموا» متعلق بـ «أسكنْتُ»، و«رَبَّنا» دعاء معترض، والمعنى أنه لا يخلو هذا البيتُ المعظَّم من العبادة. وقيل: هي لام الأمر دَعَا لهم بإقامة الصلاة[(٣)].

وقال أبو الفرج بن الجوزيّ: اللام متعلقة بقوله: «واجنبني وبَنِيَّ أنْ نعبدَ الأصنام»، فالمعنى: جَنِّبْهُم الأصنامَ[(٤)] ليقيموا الصلاة. انتهى. وهذا بعيد جدّاً.

وخصَّ الصلاةَ دون سائرِ العبادات لأنها أفضلُها، أو لأنها سببٌ لكلِّ خير، وقوله: «ليقيموا» بضمير الجمع دلالةٌ على أنَّ الله أعلمَه بأنَّ هذا الطِّفلَ سيُعْقِبُ هنالك ويكونُ له نَسْلٌ[(٥)].

و«أفئدة» جمع فؤاد، وهي القلوب، سُمِّيَ القلبُ فؤاداً لإنفادِه، مأخوذ من «فَأَدَ»، ومنه: المُفْتَأَد، وهو مستوقَدُ النار حيث يُشْوَى اللحم.

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٠.
(٢) الكلام في الكشاف ٢/ ٣٨٠ بتقديم وتأخير.
(٣) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢.
(٤) قوله: فالمعنى جنّبهم الأصنام، من (ز١) و(يه) والكلام في زاد المسير ٤/ ٣٦٧.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢.

وقال مُؤرِّج: الأفئدة القِطَع من الناس بلغة قريش، وإليه ذهب ابنُ بحر.

قال مجاهد: لو قال إبراهيم عليه السلام: أفئدةَ الناس، لازدحمَتْ على البيت فارسُ والرُّوم. وقال ابن جُبير: لَحَجَّتْهُ اليهودُ والنصارى[(١)].

والظاهر أنَّ «من» للتبعيض، إذ التقدير: أفئدةً من أفئدةِ الناس، قال الزمخشري: ويجوزُ أن تكون «من» للابتداء، كقولك: القلبُ منّي سقيم، تريد: قلبي، فكأنَّه قيل: أفئدةَ ناسٍ، وإنَّما نَكَّرْتُ المضافَ إليه في هذا التمثيل لتنكير «أفئدة» لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأفئدة. انتهى. ولا يظهر كونُها لابتداء الغاية لأنه ليس لنا فعل يُبتدأ فيه لغاية ينتهي إليها، إذْ لا يصحُّ ابتداء جعل الأفئدة من الناس، وإنما الظاهر في «من» التبعيض.

وقرأ هشام: «أفئيدة» بياء بعد الهمزة، نصَّ عليه الحلوانيُّ عنه[(٢)]، وخُرِّج ذلك على الإشباع، ولمَّا كان الإشباعُ لا يكون إلا في ضرورة الشِّعر حملَ بعضُ العلماء هذه القراءةَ على أنَّ هشاماً قرأ بتسهيل الهمزة كالياء، فعبَّر الرَّاوي عنها بالياء، فظنَّ من أخطأ فهمُه أنَّها بياء بعد الهمزة، والمرادُ بياء عوضاً من الهمزة. قال: فيكون هذا التحريفُ من جنس التحريف المنسوبِ إلى من روى عن أبي عَمرو: «بارئكم» و«يأمركم»[(٣)]، ونحوَه بإسكان حركة الإعراب، وإنما كان ذلك اختلاساً. قال أبو عَمرو الدَّانيّ الحافظ: ما ذكره صاحبُ هذا القول لا يُعتمد عليه، لأنَّ النَّقَلَةَ عن هشام وأبي عَمرو كانوا من أعلم الناس بالقراءة ووجوهها، وليس يُفضي بهم الجهلُ إلى أن يُعتقد فيهم مثلُ هذا[(٤)].

---

(١) تفسير الطبري ١٣/ ٦٩٨، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢. وذكر الزمخشري ٣/ ٣٨٠ قول مجاهد، وقول ابن جُبير جاء نحوه في النكت والعيون ٣/ ١٣٩ عن ابن عباس.

(٢) التيسير ص١٣٥، وجامع البيان ٢/ ٢٣٣، ولم يذكرها ابن مجاهد في السبعة.

(٣) لفظ «بارئكم» من الآية (٥٤) في سورة البقرة، ولفظ «يأمركم» فيها أيضاً، في الآيات (٦٧) (٩٣) (١٦٩) (٢٦٨)، وفي آل عمران الآية (٨٠).

(٤) وقال أبو عمرو الداني في جامع البيان ٢/ ٢٣٣: الإشباع لغة الممطلين من العرب الذين يقولون: الدراهيم والمنايير والمساجيد.

وقُرِئَ: «آفِدَة» على وزن فاعلة، فاحتمل أن يكون اسم فاعل للحدوث[1] من: أَفِدَ، أي: دنا وقرُبَ وعَجِلَ، أي: جماعةً آفِدَة، أو جماعاتٍ آفدة، وأن يكون ذلك جمعَ فؤاد، ويكون من باب القلب، وصار بالقلب أأْفِدَة، فأبدلت الهمزة الساكنة ألفاً كما قالوا في أرْآم: آرام، فوزنُه أعْفِلَة. وقرئ: «أَفِدَة» على وزن فَعِلَة[2]، فاحتمل أن يكون جمعَ فؤاد، وذلك بحذف الهمزة ونقلِ حركتها إلى الساكن من قبلها وهو الفاء، وإنْ كان تسهيلُها بينَ بينَ هو الوَجْهَ، وأن يكون اسمَ فاعل من: أَفِدَ، كما تقول: فَرِحَ، فهو فَرِحٌ.

وقرأت أمُّ الهيثم: «أَفْوِدَة» بالواو المكسورة بدل الهمز؛ قال صاحب «اللوامح»: وهو جمع «وَفْد»، والقراءة حسنة، لكنّي لا أعرفُ هذه المرأةَ، بل ذكرَها أبو حاتم. انتهى. أبدل الهمزة في «فؤاد» بعد الضمة كما أُبدلت في «جُوَن»[3]، ثم جَمَعَ فأقرَّها في الجمع إقرارَها في المفرد، أو هو جمعَ «وَفْد» كما قال صاحب «اللوامح» وقُلب، إذِ الأصل: أَوْفِدة. وجَمْعُ فَعْلٍ على أفعِلَة شاذّ، نحو: نَجْد وأنجدة، ووَهْي وأوْهِية[4]. وأمُّ الهيثم امرأة نُقل عنها شيء من لغات العرب.

وقرأ زيد بنُ علي: «إفادة» على وزن إمارة[5]، ويظهر أنَّ الهمزة بدل من الواو المكسورة، كما قالوا: إشاح في وِشاح، فالوزن فِعالة، أي: فاجعلْ ذَوِي وِفادة، ويجوزُ أن يكون مصدر أفادَ إفادةً، أي[6]: ذَوِي إفادة، وهم الناس الذين يُفيدون ويُنتَفَعُ بهم.

وقرأ الجمهور: «تَهْوِي إليهم» أي: تُسرعُ إليهم وتطيرُ نحوَهم شَوْقاً ونِزَاعاً،

---

(١) المثبت من (ز١)، وتحرفت في (يه) إلى: الحدوب، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: الحذف. وهو خطأ.

(٢) نُسبت القراءة في القراءات الشاذة ص٦٩ لعيسى بن عمر، والتي قبلها لابن كثير.

(٣) جُوَن ـ كصُرَد ـ جمع جُؤنة، بالضم: سَفَطٌ مُغَشًّى بجلد، ظرفٌ لِطِيبِ العطَّار، أصلُه الهمز، ويُليَّن. كذا في القاموس.

(٤) الوَهْيُ: الشّقُّ في الشيء، والنَّجْد: المرتفع من الأرض.

(٥) في (ح) و(د١) والمطبوع: إشارة.

(٦) المثبت من (ز١) و(يه)، وفي النسخ الأخرى: أو، بدل: أي.

ولما ضمّن «تهوي» معنى «تميل» عدَّاه بـ «إلى»، وأصلُه أن يتعدَّى باللام؛ قال:

حتى إذا ما هَوَتْ كفُّ الوليدِ لَهَا طارَتْ وفي كفِّهِ من رِيشِها بِتَكُ[١]

ومثال ما في الآية قول الشاعر:

تهوي إلى مكةَ تبغي الهُدَى ما مؤمنُ الجِنِّ كأنجاسها[٢]

وقرأ مَسْلَمة بنُ عبد الله: «تُهْوَى» بضمّ التاء مبنيًّا للمفعول[٣]، من: أَهْوَى المنقولة بهمزة التعدية من: «هَوى» اللازمة، كأنه قيل: يُسْرَعُ بها إليهم.

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب وزيد بنُ علي ومحمد بنُ علي وجعفر بنُ محمد ومجاهد: «تَهْوَى» مضارع «هَوِيَ»[٤] بمعنى: أَحَبَّ، ولما ضمّن معنى النزوع والميل عُدِّيَ بـ «إلى».

﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ مع سُكْناهم وادِياً ما فيه شيء منها؛ بأن تُجْلَبَ إليهم من البلاد[٥]، كقوله: ﴿يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [القصص: ٥٧].

ورُوِيَ عن مسلم بن محمد الطائفي أنّه لمَّا دَعا عليه السلام بأن يرزقَ سكَّان مكة الثمرات[٦] بعثَ اللهُ جبريلَ عليه السلام فاقتلعَ بجناحه قطعةً من فلسطين ـ وقيل: من الأردنّ ـ فجاء بها وطافَ حول البيت بها سبعاً ووضعَها قريب مكّة،

---

(١) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص١٧٥. وفيه: الغلام، بدل: الوليد. وبِتَك، أي: قِطَع، واحدُها بِتْكَة.

(٢) هو بيت من ثلاثة أبيات لِرئيٍّ من الجنّ كان يأتي سَوَادَ بنَ قارب وأخبرَه بِبِعْثةِ النبيّ ﷺ. ينظر خبرُه مطوَّلاً في الأحاديث الطوال للطبراني ٢٥/ ٢٥٦ (٣١)، والاستيعاب ص٣٢٢، وخبره مختصر في صحيح البخاري (٣٨٦٦) دون تسميته، ودون ذكر الشعر.
ملاحظة: وقع في (ح) و(د١) والمطبوع: ككُفَّارِها، بدل: وأنجاسها. ووقع في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢: ما مؤمنو الجنّ... واختلفت رواية عجز البيت في المصادر، وينظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩.

(٣) المحتسب ١/ ٣٦٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢.

(٤) المصدران السالفان. وينظر القراءات الشاذة ص٦٩.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٨٠.

(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٢ (والخبر فيه بلفظه): من الثمرات. وينظر تفسير الطبري ١٣/ ٧٠١.

فهي الطائف، وبهذه القصة سمِّيت، وهي موضع ثَقِيف، وبها أشجارٌ وثمرات[١]. ورُوِيَ نحوٌ منه عن ابن عبَّاس.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال الزمخشري[٢]: النعمةُ في أن يُرزقوا أنواعَ الثمرات حاضرةً في وادٍ يَبَاب ليس فيه نجمٌ ولا شجرٌ ولا ماء[٣]، لا جَرَمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أجابَ دعوةَ إبراهيمَ، فجعلَه حَرَماً آمِناً يُجْبَى إليه ثمراتُ كلِّ شيء رزقاً من لَدُنْهُ[٤]، ثم فضَّلَه في وجود أصنافِ الثمارِ فيه على كلِّ رِيف، وعلى أخصبِ البلادِ وأكثرِها ثماراً، وفي أيِّ بلدٍ من بلاد الشرق والغرب ترى الأُعجوبةَ التي يُرِيكَها الله بوادٍ غيرِ ذي زَرْعٍ، وهي اجتماعُ البواكيرِ[٥] والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعيَّة والصيفيَّة والخريفيَّة في يوم واحد، وليس ذلك من آياته بعجيب[٦].

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

كرَّر النداء للتضرع والالتجاء، ولا يظهر تفاوت بين إضافة «ربّ» إلى ياء المتكلِّم وبين إضافته إلى جمع المتكلِّم.

و«ما نُخفي وما نُعلن» عامٌّ فيما يُخفونه وما يُعلنونه، وقيل: ما نُخفي من الوَجْد لِما وقعَ بيننا من الفُرْقة، وما نُعلن من البكاء والدعاء، وقيل: ما نُخفي من كآبة الافتراق، وما نُعلنُ ممّا جرى بينَه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع: إلى مَنْ

(١) الله أعلم بصحة هذا الخبر. وينظر كلام الآلوسي فيه في روح المعاني ١٣/ ٢٢٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٨٠.
(٣) وادٍ يَبَابٌ، أي: خالٍ لا شيءَ فيه، والنجمُ من النبات ما لا ساقَ له.
(٤) قوله: حرماً آمناً يُجْبى إليه... الخ. اقتباس من آية القصص (٥٧) وسلفت قريباً.
(٥) بَوَاكير جمع باكورة، وهي أول ما يُدرك من الفاكهة. ينظر المصباح المنير. وجاء في أساس البلاغة (بشر) أن البواكير تباشير النخل.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٨٠.

تَكِلُنا؟ قال: إلى الله أَكِلُكُم. قالت: آللهُ أمرَك بهذا؟ قال: نعم. قالت: [إذن][1] لا نخشى، تَرَكْتَنَا إلى كافٍ.

والظاهر أنَّ قولَه: «وما يَخْفَى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء» من كلام إبراهيم لاكتنافِ ما قبلَه وما بعدَه بكلام إبراهيم، لمَّا ذكرَ أنه تعالى عمَّم ما يُخفي هو ومَنْ كنى عنه عمَّم جميعَ الأشياء وأنها غيرُ خافيةٍ عنه تعالى.

وقيل: «وما يَخْفَى» الآية، من كلام الله عزَّ وجلَّ تصديقاً لإبراهيم عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[2] [النمل: ٣٤].

والظاهر أنَّ هذه الجمل التي تكلَّم بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تقع منه في زمان واحد، وإنما حكى الله عنه ممَّا وقع منه في أزمان مختلفة، يدلُّ على ذلك أنَّ إسحاقَ لم يكن موجوداً حالةَ دعائه، إذْ تركَ هاجرَ والطفلَ بمكة، فالظاهرُ أنَّ حَمْدَه اللهَ تعالى على هبةِ ولدَيْه له كان بعد وجود إسحاق.

و«على الكِبَر» يدلُّ على مطلق الكِبَر، ولم يتعرَّض لتعيين المدَّة التي وُهب له فيها ولداه، ورُوِيَ أنه وُلد له إسماعيلُ وهو ابنُ تسع وتسعين سنة، ووُلد له إسحاقُ وهو ابنُ مئة وثنتي عشرة سنة[3].

وقيل: إسماعيل لأربع وستين، وإسحاق لتسعين. وعن ابن جبير: لم يُولَد له إلا بعد مئةٍ وسبعَ عشرةَ سنة[4].

وإنَّما ذكرَ حال الكِبَرِ لأنَّ المِنَّة فيها بهبةِ الولد أعظمُ من حيث إنَّ الكِبَر مَظِنَّةُ اليأس من الولد، ومجيءُ الشيء بعد اليأس أحلى في النفس وأبهجُ لها.

---

(١) لفظة «إذن» من المصدر السالف والكلام منه، وهو معنى حديث ابن عباس المطوّل عند البخاري (٣٣٦٤)، والطبري ١٣/ ٦٩٠-٦٩٤، وأشار المصنف إليه أول تفسير هذه الآية.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٨١.

(٣) هو قول ابن عباس كما في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٧١، وزاد المسير ٤/ ٣٦٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٥٦. وهو في الكشاف ٢/ ٣٨١ دون نسبة.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٨١. ولفظُه في تفسير الطبري ١٣/ ٧٠٢: بُشِّرَ إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة.

و«على الكبر» في موضع الحال، كأنَّه قال: وأنا كبير. و«على» على بابها من الاستعلاء، لكنه مجاز، إذِ الكِبَرُ معنىً لا جِرْمٌ فيكونَ حقيقة، وكأنه لمَّا أسنَّ وكَبِرَ صار مستعلياً على الكِبَر.

وقال الزمخشريّ: «على» في قوله: «على الكِبَر» بمعنى «مع» كقوله:

إني على ما تريـنَ من كِبَـري أعلمُ من حيثُ تُؤكلُ الكَتِفُ[(١)]

وكَنَى بـ«سميع الدعاء» عن الإجابة والتقبُّل، وكان قد دعا اللهَ أن يهبَه ولداً بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]، فحَمِدَ اللهَ على ما وهبَه من الولد، وأكرمَه به من إجابة دعائه.

والظاهر إضافة «سميع» إلى المفعول، وهو من إضافة المثال الذي على وزن فَعِيل[(٢)] إلى المفعول، فتكون إضافةً من نصبٍ، ويكون ذلك حُجَّةً على إعمال فَعِيل الذي للمبالغة في المفعول على ما ذهب إليه سيبويه، وقد خالفَ في ذلك جمهورَ البصريِّين، وخالفَ الكوفيون فيه وفي إعمال باقي الخمسةِ الأمثلة: فَعُول، وفَعَّال، ومِفْعال، وفَعِل. وهذا مذكور في علم النحو.

ويمكن أن يقال في هذا: ليس ذلك إضافةً من نصب فيلزمَ جوازُ إعماله، بل هي إضافة كإضافة اسم الفاعل في نحو: هذا ضاربُ زيدٍ أمسِ.

وقال الزمخشريّ[(٣)]: ويجوز أن يكون من إضافة فَعِيل إلى فاعله، ويُجعلُ دعاءُ الله سميعاً على الإسناد المجازيّ، والمرادُ سماعُ الله. انتهى. وهو بعيد لاستلزامِهِ أن يكون من باب الصفة المشبَّهة، والصفةُ متعدِّية، ولا يجوزُ ذلك إلا عند أبي عليّ الفارسيّ حيث لا يكون لَبْسٌ، وأمَّا هنا فاللَّبْسُ حاصلٌ، إذِ الظاهرُ أنه من

---

(١) البيت لقيس بن الخَطِيم ضمن قصيدة له في الحماسة البصرية ٣/ ١٠٠٣، وفيه: من أين، بدل: من حيث، وهو في جمهرة الأمثال ٢/ ٤٢٢ (وفيه: من أين)، والمستقصى من أمثال العرب ٢/ ٤١٣، والكشاف ٢/ ٣٨١، وتفسير الرازي ١٩/ ١٣٨.

(٢) المثال: هو ما حُوِّلَ من اسم الفاعل للمبالغة إلى: فَعُول، وفَعَّال، ومِفْعال، وفَعِيل، وفَعِل. وغالبُ تحويلها من الثلاثي المجرَّد. قاله المصنف في الارتشاف ٥/ ٢٢٨١. وينظر الكتاب ١/ ١١٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨١.

إضافة المثال للمفعول لا من إضافتِه إلى الفاعل، وإنَّما أجازَ ذلك الفارسيُّ في مثل: زيدٌ ظالمُ العبيد؛ إذا عُلم أنَّ له عبيداً ظالمين.

ودعاؤه بأنْ يجعلَه مقيم الصلاة وهو مُقيمُها إنَّما يُريد بذلك الدَّيمومة.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيٓۚ﴾ «من» للتبعيض، لأنه أُعْلِمَ أنَّ من ذُرِّيَّتِه مَنْ يكونُ كافراً، أو مَنْ يُهْمِلُ إقامتَها وإنْ كان مؤمناً.

وقرأ طلحة والأعمش: «دُعَاءِ رَبَّنا» بغير ياء، وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو بياء ساكنة في الوصل، وأثبتَها بعضُهم في الوقف، وروى ورش عن نافع إثباتَها في الوصل[1].

والظاهرُ أنَّ إبراهيم سألَ المغفرةَ لأبويه القريبَيْنِ، وكانت أمُّهُ مؤمنةً، وكان والدُه لم ييأس من إيمانه، ولم تتبيَّن له عداوةُ الله، وهذا يتمشَّى إذا قلنا إنَّ هذه الأدعيةَ كانت في أوقات مختلفة، فجمَعَ هنا أشياءَ ممَّا كان دَعَا بها. وقيل: أرادَ أمَّه ونوحاً عليه السلام. وقيل: آدمَ وحوَّاء[2]، والأظهر القولُ الأوَّل، وقد جاء نصًّا دعاؤه لأبيه بالمغفرة في قوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦].

قال الزمخشري[3]: فإن قلتَ: كيف جازَ له أن يستغفرَ لأبويه وكانا كافِرَيْن؟ قلت: هو من مجوِّزات العقل، لا يُعلم امتناعُ جوازِه إلا بالتوقيف. انتهى. وهو في ذلك موافق لأهل السُّنَّة مخالفٌ لمذهب الاعتزال.

وقرأ الحسين بُن علي ومحمدٌ وزيد ابنا عليِّ بنِ الحُسين وابنُ يَعْمَر والزُّهريُّ والنَّخَعيُّ: «ولِوَلَدَيَّ» بغير ألف وبفتح اللام، يعني إسماعيلَ وإسحاق، وأنكرَ عاصمٌ الجحدريّ هذه القراءة وقال: إنَّ في مصحف أُبيّ بن كعب: «ولأبَويَّ».

---

(١) ثمة تقصيرٌ في تفصيل قراءة السبعة لهذا الحرف، ولخَّصه السمين بقوله: قرأ أبو عَمرو وحمزة وورش بإثبات الياء وصلاً وحذفِها وقفاً، والبَزِّيُّ بإثباتها في الحالين، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً، وقد روى بعضُهم إثباتها وقفاً أيضاً. الدّرّ المصون ٧/ ١١٧. وينظر التيسير ص١٣٥، وينظر أيضاً السبعة ص٣٦٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٣.

(٢) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٣٩، وزاد المسير ٤/ ٣٦٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨٢.

وعن يحيى بن يَعْمَر: «ولوُلْدِي» بضمّ الواو وسكون اللام[(١)]، فاحتملَ أن يكون جمعَ وَلَدٍ كأُسد في أَسَد، ويكون قد دعا لذُرِّيَّتِه، وأن يكون لغةً في الوَلَد، وقال الشاعر:

فليتَ زياداً كان في بطنِ أمِّهِ ... وليتَ زياداً كان وُلْدَ حِمارِ[(٢)]

كما قالوا: العُدْم والعَدَم.

وقرأ ابنُ جُبير: «ولِوَالِدِي» بإسكان الياء على الإفراد[(٣)]، كقوله[(٤)]: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾ [الشعراء: ٨٦].

وقيام الحساب مجازٌ عن وقوعِه وثبوتِه، كما يقال: قامت الحربُ على ساق، أو على حذف مضاف، أي: أهلُ الحساب، كما قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٥)] [المطففين: ٦].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾.

الخطاب بقوله: «ولا تحسَبَنَّ» للسامع الذي يمكنُ منه حِسبانُ مثلِ هذا لِجَهْلِهِ[(٦)] بصفات الله، لا للرسول ﷺ، فإنه مستحيلٌ ذلك في حقّه. وفي هذه الآية وعيدٌ عظيمٌ للظالمين، وتسليةٌ للمظلومين[(٧)].

---

(١) ينظر المحتسب ١/ ٣٦٥، والقراءات الشاذة ص٦٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٣، وزاد المسير ٤/ ٣٦٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٥٧.

(٢) البيت بهذه الرواية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٣، وهو في إصلاح المنطق ص٤٣، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٧٨، وتفسير الطبري ١٥/ ٦٢٠، والمحتسب ١/ ٣٦٥، واللسان (ولد) برواية: فليت فلاناً، وسيرد بهذه الرواية في تفسير «مريم» (٧٧).

(٣) المحتسب ١/ ٣٦٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٣.

(٤) في (ح): لقوله.

(٥) ينظر تفسير الرازي ١٩/ ١٤٠.

(٦) في (ح): هذه الجهلة، وفي (د١) و(يه): هذه الجملة، وهو تصحيف.

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٧٠٣-٧٠٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٣، والكشاف ٢/ ٣٨٢، وزاد المسير ٤/ ٣٦٩.

وقرأ طلحة: «ولا تحسب» بغير نون التوكيد، وكذا: «فلا تحسبِ اللهَ مخلفَ وَعْدِه»[(١)].

والمراد بالنهي عن حِسْبانِه غافلاً الإيذانُ بأنه عالمٌ بما يفعلُ الظالمون، لا يَخْفَى عليه منه شيء، وأنه معاقبُهم على قليلِه وكثيرِه على سبيل الوعيد والتهديد، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يريدُ الوعيد، ويجوزُ أن يُراد: ولا تحسبنَّه يعاملُهم معاملة الغافل عمَّا يعملون، ولكن معاملةَ الرقيبِ عليهم، المحاسبِ على النَّقير والقِطْمير.

وقرأ السُّلَميُّ، والحسن، والأعرج، والمفضَّل عن عاصم، وعبَّاس بن الفضل وهارون العَتَكيّ ويونس بنُ حبيب عن أبي عَمرو: «نُؤَخِّرُهم» بنون العظمة[(٢)]، والجمهورُ بالياء، أي: يؤخِّرُهم الله.

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مُسْرِعين، قاله ابنُ جُبير وقتادة[(٣)]، وذلك بذلَّة واستكانة كإسراع الأسير والخائف.

وقال ابن عباس وأبو الضُّحى: شديدي النظر من غير أن يَطْرِفوا. وقال ابنُ زيد: غير رافعي رؤوسهم. وقال مجاهد: مُدِيمينَ النظرَ. وقال الأخفش: مُقبلين للإصغاء، وأنشد:

بدِجْلَةَ دَارُهُمْ ولقد أراهُمْ ... بدجْلةَ مُهْطِعِينَ إلى السماع[(٤)]

وقال الحسن: «مُقْنِعي رؤوسِهم»: وجوهُ الناسِ يومئذٍ إلى السماء لا ينظرُ أحدٌ إلى أحد. انتهى[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤، وزاد المسير ٤/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٥٨. وقراءة أبي عمرو المشهورة عنه بالياء كقراءة الجماعة.

(٣) تفسير الطبري ١٣/ ٧٠٤-٧٠٥، والنكت والعيون ٣/ ١٣٠، وزاد المسير ٤/ ٣٧٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤، والكلام الآتي بعده لابن عطية.

(٤) البيت ليزيد بن مفرِّغ، وهو في النكت والعيون ٣/ ١٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤، وروايتُه في تاج العروس (هطع): أهلها، بدل: دارهم. وتنظر الأقوال السالفة (دون قول الأخفش) في تفسير الطبري ١٣/ ٧٠٥-٧٠٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٧٢-٤٧٣، والنكت والعيون ٣/ ١٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤، وزاد المسير ٤/ ٣٧٠.

(٥) الوسيط ٣/ ٣٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤، وزاد المسير ٤/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٥٩.

وقال ابنُ جُريج: «هواء» صِفْرٌ من الخير، خاويةٌ منه. وقال أبو عبيدة: جُوْفٌ لا عقولَ لهم[١].

وقال ابن عباس ومجاهد وابنُ زيد: خَرِبَةٌ خاويةٌ، ليس فيها خير ولا عقل[٢].

وقال سفيان: خالية إلَّا مِن فَزَعِ ذلك اليوم، كقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا﴾ [القصص: ١٠] أي: إلا من همِّ موسى.

و«هواء» تشبيهٌ محض، لأنها ليست بهواء حقيقةً، ويحتمل أن يكون التشبيه في فراغها من الرَّجاء والطمع في الرحمة، فهي منخرقة مشبهةٌ الهواءَ في تفرُّغِهِ من الأشياء وانخراقِه، وأن يكون[٣] في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في الصدور، وأنها تجيء وتذهب وتبلغُ - على ما رُوِيَ - حناجرَهم، فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبداً في اضطراب.

وحصولُ هذه الصفات الخمس للظالمين؛ قيل: عند المحاسبة، بدليل ذِكرِها عَقِيب قوله: «يومَ يقومُ الحسابُ». وقيل: عند إجابة الدَّاعي والقيام من القبور. وقيل: عند ذهاب السُّعداء إلى الجنة والأشقياء إلى النار[٤].

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾.

هذا خطابٌ للرسول ﷺ، و«يومَ» منصوب على أنه مفعولٌ ثانٍ لـ «أَنْذِرْ»؛ ولا يصحُّ أن يكون ظرفاً؛ لأنَّ ذلك اليوم ليس بزمان للإنذار، وهذا اليومُ هو يومُ القيامة، والمعنى: وأنذرِ الناسَ الظالمين، ويُبيِّنُ ذلك قولهُ: «فيقولُ الذين ظلموا» لأنَّ المؤمنين يُبَشَّرُون ولا يُنذَرون.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٢-٣٨٣، وزاد المسير ٤/ ٣٧١.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٧١٠-٧١٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٠.

(٣) أي: ويحتمل أن يكون. . . الخ. كما في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٤-٣٤٥، والكلام فيه.

(٤) تفسير الرازي ١٩/ ١٤١-١٤١، وقال: والأوّل أَوْلى للدليل الذي ذكرناه.

وقيل: اليوم يومُ هلاكِهم بالعذاب العاجل، أو يومُ موتِهم معذَّبين بشدَّة السَّكَرَات، ولقاءِ الملائكة بلا بشرى، كقوله: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾[١] [المنافقون: ١٠].

ومعنى التأخير إلى أجلٍ قريب الرَّدُّ إلى الدُّنيا. قاله الضحَّاك، أو[٢] الإمهالُ إلى أمَدٍ وحَدٍّ من الزَّمان قريب. قاله السُّدِّيّ، أي: لتَدارُكِ ما فرَّطوا من إجابة الدَّعوة واتِّباع الرُّسُل.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟﴾ هو إلى إضمار القول، والظاهرُ أنَّ التقدير: فيقال لهم، القائل الملائكة، أو الباري تعالى، يُوَبَّخُون بذلك ويُذَكَّرون مقالتَهم في إنكار البعث وإقسامَهم على ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨].

ومعنى ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ من الأرض بعد الموت، أي: لا نُبعث من القبور. وقال محمد بن كعب: إنَّ هذا القولَ يكون منهم وهم في النار، ويُرَدُّ عليهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟﴾[٣] ومعناه التوبيخ والتقريع.

وقال الزمخشريّ[٤]: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾ على إرادة القول، وفيه وجهان: أن يقولوا ذلك بَطَراً وأشَراً، ولِما استولَى عليهم من عادة الجهل والسَّفَه، وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنَوْا شديداً وأمَّلُوا بعيداً، و«مالَكُم» جواب القسم، وإنَّما جاء بلفظ الخطاب لقوله: «أقسمتُم»، ولو حكى لفظ المُقسِمين لقيل: ما لنا من زوال، والمعنى: أقسمتُم أنكم باقون في الدُّنيا لا تزولون بالموت والفَناء. وقيل: لا تنتقلون إلى دارٍ أخرى. انتهى. فجعلَ الزمخشريُّ ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟﴾ محكيّاً بقولهم، وهو مخالف لما قدَّمناه من أنه يقال لهم ذلك. وقوله: لا تزولون

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٣. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٤٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٥.
(٢) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: إذ. وهو تحريف.
(٣) هو بمعنى قطعة من خبر مطول أخرجه البيهقي عنه في البعث والنشور (٦٦٠)، وذكره القرطبي ١٢/ ١٦٢-١٦٣.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٣.

بالموت والفَناء، ليس بجيِّد؛ لأنهم مُقِرُّون بالموت والفَناء. وقولُه: وقيل، هو قولُ مجاهد[(١)].

«وسكنتُم» إن كان من السُّكون، فالمعنى أنهم قَرُّوا فيها واطمأنُّوا طَيِّبي النفوس سائرين بسيرةِ مَنْ قبلَهم في الظُّلم والفساد لا يحدثونها بما لقيَ الظالمون قبلَهم. وإن كان من السُّكْنَى، فإنَّ السُّكْنَى من السُّكون الذي هو اللَّبْث، والأصلُ تعديتُه بـ «في» كما يقال: أقام في الدار وقَرَّ فيها، ولكنّه لـمَّا أُطْلِقَ على سكون خاصّ تُصُرِّفَ فيه، فقيل: سكنَ الدارَ، كما قيل: تبوَّأها[(٢)].

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بالخبر وبالمشاهدة ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام.

وقرأ الجمهور: «وتَبَيَّنَ» فعلاً ماضياً، وفاعلُه مضمر يدلُّ على الكلام، أي: وتبيَّنَ لكم هو، أي: حالُهم، ولا يجوز أن يكون الفاعل «كيف» لأنَّ «كيفَ» إنَّما تأتي اسمَ استفهام أو شرط، وكلاهما لا يعملُ فيه ما قبلَه إلا ما رُوي شاذّاً من دخول «على» على «كيفَ» في قولهم: على كيفَ تبيعُ الأحمرَيْن، و«إلى» في قولهم: انظر إلى كيف تصنع[(٣)]، وإنما «كيفَ» هنا سؤال عن حال في موضع نصب بـ «فَعَلْنا».

وقرأ السُّلَميُّ فيما حكى عنه أبو عَمرو الدانيُّ: «ونُبَيِّنُ» بضمِّ النون ورفع النون الأخيرة، مضارع «بَيَّنَ»[(٤)]، وحكاها صاحب «اللوامح» عن عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك على إضمار «ونحن نُبَيِّنُ» والجملة حاليَّة.

وقال المهدويّ عن السُّلمي أنه قرأ كذلك إلا أنه جزم النون[(٥)]، عطفاً على «أوَلم تكونوا» أي: ولم نُبَيِّنْ، فهو مشارك في التقرير.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٣/ ٧١٥، والنكت والعيون ٣/ ١٤٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٢. وسقط لفظ «وقيل» من مطبوع البحر.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٨٣ بتقديم وتأخير.

(٣) ينظر شرح الرضيّ على الكافية ٣/ ٢٨٨، والمقصود بالأحمرين هنا اللحم والخمر. ينظر الصحاح (حمر)

(٤) القراءات الشاذة ص٦٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٥. وجاء في زاد المسير ٤/ ٣٧٢ أن السُّلَمي قرأ بضم التاء.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٥.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ أي: صفات ما فعلوا وما فُعِل بهم، وهي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
(٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ
غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا
كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ
وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾.

الظاهر أنَّ الضمير في «مَكَرُوا» عائدٌ على المخاطبين في قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾ أي: مكرُوا بالشِّركِ بالله وتكذيب الرسل(١).

وقيل: الضمير عائد على قوم الرسول؛ لِقوله(٢): ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ أي: وقد مكرَ قَومُك يا محمد، وهو الذي في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية(٣).

ومعنى «مَكرَهُم» أي: المَكْرَ العظيمَ الذي استفرغُوا فيه جُهْدَهم(٤). والظاهر أنَّ هذا إخبارٌ من الله لنبيِّه بما صدرَ منهم في الدنيا، وأنَّه ليس مَقُولاً في الآخرة.

وقال ابن عطيَّة: ويحتمل أن يكون ممَّا يقال يومَ القيامة للظَّلَمة الذين(٥) سُكِنَ في منازلهم.

﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: عِلْمُ مكْرِهِم، فهو مُطَّلعٌ عليه، فلا يُنَفِّذُ لهم فيه قصداً، ولا يُبَلِّغُهم فيه أملاً، أو جزاءُ مكرِهم، وهو عذابُه لهم. والظاهر إضافة

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ١٦٤، ونُسب القول فيه لابن عبَّاس.
(٢) المثبت من (د٢) و(ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: كقوله.
(٣) ينظر زاد المسير ٤/ ٣٧٤ (القول الرابع).
(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٣. وفيه إضافة المصدر إلى الفاعل.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦: والضمير للذين... الخ.

«مَكْر» وهو المصدر إلى الفاعل كما هو مضاف في الأوَّل إليه[١]، كأنه قيل: وعندَ اللهِ ما مكرُوا، أي: مَكْرُهُم.

وقال الزمخشريُّ[٢]: أو يكون مضافاً إلى المفعول على معنى: وعندَ الله مكرُهم الذي يمكرُهُم به، وهو عذابُهم الذي يستحقُّونه؛ يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون. انتهى.

وهذا لا يصحُّ إلا إنْ كان «مَكَرَ» يتعدَّى بنفسه كما قال هو، إذْ قدَّر: يمكرُهُم به، والمحفوظ أنَّ «مَكَرَ» لا يتعدَّى إلى مفعول به بنفسه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال: ٣٠] وتقول: زيدٌ ممكورٌ به، ولا يُحفظ: زيدٌ ممكورٌ بسبب كذا.

وقرأ الجمهور: «وإنْ كانَ» بالنون، وقرأ عُمر وعليّ وعبدُ الله وأُبيّ وأبو سَلَمة بنُ عبد الرحمن وأبو إسحاق السَّبِيعيّ وزيدُ بنُ عليّ «وإنْ كادَ» بدال مكان النون «لَتَزُولُ» بفتح اللام الأولى ورفع الثانية، ورُوِيَ كذلك عن ابن عباس[٣]. وقرأ ابنُ عبَّاس ومجاهد وابنُ وثَّاب والكِسائيّ كذلك، إلا أنَّهم قرؤوا: «وإن كانَ» بالنون[٤]، فعلى هاتين القراءتين تكون «إنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، واللام هي الفارقة، وذلك على مذهب البصريِّين، وأما على مذهب الكوفيِّين فـ «إنْ» نافية، واللام بمعنى «إلا» فمَن قرأ: «كادَ» بالدال فالمعنى أنه يقرُبُ زوالُ الجبال بمكرهم ولا يقع الزوال، وعلى قراءة «كان» بالنون يكون زوالُ الجبال قد وقع، ويكون في ذلك تعظيمُ مكرِهم وشدَّته، أي: هو بحيثُ تزول منه الجبال وتتقطَّع عن أماكنها[٥].

---

(١) يعني في «مَكْرَهُم» في قوله: «وقد مكروا مكرهم».
(٢) الكشاف ٢/ ٣٨٣. والكلام السالف قبله هو فيه بنحوه.
(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٧٣، والقراءات الشاذة ص٦٩، والمحتسب ١/ ٣٦٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٧٤، والنكت والعيون ٣/ ١٤٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦، وزاد المسير ٤/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٤.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦. وقراءة الكسائي «لَتَزُولُ» من السبعة.
(٥) في الكشاف ٢/ ٣٨٣ (والكلام فيه بنحوه): وتتقلَّع من أماكنها.

ويحتمل أن يكون معنى «لَتَزُولُ» ليقرُبُ زوالُها، فيصير المعنى كمعنى قراءة «كاد» ويؤيِّد هذا التأويلَ ما ذكره أبو حاتم من أنَّ في قراءة أُبي: «ولولا كلمةُ الله لَزَالَ من مكرِهم الجبال»[١]. وينبغي أن تُحمَلَ هذه القراءةُ على التفسير لمخالفتها لسواد المصحف المُجمَعِ عليه.

وقرأ الجمهور وباقي السبعة: «وإنْ كانَ» بالنون «مكرُهم لِتزولَ» بكسر اللام ونصب الأخيرة، ورُويت هذه القراءة عن عليّ، واختُلف في تخريجها، فعن الحسن وجماعة أنَّ «إنْ» نافية، و«كان» تامة، والمعنى تحقيرُ مكرِهم، وأنه ما كان لِتزولَ منه الشرائعُ والنبوَّات وأقدارُ الله التي هي كالجبالِ في ثبوتها وقوَّتها[٢]. ويؤيِّد هذا التأويلَ ما رُوِيَ عن ابن مسعود أنه قرأ: «وما كان»[٣] بـ «ما» النافية، لكن هذا التأويل وما رُوِيَ عن ابن مسعود من قراءة «وما» بالنفي يعارض ما تقدَّم من القراءات، لأنَّ فيها تعظيمَ مكرِهم، وفي هذا تحقيرُه، ويحتمل على تقدير «إنْ» أنها نافية أن تكون «كان» ناقصة، واللام لام الجحود، وخبر «كان» على الخلاف الذي بين البصريِّين والكوفيِّين أهو محذوف أو هو الفعل الذي دخلت عليه اللام، وعلى أنَّ «إنْ» نافية و«كان» ناقصة واللام في «لِتزولَ» متعلِّقة بفعل في موضع خبر «كان» خرَّجه الحَوْفي.

وقال الزمخشريّ: «وإن كان مكرُهم لِتزولَ منه الجبال»: وإن عظُم مكرُهم وتبالغَ في الشدَّة. فضَربَ زوالَ الجبالِ منه مثلاً لتفاقمِه وشدَّتِه، أي: وإن كان مكرُهم مُسَوًّى[٤] لإزالة الجبال مُعَدّاً لذلك.

وقال ابن عطية[٥]: وتحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى تعظيم مكرِهم، أي: وإن كان شديداً بما يفعل لتذهبَ به عظامُ الأمور. انتهى.

وعلى تخريج هذين تكون «إنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، و«كان» هي الناقصة،

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦.
(٢) المصدر السالف.
(٣) القراءات الشاذة ص٦٩.
(٤) في (د١) و(د٢): مستوي. وفي المطبوع: مستوٍ. وهو خطأ. والكلام في الكشاف ٢/ ٣٨٣.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦.

وعلى هذا التخريج تتَّفق معاني القراءات أو تتقارب، وعلى تخريج النفي تتعارض كما ذكرنا.

وقُرئ: «لَتَزُولَ» بفتح اللام الأولى ونصب الثانية، وذلك على لغة من فتح لام «كي».

والذي يظهرُ أنَّ زوالَ الجبال مجازٌ ضُرب مثلاً لمكر قريش وعِظَمِه، والجبالُ لا تزولُ، وهذا من باب الغلوّ والإيغال والمبالغة في ذمّ مكرِهم، وأمَّا ما رُوِيَ من أنَّ جبلاً زالَ لِحَلِفِ امرأة اتَّهمها زوجُها، وكان ذلك الجبلُ مَن حلفَ عليه كاذباً مات، فحملَها للحَلِفِ فمكرت بأن رمَتْ نفسَها عن الدابَّة وكانت وعدَتْ من اتُّهمت به أن يكون في المكان الذي وقعت فيه عن الدابَّة، فأركبَها زوجُها وذلك الرجلَ، وحلفت على الجبل أنَّها ما مسَّها غيرهما، فنزلت سالمةً وأصبح الجبلُ قد اندكَّ، وكانت المرأة من عدنان، وما رُوِيَ من قصَّةٍ للنُّمرود[1] ـ أو بُخْتَنَصَّر ـ واتخاذِ الأَنْسُر وصعودِهما عليها إلى قُرب السماء، في قصة طويلة، وما تأوَّلَ بعضُهم أنه عبَّر بالجبال عن الإسلام والقرآن لثبوتِه ورُسوخِه، وعَبَّرَ بمكرهم عن اختلافهم فيه من قولهم: هذا سِحْر، هذا شِعْر، هذا إفْك = فأقوالٌ ينبُو عنها ظاهرُ اللفظ، وبعيدٌ جدّاً قصة الأَنْسُر[2].

والنَّهيُ عن الحِسْبان كهو في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ وأطلقَ الحِسْبان على الأمر المتحقِّق هنا، كما قال الشاعر:

فلا تَحْسَبَنْ أنِّي أَضِلُّ مَنِيَّتي ... فكلُّ امْرِئٍ كأسَ الحِمام يَذُوقُ

وهذا الوعدُ قولُه[3] تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١]، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١].

وقرأ الجمهور بإضافة «مُخْلِفَ» إلى «وَعْدِه» ونصب «رُسُلَه»، واختُلِفَ في إعرابه، فقال الجمهور؛ الفرَّاء وقُطرب والحَوْفيّ والزمخشريّ وابنُ عطية

---

(١) المثبت من (ز١). وفي النسخ الأخرى: النمروذ.

(٢) القصة في تفسير الطبري ١٣/ ٧٢١، والثعلبي ٣/ ٤٧٤-٤٧٥، وزاد المسير ٤/ ٣٧٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٥. وهي قصة تالفة.

(٣) في (د١): لقوله، وفي مطبوع البحر: كقوله. والكلام في الكشاف ٢/ ٣٨٤-٣٨٥.

وأبو البقاء(١): إنه ممَّا أُضيف فيه اسمُ الفاعل إلى المفعول الثاني، كقولهم: هذا معي دِرْهَم زيداً، لمَّا كان يتعدَّى إلى اثنين جازت إضافتُه إلى كلٍّ واحدٍ منهما فينتصبُ ما تأخَّر، وأنشدَ بعضُهم نظيراً له قولَ الشاعر:

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَهُ وسائرُه بادٍ إلى الشَّمْسِ أجْمَعُ(٢)

وقال أبو البقاء: هو قريبٌ من قولهم:

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدارِ(٣)

وقال الفرَّاء وقُطرب: لمَّا تعدَّى الفعلُ إليهما جميعاً لم يُبالَ بالتقديم والتأخير.

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: فإن قلتَ: هلَّا قيل: مُخْلِفَ رُسُلِهِ وَعْدَه، ولِمَ قُدِّمَ المفعولُ الثاني على الأول؟ قلت: قُدِّمَ الوعدُ ليُعلم أنه لا يُخلِفُ الوَعْدَ أصلاً؛ كقوله(٤): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩] ثم قال: «رُسُلَه» ليؤذِنَ أنه إذا لم يُخلف وعدَه أحداً وليس من شأنه إخلافُ المواعيد؛ كيف يُخلِفُه رسلَه الذين هم خِيرتُه وصَفوتُه؟ انتهى. وهو جوابٌ على طريقة الاعتزال في أنَّ ما وعدَ الله واقعٌ(٥) لا محالة، فمن وعدَه بالنار من العصاة لا يجوزُ أن يغفرَ له أصلاً، ومذهبُ أهلِ السُّنَّة أنَّ كلَّ ما وعدَ من العذاب للعصاة المؤمنين هو مشروطٌ إنفاذُه بالمشيئة.

وقيل: «مُخْلِف» هنا متعدٍّ إلى واحد، كقوله: «لا يخلف الميعاد» فأُضيف إليه وانتصبَ «رُسُلَه» بوعده، إذ هو مصدر ينحلُّ بحرف مصدريّ والفعل، كأنَّه قال: مُخْلِفَ ما وَعَدَ رسلَه، و«ما» مصدريَّة لا بمعنى «الذي».

---

(١) ينظر الكتاب ١/ ١٧٥، ومعاني الفرّاء ٢/ ٧٩-٨٠، والكشاف ٢/ ٣٨٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦، والإملاء ٢/ ٧١.

(٢) الكتاب ١/ ١٨١، ومعاني الفراء ٢/ ٨٠، وإعراب النحاس ٢/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٧.

(٣) الإملاء ٢/ ٧١. وينظر الرَّجَز أيضاً في الكتاب ١/ ١٧٥ و١٩٣، ومعاني الفراء ٢/ ٨٠، والأصول في النحو ١/ ١٩٥. قال البغدادي في خزانة الأدب ٣/ ١٠٨: الشاهد على أنه قد يُتوسَّع في الظروف المتصرِّفة، فيضاف إليها المصدر والصفة المشتقة منه.

(٤) في (د١) و(ع) والمطبوع: لقوله. والكلام في الكشاف ٢/ ٣٨٤.

(٥) في (ح) و(د١) والمطبوع: في أن وعد الله واقع، وفي (د٢): في أن ما وعده واقع.

وقرأت فرقة: «مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِه»[(١)] بنصب «وَعْدَه» وإضافة «مُخْلِف» إلى «رسلِه» ففصلَ بين المضافِ والمضافِ إليه بالمفعول، وهو كقراءة: «قَتْلُ أولادَهم شركائِهم»[(٢)] وتقدَّم الكلام عليه مشبعاً في الأنعام [١٣٧]، وهذه القراءة تؤيِّدُ إعرابَ الجمهور في القراءة الأولى، وأنَّه ممَّا تعدَّى فيه «مُخْلِفَ» إلى مفعولين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمتنعُ عليه شيء ولا يُغالَب ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ من الكَفَرة لا يعفُو عنهم.

والتبديل يكون في الذات، أي: تزول ذات وتجيء أخرى، ومنه: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ [سبأ: ١٦] ويكون في الصفات، كقولك: بدَّلتُ الحَلْقَةَ خاتماً، فالذاتُ لم تُفقد، لكنَّها انتقلت من شكل إلى شكل[(٣)].

واختلفوا في التبديل هنا أهو في الذات أو في الصفات، فقال ابنُ عبَّاس: تُمَدُّ كما يُمَدُّ الأديمُ، وتُزالُ عنها جبالُها وآكامُها وشجرُها وجميعُ ما فيها حتى تصيرَ مستويةً لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً. وتُبدَّلُ السماواتُ بتكويرِ شمسِها وانتثارِ كواكِبها وانشقاقِها وخُسوفِ قمرِها[(٤)].

وقال ابن مسعود: تُبَدَّلُ الأرضُ بأرضٍ كالفضة نقية لم يُسفك فيها دم، ولم تُعمل فيها خطيئة[(٥)].

وقال عليّ: تلك الأرضُ من فضة، والجنَّة من ذهب[(٦)].

---

(١) ينظر معاني الفراء ٢/ ٨١، ومعاني الزجَّاج ٣/ ١٦٨، والكشاف ٢/ ٣٨٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٦.

(٢) وهي قراءة ابن عامر الشامي من السبعة.

(٣) بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٨٤.

(٤) أخرجه البيهقي عنه بنحوه في البعث، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٩١. وينظر تفسير الرازي ١٩/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٨.

(٥) تفسير الطبري ١٣/ ٧٣٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٧٠.

(٦) ينظر تفسير كل من الطبري ١٣/ ٧٣٣-٧٣٤، والثعلبي ٣/ ٤٧٦، والقرطبي ١٢/ ١٧٠.

وقال محمد بنُ كعب وابنُ جُبير: هي أرضٌ من خُبز يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم. وجاء هذا مرفوعاً[١].

وقيل: تصيرُ ناراً والجنةُ من ورائها تُرى أكوابُها وكواعبُها[٢]. وقال أُبيّ: تصيرُ السماوات جِناناً[٣].

وقيل: تبديلُها من طَيِّها. وقيل: مَرَّةً كالمُهْل، ومَرَّةً وَرْدَة كالدِّهان. قاله ابن الأنباري[٤]. وقيل: بانشقاقِها فلا تُظِلُّ[٥].

وفي الحديث أنَّ الله يُبَدِّلُ هذه الأرضَ بأرضٍ عَفْراءَ بيضاءَ كأنَّها قُرْصَةُ نَقِيٍّ[٦].

وفي كتاب الزمخشري: وعن علي: تُبدَّلُ أرضاً من فضة، وسماوات من ذهب. وعن الضحَّاك: أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف. وعن ابن عباس: هي تلك الأرض، وإنما تغيَّر، وأنشد:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهِدْتَهُمْ ولا الدارُ بالدارِ التي كنتَ تعلمُ[٧]

(١) بنحوه في تفسير الطبري ١٣/ ٧٣٥، وأخرج البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «تكون الأرضُ يومَ القيامة خُبْزَةً واحدةً...» الحديث.

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٧٣٣ عن ابن مسعود.

(٣) زاد المسير ٤/ ٣٧٦. وجاء هذا ضمن خبر في تفسير الطبري ١٣/ ٧٣٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٧٦، والنكت والعيون ٣/ ١٤٤ عن كعب الأحبار، والله أعلم. ووقع في (د١) والمطبوع: حقاباً. وهو تحريف.

(٤) قولُه هذا في النكت والعيون ٣/ ١٤٤، وزاد المسير ٤/ ٣٧٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٦٨.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/ ١٤٤ عن ابن شجرة، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٣٧٦ للماوردي.

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد مرفوعاً بلفظ: «يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامة على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ كقُرْصَةِ نَقِيٍّ». وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٧. قوله: قُرْصَة، أي: خُبزة صغيرة مبسوطة مدوَّرة، والنَّقِيّ: الدقيق الجيِّد.

(٧) الكشاف ٢/ ٣٨٤. وسلف قول عليّ قريباً. وأورد الثعلبي ٣/ ٤٧٦ قول ابن عباس، وفيه: كنتُ أعرف، بدل: كنتَ تعلم. وجاء البيت بنحوه ضمن ثلاثة أبيات في ديوان المعاني ص٧٨، وجمهرة الأمثال ١/ ٩٦.

قال ابنُ عطية: وسمعتُ من أبي ﷺ أنه[١] رُوِيَ أن التبديل يقع في الأرض، ولكن تبدَّلُ لكلِّ فريق بما يقتضيه حالُه، فالمؤمنُ يكونُ على خُبز يأكلُ منه بحسب حاجته إليه، وفريقٌ يكونون على فضة؛ إن صحَّ السَّنَد بها، وفريقُ الكفَرة يكونون على نار، ونحو هذا وكلُّه واقعٌ تحت قدرة الله تعالى. وفي الحديث: «المؤمنون وقتَ التبديلِ في ظلِّ العَرْش»[٢]، وفيه: أنهم ذلك الوقت على الصراط[٣].

وقال أبو عبد الله الرازيّ[٤]: المرادُ من تبديل الأرض والسماواتِ هو أنه تعالى يجعلُ الأرضَ جهنَّمَ، ويجعلُ السماواتِ الجنةَ، والدليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، وقولُه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] انتهى. وكلامُه هذا يدلُّ على أنَّ الجنَّةَ والنارَ غيرُ مخلوقتين، وظاهرُ القرآن والحديث أنهما قد خُلقتا، وصحَّ في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ اطَّلَعَ عليهما[٥]، ولا يمكنُ أنْ يَطَّلِعَ عليهما حقيقةً إلا بعد خَلْقِهما.

﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي: ظهروا لا يُوارِيهم بناءٌ ولا حِصْن.

وانتصاب «يومَ»[٦] على أنه بدل من «يومَ يأتيهم» قاله الزمخشري[٧]، أو معمولاً لـ «مُخْلِفَ وَعْدِهِ»، و«إنَّ» وما بعدَها اعتراض. قاله الحَوْفيّ.

وقال أبو البقاء[٨]: لا يجوز أن يكون ظرفاً لـ «مُخْلِفَ» ولا لـ «وَعْدِهِ» لأنَّ ما قبل «إنَّ» لا يعملُ فيما بعدَها، ولكن جُوِّزَ أن يلحق من معنى الكلام ما يعملُ في

---

(١) لفظة «أنه» من (ز١) و(يه)، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٧.
(٢) لفظ الحديث من المحرَّر الوجيز ٣/ ٣٤٧، ولم أقف عليه. وجاء في صحيح مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان ﷺ أنَّ الناس يومئذ في الظُّلمة دون الجِسْر، أي: الصراط. والله أعلم.
(٣) أخرجه مسلم (٢٧٩١) من حديث عائشة ﵂.
(٤) تفسيره ١٩/ ١٤٧.
(٥) ينظر على سبيل المثال حديث عمران بن حُصين في صحيح البخاري (٣٢٤١) وصحيح مسلم (٢٧٣٨) مرفوعاً: «اطَّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلها الفقراء...».
(٦) في قوله: «يومَ تُبَدَّلُ الأرض».
(٧) الكشاف ٢/ ٣٨٤.
(٨) الإملاء ٢/ ٧١.

الظرف، أي: لا يُخلِفُ وعدَه يومَ تُبدَّلُ. انتهى. وإذا كان «إنَّ» وما بعدها اعتراضاً لم يُبالَ بهِ[1] فَصْلاً بين العامل والمعمول، أو معمولاً لـ «انتقام». قاله الزمخشريّ والحَوْفيّ وأبو البقاء. أو لـ «اذْكُر» قاله أبو البقاء.

وقُرئ: «نُبَدِّلُ» بالنون[2] «الأرضَ» بالنصب «والسماواتِ» معطوف على «الأرض»، وثَمَّ محذوف، أي: غيرَ السماوات، حُذف لدلالة ما قبلَه عليه.

والظاهر استئناف «وبَرَزُوا»، وقال أبو البقاء: يجوزُ أن يكونَ حالاً من «الأرض»، و«قَدْ» معه مُرادة. ومعنى «للهِ»: لحُكم الله، أو لمَوْعُودِه من الجنة والنَّار.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «وبُرِّزُوا» بضمّ الباء وكسر الراء مشدَّدةً، جعلَه مبنيًّا للمفعول على سبيل التكثير بالنسبة إلى العالَم وكثرتِهم لا بالنسبة إلى تكرير الفعل.

وجيء بهذين الوصفَيْن، وهما «الواحد»، وهو الذي لا يَشْرَكُهُ أحدٌ في ألوهيَّته، ونبَّه به على أنَّ آلهتَهم في ذلك اليوم لا تنفع، و«القَهَّار» وهو الغالبُ لكلِّ شيء، وهذا نظيرُ قولِه تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ﴾ يومَ إذ تُبدَّلُ وبَرَزُوا «مُقَرَّنين»: مشدُودين في القَرَن[3]، أي: مقرونٌ بعضُهم مع بعض في القيود والأغلال، أو مع شياطينهم؛ كلُّ كافرٍ مع شيطانِهِ في غُلٍّ، أو تُقرَنُ أيديهم إلى أرجلهم مُغَلَّلين[4].

والظاهر تعلُّق «في الأصفاد» بقوله: «مُقَرَّنين» أي: يُقرنون في الأصفاد، ويجوزُ أن يكون في موضع الصفة لـ: «مقرَّنين»، وفي موضع الحال فيتعلَّق بمحذوف، كأنه قيل: مستقرِّين في الأصفاد.

---

(١) المثبت من (ز١) و(ب). وفي النسخ الأخرى: أنه، وهو تحريف.
(٢) الكشاف ٢/ ٣٨٤، وزاد المسير ٤/ ٣٧٤، ونُسبت القراءة فيه لأبان.
(٣) يعني الحَبْل، وهو في الأصل: الحَبْلُ الذي يُقْرَنُ به البعيران.
(٤) نُسب القول الأول في زاد المسير ٤/ ٣٧٧ لابن قُتيبة، والثاني لابن عباس، والثالث لابن زيد، وفيه أن أيديهم وأرجلَهم قُرنت إلى رقابهم. وهو كذلك في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٧٦.

وقال الحسن: ما في جهنَّمَ وَادٍ ولَا مغارةٌ[1] ولا قَيْدٌ ولا سلسلةٌ إلا اسمُ صاحبِه عليه مكتوب.

وقرأ عليّ وأبو هريرة وابنُ عبَّاس وعكرمةُ وابنُ جُبير وابنُ سِيرِين والحسن بخلاف عنه وسِنان بنُ سَلَمة بن المُحَبِّق وزيدُ بنُ علي وقتادة وأبو صالح والكلبيّ وعيسى الهَمْدَاني وعَمرو بن فائد وعَمرو بن عُبيد: «من قَطِرٍ» بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء «آنٍ» اسم فاعل من «أَنَى» صفة لـ «قَطِر»[2]؛ قيل: وهو القِصْدير، وقيل: النُّحاس. وعن عمر ﷺ أنه قال: ليس بالقَطِران، ولكنَّه النُّحاس يصيرُ بلونه.

والآنِي الذائبُ الحارُّ الذي قد تَنَاهَى حَرُّه؛ قال الحسن: قد سُعِّرَتْ عليه جهنَّم منذ خُلقت، فتَنَاهَى حَرُّه. وقال ابنُ عباس: المعنى: أَنَى أنْ يُعَذَّبُوا به، يعني: حانَ تعذيبُهم به[3].

وقال الزمخشريّ[4]: ومن شأنِه ـ أي القَطِران ـ أن يُسْرِعَ فيه اشتعالُ النار، وقد يُستسرَجُ به، وهو أسودُ اللون منتن الريح، فتُطْلَى به جلودُ أهلِ النار حتى يعود طِلاؤه لهم كالسَّرَابيل، وهي القُمُصُ، لتجتمعَ عليهم الأربعُ: لَذْعُ القَطِرَان وحُرْقَتُه، وإسراعُ النار في جلودهم، واللونُ الوَحِش، ونَتْنُ الرِّيح؛ على أنَّ التفاوتَ بين القَطِرَانَيْن كالتفاوتِ بين النارَيْن، وكلُّ ما وعدَه الله أو أَوْعَدَ به في الآخرة فبينَه وبينَ ما نشاهدُ من جنسه ما لا يُقادَرُ قَدْرُه، وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي، والمسمَّياتُ ثمةَ، فبكرمِهِ الواسع نعوذُ من سَخَطِه، ونسألُه التوفيقَ فيما يُنجينا من عذابه. انتهى.

وقرأ عمر بنُ الخطاب وعليّ بنُ أبي طالب: «من قَطْرَان» بفتح القاف وإسكان

---

(١) في (أ) و(د١) و(د٢) و(ع) والمطبوع: مفازة. والقول في الهداية لمكي ٩/ ٣٨٤٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٨، والمحتسب ١/ ٣٦٦، وضبطت لفظة «قطر» فيه بكسر القاف وإسكان الطاء. وذكر الطبري ١٣/ ٧٤٢ عن عيسى الهمداني أنه قرأ: «من قِطْران» (كلمة واحدة) بكسر القاف وإسكان الطاء. واستشهد بالرجز الآتي، فلعله رُوي عنه الوجهان.
(٣) تنظر الأقوال السالفة في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٨.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٥.

الطاء، وهو في شعر أبي النَّجْم؛ قال:

لَبَّسهُ[(١)] القَطْرَانَ والمُسُوحَا[(٢)]

وقرأ الجمهور: «وتَغْشَى وُجُوهَهُمْ» بالنصب، وقُرِئ بالرفع[(٣)]، فالأولى على نحو قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ فهي على حقيقة الغِشْيان، والثانية على التجوُّز؛ جعلَ وُرُودَ الوُجوه على النَّار غِشْياناً.

وقُرئ: «وتَغَشَّى وُجُوهَهم»[(٤)] بمعنى: تَتَغَشَّى، وخَصَّ الوُجوهَ هنا وفي قوله: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الزمر: ٢٤] ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾ [القمر: ٤٨] لأنَّ الوَجْهَ أعزُّ موضع في ظاهر البَدَن وأشرفُه، كالقلب في باطنه، ولذلك قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾.

و«لِيَجْزِيَ» متعلّق بمحذوف تقديرُه: يفعلُ بالمجرمين ما يفعلُ لِيجزيَ كلَّ نفس، أي: مجرمة، بما كسبت، أو كلَّ نفسٍ من مجرمةٍ ومطيعةٍ، لأنه إذا عاقبَ المجرمين لإجرامهم عُلم أنه يُثيبُ المطيعين لطاعتِهم. قاله الزمخشري[(٥)].

ويظهر أنها تتعلَّق بقوله: «وبَرَزُوا» أي: الخلقُ كلُّهم، ويكون «كلّ نفس» عامًّا، أي: مطاعةً ومجرمة، والجملة من قوله: «وتَرَى» معترضة.

وقال ابن عطية: اللام متعلّقة بفعل مضمر، تقديره: فعلَ هذا أو أنفذَ هذا العقابَ على المجرمين ليجزيَ في ذلك المسيءَ على إساءته[(٦)]. انتهى.

والإشارة بـ «هذا» إلى ما ذَكَّرَ بِهِ تعالى من قوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا﴾ إلى

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: لبَّسنه. والمثبت من المصادر. ينظر ديوان أبي النجم ص٨٣، وتفسير كلٍّ من الطبري ١٣/ ٧٤٢، والثعلبي ٣/ ٤٧٧، والقرطبي ١٢/ ١٧٢.

(٢) ذكر الطبري ١٣/ ٧٤٢ أنَّ في «قَطِران» ثلاث لغات: «قَطِران» بفتح القاف وكسر الطاء، و«قَطْران» بفتح القاف وإسكان الطاء، ثم استشهد بهذا الرَّجز على قراءة عيسى بن عُمر الهَمْداني بكسر القاف وإسكان الطاء كما سلف قبل تعليقين.

(٣) يعني رفع «وجوههم» ونصب «النار» وهي قراءة ابن مسعود كما في المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٨.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٨٥. ونسبت في القراءات الشاذة ص٧٠ لابن مسعود.

(٥) المصدر السالف.

(٦) عبارة المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٨: ليكون في ذلك جزاء المسيء على إساءته.

قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. وقيل: الإشارة إلى القرآن، وقيل: إلى السورة. ومعنى «بلاغ» كفاية في الوعظ والتذكير.

﴿وَلِيُنذَرُوا۟﴾ قال الماورديّ: الواو زائدة، وعن المبرِّد: هو عطفُ مفرَد على مفرد، أي: هذا بلاغٌ وإنذارٌ. انتهى. وهذا تفسير معنى، لا تفسيرُ إعراب.

وقيل: هو محمول على المعنى، أي: ليُبلِّغُوا وليُنذَرُوا. وقيل: اللامُ لامُ الأمر. قال بعضهم: وهو حسن لولا قولُه: «وليذكَّر» فإنه منصوبٌ لا غير. انتهى. ولا يخدشُ ذلك، إذ يكون «وليذَّكَّرَ» ليس معطوفاً على الأمر، بل يُضمر له فعل يتعلَّق به.

وقال ابن عطية: المعنى: هذا بلاغٌ للناس، وهو لِيُنْذَرُوا به. انتهى. فجعلَه في موضع رفع خبراً لـ «هو» المحذوفة.

وقال الزمخشري: «ولِيُنْذَرُوا» معطوف على محذوف، أي: لِيُنْصَحُوا وليُنذَرُوا به بهذا البلاغ. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ولِيُنْذَرُوا» بالياء مبنيًّا للمفعول[١]، وقرأ مجاهد وحُميد بتاء مضمومة وكسر الذال، كَأَنَّ البلاغَ للعموم والإنذار للمخاطَبين.

وقرأ يحيى بنُ عُمارة الذَّارع عن أبيه وأحمد بنُ يزيد بن أسيد السُّلَميّ: «وليَنْذَرُوا» بفتح الياء والذال[٢]، مضارع: نَذِرَ بالشيء: إذا عَلِمَ به فاستعدَّ له. قالوا: ولم يُعرف لهذا الفعل مصدر، فهو مثل «عَسَى» وغيرِهِ ممَّا استُعملَ من الأفعال، ولم يُعرف له أصل.

«وليعلموا» لأنهم إذا خافوا ما أُنذروا به دعاهم ذلك إلى النظر، فيتوصَّلون إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إذِ الخشية أصلُ الخير[٣].

---

(١) قوله: وقرأ الجمهور... إلى هذا الموضع، من (ز١) و(به) وسقط من النسخ الأخرى والمطبوع.

(٢) القراءات الشاذة ص٧٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٨، والقراءة في الكشاف ٢/ ٣٨٥ دون نسبة.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨٥.

«وليذَّكَّرَ» أي: يَتَيقَّظَ[١] ويُراجعَ نفسَه بما سمعَ من المواعظ[٢]. وأسندَ التذكُّرَ والاتِّعاظَ إلى مَنْ له لُبٌّ لأنهم هم الذين يُجْدِي فيهم التَّذَكُّر.

وقيل: هي في أبي بكر الصِّدِّيق[٣].

وناسبَ مختتمُ هذه السورة مفتتحَها، وكثيراً ما جاء هذا في سُوَر القرآن، حتى إنَّ بعضهم زعم أنَّ قولَه: «ولِيُنْذَرُوا به» معطوف على قوله: «لِتُخْرِجَ الناس».

(١) في (د١) والمطبوع: يتَّعظ.
(٢) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٤٦.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٨، ونُسب القول في النكت والعيون ٣/ ١٤٦ ليمان بن رِئاب.

سورة الحجر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ
مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا
مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٥﴾
وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ
نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا
يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾
لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ
يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي
ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ
ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا
مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن
شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ
ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾.

المفردات «رُبَّ» حرف جرّ لا اسم، خلافاً للكوفيِّين والأخفش في أحد قولَيْه وابن الطَّراوة، ومعناها في المشهور التقليلُ لا التكثير[١]، خلافاً لزاعمه وناسبِه إلى سيبويه ولمن قال: لا تُفيد تقليلاً ولا تكثيراً، بل هي حرف إثبات، ودعوى أبي عبد الله الرازي[٢] الاتفاق على أنَّها موضوعة للتقليل باطلة، وقولُ الزجاج إنَّ «رُبَّ» للكثرة ضدُّ ما يعرفُه أهل اللغة[٣]، ليس بصحيح.

وفيها لغات[٤]، وأحكامُها كثيرة ذُكرت في النحو[٥]، ولم تقع في القرآن إلا في هذه السورة على كثرة وقوعها في لسان العرب. «ذَرْ» أمرٌ استُغْنِيَ غالباً عن ماضيه بـ «تَرَكَ»، وفي الحديث: «ذَرُوا الحبشةَ ما وَذَرَتْكُم»[٦].

«لَوْمَا» حرفُ تحضيض فيليها الفعلُ ظاهراً أو مضمراً، وحرفُ امتناع لوجود فيليها الاسم مبتدأً على مذهب البصريِّين، ومنه قولُ الشاعر:

لَوْمَا الحيَاءُ ولَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُما ببعضِ ما فيكما إذْ عِبْتُما عَوَرِي[٧]

وقال بعضهم: الميم في «لَوْمَا» بَدلٌ من اللام في «لولا» ومثلُه: استَوْلَى على

(١) وكذا قال المصنف في تذكرة النحاة ص٥، واختارَ في الارتشاف ٤/ ١٧٣٨ أنها لم توضع لتقليل ولا لتكثير، بل ذلك مستفادٌ من سياق الكلام. وكذا قال في النهر الماد (بهامش البحر ٥/ ٤٤٣).

(٢) تفسيره ١٥/ ١٥٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٣.

(٤) في «رُبَّ» ستَّ عشرة لغة كما ذكر ابن هشام في المغني ص١٨٤: ضمُّ الراء وفتحُها، وكلاهما مع التشديد والتخفيف، والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنةً أو محركة ومع التجرُّد منها، فهذه اثنتا عشرة، والضمُّ والفتح مع إسكان الباء، وضمّ الحرفين مع التشديد ومع التخفيف.

(٥) ينظر شرح التسهيل ٣/ ٦، وتذكرة النحاة ص٥، والارتشاف ٤/ ١٧٣٧، وهمع الهوامع ٢/ ٤٢٩.

(٦) أخرج ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٥٤) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً: «اتركُوا التُّركَ ما تركوكم، وذَرُوا الحبشةَ ما وذَرُوكم».

(٧) البيت لتميم بن أُبيّ بن مقبل، وهو بهذه الرواية في مجاز القرآن ١/ ٣٤٦، وتفسير الطبري ١٤/ ١٥، والكشاف ٢/ ٣٨٧. والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥١. وهو في ديوانه ص٧٦ برواية: لولا الحياء ولولا الدين...

الشيء واسْتَوْما، وخاللتُه وخالمتُه فهو خَلِّي وخِلْمِي، أي: صديقي.

وقال الزمخشري[١]: «لَوْ» رُكِّبَتْ مع «لا» و«ما» لمعنيين، وأمَّا «هَلْ» فلم تُركَّب إلا مع «لا» وحدَها للتحضيض. انتهى. والذي أختارُه البساطة فيهما لا التركيبَ، وأنَّ «ما» ليست بدلاً من «لا».

سلكَ الخيطَ في الإبرة وأسلَكَها: أدخلَه فيها ونَظَمَه. قال الشاعر:

حتى إذا أسْلَكُوهُمْ في قُتائدةٍ ... شَلًّا كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[٢]

وقال الآخر:

وكنتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ ... وقد سَلَكُوكَ في يومٍ عَصِيبِ[٣]

الشِّهاب شُعْلَةُ النار، ويُطلق على الكوكب لبريقِه شبَّه بالنار، وقال أبو تمَّام:

والعِلْمُ في شُهُب الأرماحِ لامعةً ... بين الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبعةِ الشُّهُبِ[٤]

اللَّواقح: الظاهرُ أنها جمع لاقح، أي ذوات لِقاح، كَلَابِن وتَامر، وذلك أنَّ الرِّيح تمرُّ على الماء، ثم تمرُّ على السَّحاب والشجر فيكون فيها اللِّقاح. قاله الفرَّاء[٥].

وقال الأزهريّ: حواملُ تحملُ السحابَ وتُصرِّفُه[٦]. وناقة لاقح ونُوقٌ لَواقح إذا حملتِ الأَجِنَّة في بطونها. وقال زهير:

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٧.

(٢) البيت لعبد مناف بن رِبْع، وهو في ديوان الهُذليين ٢/ ٤٢، وجاء في شرحه: قُتائدة، أي: ثَنِيَّة، وشلًّا، على تقدير: شَلُّوهم شَلًّا، والجَمَّالة: أصحاب الجِمال.

(٣) البيت لعديّ بن زيد، وهو في مجاز القرآن ١/ ٢٩٤، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٢، والأغاني ٢/ ١١١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٨٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣.
قوله: لِزَازَ خَصمِك، أي: لا أَدَعُ خَصْمَك يُخالف ويُعاند.
وقوله: لم أُعَرِّدْ، أي: لم أُحجِم، وتحرف في مطبوع البحر وبعض النسخ إلى: لم أعوّد.

(٤) هو البيت الثالث من بائيَّته التي مدحَ بها المعتصم، والتي مطلعُها: السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ. ديوانه ١/ ٤١ (بشرح التبريزي).

(٥) بنحوه في معانيه ٢/ ٨٧.

(٦) تهذيب اللغة ٤/ ٥٦.

إذا لَـقِـحَـتْ حَـرْبٌ عَـوَانٌ مُـضِـرَّةٌ ضَرُوسٌ تُهِرُّ الناسَ أنيابُها عُصْلُ[(١)]

وقال أبو عبيدة: أي: مَلَاقِح جمع مُلْقِحَة[(٢)]، لأنها تُلقِحُ السحابَ بإلقاء الماء. وقال:

ومُـخْـتَـبِـطٌ مـمَّـا تُـطِـيـحُ الـطَّـوائـحُ[(٣)]

أي: المَطَاوِح، جمع مُطِيحة.

الصَّلْصَال؛ قال أبو عبيدة: الطِّين إذا خُلط بالرَّمل وجَفّ. وقال أبو الهيثم: الصَّلْصَال: صَوتُ اللِّجام وما أشبهَه، وهو مثل القعقعة في الثوب. وقيل: التراب المُدَقَّق، وصَلْصَلَ الرَّمل: صَوَّتَ، وصَلْصَال بمعنى مُصَلْصِل، كالقَضْقَاض، أي: المُقَضْقِض، وهو فيه كثير، ويكون هذا النوع من المضعَّف مصدراً، فتقول: زَلْزَلَ زَلْزالاً، بالفتح، وزِلْزالاً بالكسر، ووزنُه عند البصريين فَعْلَال، وهكذا جميع المضاعف، حروفُه كلُّها أصولٌ، لا «فَعْفَعَ» خلافاً للفرَّاء وكثيرٍ من النحويِّين[(٤)]، ولا «فَعْفَلَ» خلافاً لبعض البصريِّين وبعضِ الكوفيين، ولا أنَّ أصلَه «فَعَّلَ»[(٥)] بتشديد العين أُبدل من الثاني حرفٌ من جنس الحرف الأول خلافاً لبعض الكوفيِّين. وينبني على هذه الأقوال وزنُ[(٦)] صَلْصَال.

الحَمأ: طِينٌ أسودُ مُنتِن، واحِدُه حَمَأة، بتحريك الميم. قاله الليث ووُهِّمَ في

(١) ديوان زهير (بشرح ثعلب) ص١٠٣. قال ثعلب: لَقِحَتْ: اشتدَّت، وعَوَانٌ: ليست بأولى؛ قد قُوتِلَ فيها مرَّةً بعد مَرَّة، وضَرُوس: عَضُوض سيِّئة الخُلُق. تُهِرُّ الناسَ: أي: تُصَيِّرُهُم يَهِرُّونَها، أي: يكرهونها، وعُصْلٌ: كالحةٌ معوجَّة.

(٢) بنحوه في مجاز القرآن ١/ ٣٤٨. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٩٥. قال أبو عبيدة: العرب قد تفعلُ هذا فتُلقي الميم لأنها تُعيدُه إلى أصل الكلام.

(٣) هو عجز بيت نُسبَ في الكتاب ١/ ٢٨٨ للحارث بن نَهِيك، وفي الخزانة ١/ ٣٠٩ لِنَهْشَل بنِ حَرِّيّ، وهو دون نسبة في المقتضب ٣/ ٢٨٢، والخصائص ٢/ ٣٥٣ و٤٢٤. وصدرُه: لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخُصُومَةٍ، وفي رواية: لِيَبْكِ يزيدَ ضارعٌ لخُصُومَةٍ، وهي رواية أخرى في مجاز القرآن ١/ ٣٤٩، وتفسير الطبري ١٤/ ٤٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٧.

(٤) قال السمين في الدّرّ المصون ٧/ ١٥٦: هذا غلط؛ لأن أقل الأصول ثلاثة.

(٥) يعني: صَلَّلَ.

(٦) تحرفت اللفظة في (أ) و(د١) و(ع) ومطبوع البحر إلى: ورب.

ذلك، وقالوا: لا يُعرَفُ في كلام العرب الحَمْأة إلا ساكنة الميم. قاله أبو عبيدة والأكثرون[١]، كما قال أبو الأسود:

تَجِئْكَ[٢] بِملْئِها طَوْراً وطَوْراً تجيءُ بِحَمْأةٍ وقليلِ ماءِ[٣]

وعلى هذا لا يكون «حَمَأ» بينه وبين مفرده تاء التأنيث لاختلاف الوزن.

السَّمُوم: إفراطُ الحَرِّ يدخلُ في المَسَامِّ حتى يَقتُلَ من نارٍ أو شمسٍ أو ريح.

وقيل: السَّمُوم بالليل، والحَرُورُ[٤] بالنهار[٥].

* * *

التفسير ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾.

هذه السورة مكيَّة بلا خلاف[٦]، ومناسبتُها لِما قبلَها أنه تعالى لمَّا ذكرَ في آخر السورة قبلَها أشياءَ من أحوالِ القيامة؛ من تبديل السَّماوات والأرضِ، وأحوالِ

(١) ينظر تفسير الرازي ١٩/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٤.

(٢) المثبت من (ز١)، وفي النسخ الأخرى (غير يه فمهملة من النقط) والمطبوع: يجئك.

(٣) البيت بهذه الرواية في المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٣٨، وبنحوه في ديوانه ص١٦٠، ومجاز القرآن ١/ ٤١٣، والمحاسن والأضداد ص٨٣، وجمهرة الأمثال ١/ ٧٤، ومجمع الأمثال ٢/ ١٩٠، والتذكرة الحمدونية ٧/ ١٣٣، ويوضِّحه البيتُ قبلَه (كما في الجمهرة):

وما طَلَبُ المعيشةِ بالتَّمَنِّي ولكنْ أَلْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ

(٤) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: الحر. وهو خطأ.

(٥) جاء بعده في (يه) ما صورتُه: «وقال الشاعر: ترى السَّموم كلما هبت بي، تُحرِّكُ أعضائي وتذيقني السوءا. وقال آخر: هبت عليّ نسمة فألفيت منها، ريحاً كالسَّموم بقصفُ طولي». ولم يتبيَّن لي هذا الكلام ولا وزنُه، وقد أوردته كما جاء في هذه النسخة.

(٦) نقل المصنف الإجماع على أنها مكية في تفسير سورة الفاتحة، وكذا نقل ابن عطية ١/ ٦٥، والقرطبي ١/ ١٧٧. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٣٧٩: مكية كلُّها من غير خلاف نعلُمه، وقال الماوردي في النكت والعيون ٣/ ١٤٧: مكيَّة باتِّفاق إلا قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ فمدنيَّة. وذكر الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٣٧٧ أنَّ الظاهر في عدم ذكر هذا الاستثناء من بعض المفسِّرين ظاهر في قلَّة التَّتبُّع.

الكفار في ذلك اليوم، وأنَّ ما أتى به هو على حَسَب التبليغ والإنذار؛ ابتدأ في هذه السورة بذكرِ القرآن الذي هو بلاغٌ للناس وأحوالِ الكفَرَة ووَدَادَتِهم لو كانوا مسلمين.

قال مجاهد وقتادة: الكتابُ هنا ما نزلَ من الكتب قبل القرآن[١]. فعلى قولهما تكون «تلك» إشارة إلى آيات الكتب[٢].

قال ابن عطيّة[٣]: ويحتمل أن يُراد بالكتاب القرآن، وعُطفت الصفة عليه.

ولم يذكر الزمخشريّ إلا أنَّ «تلك» إشارة إلى ما تضمَّنَتْ[٤] السورة من الآيات؛ قال: والكتابُ والقرآنُ المبين: السورةُ، وتنكيرُ القرآن للتفخيم، والمعنى: تلك آياتُ الكتاب الكامل[٥] في كونهِ كتاباً وآيَ قرآنٍ مبين، كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان[٦].

والظاهر أنَّ «ما» في «رُبَّما» مُهَيِّئة، وذلك أنَّها من حيث هي حرفُ جرّ لا يليها إلا الأسماء، فجيء بـ «ما» مهيِّئة لمجيء الفعل بعدَها.

وجَوَّزُوا في «ما» أن تكون نكرة موصوفة، و«رُبَّ» جارَّة لها، والعائدُ من جملة الصفة محذوف، تقديرُه: رُبَّ شيءٍ يودُّه الذين كفروا، و«لو كانوا مسلمين» بدلٌ من «ما» على أنَّ «لَوْ» مصدريَّة، وعلى القول الأوَّل تكون في موضع نصب على المفعول لـ «يَوَدُّ»، ومن لا يرى أنَّ «لَوْ» تأتي مصدريَّة جعلَ مفعول «يَوَدُّ» محذوفاً و«لو» في «لو كانوا مسلمين» حرفٌ لما كان سيقع لوقوع غيره، وجواب «لَوْ» محذوف، أي: رُبَّما يودُّ الذين كفروا الإسلامَ؛ لو كانوا مسلمين لَسُرُّوا بذلك وخَلَصُوا من العذاب.

---

(١) بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٥-٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٩، واللفظ له.
(٢) في (ح) و(د١) و(ع) ومطبوع البحر: الكتاب. وهو خطأ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٩.
(٤) في المطبوع: إلا أن تلك الإشارة لما تضمنته، وفي (د٢): إلا أن قال تلك إشارة إلى ما.... والكلام في الكشاف ٢/ ٣٨٥.
(٥) كلمة «الكامل» ليست في الكشاف.
(٦) المثبت من (ز١) و(يه). وهو كذلك في المصدر السالف. وفي النسخ الأخرى ومطبوع البحر: الشأن.

ولمَّا كانت «رُبَّ» عند الأكثرين لا تدخلُ على مستقبل تأوَّلُوا «يَوَدُّ» في معنى «وَدَّ» لمَّا كان المستقبلُ في إخبار الله لتحقُّقِ وقوعِه كالماضي، فكأنَّه قيل: وَدَّ. وليس ذلك بلازم، بل قد تدخلُ على المستقبل، لكنَّه قليل بالنسبة إلى دخولها على الماضي، وممَّا وردت فيه للمستقبل قولُ سُليم القُشيريّ:

ومُعتصمٍ بالحيِّ[1] من خَشْيَة الرَّدَى سَيَرْدَى وغازٍ مُشْفِقٍ سيؤوبُ

وقولُ هند أُمِّ معاوية:

يا رُبَّ قائلةٍ غداً يا لَهْفَ أُمِّ مُعاوِيَهْ[2]

وقولُ جَحْدَر:

فإنْ أَهْلِكْ فَرُبَّ فَتًى سيبكي عليَّ مُهَذَّبٍ رَخْصِ البَنَانِ[3]

في عدة أبيات.

وقولُ أبي عبد الله الرَّازيّ: إنّهم اتفقوا على أن كلمة «رُبَّ» مختصَّة بالدخول على الماضي، لا يصحُّ، فعلى هذا لا يكون «يَوَدُّ» محتاجاً إلى تأويل، وأمَّا من تأوَّلَ ذلك على إضمار «كان» أي: ربَّما كان يودُّ فقولُه ضعيف، وليس هذا من مواضع إضمار «كان»[4]، ولمَّا كان عند الزمخشريّ وغيرِه أنَّ «رُبَّ» للتقليل، احتاجوا إلى تأويل مجيء «رُبَّ» هنا، وطوَّلَ الزمخشريُّ[5] في تأويل ذلك.

ومن قال: إنها للتكثير فالتكثير فيها هنا ظاهرٌ لأنَّ وَدَادَتَهم ذلك كثيرة، ومن قال: إنَّ التقليل والتكثير إنَّما يُفهم من سياق الكلام لا من موضع «رُبَّ» قال: دَلَّ سياقُ الكلام هنا على الكثرة.

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: بالجُبن. وينظر التعليق التالي.
(٢) هذا البيت والذي قبله في شرح التسهيل ٣/ ٥٠-٥١.
(٣) جَحْدَر: هو ابنُ مالك الحنفي، كان لصًّا، فأخذه الحجَّاج وحبَسَه، فأنشد قصيدة في الحبس، وهذا البيت منها. ينظر أمالي القالي ١/ ٢٨٢، وخزانة الأدب ١١/ ٢٠٩، وشرح التسهيل ٣/ ٥٠. وقوله: رَخْص البنان، أي: ناعمها.
(٤) ينظر تفسير الرازي ١٩/ ١٥٣.
(٥) الكشاف ٢/ ٣٨٦.

وقيل: تُدهِشُهم أهوالُ ذلك اليوم، فيَبْقَوْنَ مبهوتين، فإن كانت[(١)] منهم إفاقةٌ في بعض الأوقات من سكرتهم تَمَنَّوا، فلذلك قلّل.

وقرأ عاصم ونافع: «رُبَما» بتخفيف الباء، وباقي السبعة بتشديدها، وعن أبي عَمرو الوجهان[(٢)].

وقرأ طلحة بنُ مُصَرِّف وزيد بنُ علي: «رُبَّتَما» بزيادة تاء[(٣)].

ومتى يَوَدُّون ذلك؟ قيل: في الدنيا، فقال الضَّحّاك: عند معاينة الموت[(٤)]. وقال ابن مسعود: هم كفار قريش وَدُّوا ذلك يومَ بدر حين رأوا الغلَبة للمسلمين[(٥)]. وقيل: حين حلَّ بهم ما حلَّ من تملّك المسلمين أرضَهم وأموالَهم ونساءَهم، ودُّوا ذلك قبلَ أن يَحُلَّ بهم ما حَلَّ.

وقيل: ودُّوا ذلك في الآخرة، إذا أُخرجَ عصاةُ المسلمين من النار. قاله ابنُ عباس وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم، ورواه أبو موسى عن رسول الله ﷺ، وقرأ الرسول هذه الآية[(٦)].

وقيل: حين يَشْفعُ الرسول ويُشَفَّع حتى[(٧)] يقول: مَنْ كان من المسلمين فليدخلِ الجنة. رواه مجاهد عن ابن عباس[(٨)]. وقيل: إذا عاينُوا القيامة. ذكره الزجاج[(٩)]. وقيل: عند كلِّ حالة يعذَّبُ فيها الكافر ويَسْلَم المؤمن. ذكره ابن الأنباريّ[(١٠)].

---

(١) في المصدر السالف (والقول فيه): حانت.

(٢) السبعة ص٣٦٦، والتيسير ص١٣٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٤٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٤٩.

(٤) النكت والعيون ٣/ ١٤٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٠، وبنحوه في زاد المسير ٤/ ٣٨١.

(٥) بنحوه في تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٥٥.

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٠، وزاد المسير ٤/ ٣٨٠-٣٨١. وحديث أبي موسى أخرجه الطبري ١٤/ ٨، والثعلبي ٣/ ٤٧٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٤٢، وبمعناه في معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٧٢.

(٧) في (ح) و(د١) و(يه): حين.

(٨) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٧٩، وزاد المسير ٤/ ٣٨١.

(٩) بنحوه في معانيه ٣/ ١٧٢، وبلفظه عنه في زاد المسير ٤/ ٣٨٠.

(١٠) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٣٨١.

ثم أمرَ تعالى نبيَّه بأن يَذَرَهُم[(١)]، وهو أمرُ وعيدٍ لهم وتهديد، أي: ليسُوا ممَّن يَرْعَوِي عمَّا هو فيه من الكفر والتكذيب، ولا ممَّن تنفعُه النصيحة والتذكير، فهم إنما حظُّهم حظُّ البهائم من الأكل والتمتُّع بالحياة الدنيا، والأملُ في تحصيلها هو الذي يُلهيهم ويَشْغَلُهم عن الإيمان بالله ورسولِه.

وفي قوله: «يأكلوا ويتمتَّعوا» إشارة إلى أنَّ التلذُّذ والتنعُّم وعدمَ الاستعداد للموت والتأهُّب له ليس من أخلاق من يطلبُ النجاةَ من عذاب الله في الآخرة.

وعن بعض العلماء: التمرُّغ[(٢)] في الدنيا من أخلاق الهالكين.

وقال الحسن: ما أطالَ عبدٌ الأملَ إلا أساء العملَ[(٣)].

وانجزمَ «يأكلوا» وما عُطف عليه جواباً للأمر، ويظهرُ أنه أمرٌ بترك قتالهم وتخليةِ سبيلِهم[(٤)] وبمهادنتِهم ومُوَادَعتِهم، ولذلك ترتَّبَ أن يكون[(٥)] جواباً، لأنه لو شغلَهم بالقتال ومُصالتةِ السيوف وإيقاعِ الحرب ما هَناهُم أكلٌ ولا تمتُّع، ويدلُّ على ذلك أنَّ السُّورة مكيَّة، وإذا جعلتَ «ذَرْهُم» أمراً بترك نصيحتهم وشغلِ بالِه بهم، فلا يترتَّبُ عليه الجواب، لأنهم يأكلون ويتمتعون سواءٌ أتَرَكَ نصيحتَهم أم لم يتركها.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ ووعيدٌ، أي: فسوف يعلمون عاقبةَ أمرِهم وما يؤولون إليه في الدُّنيا من الذُّلِّ والقتل والسَّبْي، وفي الآخرة من العذاب السَّرْمَديّ.

ولمَّا توعَّدَهم بما يَحُلُّ بهم أردفَ ذلك بما يُشعِرُ بهلاكهم وأنه لا يُستبطَأ، فإنَّ له أجلاً لا يتعدَّاه، والمعنى: من أهل قرية كافرين، والظاهر أنَّ المراد بالهلاك هلاكُ الاستئصال لمكذِّبي الرُّسل، وهو أبلغُ في الزَّجر. وقيل: المرادُ الإهلاكُ بالموت.

---

(١) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى (غير ز١) ومطبوع البحر: ينذرهم، وتحتمل الوجهين في (ز١).

(٢) في (د١) ومطبوع البحر: التمتع. والقول في الكشاف ٢/ ٣٨٧، والكلام قبله فيه بنحوه.

(٣) القول في تفسير القرطبي ١٢/ ١٧٧-١٧٨ بأطول منه.

(٤) المثبت من (ح) و(د١). وفي النسخ الأخرى: وتخليته.

(٥) المثبت من (د١) والمطبوع، وعبارة النسخ الأخرى: ولذلك ترتب ذلك أن يكون. . .

والواو في قوله: «وَلَها» واو الحال. وقال بعضهم: مقحمة، أي: زائدة. وليس بشيء. وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة بإسقاطها[١].

وقال الزمخشريّ[٢]: الجملة واقعة صفةً لـ «قرية» والقياسُ أن لا تتوسَّطَ الواو بينَهما كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] وإنما توسَّطَتْ لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب. انتهى. ووافقَه على ذلك أبو البقاء، فقال[٣]: الجملة نعت لـ «قرية» كقولك: ما لَقِيتُ رجلاً إلا عالماً. قال: وقد ذكرنا حالَ الواو في مثل هذا في البقرة في قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [٢١٦] انتهى.

وهذا الذي قاله الزمخشريُّ وتَبِعَه فيه أبو البقاء لا نعلمُ أحداً قاله من النحويِّين[٤]، وهو مبنيّ على أنَّ ما بعدَ «إلَّا» يجوزُ أن يكون صفة، وقد منعوا ذلك. قال الأخفش: لا يُفصل بين الصفة والموصوف بـ «إلا»، ثم قال: ونحوُ: ما جاءني رجلٌ إلا راكبٌ، تقديرُه: إلا رجلٌ راكبٌ، وفيه قُبح لِجَعْلك الصفةَ كالاسم.

وقال أبو عليّ الفارسيّ: تقول: ما مررتُ بأحدٍ إلا قائماً ـ «قائماً» حال من «أحد» ـ ولا يجوز: إلا قائمٍ، لأنَّ «إلا» لا تعترضُ بين الصفة والموصوف.

وقال ابن مالك وقد ذكرَ ما ذهب إليه الزمخشريّ من قوله في نحو: ما مررتُ بأحدٍ إلا زيدٌ خيرٌ منه: إنَّ الجملة بعد «إلا» صفة لـ «أحد»: إنَّه مذهب لم يُعرف لبصريّ ولا كوفيّ، فلا يُلتفتُ إليه. وأبطلَ ابنُ مالك قولَ الزمخشريّ: إنَّ الواو توسَّطت لتأكيد لُصوق الصفة بالموصوف[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٠.
(٢) الكشاف ٢/ ١٨٧.
(٣) الإملاء ٢/ ٧٢.
(٤) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٧/ ١٤٢: في محفوظي أنَّ ابنَ جني سبقهما إلى ذلك.
(٥) للسمين تعقُّب على هذا الكلام بأن الصفة كالحال في المعنى وإن كان بينهما فرق من بعض الوجوه. وينظر تتمة كلامه.

وقال القاضي منذر بنُ سعيد: هذه الواو هي التي تعطي أنَّ الحالة التي بعدَها في اللفظ هي في الزمن قبلَ الحالة التي قبل الواو، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] انتهى.

والظاهر أنَّ الكتاب المعلوم هو الأجلُ الذي كُتب في اللوح وبُيِّن؛ يَدُلُّ على ذلك ما بعدَه. وقيل: مكتوبٌ فيه أعمالُهم وأعمارُهم وآجالُ هلاكِهم.

وذكرَ الماورديّ «كتاب معلوم» أي: فرضٌ محتوم، و«مِن» زائدة تفيدُ استغراقَ الجنس، أي: ما تسبقُ أمةٌ، وأنَّثَ «أَجَلَها» على لفظ «أُمَّة»، وجمعَ وذَكَّرَ في «وما يستأخرون» حملاً على المعنى[1]، وحذف «عنه» لدلالةِ الكلام عليه.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

قال مقاتل: نزلت في عبد الله بن أمية[2] والنَّضْرِ بنِ الحارث ونوفل بنِ خُويلد والوليد بنِ المغيرة.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «نَزَلَ عليه الذِّكْر» ماضياً مخفَّفاً مبنيّاً للفاعل. وقرأ الأعمش[3]: «يا أيها الذي أُلْقِيَ إليه[4] الذِّكْرُ» وينبغي أن تُجعل هذه القراءة تفسيراً لأنها مخالفة لسَوَاد المصحف.

وهذا الوصفُ بأنه الذي نُزِّلَ عليه الذِّكر قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف، لأنهم لا يُقِرُّون بتنزيل الذِّكر عليه ويَنْسُبونَه إلى الجُنون، وهذا كقولِ

(١) بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٨٧.
(٢) كذا في النسخ، والصواب: بن أبي أمية، كما في زاد المسير ٤/ ٣٨٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥١. واسم أبي أمية حذيفة، وقيل: سهل، وهو ابن المغيرة المخزومي. وقد أسلم عبد الله عام الفتح وحسن إسلامه. ينظر الإصابة ٦/ ١١.
(٣) قوله: الأعمش، من (ز١) و(يه). وسقط من النسخ الأخرى.
(٤) في (يه): عليه، وهو كذلك في القراءات الشاذة ص٧٠، والكشاف ٢/ ٣٨٧، وبرواية «إليه» في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥١.

فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[(١)] [الشعراء: ٢٧]، إذْ لو كان مؤمناً برسالة موسى[(٢)] ما أخبر عنه بالجنون.

ثم اقترحوا عليه أن يأتيَهم بالملائكة شاهدين لصدقك ولصحةِ دعواك وإنذارِك كما قال: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧]، أو مُعاقِبين على تكذيبك كما كانت تأتي الأممَ المكذِّبةَ[(٣)].

وقرأ الحِرْمِيَّان والعربيَّان: «ما تَنَزَّلُ» مضارع تَنَزَّلَ، أي: ما تَتَنَزَّلُ، «الملائكةُ» بالرفع. وقرأ أبو بكر ويحيى بن وثَّاب: «ما تُنَزَّلُ» بضمّ التاء وفتح النون والزاي «الملائكةُ» بالرفع. وقرأ الأخَوان وحفص وابنُ مُصَرِّف: «ما نُنَزِّلُ» بضمّ النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي «الملائكةَ» بالنصب[(٤)].

وقرأ زيد بنُ علي: «ما نَزَلَ» ماضياً مخفَّفاً مبنيًّا للفاعل «الملائكةُ» بالرفع.

و«الحقّ» هنا: العذاب؛ قاله الحسن، أو الرسالة؛ قاله مجاهد، أو قبض الأرواح عند الموت؛ قاله ابنُ السائب، أو القرآن؛ ذكره الماورديّ[(٥)].

وقال الزمخشريّ[(٦)]: [«إلَّا بالحقِّ»]: إلَّا تَنَزُّلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة، ولا حكمةَ في أنْ تأتيَكم عِياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبيِّ ﷺ، لأنكم حينئذٍ مصدِّقون عن اضطرار.

وقال ابن عطية[(٧)]: والظاهرُ أنَّ معناها كما يجبُ ويَحِقُّ من الوحي والمنافع التي أرادها الله تعالى لعباده، لا على اقتراح كافر، ولا باختيار معترض. ثم ذكرَ

---

(١) قوله: وهذا كقول فرعون... الخ، من (ز١) و(يه)، وسقط من النسخ الأخرى والمطبوع. والكلام بنحوه في الكشاف ١/ ٣٨٧.
(٢) في (ح) و(د١) و(يه): برسالته، بدل: برسالة موسى.
(٣) بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٨٧.
(٤) ينظر السبعة ص٣٦٦، والتيسير ص١٣٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥١، قوله: الحِرْمِيّان، أي نافع المدني وابن كثير المكي، والعربيَّان: أبو عمرو البصري وابن عامر الشامي.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٧-١٨، والنكت والعيون ٣/ ١٤٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥١. والكلام في زاد المسير ٤/ ٣٨٤.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٨٧. وزدتُ منه ما بين حاصرتين (وهو لفظ الآية) للإيضاح.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥١.

عادةَ الله في الأمم من أنه لم يأتهم بآيةِ اقتراح إلا ومعها العذاب في إثرها إنْ لم يؤمنوا، فكأنَّ الكلام: ما نُنَزِّلُ الملائكةَ إلا بحقٍّ واجبٍ لا باقتراحِكم، وأيضاً فلو نزلَتْ لم تُنظَرُوا بعد ذلك بالعذاب، أي: تُؤَخَّرُوا، المعنى: وهذا لا يكون، إذْ كان في علم الله أنَّ منهم من يؤمنُ أو يَلِدُ مَنْ يُؤمن.

وقال الزمخشريّ. و«إذن» جوابٌ وجزاء، لأنَّه جوابٌ لهم، وجزاءٌ لِشرطٍ مقدَّر، تقديرُه: ولو نزَّلْنا الملائكةَ ما كانوا مُنظَرين وما أُخِّرَ عذابُهم.

ولمَّا قالوا على سبيل الاستهزاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ رَدَّ عليهم بأنَّه هو المنزِّلُ عليه، فليس من قِبَلِه ولا قِبَلَ أحدٍ، بل هو تعالى الذي بعثَ به جبريلَ عليه السلام إلى رسوله، وأكَّدَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ بدخول «إنَّ»، وبلفظ «نحن» و«نحنُ» مبتدأ، أو تأكيد لاسم «إنَّ».

ثم قال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ أي: حافظون له من الشياطين، وفي كلِّ وقت تكفَّل تعالى بحفظه، فلا تعتريه زيادة ولا نقصان، ولا تحريفٌ ولا تبديل، بخلاف غيرِه من الكتب المتقدِّمة، فإنه تعالى لم يتكفَّل حِفْظَها، بل قال تعالى: إنَّ الرَّبَّانيِّين والأحْبارَ استُحفظوها[1]، ولذلك وقع فيها الاختلافُ، وحفظُه إيَّاه دليلٌ على أنه من عنده تعالى، إذ لو كان من قول البشر لتطرَّقَ إليه ما تطرَّق لكلام البشر.

وقال الحسن: حِفْظُه بإبقاء شريعتِه إلى يوم القيامة[2].

وقيل: يحفظُه في قلوب من أرادَ بهم خيراً[3]؛ حتى لو غيَّر أحدٌ نقطةً لقالَ له الصِّبيان: كذبتَ، وصوابُه كذا، ولم يتفق هذا لشيءٍ من الكتب سِواه، وعلى هذا فالظاهرُ أنَّ الضمير في «له» عائدٌ على «الذِّكر» لأنه المُصَرَّحُ به في الآية، وهو قولُ الأكثر؛ مجاهدٍ وقتادةَ وغيرِهما[4].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. والكلام أعلاه هو بمعنى قول لسفيان بن عُيينة جاء ضمن قصة أوردها القرطبي ١٢/ ١٨١. وينظر الكشاف ٢/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٢) لفظه في النكت والعيون ٣/ ١٤٩: حفظُه حتى يجزى به يوم القيامة.

(٣) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٤٩.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ١٨-١٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٢، وزاد المسير ٤/ ٣٨٤.

وقالت فرقة: الضمير في «له» عائد على رسول الله ﷺ، أي: يحفظُه من أذاكم ويَحُوطُه من مكرِكم[١]، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي ضمن هذه الآية التبشيرُ بحياة رسول الله ﷺ حتى يُظهِرَ اللهُ به الدِّين.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى استهزاءَ الكفار به عليه الصلاة والسلام ونِسبتَه إلى الجنون واقتراحَ نزولِ الملائكة؛ سَلَّاه تعالى بأنَّ مَنْ أُرسِلَ من قبلك كان دَيْدَنُ المُرْسَل إليهم مثلَ دَيْدَنِ هؤلاء معك.

وتقدَّم تفسير الشِّيَع في أواخر الأنعام.

ومفعول «أرْسَلْنا» محذوف، أي: رسلاً من قبلك. وقال الفرَّاء: «في شِيَع الأوَّلين» هو من إضافة الشيء إلى صفته[٢]، كقوله: ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، و﴿بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤] أي: الشِّيَع الأوَّلين، وهذا لا يقولُ به سيبويه بل البصريُّون يتأوَّلون ذلك على حذف الموصوف، أي: في شِيَع الأمم الأوَّلين، والأوَّلُون هم الأقدمون.

وقال الزمخشري[٣]: «وما يأتيهم» حكايةُ حالٍ ماضية لأنَّ «ما» لا تدخلُ على مضارع إلا وهو في موضع الحال، ولا على ماضٍ إلا وهو قريبٌ من الحال. انتهى. وهذا الذي ذكرَه هو قولُ الأكثر من أنَّ «ما» تخلِّص المضارعَ للحال وتعيِّنه له، وذهب غيرُه إلى أنّ «ما» يكثُرُ دخُولُها على المضارع مراداً به الحالُ، وتدخلُ

---

(١) أورده الطبري ١٤/١٩، والثعلبي ٣/٤٧٩ بصيغة «قيل» دون نسبة، ونُسب في زاد المسير ٤/٣٨٤ لابن السائب ومقاتل، والكلام في المحرر الوجيز ٣/٣٥١-٣٥٢.

(٢) في الدر المصون ٧/١٤٦: من إضافة الموصوف إلى صفته، ووقع في تفسير الرازي ١٩/١٦٢ (وفيه كلام الفراء): من إضافة الصفة إلى الموصوف. ولم أقف عليه في معاني الفراء.

(٣) الكشاف ٢/٣٨٨.

عليه مُراداً به الاستقبال، وأُنشِدَ شاهداً على ذلك قولُ أبي ذؤيب:

أَوْدَى بَنِيَّ وأَوْدَعُونِي حَسْرَةً عِندَ الرُّقَادِ وعَبْرَةً ما تُقْلِعُ[١]

وقولُ الأعشى يمدحُ الرَّسولَ عليه الصلاة والسلام:

لهُ نافلاتٌ ما يُغِبُّ نَوَالُها وليس عَطاءُ اليومِ مانِعَهُ غَدَا[٢]

وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥].

والضمير في «نسلُكُهُ» عائدٌ على الذِّكر. قاله الزَّمخشريّ؛ قال[٣]: والضمير للذِّكر، أي: مِثْلَ ذلك السَّلْكِ ونحوِهِ نَسْلُكُ الذِّكْرَ في قلوب المجرمين، على معنى أنه يُلقيه في قلوبهم مكذَّباً مستهزَأً به غيرَ مقبول؛ كما لو أنزلتَ بلئيم حاجةً فلم يُجِبْك إليها، فقلت: كذلك أُنزلُها باللئام، يعني مثلَ هذا الإنزال أُنزلُها بهم مردودةً غيرَ مقضيَّة، ومحلُّ قوله: «لا يؤمنون» النصبُ على الحال، أي: غيرَ مُؤمَنٍ به، أو هو بيانٌ لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ انتهى.

وما ذهب إليه من أنَّ الضمير عائدٌ على الذِّكر ذكره الغزنويّ عن الحسن؛ قال الحسن: معناه نسلُكُ الذِّكْرَ إلزاماً للحُجَّة[٤].

وقال ابنُ عطيَّة: الضمير في «نَسْلُكُه» عائدٌ على الاستهزاءِ والشِّرْكِ ونحوِه، وهو قولُ الحسن وقتادة وابنِ جُرَيْج وابنِ زيد[٥]، ويكون الضمير في «به» يعودُ أيضاً على ذلك بعينه[٦]، وتكون باءَ السبب، أي: لا يؤمنون بسبب شركهم

---

(١) شرح التسهيل ١/ ٣١، وفيه: وأعقبوني، بدل: وأودعوني، وروايتُه في ديوان الهذليين ص٢:

أَوْدَى بَنِيَّ وأعقبوني غُصَّةً بعدَ الرُّقادِ وعَبْرَةً لا تُقْلِعُ

(٢) هو في شرح التسهيل ١/ ٣١ برواية: له نائلات... ورواية صدره في ديوان الأعشى ص١٨٧: له صدقات ما تُغِبُّ ونائلٌ.

وقوله: ما تُغِبُّ، أي: ما تنقطع.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٨٨.

(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٣، وهو بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٥٠.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٢. وأخرج الطبري أقوالهم ١٤/ ٢٠-٢١.

(٦) المثبت من (ز١) و(يه)، وهو كذلك في المحرر الوجيز، وفي النسخ الأخرى: نفسه.

واستهزائهم، ويكون قوله: «لا يؤمنون به» في موضع الحال، ويحتمل أن يكون الضمير في «نَسْلُكُه» عائداً على الذِّكر المحفوظ المتقدِّم الذِّكْر، وهو القرآن، أي مُكَذَّباً به مردوداً مستهزأً به يُدخِلُه في قلوب المجرمين، ويكون الضمير في «به» عائداً عليه. ويحتمل أن يكون الضمير في «نَسْلُكُهُ» عائداً على الاستهزاء والشِّرك، والضمير في «به» يعود على القرآن، فيختلف على هذا عَوْدُ الضميرَيْن. انتهى.

وروى ابنُ جُريج عن مجاهد: نَسلكُ التكذيب[1]. فعلى هذا تكون الباء في «به» للسبب.

والذي يظهر عَوْدُه على الاستهزاء المفهوم من قوله: «يستهزئون». والباء في «به» للسبب.

والمجرمون هنا كفار قريش ومَنْ دعاهم الرسول إلى الإيمان.

و«لا يؤمنون» إن كان إخباراً مستأنفاً فهو من العامّ المراد به الخصوص فيمن حُتِمَ عليه، إذ قد آمنَ عالَم ممَّن كذَّب الرسول ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في تكذيبهم رسلَهم، أو في إهلاكهم حين كذبوا رسلَهم واستهزؤوا بهم. وهو تهديدٌ لمشركي قريش.

والضمير في «عليهم» عائدٌ على المشركين، وذلك لِفَرْط تكذيبهم وبُعدِهم عن الإيمان حتى يُنكروا ما هو محسوسٌ مشاهَد بالأعين، مُماسٌّ بالأجساد بالحركة والانتقال، وهذا بحسب المبالغة التامَّة في إنكار الحقّ.

والظاهرُ أنَّ الضمير في «فظلُّوا» عائد على مَنْ عادَ عليه في قوله: «عليهم» أي: لو فُتح لهم بابٌ من السماء وجُعل لهم معراجٌ يصعدون فيه لقالوا: هو شيءٌ نتخيَّلُه لا حقيقةَ له وقد سُحِرْنا بذلك[2].

وجاء لفظ «فظلُّوا» مشعراً بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضِحين لِما عايَنُوا؛ على أنَّ «ظَلَّ» يأتي بمعنى «صارَ» أيضاً.

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٣. وهو عن ابن جُريج قوله في تفسير الطبري ١٤/ ٢٠-٢١، والنكت والعيون ٣/ ١٥٠، وزاد المسير ٤/ ٣٨٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٢٥، والنكت والعيون ٣/ ١٥١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣، وزاد المسير ٤/ ٣٨٦.

وعن ابن عباس أنَّ الضميرَ في «فظلُّوا» يعودُ على الملائكة[١] لقولهم: «لو ما تأتينا بالملائكة» أي: ولو رأوا الملائكةَ تصعدُ وتتصرَّف في بابٍ مفتوحٍ في السماء لَمَا آمنوا.

وقرأ الأعمش وأبو حَيوة: «يَعْرِجُون» بكسر الراء[٢]، وهي لغةُ هُذَيْل في العُروج بمعنى الصعود. وجاء لفظ «إنَّما» مشعراً بالحَصْر، كأنه قال: ليس ذلك إلا تسكيراً للأبصار.

وقرأ الحسن ومجاهد وابنُ كثير: «سُكِرَتْ» بتخفيف الكاف مبنيًّا للمفعول، وقرأ باقي السبعة بشدِّها مبنيًّا للمفعول[٣].

وقرأ الزُّهريّ بفتح السين وكسر الكاف مخفَّفةً مبنيًّا للفاعل[٤]؛ شبَّهوا رؤيةَ أبصارِهم برؤية السَّكران لقلَّةِ تصوُّرِهِ ما يراه.

فأمَّا قراءةُ التشديد: فعن ابن عبَّاس وقتادة مُنِعَتْ عن رؤية الحقيقة، من السُّكْر، بكسر السين، وهو السَّدُّ والحَبْس، وعن الضحَّاك: سُدَّتْ[٥]، وعن جُوَيْبر[٦]: خُدِعَتْ، وعن مجاهد: حُبِسَتْ، وعن الكلبيّ: عَمِيَتْ، وعن أبي عَمرو غُطِّيَتْ، وعن قتادة أيضاً: أُخِذَتْ، وعن أبي عُبيد: غُشِّيَتْ[٧].

وأما قراءة التخفيف؛ فقيل: كالتشديد[٨] إلا أنَّه للتكثير، والتخفيف يؤدِّي عن معناه.

---

(١) يعني في قول ابن عباس أن الملائكة هي المشار إليها بالعروج، وقولُه في المصادر السالفة.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣.
(٣) السبعة ص٣٦٦، والتيسير ص١٣٦، ومعاني النحاس ٤/ ١٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣، وفيه: ابن الزُّهري. وجاء في القراءات الشاذة ص٧٠-٧١: سكرت أبصارهم.
(٥) بالسين المهملة، وتحرَّفت في النسخ الخطية والمطبوع إلى: شدت، بالشين، وكذا كلمة «السَّدّ» قبلها.
(٦) تحرَّفت اللفظة في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: جوهر. ولم ترد في (ح) و(د١).
(٧) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٤/ ٢٦-٢٩، والنكت والعيون ٣/ ١٥١، وزاد المسير ٤/ ٣٨٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٨٤.
(٨) المثبت من (ز١) و(به). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: بالتشديد، وهو تحريف.

وقيل: معنى التشديد: أُخِذَتْ، ومعنى التخفيف: سُحِرَتْ[١]، والمشهور أنَّ «سَكَرَ» لا يتعدَّى. قال أبو علي: ويجوز أن يكون سُمع متعدِّياً في البصر.

وحكى أبو عبيد عن أبي عبيدة أنه يقال: سُكِّرَتْ أبصارُهم إذا غَشِيَها سُهاد[٢] حتى لا يُبصروا.

وقيل: التشديد من سَكْرِ الماء، والتخفيف من سُكْرِ الشراب[٣]، وتقول العرب: سَكَرتِ الرِّيح تَسْكُر سكراً[٤]: إذا رَكَدَتْ، ولم تَنفُذ لِما كانت بسبيله أوَّلاً، وسَكِرَ الرجلُ من الشراب سُكْراً: إذا تغيَّرت حالُه ورَكَدَ ولم يَنْفُذْ فيما كان للإنسان أن يَنفُذَ فيه، ومن هذا المعنى: سَكْرَانُ لا يَبُتُّ، أي: لا يقطعُ أمراً[٥]. وتقول العرب: سَكَرْتُ [البَثْقَ][٦] في مجاري الماء إذا طَمَسْتَهُ وصَرَفْتَ الماء عنه[٧]، فلم يَنْفُذ لوجهه، فإن كان من سُكْرِ الشراب، أو من سكر الريح[٨] فالتضعيف للتعدية، أو من سَكْرِ مجاري الماء فللتكثير لأنَّ مخفَّفَهُ متعدٍّ، وأما «سُكِرَت» بالتخفيف، فإنْ

---

(١) النكت والعيون ٣/ ١٥١.
(٢) كذا في النسخ. والسُّهاد: الأَرَق. والذي في مجاز القرآن ١/ ٣٤٧: «سَمادِير» وهو ضعف البصر عند السُّكر من الشراب، وكذا هو فيمن نقلَه عن أبي عبيدة كالنحاس في معانيه ٤/ ١٤، والقرطبي ١٢/ ١٨٥. وينظر الطبري ١٤/ ٢٨.
(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٥.
(٤) في اللسان وغيره: سَكَرَتِ الرِّيحُ تَسْكرُ سُكُوراً وسَكَراناً... الخ. وبنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣ والكلام منه. ولم يرد في هذا المعنى مصدر «سكراً».
(٥) أي: لا يقطع أمراً من سُكره. ويقال: يَبُتُّ، ويَبِتُّ، ويُبِتُّ، وأنكر الأصمعي الأخيرة. ينظر أدب الكاتب ص٥٦، والزاهر ١/ ٤٦٩، واللسان (بتت).
(٦) كلمة البَثْق بين حاصرتين من كتب اللغة، ومكانها بياض في (ز١)، وسقطت من النسخ الأخرى، ووقع بدلاً منها في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣ (والكلام فيه): الفَتْق. والبَثْق (بفتح الباء وكسرها): منبعث الماء. وينظر أدب الكاتب ص٣٣٤. وتهذيب اللغة ١٠/ ٥٦ (سكر).
(٧) لفظة «عنه» من (ز١) و(يه) وسقطت من النسخ الأخرى، ولفظة «طمستَه» من (ز١) وهي كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٣، ووقع في النسخ الأخرى والمطبوع: طمست.
(٨) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٤: سكور الريح، ولم أقف على المصدر «سكر» لسكور الريح في كتب اللغة، وذكره الرازي ١٩/ ١٦٧.

كان من سَكْر الماء ففعلُه متعدٍّ، أو من سُكْر الشراب أو الرِّيح فيكون من باب وَجِعَ زيد ووَجِعَهُ غيرُه، فتقول: سَكِرَ الرجلُ وسَكِرَه غيرُه، وسَكَرَتِ الرِّيح وسَكَرَها غيرُها، كما جاء: سَعدَ زيدٌ وسَعِدَه غيرُه.

ولخَّص الزمخشريُّ في هذا فقال: و«سُكِّرَتْ»: حُيِّرَتْ أو حُبِسَتْ[1]، مِن السُّكْر أو السَّكْر، وقُرئ: «سُكِرَتْ»[2] بالتخفيف، أي: حُبِسَتْ كما يُحبس النهرُ عن الجَرْي. انتهى.

وقرأ أبان بن تغلب: «سُحِرَتْ أبصارُنا» ويجيءُ قولُه: «بل نحن قومٌ مسحورون» انتقالاً إلى درجة عظمى من سحر العقل[3]، وينبغي أن تُجعل هذه القراءةُ تفسيرَ معنًى لا تلاوةً؛ لمخالفتها سَوَادَ المصحف. وجاء جوابَ «ولو» قولُه: «لقالوا» أي: إنهم يشاهدون ما يشاهدون ولا يشكُّون في رؤية المحسوس، ولكنهم يقولون ما لا يعتقدون مواطأةً على العِناد ودفع الحُجَّة، ومكابرةً وإيثاراً للغَلَبة، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى حالَ منكري النُّبوَّة وكانت مفرَّعةً على التوحيد؛ ذكرَ دلائلَه السماويةَ وبدأ بها، ثم أتْبَعَها بالدلائل الأرضيَّة.

وقال ابنُ عطية: لمَّا ذكرَ تعالى أنهم لو رأوا الآيةَ المذكورةَ في السماء لعاندوا فيها عَقَّبَ ذلك بهذه الآية كأنه قال: وإنَّ في السماء لَعِبَراً منصوبةً غيرَ هذه[4] المذكورة، وكفرُهم بها وإعراضُهم عنها إصرارٌ منهم وعُتُوّ. انتهى.

والظاهر أنَّ «جَعَلْنا» بمعنى: خَلقْنا، و«في السماء» متعلِّق بـ «جَعَلْنا»، ويحتمل أن يكون بمعنى: صَيَّرنا، و«في السماء» المفعول الثاني، فيتعلق بمحذوف.

---

(١) في الكشاف ٢/٣٨٩: حُبست من الإبصار.
(٢) لفظة «سُكِرَتْ» من (ز١) و(به)، وهي أيضاً في المصدر السالف، والكلام منه.
(٣) المحرر الوجيز ٣/٣٥٣، وفيه قراءة أبان السالفة.
(٤) المثبت من (ز١) و(به) وهو كذلك في المصدر السالف، والكلام منه. وفي النسخ الأخرى والمطبوع: عبر عن هذه.

والبروج جمع بُرْج، وتقدَّم شرحُه لغةً؛ قال الحسن وقتادة: هي النُّجوم[١]، وقال أبو صالح: الكواكبُ السيَّارة[٢].

وقال عليُّ بنُ عيسى: اثنا عشرَ بُرْجاً: الحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزَاء، والسَّرَطان، والأسَد، والسُّنبلة، والميزان، والعَقْرَب، والقَوْس، والجَدْي، والدَّلْو، والحُوت، وهي منازلُ الشَّمس والقمر[٣].

وقال عطيَّة[٤]: قصورٌ في السماء فيها الحَرَس، وهي المذكورة في قوله: ﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجنّ: ٨].

وقيل: الفَلَك اثنا عَشَرَ بُرْجاً؛ كلُّ بُرْجٍ منزلتان وثُلث[٥].

والظاهرُ أنَّ الضمير في «وزيَّنّاها» عائد على البُرُوج لأنها المُحدَّثُ عنها والأقرب في اللفظ، وقيل: على السماء، وهو قولُ الجمهور، وخُصَّ بالناظرين؛ لأنها من المحسوسات التي لا تُدْرَك إلا بنظر العين، ويجوزُ أن يكون من نَظَر القلب لِما فيها من الزِّينة المعنوية، وهو ما فيها من حُسن الحِكَم وبدائعِ الصُّنع وغرائبِ القدرة.

والضمير في «وحَفِظْناها» عائدٌ على «السَّماء»، ولذلك قال الجمهور: إنَّ الضمير في «وزَيَّنّاها» عائد على «السماء» حتى لا تختلف الضمائر.

وحِفْظُ السماء هو بالرَّجْم بالشُّهُب على ما تضمَّنته الأحاديث الصِّحاح، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشياطينَ تَقْرُبُ من السماء أفواجاً، فينفردُ الماردُ منها فيستمع،

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٣١، والنكت والعيون ٣/ ١٥٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٨٧.
(٢) النكت والعيون ٣/ ١٥٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٨٧، ولفظه فيهما: الكواكب العظام، يعني السبعة السيارة.
(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٨١، والنكت والعيون ٣/ ١٥٢.
(٤) في (د١) و(د٢) و(يه) والمطبوع: ابن عطية، وهو خطأ. وعطيَّة: هو العَوْفي، وقولُه في النكت والعيون ٣/ ١٥٢، وزاد المسير ٤/ ٣٨٧، وهو دون نسبة في تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٧.
(٥) المثبت من (ز١) و(يه). وجاء كذلك في لسان العرب (برج) ومفتاح دار السعادة ٢/ ١٩٥، ولفظ القرطبي ١٧/ ٤٤٦: لكل برج منزلان وثلث. ووقع في النسخ الأخرى ومطبوع البحر وأصول تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٦ (عند تفسير هذه الآية): ميلان ونصف. وهو خطأ.

فيُرْمَى بالشّهاب، فيقول لأصحابه وهو يلتهب: إنه الأمرُ كذا وكذا، فتزيدُ الشياطينُ في ذلك، ويُلقون إلى الكَهَنة، فيزيدون مع[1] الكلمة مئة ونحو هذا». الحديث[2].

وقال ابن عباس: إنَّ الشُّهُبَ تجرحُ[3] وتؤذي ولا تَقْتُل. وقال الحسن: تَقْتُل[4].

وفي الأحاديث ما يدلُّ على أنَّ الرَّجم كان في الجاهلية ولكنه اشتدَّ في وقت الإسلام، وحُفظت السماءُ حِفظاً تاماً[5].

وعن ابن عباس: كانوا لا يُحجبون عن السماوات، فلما وُلد عيسى مُنعوا من ثلاث سماوات، فلما وُلد محمد ﷺ مُنعوا من السماوات كلِّها[6].

والظاهر أنَّ قولَه: «إلا مَنِ استرقَ» استثناء متصل، والمعنى: فإنها لم تُحفظ منه، ذكره الزّهراوي وغيرُه، والمعنى أنه سمع من خبرها شيئاً وألقاه إلى الشياطين. وقيل: هو استثناء منقطع، والمعنى أنها حُفظت منه، وعلى كلا التقديرَيْن ف «مَنْ» في موضع نصب.

وقال الحَوْفي: «مَنْ» بدل من «كلِّ شيطان»، وكذا قال أبو البقاء[7]: جَرَّ على البَدَل، أي: إلا ممَّن استرقَ السمع. وهذا الإعرابُ غيرُ سائغ لأنَّ ما قبلَه مُوجَب، فلا يمكن التفريغ، فلا يكون بدلاً، لكنه يجوز أن يكون «إلا مَنِ استرقَ» نعتاً على خلافٍ في ذلك.

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه). وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٤ والخبر فيه. وفي النسخ الأخرى والمطبوع: فيزيدون على.

(٢) الخبر في تفسير الثعلبي ٣/ ٤٨١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٤، وأخرجه بنحوه الطبري ١٤/ ٣٢ عن ابن عباس، وينظر حديثُه في هذا الباب في مسند أحمد (١٨٨٢) وصحيح مسلم (٢٢٢٩).

(٣) المثبت من (ز١)، ووقع في النسخ الأخرى والمطبوع: تخرج، وهو خطأ.

(٤) القولان في النكت والعيون ٣/ ١٥٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٤، وأخرج الطبري ٢٤/ ٣٣ قولَ ابن عباس.

(٥) هذا كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٤-٣٥٥.

(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٨١، والكشاف ٢/ ٣٨٩، وزاد المسير ٤/ ٣٨٩، ونُسب القول في النكت والعيون ٣/ ١٥٢ للكلبي.

(٧) الإملاء ٢/ ٧٢-٧٣.

وقال أبو البقاء: ويجوزُ أن يكون «مَنْ» في موضع رفع على الابتداء، و«فَأَتْبَعَهُ» الخبر، وجازَ دخولُ الفاء من أجل أنَّ «مَنْ» بمعنى «الذي» أو شرط. انتهى.

والاسْتِرَاق افتعال من السرقة، وهي أخْذُ الشيء بخُفْيَة، وهو أنْ يَخْطَفَ الكلامَ خَطْفةً يسيرة، و«السَّمْعُ»: المسموع، ومعنى «مُبِين» ظاهرٌ للمُبْصِرين[1].

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾.

«مَدَدْناها»: بَسَطْناها لِيحصُلَ بها الانتفاعُ لمن حَلَّها، قال الحسن: أخذَ الله طينةً فقال لها: انبسطي، فانبسطَتْ[2]. وقيل: بُسطت من تحت الكعبة[3].

ولمَّا كانت هذه الجملةُ بعدَها جملةٌ فعليةٌ كان النصبُ على الاشتغال أرجحَ من الرفع على الابتداء، فلذلك نُصب «والأرضَ».

والرواسي: الجبال، وفي الحديث: «إنَّ الأرض كانت تتكفَّأ بأهلها كما تتكفَّأ السفينة، فثبَّتها الله بالجبال»[4].

و«مِنْ» في «مِنْ كلِّ» للتبعيض، وعند الأخفش هي زائدة، أي: كلَّ شيء، والظاهر أنَّ الضمير في «فيها» يعودُ على الأرض الممدودة. وقيل: يعودُ على الجبال، وقيل: عليها وعلى الأرض معاً.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٩.

(٢) قطعة من خبر عن قتادة نسبه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٩٥ للطبري، ولم أقف عليه في تفسيره.

(٣) تفسير السمرقندي ٢/ ١٨٢، وبنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٣٤ والنكت والعيون ٣/ ١٥٣ عن قتادة.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٥، وذكر في النكت والعيون ٤/ ٣٣٠ بلفظة «قيل»، وهو بنحوه قطعة من حديث لأنس بن مالك ﷺ أخرجه الترمذي (٣٣٦٩) وقال: حديث غريب.

قال ابن عباس وابنُ جُبير: «مَوْزُون» مقدَّر بقَدْر[(١)].

وقال الزمخشري قريباً منه؛ قال[(٢)]: وُزِنَ بميزان الحكمة، وقُدِّرَ بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان.

وقال ابن عطية: قال الجمهور: معناه مقدَّر محرَّر بقصدٍ وإرادة، فالوزنُ على هذا مستعار، وقال ابنُ زيد: المراد ما يُوزنُ حقيقةً كالذهب والفضة وغير ذلك مما يُوزن[(٣)].

وقال قتادة: «موزون»: مقسوم، وقال مجاهد: معدود[(٤)].

وقال الزمخشري: أوْ لهُ وزنٌ وقَدْرٌ في أبواب النعمة والمنفعة[(٥)]. وبسَطَه غيرُه فقال: ما له منزلةٌ، كما تقول: ليس له وزن، أي: قَدْر ومنزلة، ويقال: هذا كلامٌ موزون، أي: منظومٌ غيرُ منتثر، فعلى هذا أي: أنبتنا فيها ما يُوزَنُ من الجواهر والمعادن والحيوان، وقال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] والمقصود بالإنبات الإنشاء والإيجاد.

وقرأ الأعرج وخارجة عن نافع: «معائش» بالهمز، قال ابنُ عطية[(٦)]: والوجهُ تركُ الهمز، وعلَّلَ ذلك بما هو معروف في النحو[(٧)].

---

(١) النكت والعيون ٣/ ١٥٣، وزاد المسير ٤/ ٣٩١. وأخرجه الطبري ١٤/ ٣٤ بنحوه عن ابن عباس.

(٢) الكشاف ٢/ ٣٨٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٥.

(٤) كذا في النكت والعيون ٣/ ١٥٤ وتفسير القرطبي ١٢/ ١٩١، وقول مجاهد في تفسير الطبري ١٤/ ٣٥-٣٦ وزاد المسير ٤/ ٣٩١: مقدور. ولعل «معدود» محرَّفة عنها.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٨٩.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٥، وقراءة الأعرج فيه، ووقع في مطبوعه: الأعمش، بدل: الأعرج، وهو خطأ، وجاء فيه على الصواب في آية الأعراف (١٠) ٢/ ٣٧٧، وذكرها أيضاً في آية الأعراف النحاس في إعراب القرآن ٢/ ١١٥، وابن خالويه في الشاذة ص٤٢، والقرطبي ١٢/ ١٦٠.

(٧) قال ابن عطية: لأن أصل ياء «معيشة» الحركة، فيردُّها إلى الأصل الجمعُ، بخلاف: مدينة ومدائن.

وقال الزمخشري: «معايش» بياء صريحة، بخلاف: الشمائل والخبائث. فإنَّ تصريح الياء فيها خطأ، والصواب الهمزة، أو إخراج الياء بَيْن بَيْن، وتقدَّم تفسير «المعايش» أوَّل الأعراف.

والظاهر أنَّ «مَنْ» لمن يعقل، ويُراد به العِيال والمماليك والخَدَم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون، فإنَّ اللهَ هو الرَّزَّاق، يرزقُكم وإياهم، وقال معناه الفرَّاء، أو يدخلُ معهم ما لا يعقل بحكم التغليب كالأنعام والدَّوابِّ وما بتلك المثابة ممَّا اللهُ رازقُه، وقد سبقَ إلى ظنِّهم أنهم الرَّازقون. وقال معناه الزَّجَّاج[1].

وقال مجاهد: الدَّوابُّ والأنعامُ والبهائم[2]. وقيل: الوحوش والسِّباع والطير[3]، فعلى هذين القولين يكون «مَنْ» لما لا يعقل.

والظاهر أنَّ «مَنْ» في موضع جرّ عطفاً على الضمير المجرور في «لكم»؛ وهو مذهب الكوفيِّين ويونس والأخفش، وقد استَدْلَلْنا على[4] صحَّة هذا المذهب في «البقرة» [٢١٧] في قوله: ﴿وَكُفْرُۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

وقال الزَّجَّاج: «مَنْ» منصوب بفعل محذوف تقديره: وأَعَشْنَا مَنْ لستُم، أي: أُمماً غيرَكم، لأنَّ المعنى: أعَشْناكم[5]. وقيل: عطفاً على «معايش»، أي: وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العبيد والصناع؛ قيل: والحيوان. وقيل: عطفاً على محلّ «لكم». وقيل: «مَنْ» مبتدأ خبرُهُ محذوف لدلالة المعنى عليه، أي: ومَنْ لستُم له برازقين جَعَلْنا له فيها معايشَ. وهذا لا بأس به، فقد أجازُوا

(١) في معانيه ٣/ ١٧٧. والكلام بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٨٩، وينظر معاني الفراء ٢/ ٨٦.
(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٣٧-٣٨، والنكت والعيون ٣/ ١٥٤، وزاد المسير ٤/ ٣٩١، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٢.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١٥٤، وزاد المسير ٤/ ٣٩١.
(٤) المثبت من (ز١) و(يه)، وتحتمل في (ح) و(د٢)، وتحرفت في النسخ الأخرى إلى: أسند للفاعل. ووقع في المطبوع: استدل القائل.
(٥) يعني: أعَشْناكم وأعَشْنا مَنْ لستُم، كما هو في الإملاء ٢/ ٧٣، وفيه قول الزجَّاج. والذي جاء في معانيه ٣/ ١٧٧ أنه معطوف على محلّ «لكم» (وسيرد)، وتقديرُه: أعشناكم ومَنْ لستُم له برازقين.

ضربتُ زيداً وعمرٌو، بالرفع على الابتداء، أي: وعَمرٌو ضربتُه، فحُذِف الخبر لدلالة ما قبلَه عليه.

وتقدَّم شرح الخزائن.

و«إنْ» نافية، و«مِنْ» زائدة، والظاهر أنَّ المعنى: وما مِنْ شيءٍ يَنتفِعُ به العبادُ إلَّا ونحن قادرون على إيجادِهِ وتكوينِه والإنعامِ به[١]، فتكون الخزائنُ - وهي ما يُحفظ فيه الأشياء - مستعارةً من المحسوس - الذي هو الجسم - إلى المعقول.

وقال قوم: المرادُ الخزائنُ حقيقةً، وهي التي تُحفظ فيها الأشياء، وأنَّ للرِّيح مكاناً وللمطر مكاناً، ولكلٍّ مكان مَلَكٌ وحَفَظة، فإذا أمرَ اللهُ بإخراج شيء منه أخرَجَتْه الحَفَظَة.

وقيل: المرادُ بالشيء هنا المطر. قالَه ابنُ جُرَيْج[٢].

وقرأ الأعمش: «وما نُرْسِلُه»[٣] مكان: «وما نُنَزِّلُه»، والإرسال أعمُّ، وهي قراءةُ تفسير معنًى، لا أنَّها لفظُ قرآن لمخالفتها سوادَ المصحف.

وعن ابن مسعود[٤] والحَكَم بن عُتَيْبَة أنه ليس عامٌ أكثرَ مطراً من عام، ولكنَّ الله تعالى يُنزله في مواضعَ دون مواضع[٥].

و«الواقِحَ» - جمع لاقِح، يقال: رِيحٌ لاقِحٌ -: جائياتٍ بخير[٦]؛ من إنشاء

(١) الكشاف ٢/ ٣٨٩.
(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٦.
(٤) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: ابن عباس، وهو خطأ.
(٥) تفسير الطبري ١٤/ ٣٩-٤٠، والنكت والعيون ٣/ ١٥٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٦ (واللفظ له) وزاد المسير ٤/ ٣٩٢.
(٦) الضبط من (ز١)، وجاء قوله: «جمع لاقح، يقال: ريح لاقِح» مستدركاً في هامشها (وهي نسخة مقروءة على المصنف، وأقدم نسخة بين أيدينا) وجاء هذا القول في النسخ الأخرى - وهي بعد (ز١) - داخلَ المتن، ووضعتُ هذا القول بين معترضتين ليستقيم السياق. وينظر الكشاف ٢/ ٣٨٩.

سحابٍ ماطرٍ؛ كما قيل للتي لا تأتي بخير بل بِشَرٍّ: ريحٌ عقيم، أو مَلَاقح[١]، أي: حاملاتٍ للمطر. وفي «صحيح» البخاري: «لَوَاقح: مَلَاقِح مُلْقِحَة»[٢].

وقال عُبيد بن عُمير: يُرسِلُ اللهُ المُبَشِّرَةَ تَقُمُّ الأرضَ قَمّاً، ثم المُثِيرَةَ فتُثِيرُ السحابَ، ثم المؤلِّفةَ فتؤلِّفُه، ثم يبعث اللَّقُوح[٣] فتُلقِحُ الشجر.

ومن قرأ بإفراد «الرِّيح» فعلى تأويل الجنس[٤]، كما قالوا: أهلك الناسَ الدينارُ الصُّفْر والدِّرْهَمُ البِيض[٥].

وسَقَى وأَسْقَى قد يكونان بمعنًى واحد.

وقال أبو عُبيد[٦]: مِنْ سَقْيِ الشَّفَةِ: سَقَى فقط، أو الأرضِ والثمارِ: أَسْقَى، وللدَّاعي لِأَرْضٍ وغيرِها بالسُّقْيَا: أَسْقَى فقط.

وقال الأزهري[٧]: العرب تقول لكلِّ ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهرٍ بجري: أسقيتُه، أي: جعلتُه شِرْباً له، وجعلتُ له منه مَسْقًى، فإذا كان للشَّفَةِ قالوا: سَقَى، ولم يقولوا: أَسْقَى.

وقال أبو عليّ: سَقَيْتُه حتى رَوِيَ، وأَسْقَيْتُهُ نهراً: جعلتُه شِرْباً له.

وجاء الضمير هنا متصلاً بعد ضمير متصل كما تقدَّم في قوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٨] وتقدَّم أنَّ مذهب سيبويه فيه وجوب الاتصال.

﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي: بقادرين على إيجادِه، تنبيهاً على عظيم قدرتِه

(١) هذا القول الثاني في «لواقح» والكلام في الكشاف، وسلف في المفردات.
(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الحجر (فتح الباري ٨/ ٢٧٩)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٧.
(٣) كذا في الهداية لمكّيّ ١٤/ ٤٥. ووقع في مطبوع البحر: اللواقح، وهي في تفسير الطبري ١٤/ ٤٥.
(٤) هي قراءة حمزة من السبعة. ينظر السبعة ص٣٧٣، والتيسير ص٧٨.
(٥) ينظر شرح الرضي على الكافية ٣/ ٣١٦.
(٦) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٧ (والكلام منه باختصار يسير): أبو عبيدة. وهو بنحوه في مجاز القرآن ١/ ٣٥٠.
(٧) بنحوه في تهذيب اللغة ٩/ ٢٢٨.

وإظهاراً لعجزِهِم، أي: لستُم بقادرين عليه حين احتياجكم إليه.

وقال سفيان: «بخازنين» أي: بمانعين المطر[١].

«نُحْيِي»: نُخرِجُهُ من العَدَم الصِّرْف إلى الحياة «ونُمِيتُ» نُزِيلُ حياتَه «ونحن الوارثون»: الباقون بعد فَنَاء الخلق.

و«المستقدِمين» قال ابن عبَّاس والضَّحاك: الأموات، و«المستأخرين»: الأحياء.

وقال قتادة وعكرمة وغيرُهما: «المستقدِمين» في الخَلْق، و«المستأخِرين» الذين لم يُخْلَقُوا بعدُ.

وقال مجاهد: «المستقدِمين» من الأمم، و«المستأخِرين» أمَّةُ محمد ﷺ.

وقال الحسن وقتادة أيضاً: في الطاعة والخير، و«المستأخرين» بالمعصية والشرّ.

وقال ابن جُبير: في صفوف الحرب، و«المستأخِرين» فيها[٢].

وقيل: مَنْ قُتل في الجهاد، و«المستأخِرين» مَنْ لم يُقتل. وقيل: في صفوف الصلاة، و«المستأخِرين» بسبب النساء لينظروا إليهنَّ[٣].

وقال قتادة أيضاً: السابقين إلى الإسلام والمتقاعسين عنه[٤].

والأَولى حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على الحَصْر، والمعنى أنه تعالى محيطٌ علمُهُ بمَنْ تقدَّم وبمَنْ تأخَّر وبأحوالهم.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/٤٧، وزاد المسير ٤/٣٩٥، وتفسير القرطبي ١٢/١٩٩.
(٢) نُسب هذا القول في النكت والعيون ٣/١٥٦، وتفسير القرطبي ١٢/٢٠٠ لسعيد بن المسيِّب. وتنظر فيهما الأقوال السالفة، وتنظر أيضاً في تفسير الطبري ١٤/٤٨-٥٤، وزاد المسير ٤/٣٩٦-٣٩٧.
(٣) النكت والعيون ٣/١٥٦، وتفسير القرطبي ١٢/٢٠١، والقول الأول أيضاً في زاد المسير ٤/٣٩٧.
(٤) بنحوه في الكشاف ٢/٣٩٠ دون نسبة.

ثم أعلَم تعالى أنَّه يَحشُرُهُم. وقرأ الأعرج[١]: «يَحْشِرُهُم» بكسر الشين.

وقال ابن عبَّاس ومروان بنُ الحَكَم وأبو الجوزاء: كانت تصلي وراءَ الرسول امرأةٌ جميلة، فبعضٌ يتقدَّم لئلا تفتنَه، وبعض يتأخَّر لِيَسْرِقَ النَّظر إليها في الصلاة. فنزلت الآيةُ فيهم[٢].

وفَضْلُ هذه الآية بِهاتين الصفتين من الحكمة والعلم في غاية المناسبة.

❁ ❁ ❁

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ
﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ
وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ
أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ
عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾
إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾.

لما نَبَّهَ تعالى على منتهى الخلق ـ وهو الحَشْرُ يوم القيامة إلى ما يستقرُّون فيه ـ نبَّههم على مبدأ أصلِهم آدم وما جرى لعدوِّه إبليس من المحاورة مع الله تعالى، وتقدَّم شيءٌ من هذه القصة في أوائل «البقرة» [٢٩] عقب ذِكْرِ الإماتة والإحياء

(١) المثبت من (ز١) و(يه). وهو كذلك في القراءات الشاذة ص٧١، والمحرر الوجيز ٣/٣٥٨. وجاء في النسخ الأخرى والمطبوع: الأعمش.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٣٥٨، والحديث رواه النسائي في السنن الصغرى ٢/١١٨، والترمذي (٣١٢٢) بنحوه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس، وذكر الترمذي أنه رُوي عن أبي الجوزاء دون ذكر ابن عباس، وقال: وهو أشبه. واستنكرَ ابنُ كثير (عند تفسير الآية) هذا الحديث واستغربَه، ورَجَّح أن يكون من كلام أبي الجوزاء.

والرُّجوع إليه تعالى، وفي «الأعراف» [١٠] بعد ذِكْرِ يوم القيامة وذِكْرِ الموازين فيه، وفي «الكهف» [٥٠] بعد ذِكْرِ الحشر، وكذا في سورة «ص» [٧١] بعد ذِكْرِ ما أعدَّ من الجنة والنار لخلقِه، فحيث ذَكَرَ منتهى هذا الخلق؛ ذَكَرَ مبدأَهُم وقصَّته[١] مع عدوِّه إبليس ليحذِّرَهُم من كيدِه، ولينظروا ما جَرَى له معه حتى أخرجَه من الجنة مقرِّ السَّعادة والراحة إلى الأرض مقرِّ التكليفِ والتعب، فيتحرَّزُوا من كيده.

و«مِنْ حَمَأٍ» قال الحَوْفيّ: بدل من «صَلْصَال» بإعادة الجارّ. وقال أبو البقاء: «مِنْ حَمَأٍ» في موضع جرّ صفة لـ «صلصال»[٢].

وقال ابنُ عبَّاس: المَسْنُون الرَّطْب[٣]، ومعناه المَصْبُوب؛ لأنه لا يكون مصبوباً إلا وهو رَطْب، فكَنَى عن المصبوب بوَصْفِهِ لا أنه موضوعٌ له.

وقال مجاهد وقتادة ومعمر: المُنْتِن[٤].

قال الزمخشريّ: من سَنَنْتُ الحَجَرَ على الحجر إذا حكَكْتَهُ به، فالذي يسيلُ بينهما سَنِينٌ، ولا يكون إلَّا مُنتِناً[٥].

وقال غيره: مِنْ أَسَنَ الماءُ: إذا تغيَّر[٦]. ولا يصحُّ لاختلاف المادَّتين.

وقيل: مَصْبُوب، من: سَنَنْتُ الترابَ والماءَ: إذا صَبَبْتَهُ شيئاً بعد شيء[٧]،

---

(١) في (أ) و(ح) و(ز١): وقضيته.

(٢) الإملاء ٢/ ٧٣. وذكر بعدَه القول السالف قبله.

(٣) المثبت من (ز١) و(ب)، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٥-٢٠٦ (والكلام بعده فيه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: المَسْنُون: الطِّين، وهو خطأ. فالمَسْنُون صفة للحَمَأ الذي هو الطين. وفي تفسير الطبري ١٤/ ٦٢ عن ابن عباس: «مِنْ حَمَأٍ مسنون»: من طين رَطْب.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٦١ عن مجاهد، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٩ عن معمر، وزاد المسير ٤/ ٣٩٨ عن مجاهد وقتادة. ونسب الطبري القول أيضاً لابن عباس.

(٥) الكشاف ٢/ ٣٩٠. وذكره الطبري ١٤/ ٦٠ عن بعض أهل الكوفة. وهو قول الفراء في معانيه ٢/ ٨٨.

(٦) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٣/ ١٥٨ لابن عباس ﵄.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٣٥٩، واستشهد ابنُ عطية عليه بقول عَمرو بن العاص لمن يحضر دفنه: إذا أدخلتموني في قبري فسُنُّوا عليَّ الترابَ سَنًّا.

فكأنَّ المعنى: أفرغَ صُورةَ إنسانٍ كما تُفرَغُ الصُّوَر من الجواهر المذوَّبة في أمثلتها.

قال الزمخشريّ[١]: وحقُّ «مسنونٍ» بمعنى مُصَوَّر أن يكونَ صفةً لـ «صَلْصَال» كأنَّه أفرغَ الحَمَأَ[٢]، فصوَّر منها تمثالَ إنسانٍ أجْوَفَ، فيَبِسَ حتى إذا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثم غيَّره بعد ذلك إلى جوهر آخر. انتهى.

وقيل: المَسْنُون: المُصَوَّر، من سُنَّةِ الوَجْهِ[٣]، وهي صورتُه؛ قال الشاعر:

تُـريـكَ سُـنَّـةَ وَجْـهٍ غـيـرَ مُـقْـرِفَـةٍ[٤]

وقيل: المَسْنُون: المنسوب[٥]، أي: يُنسب إليه ذرِّيَّتُه.

والجانُّ: هو أبو الجنّ. قاله ابنُ عباس[٦]؛ قال الزمخشريّ[٧]: والجانُّ للجنّ كآدمَ للناس.

وقال الحسن وقتادة: هو إبليسُ، خُلِقَ قبلَ آدمَ[٨]. وقال ابن بحر: هو اسمٌ لجنس الجنّ، والإنسانُ المرادُ به آدمُ. و«من قَبْلُ» أي: من قبلِ خلقِ الإنسان.

وقرأ الحسن وعَمرو بنُ عُبيد: «والجأن» بالهمز[٩].

و«السَّمُوم» قال ابنُ عبَّاس: الرِّيح الحارَّة التي تقتلُ. وعنه: نارٌ لا دخانَ لها، منها تكونُ الصَّواعق[١٠].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٩٠، والكلام السالفُ قبلَه فيه.
(٢) في (ح) و(ز١): الحمأة، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو موافق لما في الكشاف.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٩٠، ونسبه القرطبي في تفسيره ١٢/ ٢٠٦ لسيبويه. ولم أقف عليه في الكتاب.
(٤) هو صدر بيت لذي الرُّمَّة، وعجزه: ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ. وهو في ديوانه ١/ ٢٩ (بشرح ثعلب) قوله: غير مُقْرِفَةٍ، أي: ليست بهجينةٍ، هي عتيقة كريمة، والنَّدَب: آثارُ الجِراح، فيقول: ليس فيها خال ولا آثار. قاله ثعلب.
(٥) النكت والعيون ٣/ ١٥٨.
(٦) المصدر السالف، وزاد المسير ٤/ ٣٩٩.
(٧) الكشاف ٢/ ٣٩٠.
(٨) تفسير الطبري ١٤/ ٦٣، والثعلبي ٣/ ٤٨٧، والقرطبي ١٢/ ٢٠٦-٢٠٧.
(٩) القراءات الشاذة ص٧١، والكشاف ٢/ ٣٩٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٥٩.
(١٠) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٨٧، والقرطبي ١٢/ ٢٠٧، والقول الأول أيضاً في تفسير الطبري ١٤/ ٦٣.

وقال الحسن: نارٌ دونَها حجاب[1]. وعن ابن عباس: نفس النار، وعنه: لَهَبُ النار. وقيل: نارُ اللهب السَّمُومُ[2]. وقيل: أضافَ الموصوف إلى صفته، أي: النارِ السَّموم.

و«سَوَّيتُهُ»: أكملتُ خَلْقَه، والتَّسويةُ عبارةٌ عن الإتقان وجَعْلِ أجزائه مستويةً فيما خُلقت.

و«نفختُ فيه من رُوحي» أي: خلقتُ الحياةَ فيه، ولا نفخَ هناك ولا منفوخَ حقيقةً، وإنما هو تمثيلٌ لتحصيلِ ما يُحيي به فيه.

وإضافةُ الرُّوح إليه تعالى على سبيل التشريف، نحو: بيتُ الله وناقةُ الله، أو المِلْك، إذْ هو المتصرِّفُ في الإنشاء للرُّوح، والمُودِعُها حيث يشاء.

و«قَعُوا له» أي: اسقُطوا على الأرض.

وحرفُ الجرّ محذوف من «أنْ» أي: مالَكَ في أنْ لا تكونَ، وأيُّ داعٍ دعا بك إلى إبائِكَ السجودَ؟

و«لأسجُدَ» اللام لام الجحود، والمعنى: لا يناسبُ حالي السجودَ له. وفي «البقرة» [٣٤] نبَّه على العلَّة المانعة له، وهي الاستكبار، أي: رأى نفسَه أكبرَ من أن يسجدَ، وفي «الأعراف» [١٢] صرَّح بجهة الاستكبار، وهي ادِّعاءُ الخيريَّة والأفضليَّة بادِّعاء المادَّةِ المخلوقِ منها كلٌّ منهما، وهنا نَبَّهَ على مادَّة آدمَ وحدَه، وهنا: «فاخْرُجْ منها»، وفي «الأعراف» [١٣]: «فاهْبِطْ منها». وتقدَّم ذِكْرُ الخلاف فيما يعودُ عليه ضمير «منها».

وقد تقدَّمت منها مباحثُ وشرحٌ في سورة البقرة والأعراف أعادها المفسِّرون هنا، ونحن نُحيل على ما تقدَّم إلَّا ما لَهُ خُصوصيَّة بهذه السورة، فنحن نذكرُهُ، فنقول:

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٧.
(٢) يلاحظ أنه قولٌ واحد بألفاظ متشابهة، وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٦٤، والنكت والعيون ٣/ ١٥٩.

وضَرْبُ يومِ الدينِ غايةً للَّعنة إمَّا لأنه أبعدُ غاية يَضْرِبُها الناسُ في كلامِهم، وإمَّا أنْ يُرادَ: إنك مذمومٌ مدعوٌّ عليك باللعنة في السماوات والأرضِ إلى يوم الدِّين من غير أن تُعذَّب، فإذا جاء ذلك اليومُ عُذِّبْتَ بما يُنسى اللَّعنُ معه. ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم واحد، وهو وقتُ النَّفخة الأولى حين تموتُ الخلائق، ووصفُه بالمعلوم إمَّا لانفرادِ الله بعلمه كما قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، أو لأنه معلومٌ فَناءُ العالَم فيه، فيكون قد عبَّر بيوم الدين وبيوم يبعثون[(١)] بما كان قريباً من ذلك اليوم.

قال الزمخشريّ: ومعنى إغوائه إيَّاه تَسْبِيبُهُ[(٢)] لِغَيِّهِ بأنْ أمَرَهُ بالسجود لآدمَ عليه السلام، فأفْضَى ذلك إلى غَيِّه، وما الأمرُ بالسجود إلَّا حَسَنٌ وتعريضٌ للثواب بالتواضع والخضوع لأمر الله، ولكنَّ إبليسَ اختارَ الإباءَ والاستكبارَ فهلك، والله تعالى بريءٌ من غَيِّهِ ومن إرادته والرضا به. انتهى. وهو على طريقة المعتزلة.

والضمير في «لهم»[(٣)] عائدٌ على غير مذكور، بل على ما يُفهم من الكلام، وهو ذُرِّيَّةُ آدم، ولذلك قال في الآية الأخرى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

والتزيين: تحسينُ المعاصي لهم ووسوستُه حتى يقعوا فيها.

«في الأرض» أي: في الدنيا التي هي دارُ الغرور، كقوله تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، أو أرادَ إني أقدرُ على الاحتيال لآدم والتزيينِ له الأكْلَ من الشجرة وهو في السماء، فأنا على التزيين لأولاده في الأرض[(٤)] أَقْدَرُ، أو أرادَ: لَأجعلنَّ مكانَ التزيينِ عندَهم الأرضَ، ولَأُوقِعنَّ تزييني فيها[(٥)]، أي: لأُزَيِّنَنَّها في أعينهم ولأحدِّثنَّهم بأنَّ الزينة في الدنيا وحدَها حتى يستحبُّوها على

---

(١) زيد في المطبوع بعدها: ويوم الوقت المعلوم.
(٢) في (د٢): تسبُّبه، وفي (د١) و(ع) والمطبوع: نسبته، والكلام في الكشاف ٢/ ٣٩١.
(٣) يعني في قوله: «لأُزَيِّنَنَّ لهم في الأرض».
(٤) قوله: في الأرض، من (ز١) و(يه).
(٥) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: ولأرفعنَّ رتبتي فيها. وهو تحريف.

الآخرة، ويطمئنوا إليها دونَها، ونحوُهُ: يَجْرَحْ في عَرَاقِيبِها نَصْلِي. قاله الزمخشريّ[(١)].

و«إلا عبادك» استثناء القليل من الكثير؛ إذِ المخلصون بالنسبة إلى الغاوين قليل، واستثناهم إبليس لأنه علمَ أنَّ تزيينَهُ لا يؤثِّر فيهم، وفيه دليلٌ على جلالة هذا الوصف، وأنه أفضلُ ما اتَّصف به الطائع.

وقرأ الكوفيون ونافع والحسن والأعرج بفتح اللام، ومعناه: إلا مَنْ أخْلَصْتَه للطاعة أنتَ، فلا يؤثّر فيه تزييني، وقرأ باقي السبعة والجمهور بكسرها[(٢)]، أي: إلا مَنْ أخلصَ العملَ لله ولم يُشرِك فيه غيرَه، ولا راءى به.

والفاعلُ بـ «قال» اللهُ، أي: قال الله، والإشارة بـ «هذا» إلى ما تضمَّنه «المخلِصين» من المصدر، أي الإخلاصُ الذي يكون في عبادي هو صراطٌ مستقِيم لا يسلُكُه أحدٌ فيَضِلَّ أو يَزِلَّ، لأنَّ من اصطفيتُه أو أخلصَ لي العملَ لا سبيلَ لك عليه.

وقيل: لمَّا قَسمَ إبليسُ ذُرِّيَّةَ آدمَ إلى غاوٍ ومُخلِصٍ قال تعالى: هذا أمرٌ مصيرُه إليَّ[(٣)]. ووصَفَه بالاستقامة، أي: هو حَقٌّ، وصيرورتُهم إلى هذين القسمين ليست لك، والعربُ تقول: طريقُك في هذا الأمر على فلان، أي: إليه يصيرُ النظرُ في أمرك.

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٩١. وقوله: يَجْرَحْ في عَرَاقيبها نَصْلي، قطعة من بيت لذي الرُّمَّة، وروايتهُ في ديوانه (بشرح ثعلب) ١/ ١٥٦:

وإنْ تَعْتَذِرْ بالمَحْلِ من ذي ضُرُوعِها على الضَّيْفِ يَجْرَحْ في عَرَاقيبها نَصْلِي

استُشهد به على تنزيل الفعل منزلةَ اللازم، ثم تعديته بـ «في». وينظر تفسير الآلوسي ١٣/ ٤٧٨. ومعنى البيت كما في شرح الديوان لثعلب: إنْ تعتذرْ إبلي بالمَحْلِ فلم يكن في ضُرُوعها لبنٌ عَرْقَبْتُها (وفي نسخة: نحرتُها) للضيف. والنَّصل: السَّيْف.

(٢) السبعة ص١٢٨، والتيسير ص٣٤٨، وقراءة الحسن والأعرج في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٢، وجاءت فيه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بفتح اللام، وهو خطأ.

(٣) الكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٢، وهو معنى قول مجاهد كما في تفسير الطبري ١٤/ ٧٠، والنكت والعيون ٣/ ١٦١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢١٢-٢١٣، قالوا: وهو كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝﴾.

وقال الزمخشريّ[1]: هذا طريقٌ حَقٌّ عَلَيَّ أنْ أُراعِيَه، وهو أن لا يكونَ لك سلطانٌ على عبادي إلا من اختارَ اتِّباعَك منهم لِغَوَايتِه. انتهى.

فجعلَ «هذا» إشارةً إلى انتفاءِ تزيينه وإغوائه وكونِهِ ليس له عليهم سلطان، فكأنَّه أخذَ الإشارة إلى ما استثناه إبليس وإلى ما قرَّرَه تعالى بقوله: «إن عبادي»، وتضمَّنَ كلامُه مذهبَ المعتزلة.

وقال صاحب «اللوامح»: أي: هذا صراطٌ عُهدةُ استقامتِه عليَّ وفي حفظه، أي: حفظُه عَلَيَّ، وهو مستقيمٌ غيرُ معوجّ.

وقال الحسن: معنى «عَلَيَّ» إليّ[2]. وقيل: «عَلَيَّ» كأنَّه مَنْ مَرَّ عليه مَرَّ عَلَيَّ، أي: على رضواني وكرامتي[3].

وقرأ الضحَّاك وإبراهيم وأبو رجاء وابنُ سِيرِين ومجاهد وقتادة وقيس بنُ عُباد وحُميد وعَمرُو بنُ ميمون وعُمارة بن أبي حفصة وأبو شَرَف مولى كِنْدة ويعقوب: «عَلِيٌّ مستقيم»[4] أي: عالٍ لارتفاع شأنِه. وهذه القراءة تُؤَكِّدُ أنَّ الإشارةَ إلى الإخلاص، وهو أقربُ إليه.

والإضافة في قوله: «إنَّ عبادي» إضافةُ تشريف، أي: إنَّ المختصِّين بعبادتي. وعلى هذا لا يكون قولُه: «إلا مَنِ اتَّبعك» استثناءً متصلاً، لأنَّ مَنِ اتَّبعَه لم يندرج في قوله: «إنَّ عبادي»[5]. وإن كان أُريدَ بـ «عبادي» عمومُ الخلق فيكون «إلا مَنِ اتَّبعك» استثناءً من عموم، ويكون فيه دلالة على استثناء الأكثر وبقاءِ المستثنى منه أقلَّ، وهي مسألة اختلف فيها النُّحاة، فأجازَ ذلك الكوفيُّون، وتبعَهم من أصحابنا

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٩١. والكلام السالف في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٢.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٧٠، والنكت والعيون ٣/ ١٦١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢١٢، وهو في زاد المسير ٤/ ٤٠١ دون نسبة.

(٣) تفسير الرازي ١٩/ ١٨٩.

(٤) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٧٠-٧١، والمحتسب ٢/ ٣، والنكت والعيون ٣/ ١٥٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٢. وقراءة يعقوب من العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٠١.

(٥) واستُدلَّ عليه بسقوط الاستثناء في آية الإسراء: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾. ينظر تفسير الآلوسي ١٣/ ٤٨١.

الأستاذ أبو الحسن بن خروف، ودلائل ذلك مسطَّرة في كتب النحو[١].

والذي يظهر أنَّ إبليسَ لمَّا استثنى العبادَ المُخلِصين كانت الصفةُ ملحوظةً في قوله: «إنَّ عبادي» أي: عبادي المخلِصين الذين ذكرتُهم ليس لك عليهم سلطان. و«مِنْ» في «مِنَ الغاوين» لبيان الجنس، أي: الذين هم الغاوون.

وقال الجُبَّائي: هذه الآية تدلُّ على بطلان قول من زعمَ أنَّ الشيطانَ والجنَّ يمكنهم صَرْعُ الناس وإزالةُ عقولهم كما تقول العامَّة، وربَّما نسبوا ذلك إلى السَّحَرة؛ قال: وذلك خلافُ ما نصَّ الله تعالى عليه[٢].

و«لَمَوْعِدُهُم» مكانُ وَعْدِ اجتماعِهم. والضمير لـ «الغاوِين». وقال ابن عطية[٣]: و«أجمعين» تأكيد، وفيه معنى الحال. انتهى. وهذا جنوحٌ لمذهب من يزعمُ أنَّ «أجمعين» يدلُّ على اتّحاد الوقت، والصحيحُ أنَّ مدلولَه مدلول «كلّهم».

والظاهر أن «جهنَّم» هي واحدة، ولها سبعة أبواب، وقيل: أبوابُ النار أطباقُها وأدراكُها، فأعلاها للموحِّدين، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين[٤].

وقرأ ابنُ القعقاع: «جُزّ» بتشديد الزاي من غير همز[٥]، ووجهُه أنه حذفَ الهمزة وألقَى حركتَها على الزاي، ثم وقف بالتشديد نحو: هذا فَرَجّ[٦]. ثم أجرَى الوصل مجرى الوقف.

واختُلف عن الزُّهري، ففي كتاب ابنِ عطية: وقرأ ابنُ شِهاب بضمِّ الزاي

(١) ينظر الارتشاف ٣/ ١٥٠٠، وهمع الهوامع ٢/ ٢٦٦-٢٦٧.
(٢) تفسير الرازي ١٩/ ١٩٠.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٣.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٤٨٩-٤٩٠، والكشاف ٢/ ٣٩١، واللفظ له، وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢١٥.
(٥) النشر ١/ ٤٣٢. وابنُ القعقاع هو أبو جعفر المدنيّ، من العشرة.
(٦) يعني أن الوقف عند العرب موضع تغيير، فالأصل: فَرَجٌ، وعند الوقف يُحذف التنوين ويُضعَّف الحرف، وكما يبدل فيه من التنوين الألف، وكما يُبدلُ من التاء هاءٌ في نحو: طلحة وحمزة. ينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩ (تفسير الآية ٤١ من سورة ق).

ـ ولعلَّه تصحيف من الناسخ، لأنّي وجدتُ في «التحرير»: وقرأ ابنُ وثَّاب بضمِّها مهموزاً فيهما[١]، وقرأ الزُّهريّ بتشديد الزاي دون همز، وهي قراءةُ ابنِ القعقاع ـ وأنَّ فِرْقةً قرأتْ بالتشديد، منهم ابنُ القعقاع[٢]. وفي كتاب الزمخشري[٣] وكتاب «اللوامح» أنه قرأ بالتشديد، وفي «اللوامح» هو وأبو جعفر.

* * *

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم
مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ
عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا
خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا
لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾
وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ
أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ
﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا
تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ
إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

---

(١) كذا. والجادَّة: فيها. وقد قرأ بضم الزاي مهموزاً فيها أيضاً شعبة عن عاصم من السبعة. ينظر التيسير ص٨٢.

(٢) الكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٣ دون ما وقع بين معترضتين، فهو من استدراك المصنف عليه.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٩١.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ
مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ
ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ
﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ
عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾
وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾.

المفردات السُّرُر جمع سَرِير، وكلبٌ[١] وبعضُ تميم تفتحُ الرَّاء، وكذا كلُّ مضاعَف فَعِيل.

النَّصَب: التَّعَب.

القُنوط: أتمُّ اليأس، يقال: قَنِطَ بكسر النون، يَقْنُطُ بفتحها، وقَنَطَ بفتح النون، يَقْنِطُ بكسرها وبضمِّها[٢].

الفَضْحُ والفَضِيحة مصدران لـ «فَضَحَ يَفْضَحُ»: إذا أتى من أمر الإنسان ما يُلزِمُهُ به العارَ، ويقال: فَضَحَكَ الصُّبحُ: إذا تبيَّنَ للناس، قال الشاعر:

ولاحَ ضَوْءُ هِلالٍ كادَ يَفْضَحُنا مِثْلَ القُلامَةِ قد قُدَّتْ[٣] من الظُّفُرِ[٤]

التوسُّم تفعُّل، من الوَسْم، وهي العلامة التي يُستدلُّ بها على مطلوبٍ غيرِها، يقال: تَوَسَّمَ فيه الخيرَ: إذا رأى مِيسَمَ ذلك.

---

(١) أُقحم قبلَها في مطبوع البحر لفظ: ككليب، ونقلَتْه عنه مطبوعاتُه الأخرى، بعضُها ادَّعيَ تحقيقُها!

(٢) قرئ في المتواتر بفتح النون وكسرها من «يقنط»، وقُرئ في الشواذ بضمّها، كما سيرد.

(٣) المثبت من (ح). وهي كذلك في المصادر الآتية. وفي النسخ الأخرى: قُصَّتْ.

(٤) البيت لعبد الله بن المعتزّ، وهو في الصناعتين ص٢٢٨ (وفيه: إذْ قُدَّتْ) وثمار القلوب ص٢٦٤، والمثل السائر ١/ ٤٢٢. وهو ضمن قصيدة في ترجمته في وفيات الأعيان ٣/ ٧٨.

وقال عبد الله بنُ رَوَاحة في رسول الله ﷺ:

إنِّي تَوَسَّمْتُ فيكَ الخيرَ أعرفُهُ[١] والله يعلمُ أني ثابتُ البَصَرِ[٢]

وقال الشاعر:

تَوَسَّمْتُ لمَّا أنْ رَأَيْتُ مَهَابَةً عليه وقلتُ المرءُ من آلِ هاشِمِ[٣]

واتَّسَمَ الرجلُ: جعلَ لنفسِهِ علامةً يُعرفُ بها. وتَوَسَّمَ الرجلُ: طلبَ كَلأَ الوَسْمِيّ[٤].

وقال ثعلب: الواسِمُ الناظرُ إليك من قَرْنِك[٥] إلى قَدَمِك. وأصلُ التَّوَسُّم التثبُّت والتفكُّر، مأخوذٌ من الوَسْم، وهو التأثيرُ بحديدة في جِلد البعيرِ أو غيره.

الأَيْكَةُ: الشجرة الملتفَّة، واحدة أَيْكٍ. قال الشاعر:

تَجْلُو بقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ بَرَداً أُسِفَّ لِثَاتُهُ بالإثْمِدِ[٦]

الخَفْضُ مقابل الرَّفْع، وهو كناية عن الإلانة والرِّفْق.

«عِضِين» جمع عِضَة، وأصلها الواو والهاء، يقال: عَضَيْتُ الشيءَ تعضيةً: فرقتُه، وكلُّ فِرْقةٍ عضةٌ، فأصله عِضْوَة[٧].

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى: أجمعَهُ.

(٢) النكت والعيون ٣/ ١٦٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٤. ورواية صدره في سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٤: إني تفرَّسْتُ فيك الخير نافلةً.

(٣) البيت ضمن قصيدة لأعرابي قالها في عُبيد الله بن العباس، وهي في الفاضل ص٣٢، وخزانة الأدب ٨/ ٢٨٢، وفيهما: توسَّمْتُه لما رأيتُ مهابةً، وهو كذلك في النسخة (يه) لكن سقطت منها لفظة «أنْ».

(٤) الوَسْمِيّ: مطرُ الرَّبيع الأوَّل لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات. ينظر الصحاح (وسم).

(٥) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى: فَرْقِك، وهي كذلك في تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٤، والقول فيه.

(٦) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو في ديوانه ص٤٠. والقادمة: مقدَّم جناح الطائر، شبَّه الشاعر الشفتين بهما، وشبَّه الأسنان بالبَرَد، ولِثات، جمع لِثَة، وأُسِفَّ... أي: ذُرَّت بالإثمد لتبييض الأسنان.

(٧) بعدها في تفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٧ (والكلام فيه): فنقصت الواو، فلذلك جُمعت على عِضِين، كما قالوا. عِزِين في جمع عِزَة، والأصل: عِزْوة، وكذلك ثُبة وثُبِين.

وقيل: العِضَة في لغة قريش السِّحْر، يقولون للساحر: عاضِهٌ، وللساحرة: عاضِهَة. قال الشاعر:

أعــوذُ بــربِّــي مِــنَ الــنَّــافِــثــا تِ في عُقَدِ العَاضِهِ المُعْضِهِ[١]

وفي الحديث لَعْنُ العَاضِهَةِ والمُسْتَعْضِهَة[٢]. وفُسِّرَ بالسَّاحرة[٣] والمُسْتَسْحِرَة[٤]، فأصله الهاء.

وقيل: من العَضْهِ، يقال: عَضَهَهُ عَضْهاً وعَضِيهَةً: رماه بالبُهتان؛ قال الكسائي: العِضَةُ: الكَذِبُ والبُهتان، وجمعُها عِضُون[٥]، وذهب الفرَّاء إلى أنَّ عِضِين من العِضاهِ، وهي شجرٌ تؤذي تَخرجُ كالشوك، ومن العرب ما يَلزم الياءَ ويجعل الإعرابَ في النون، فيقول: عِضِينُك، كما قالوا: سِنِينُك، وهي كثيرةٌ في تميم وأَسَد[٦].

والصَّدْعُ: الشَّقُّ، وتصدَّعَ القومُ: تفرَّقوا، وصدعتُه فانصدعَ، أي: شَقَقْتُهُ فانْشَقَّ. وقال مُؤرِّج: اِصْدَعْ: اِفْصِلْ. وقال ابنُ الأعرابيّ: اِقْصِدْ.

* * *

---

(١) تهذيب اللغة ١/ ١٣٠، واللسان (عضه)، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٧. ورواية اللسان: في عِضَهِ العاضِهِ...

(٢) الضبط من (ز١). وفي المطبوع: لعنَ اللهُ العاضهةَ والمستعضهة، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥. وأخرجه ابن عدي (كما في جزء التراحم الساقطة من الكامل ص١٠٧) من حديث ابن عباس ﵄؛ قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص٩٤: «في إسناده ضعيفان». وجاء في تأويل مختلف الحديث ص١٧٩، والنكت والعيون ٣/ ١٧٣، وزاد المسير ٤/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٧ أن رسول الله ﷺ لعنَ العاضِهةَ والمُسْتَعْضِهَة. وأخرجه ابن عدي (كما في جزء التراجم الساقطة من الكامل ص١٠٧) من حديث ابن عباس ﵄؛ وفي إسناده ضعيفان كما ذكر ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص٩٤.

(٣) في النسخ الخطية: بالساحر. والتصويب من المصادر.

(٤) أي المستعملة لسحر غيرها. قاله الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٥٥٢.

(٥) مثل عِزَة وعِزُون، كما في تفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٨. والعِزَة: الفِرْقة.

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٢.

التفسير ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى ما أعدَّ لأهلِ النَّار؛ ذكَرَ ما أعدَّ لأهل الجنَّة ليظهرَ تباينُ ما بين الفريقين، ولمَّا كان حالُ المؤمنين معتَنًى به أخبرَ أنهم في جناتٍ وعيون، جعلَ ما يستقرُّون فيه في الآخرة كأنَّهم مستقرُّون فيه في الدنيا، ولذلك جاء «ٱدْخُلُوها» على قراءة الأمر، لأنَّ من استقرَّ في الشيء لا يقال له: ٱدْخُلْ فيه، وجاء حال الغاوين موعوداً به في قوله: «لَمَوْعِدُهُم» لأنهم لم يدخلوها.

والعُيون جمع عَيْن، وقرأ نافع وأبو عَمرو وحفصٌ وهشام «وعُيون» بضم العين، وباقي السبعة بكسرها[1].

وقرأ الحسن: «أُدْخِلُوها» ماضياً مبنيًّا للمفعول من الإدخال، وقرأ يعقوب في رواية رويس كذلك وبضمِّ التنوين[2]، وعنه فتحُه وما بعدَه أمرٌ على تقدير: أَدْخِلُوها إيَّاهم، من الإدخال، أمرَ الملائكةَ بإدخال المتقين الجنةَ، وتسقطُ الهمزة في القراءتين.

وقرأ الجمهور: «ادْخُلُوها» أمرٌ من الدخول، فعلى قراءتي الأمر ثَمَّ محذوفٌ، أي: يقالُ لهم، أو يقال للملائكة[3].

و«بسلام» في موضع نصب على الحال، واحتمل أن يكون المعنى: مصحوبين بالسَّلامة، وأن يكون المعنى: مُسَلَّماً عليكم، أي: مُحَيَّوْن، كما حَكَى عن الملائكة أنهم يدخلون على أهل الجنة يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٤].

---

(١) التيسير ص١٣٦. وينظر السبعة ص١٧٨-١٧٩.

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٣٦٣، والنشر ٢/ ٣٠١. وقراءة الحسن ذكرَها الثعلبي في تفسيره ٣/ ٤٩٠ على أنها ببناء الفعل للمجهول لكن لم يذكر معها عنه كسر تنوين «عيون» (يعني وصلاً) وقرنَ القرطبيُّ ١٢/ ٢١٨ قراءة الحسن بقراءة يعقوب كما هو أعلاه. ولم أقف على من ذكرَ عن الحسن بناءَ الفعل للمجهول مع كسر تنوين «عيون» قبل أبي حيَّان، والله أعلم. وقراءة يعقوب المشهورةُ عنه: «ٱدْخُلُوها» على الأمر كقراءة الجمهور، وكسر تنوين «عيون» وصلاً. ينظر النشر ٢/ ٢٢٥.

(٣) أي يقال للملائكة: أَدْخِلوها إياهم كما سلف.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ تقدَّم شرحُه في الأعراف. قيل: وانتصبَ «إخواناً» على الحال، وهي حال من الضمير، والحالُ من المضاف إليه إذا لم يكن معمولاً لما أُضيف إليه[1] على سبيل الرفع أو النصب تندُرُ، فلذلك قال بعضهم: إنه إذا كان المضافُ جزءاً من المضاف إليه كهذا؛ لأن الصدور بعضُ ما أُضيفت إليه، أو كالجزء[2]، كقوله: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥] جاءت الحالُ من المضاف، وقد قرَّرنا أنَّ ذلك لا يجوز، وما استدلُّوا به له تأويلٌ غيرُ ما ذكروا، فتأويلُه هنا أنه منصوبٌ على المدح، والتقديرُ: أمدحُ إخواناً؛ لمَّا لم يمكن أن يكون نعتاً للضمير قُطع من إعرابه نصباً على المدح.

وقد ذكر أبو البقاء[3] أنه حالٌ من الضمير في الظرف في قوله: «في جنَّات»، وأن يكون حالاً من الفاعل في «ادخُلُوها»، أو من الضمير في «آمنين».

ومعنى «إخواناً» ذَوُو تواصلٍ ووِدَادة[4]. و«على سُرُرٍ متقابلين» حالان، والقعود على السرير دليلٌ على الرِّفعة والكرامة التامَّة كما قال: «يَرْكَبُون ثَبَجَ هذا البحرِ مُلُوكاً على الأسرَّة، أو مِثْلَ الملوكِ على الأسِرَّة»[5].

وعن ابن عباس: على سُرُرٍ مُكَلَّلةٍ بالياقوت والزَّبَرْجَد والدُّرّ.

وقال قتادة: «متقابلين»: متساوين في التواصل والتَّزاور.

وعن مجاهد: لا ينظرُ بعضُهم إلى قَفَا بعضٍ تدور بهم الأسِرَّة حيثما دارُوا، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين. انتهى[6].

ولمَّا كانت الدُّنيا محلَّ تعبٍ بما يُقاسَى فيها من طلب المعيشة ومعاناةِ التكاليف

---

(١) لفظة «إليه» من (ز١) و(يه).
(٢) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: وكالجزء.
(٣) الإملاء ٢/ ٧٥.
(٤) في (د١) والمطبوع: وتوادد.
(٥) قطعة من حديث أنس بن مالك في فضل الغزو في البحر، وفيه قصة أم حرام بنت مِلْحان، أخرجه البخاري (٢٧٨٨) ومسلم (١٩١٢). وثَبَجُ البحر: وَسَطُه.
(٦) تنظر الأقوال مفرَّقةً في تفسير الطبري ١٤/ ٨٠، والنكت والعيون ٣/ ١٦٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٤، وزاد المسير ٤/ ٤٠٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢١٩-٢٢٠.

الضرورية لحياةِ الدنيا وحياةِ الآخرة ومعاشرةِ الأضداد وعُروض الآفات والأسقام ومحلَّ انتقال منها إلى دارٍ أخرى مَخُوفٍ أمرُها عند المؤمنِ لا محلَّ إقامة، أخبرَ تعالى بانتفاء ذلك في الجنة بقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ وإذا انتفى المسُّ انتفت الديمومة، وأكَّدَ انتفاءَ الإخراجِ بدخول الباء في «بِمُخْرَجِين».

وقيل: للثواب أربعُ شرائط:

أن يكون منافعَ، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ مقرونةً بالتعظيم، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ خالصةً عن مَضَارِّ[1] الشوائبِ الرُّوحانيَّة؛ كالحِقْد والحَسَد والغِلِّ، والجسمانيَّةِ؛ كالإعْياءِ والنَّصَب، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ إلى ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾.

دائمةً، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

وعن علي بن الحسين[2] أن قوله: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ الآية نزلت في أبي بكر وعُمر[3]، والغِلُّ غِلُّ الجاهلية.

وقيل: كانت بين بني تميم وعديّ وهاشم أضغان، فلما أسلموا تحابُّوا.

ولمَّا تقدَّمَ ذِكْرُ ما في النار وذِكْرُ ما في الجنَّة أكَّدَ تعالى تنبيهَ الناسِ وتقريرَ ذلك وتمكينَه في النفس بقوله: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩﴾ وناسبَ ذِكْرَ الغُفرانِ والرحمة اتصالُ ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وتقديماً لهذين الوصفين العظيمين اللذين وصفَ بهما نفسَه، وجاء قولُه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِى﴾ في غاية اللطف؛ إذْ لم يَقُلْ على وجه المقابلة: وأني المعذِّبُ المُؤلِم، كلُّ ذلك ترجيحٌ لجهةِ العفو والرحمة.

وسَدَّتْ «أنَّ» مسدَّ مفعولي «نَبِّئ» إنْ قلنا: إنَّها تعدَّتْ إلى ثلاثة، ومسدَّ واحدٍ إنْ قلنا: تَعَدَّتْ إلى اثنين.

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه)، وفي (د٢): نقصان، وفي النسخ الأخرى: مضان، ووقعت في المطبوع بالظاء: مظانّ. وفي تفسير الرازي ١٩/ ١٩٣-١٩٤ (والكلام مقتبسٌ منه): خالصة عن شوائب الضرر.

(٢) هو زين العابدين ﷺ، ووقع في النسخ الخطية: علي بن الحسن، وهو خطأ.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٦٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢١٩ وفيه بعدها: وعلي والصحابة.

وعن ابن عباس: غفورٌ لمن تاب، وعذابُهُ لمن لم يتب.

وفي قوله: «نَبِّئْ» الآية ترجيحُ جهةِ الخير من جهة أمرِه تعالى رسولَه بهذا التبليغ، فكأنَّه إشهادٌ على نفسه بالتزام المغفرة والرحمة، وكونِه أضافَ العباد إليه فهو تشريفٌ لهم، وتأكيدِ اسم إنَّ بقوله: «أنا»، وإدخالِ «أل» على هاتين الصفتين، وكونِهما جاءتا بصيغة المبالغة، والبُداءةِ بالصفة السارَّة أوَّلاً وهي الغفران، وإتباعِها بالصفة التي نشأ عنها الغفران، وهي الرحمة[1].

ورُوي في الحديث: «لو يعلمُ العبدُ قَدْرَ عَفْوِ الله ما تَورَّعَ عن حَرام، ولو يعلم قَدْرَ عذابِه لَبَخَعَ نفسَه»[2].

وفي الحديث عن ابن المبارك بإسناده أنَّ الرسول ﷺ طَلعَ من الباب الذي يدخلُ منه بنو شيبة ونحن نضحك، فقال: «ألا أَرَاكُم تضحكون؟» ثم أدبرَ حتى إذا كان عند الحِجْر رَجَعَ إلينا القَهْقَرَى، فقال: «جاء جبريل فقال: يقول الله: لِمَ تُقَنِّطُ عبادي؟ ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾»[3].

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما أعدَّ للعاصين من النار وللطائعين من الجنة ذَكَّرَ العربَ بأحوال مَنْ يعرفونه ممَّن عصى وكذَّبَ الرسلَ، فحلَّ به عذابُ الدنيا قبل عذابِ

(١) ينظر تفسير الرازي ١٩/ ١٩٤-١٩٥.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٨١-٨٢ عن قتادة مرسلاً، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٤. وقوله: لبخعَ نفسَه، أي: قتلَها غمًّا. وفي صحيح مسلم (٢٧٥٥) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لو يعلمُ المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنَّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنَّته أحد». وبنحوه أطول منه أخرجه عنه البخاري (٦٤٦٩).

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ٨٢، والثعلبي ٣/ ٤٩١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٢١.

الآخرة ليزدجروا عن كفرهم وليعتبروا بما حلَّ بغيرهم، فبدأ بذِكْرِ جدِّهم الأعلى إبراهيم عليه السلام وما جرى لقومِ ابنِ أخيه لوط، ثم بذِكْرِ أصحابِ الحِجْرِ، وهم قومُ صالح، ثم بأصحاب الأيْكة، وهم قوم شُعيب[١].

وقرأ أبو حَيْوَة: «ونَبِّيهُمْ» بإبدال الهمزة ياءً[٢].

و«ضَيف إبراهيم»: هم الملائكةُ الذين بشَّروه بالولد، وبهلاكِ قوم لوط، وأُضِيفُوا إلى إبراهيم ـ وإنْ لم يكونوا أضيافاً ـ لأنَّهم في صورة مَنْ كان يَنزِلُ به من الأضياف، إذْ كانَ لا ينزلُ به أحدٌ إلَّا ضَافَهُ، وكان يُكْنَى أبا الضِّيفان، وكان لقصره أربعةُ أبواب، من كلِّ جهة بابٌ لئلا يفوتَه أحد[٣]. والضيف أصلُه المصدر، والأفصحُ أن لا يُثَنَّى ولا يُجمع، للمثنَّى والمجموع[٤]، ولا حاجة إلى تكلُّف إضمار كما قاله النحاس وغيرُه من تقدير: أصحابِ ضَيْف[٥].

و«سلاماً» مقتطع من جملة محكيَّة بـ «قالوا»، فليس منصوباً به، والتقدير: سَلِمْتُ سلاماً، من السَّلامة، أو سلَّمنا سلاماً، من التَّحية.

وقيل: «سلاماً» نعت لمصدر محذوف تقديرُه: فقالوا قولاً سلاماً.

وتصريحُه هنا بأنه وَجِلٌ منهم كان بعد تقريبِه إليهم ما أضافَهم به ـ وهو العِجلُ الحَنِيذُ ـ وامتناعِهم من الأكل. وفي «هود» [٧٠] أنَّه أوْجَسَ في نفسه خِيفَةً، فيمكن أنَّ هذا التصريح كان بعد إيجاسِ الخِيفة، ويحتمل أن يكون القولُ هنا مجازاً بأنَّه ظهرت عليه مخايلُ الخوف حتى صار كالمصرِّح به القائل.

وقرأ الجمهور: «لا تَوْجَلْ» مبنيًّا للفاعل، وقرأ الحسن بضمِّ التاء مبنيًّا للمفعول

(١) جاء في الآيات ذِكْر أصحاب الأيكة، ثم أصحاب الحِجْر.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥.
(٣) حلية الأولياء ٣/ ٣٣٦، وشُعب الإيمان (٩٦١٧)، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٢٢.
(٤) قال ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥: «ضَيْف» مصدرٌ وُصف به، فهو للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد كعدل وغيره.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٨٢، ونقلَه عنه ابنُ عطية في المحرر.

من الإيجال[١]، وقُرِئ: «لا تَاجَلْ» بإبدال الواو ألفاً[٢]، كما قالوا: تابةٌ، في: توبة، وقُرِئ: «لا تُواجَلْ» مِن وَاجَلَهُ بمعنى: أَوْجَلَه[٣].

«إنَّا نُبَشِّرُك» استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوَجَل، أي: إنك بمثابة الآمِنِ المبشَّر فلا تَوْجَل، والمبشَّر به هو إسحاقُ، وذلك بعد أن وُلدَ له إسماعيل وشَبَّ بَشَّرُوه بأمرَيْن: أحدُهما: أنه ذَكَرٌ. والثاني: وَصْفُه بالعلم على سبيل المبالغة؛ فقيل: النبوَّة؛ كقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ [الصافات: ١١٢]. وقيل: عليمٌ بالدِّين.

وقرأ الأعرج: «بَشَّرتُموني» بغير همزة الاستفهام[٤]. و«على أنْ مَسَّنِيَ الكِبَرُ» في موضع الحال، وقرأ ابنُ مُحيصن: «الكُبْرُ» بضمّ الكاف وسكون الباء[٥].

واستنكرَ إبراهيم عليه السلام أن يُولَدَ له مع الكِبَر، و«فَبِمَ تُبَشِّرُون» تأكيدُ استبعادٍ وتعجُّبٌ، وكأنَّه لم يعلم أنهم ملائكةٌ رسلُ الله إليه، فلذلك استفهمَ واستنكر أن يولد له، ولو علمَ أنهم رُسُلُ الله ما تعجَّب ولا استنكرَ، ولاسيما وقد رأى من آيات الله عِياناً كيف إحياءُ الموتى.

قال الزمخشري[٦]: كأنَّه قال: فبأيِّ أُعجوبةٍ تُبشروني، أو أراد: إنكم تُبشِّرُونني بما هو غيرُ متصوَّر في العادة، فبأي شيء تُبَشِّرونِ؟ يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء، لأن البِشارةَ بمِثل هذا بِشارةٌ بغير شيء، ويجوز أن لا يكون صلةً لـ «بشَّر»، ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة، يعني بأيِّ طريقةٍ تُبَشِّرُونني بالولد؟ والبِشارةُ به لا طريقة لها في العادة. انتهى. وكأنَّه قال: أَعَلَى وَصْفي بالكِبَرِ، أم على أنِّي أُرَدُّ إلى الشباب؟

---

(١) القراءات الشاذة ص٧١، والمحتسب ٢/ ٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٢٣.
(٢) القراءات الشاذة ص٧١ عن أبي معاذ. قال ابن خالويه: ذكر النحويون فيه أربع لغات: تَوْجَل، وتَيْجَل، وتِيجَل، وتاجل.
(٣) المصدر السالف عن أصحاب عبد الله.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥. ونُسبت في تفسير القرطبي ١٢/ ٢٢٣ للأعمش.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٩٢.

وقيل: لما استطابَ البِشارة أعادَ السؤالَ. ويُضعِفُ هذا قولُهم له: ﴿قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ وقرأ الحسن: «تُبَشِّرُونِّي» بنون مشدَّدة وياء المتكلم، أدغمَ نونَ الرفع في نون الوقاية[1]، وابنُ كثير بشدِّها مكسورةً دون ياء، ونافع بكسرها مخفَّفةً، وغَلَّطَهُ أبو حاتم وقال: هذا يكون في الشِّعر اضطراراً، وخُرِّجت على أنه حَذفَ نونَ الوقاية وكسرَ نون الرَّفع للياء، ثم حُذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، وقالوا: هو مثلُ قولِهِ:

يَسُوءُ الفَالِياتِ إذا فَلَيْنِي[2]

وقول الآخر:

.... لا أباكِ تُخَوِّفِيني[3]

وقرأ باقي السبعة بفتح النون[4]، وهي علامة الرفع.

قال الحسن: «فَبِمَ تُبَشِّرُون» على وَجْه الاحتقار، وقلَّة المبالاة بالمبشِّرات لِمُضِيِّ العُمر واستيلاء الكبر[5].

وقال مجاهد: عَجِبَ من كِبَرِه وكِبَرِ امرأتِه. وتقدَّمَ ذِكْرُ سِنِّه وقتَ البِشارة[6].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥.

(٢) أي: فَلَيْنَني، وهو عجز بيت لعمرو بن معد يكرب، وصدرُه: تَرَاهُ كالثَّغام يُعَلُّ مِسْكاً. وهو في الكتاب ٣/ ٥٢٠، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٤٤٣، وللفراء ٢/ ٩٠، ومجاز القرآن ١/ ٣٥٢، واللسان (فلا). قوله: الثَّغام: نبتٌ له نَوْرٌ أبيض يُشَبَّهُ به الشَّيب، يُعَلُّ: يُطيَّبُ شيئاً بعد شيء. والفالية هي التي تَفْلِي الشَّعْر، أي: تُخرج القمل منه. ينظر خزانة الأدب ٥/ ٣٧١. وتحرَّف قوله: «الفاليات، فَلَيْني» في (ح) و(د١) و(د٢) ومطبوع البحر إلى: القاليات، قليني.

(٣) هو قطعة من بيت لأبي حَيَّة النُّميري كما في معاني القرآن للأخفش ١/ ٤٤٣-٤٤٤، ومجاز القرآن ١/ ٣٥٢، واللسان (فلا). ولفظه بتمامه:

أبالموت الذي لا بدَّ أنّي مُلاقٍ - لا أباكِ - تُخَوِّفيني

وقوله: لا أباك، أي: لا أبا لكِ. والبيت شاهدٌ أيضاً على حذف اللام، ينظر اللامات ص١٠٣، والأصول في النحو ١/ ٣٩٠، والخصائص ١/ ٣٤٥.

(٤) السبعة ص٣٦٧، والتيسير ص١٣٦. وينظر نحو ما سلف في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٥.

(٥) هذا كلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٦، وليس كلام الحسن.

(٦) ينظر تفسير الآية (٣٩) من سورة هود، و(٧١) من سورة إبراهيم. وقول مجاهد في تفسير =

و«بالحقِّ» أي: باليقين الذي لا لَبْسَ فيه، أو بالطريقة التي هي حقّ، وهي قولُ الله ووعدُه، وأنه قادرٌ على أنْ يُوجِدَ ولداً من غير أبوَيْن، فكيف من شيخٍ فانٍ وعجوزٍ عاقرٍ؟!

وقرأ ابن وثّاب وطلحة والأعمش ـ ورُويت عن أبي عَمرو ـ: «من القَنِطِين» من قَنِطَ يَقْنَطُ[1]. وقرأ النَّحويان والأعمش: «ومَنْ يَقْنِطُ» وفي الرُّوم والزُّمَر[2] بكسر النون، وباقي السبعة بفتحها[3]. وزيدُ بنُ علي والأشهب بضمِّها[4]. وهو استفهام في ضمنه النفي، ولذلك دخلت «إلا» في قوله ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

وقولُهم له: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾نهيٌ، والنهيُ عن الشيء لا يدلُّ على تلبُّس المنهيّ عنه به ولا بمقاربته[5]. وقولُه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ ردٌّ عليهم، وأنَّ المحاورة في البِشارة لا تدلُّ على القُنوط، بل ذلك على سبيل الاستبعاد لِما جرتْ به العادة.

وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ هبة الولد على الكِبَر من رحمة الله، إذ يشدُّ عَضُدَ والدِه به ويُؤازِرُه حالةَ كونهِ لا يستقلُّ، ويرثُ منه علمَه ودينه.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

لمَّا بشَّرُوه بالولد وراجعوه في ذلك علم أنهم ملائكةُ اللهِ ورُسُلُه، فاستفهمَ

= الطبري ١٤/ ٨٣-٨٤، والنكت والعيون ٣/ ١٦٤. والكلام أعلاه بتمامه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٦.

(١) مثل حَذِرَ يَحْذَرُ. ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٢٣.
(٢) آية الروم (٣٦): إذا هم يقنطون، وآية الزُّمَر (٥٣): لا تقنطوا.
(٣) السبعة ص٣٦٧، والتيسير ص١٣٦. والنحويَّان: أبو عمرو البصري، والكسائي.
(٤) المحتسب ٢/ ٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٦.
(٥) في المطبوع: بمقارنته.

بقوله: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾والخَطْبُ لا يكاد يُقال إلا في الأمر الشديد، فأضافه إليهم من حيث إنهم هم حاملُوه إلى أولئك القوم المعذَّبين(١).

ونكَّرَ قوماً وصِفتَهم تقليلاً لهم واستهانةً بهم، وهم قوم لوط أهلُ مدينة سَدُومَ، والمعنى: أُرْسِلْنا بالهلاك.

و«إلّا آل لوط» يحتمل أن يكون استثناءً من الضمير المستكنّ في «مجرمين»، التقدير: أجرمُوا كلُّهم إلا آلَ لوط، فيكون استثناءً متصلاً، والمعنى: إلا آلَ لوط فإنهم لم يُجرِمُوا، ويكون قولُه: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾استئنافَ إخبارٍ عن نَجاتهم، وذلك لكونهم لم يُجرِمُوا، ويكون حكم الإرسال منسحباً على قوم مجرمين وعلى آل لوط لإهلاكِ هؤلاء وإنجاءِ هؤلاء.

والظاهر أنه استثناءٌ منقطع لأنَّ آلَ لوط لم يندرج في قوله: «قومٍ مجرمين» لا على عموم البدل لأنَّ وَصْف الإجرام منتفٍ عن آل لوط، ولا على عموم الشمول لتنكير «قومٍ مجرمين» ولانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط، وإذا كان استثناءً منقطعاً فهو ممَّا يجبُ فيه النصبُ لأنه من الاستثناء الذي لا يمكنُ تَوجُّهُ(٢) العاملِ على المستثنى فيه، لأنهم لم يُرسَلُوا إليهم أصلاً، وإنما أُرسلوا إلى القوم المجرمين خاصَّة، ويكون قولُه: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾جرى مَجرى خبر «لكنَّ» في اتصاله بآل لوط؛ لأن المعنى: لكنَّ آلَ لوط مُنَجَّوْن(٣).

وقد زعمَ بعضُ النَّحويِّين في الاستثناء المنقطع المقدَّر بـ «لكنَّ» إذا لم يكن بعدَه ما يصحُّ أن يكون خبراً أنَّ الخبرَ محذوف، وأنه في موضع رفع لجريان «إلَّا» وتقديرِها بـ «لكنَّ»(٤).

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٦.

(٢) في (أ) والمطبوع: بوجه.

(٣) في (أ): منجُّوهم.

(٤) ذكر الاستراباذي في شرح الكافية ٢/ ١١٧ أن «إلا» في الاستثناء المنقطع هي عند المتأخرين من البصريين مثل «لكنَّ» الناصبة، وخبرها محذوف غالباً، وأنها عند سيبويه مثل «لكنْ» العاطفة للمفرد على المفرد، ولهذا وجب فتح «أنَّ» الواقعة بعدها في نحو قولك: زيد غنيّ إلا أنه شقي. وأمَّا عند الكوفيّين، فهي بمعنى «سوى» وانتصاب المستثنى بعدها كانتصابه في المتصل.

قال الزمخشري[١]: فإن قلتَ: فقولُه: «إلا امْرَأَتَهُ» مِمَّ استُثني؟ وهل هو استثناءٌ من استثناء؟ قلت: استُثنِيَ من الضمير المجرور في قوله «لَمَنجُّوهم»، وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء، لأنَّ الاستثناء من الاستثناء إنَّما يكون فيما اتَّحَدَ الحُكْمُ فيه، وأن يقال: أهلكناهم إلا آلَ لوط إلا امرأتَه، كما اتَّحَدَ الحُكْمُ في قول المطلِّق: أنتِ طالِقٌ ثلاثاً إلا اثنتينِ إلا واحدةً، وفي قول المُقِرِّ: لِفلانٍ عَلَيَّ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ إلا ثلاثةً إلا درهماً، فأمَّا في الآية فقد اختلفَ الحُكْمانِ؛ لأنَّ «إلا آلَ لوط» متعلِّق بـ «أُرْسِلْنا» أو بـ «مجرمين» و«إلا امْرَأتَهُ» قد تعلَّق بـ «مُنَجُّوهُم» فأنَّى يكونُ استثناءً من استثناء. انتهى.

ولما استسلف الزمخشريّ أنَّ «إلا امرأته» مستثنًى من الضمير المجرور في «لمنجُّوهم» لم يجوِّز أن يكون استثناءً من استثناء، ومَن قال: إنَّه استثناءٌ من استثناء، فيمكن تصحيحُ كلامِه بأحدِ وجهين:

أحدُهما: أنه لمَّا كان الضميرُ في «لَمُنجُّوهم» عائداً على آل لوط وقد استثنَى منه المرأة، صارَ كأنَّه مستثنًى من «آلِ لوط» لأنَّ المُضمَر هو الظاهر في المعنى.

والوجه الآخَر: أنَّ قوله: «إلَّا آلَ لوط» لمَّا حكمَ عليهم بغير الحُكم على قوم مجرمين، اقتضى ذلك نجاتَهم، فجاء قوله: «إنَّا لَمُنَجُّوهُم أجمعين» تأكيداً لمعنى الاستثناء، إذِ المعنى: إلَّا آلَ لوط فلم يُرسَل إليهم بالعذاب، ونجاتُهم مترتِّبةٌ على عدم الإرسال إليهم بالعذاب، فصار نظيرَ قولك: قام القوم إلَّا زيداً فإنه لم يقُم، أو إلا زيداً لم يقُم، فهذه الجملةُ تأكيدٌ لِما تضمَّنَه الاستثناء من الحُكم على ما بعد «إلّا» بضدِّ الحُكم السابق على المستثنى منه، فـ «إلا امْرَأتَه» على هذا التقرير[٢] الذي قرَّرناه استثناءٌ من «آلِ لوط» لأنَّ الاستثناء ممَّا جيء به للتأسيس أوْلَى من الاستثناء ممَّا جيء به للتأكيد.

وقرأ الأخَوَان: «لَمُنْجُوهُمْ» بالتخفيف، وباقي السبعة بالتشديد[٣].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) في (يه): التقدير.

(٣) السبعة ص٣٦٧، والتيسير ص١٣٦. والأخوان: حمزة والكسائي.

وقرأ أبو بكر: «قَدَرْنَا» بالتخفيف، وباقي السبعة بالتشديد[١]، وكُسرت «إنَّها» إجراءً لفعل التقدير مُجْرَى العلم، إمَّا لكونِه بمعناه، وإمَّا لترتُّبه عليه[٢].

وأسنَدُوا التقديرَ إليهم ولم يقولوا: قَدَّرَ الله؛ لأنَّهم هم المأمورون بإهلاكهم، كما يقول مَنْ يلُوذُ بالمَلِك ومَنْ هو متصرِّفٌ بأوامره: أَمَرْنا بكذا. والآمِرُ هو المَلِك.

وقال الزمخشري[٣]: لِمَا لَهم من القُرْبِ والاختصاص بالله الذي ليس لأحدٍ غيرِهم. انتهى. فأدرجَ مذهبَ الاعتزال في تفضيل الملائكة في غُضونِ كلامِه.

ووَصْفُ «قوم» بـ «مُنْكَرُون» لأنه نَكِرَتْهُم نفسُه ونَفَرَتْ منهم، وخافَ أن يَطْرُقُوهُ بِشَرٍّ.

و«بَلْ» إضرابٌ عن قولٍ محذوف، أي: ما جئناك بشيء تخافُه، بل جئناك بالعذاب لقومِك؛ إذْ كانُوا يَمْتَرُون فيه، أي: يَشُكُّون في وقوعه، أو يجادلونك فيه تكذيباً لك بما وعَدْتَهم عن الله.

ويحتمل أن يكون نَكِرَهُم لكونهم ليسوا بمعروفين في هذا القُطْر، فخافَ الهجومَ منهم عليه، أو أنْ يتعرَّضَ إليهم أحدٌ من قومه، إذْ كانوا في صورة شباب حِسانٍ مُرِدٍ.

﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾أي: باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾في الإخبار بحلوله بهم. وتقدَّم الخلاف في القراءة في «فأَسْرِ»[٤].

وروى صاحب «الإقليد»: «فَسِرْ» من السَّيْر، وحكاها ابنُ عطية[٥] وصاحبُ «اللوامح» عن اليمانيّ.

---

(١) المصدران السالفان.

(٢) تعقَّب السمين الحلبي المصنفَ بأنَّ كسر الهمزة في «إنها» إنما هو من أجل اللام في خبرها، وأما إجراءُ فعلِ التقدير مُجرى العلم فإنما يصلحُ علَّةً لتعليقِهِ قبلَها. ينظر كلامه بتمامه في الدر المصون ٧/ ١٧٠.

(٣) الكشاف ٢/ ٣٩٤.

(٤) قرأ نافع وابنُ كثير بوصل الهمزة، من: سَرَى، وقرأ باقي السبعة بقطعها، من: أسرى. وسلف في «هود» الآية (٨١).

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٨. وحكاها الزمخشري ٢/ ٣٩٤ عن صاحب الإقليد. وذكر حاجّي خليفة في كشف الظنون ١/ ١٣٧ كتاب الإقليد في التفسير عن صاحب الكشف.

وحكى القاضي منذر بنُ سعيد أنَّ فِرْقةً قرأت «بقِطَع» بفتح الطاء[١]، وتقدَّم الكلام في القِطع وفي الالتفات في سورة هود[٢].

وخطب الزمخشري هنا فقال: فإنْ قلتَ: ما معنى أمرِه باتِّباع أدبارِهم ونهيِهم عن الالتفات؟ قلت: قد بعثَ اللهُ الهلاكَ على قومه ونجَّاه وأهلَه إجابةً لدعوته عليهم وخرجَ مُهاجراً، فلم يكن بدٌّ من الاجتهاد في شكرِ الله وإدامةِ ذِكْرِهِ وتفريغ بالِه لذلك، فأُمِرَ بأنْ يُقَدِّمَهم لئلا يشتغلَ بمَنْ خَلْفَهُ قلبُه، وليكون مطَّلعاً عليهم وعلى أهوالهم[٣]، فلا تَفْرُطَ منهم التفاتة احتشاماً منه، ولا غيرُها من الهَفَوات في تلك الحالِ المَهُولَةِ المحذورة، ولئلا يتخلَّفَ منهم أَحَدٌ لغرضٍ له فيصيبَه [العذاب] وليكون مَسِيرُهُ مَسِيرَ الهارب الذي يُقَدِّمُ سِرْبَهُ[٤] ويفُوتُ به.

و ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قال ابن عبَّاس: الشام. وقيل: زُغَر[٥]. وقيل: موضعُ نجاةٍ غيرُ معروف. وقيل: مصر. وقيل: إلى أرضِ الخليل بمكانٍ يقال له: اليقين[٦]. و«حَيْثُ» على بابها من أنها ظرفُ مكان، وادِّعاءُ أنها قد تكون هنا ظرفَ زمان من حيث إنه ليس في الآية أمرٌ إلا قوله: «فأَسْرِ بأهلك بقِطْع من الليل»، ثم قيل له: حيث تُؤْمَر=ضعيفٌ. ولفظ «تُؤْمَر» يدلُّ على خلاف ذلك، إذ كان يكون التركيب: من حيثُ أُمِرْتُم.

و«حيثُ» من الظروف المكانيَّة المبهمة، فلذلك يتعدَّى إليها الفعل ـ وهو «امْضُوا» ـ بنفسِه، تقول: قعدتُ حيث قعدَ زيدٌ، وجاء في الشِّعر دخول «في» عليها؛ قال الشاعر:

---

(١) حكاها عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٨.
(٢) تقدَّم في آية يونس (٢٧): «قِطعاً من الليل مظلماً» أن ابن كثير والكسائي قرأا بسكون الطاء، وقرأ باقي السبعة بفتحها، وسلف الكلام على التفات امرأة لوط في «هود» (٨١).
(٣) في (ح) والكشاف ٢/ ٣٩٥ (والكلام منه): أحوالهم.
(٤) في (به) والمطبوع: تقدم سربه. وكلمة «العذاب» السالفة بين حاصرتين من الكشاف.
(٥) وزن زُفَر كما في معجم البلدان ٣/ ٤١١، وهي قرية بمشارف الشام، وسقط هذا القول من المطبوع.
(٦) تنظر الأقوال مفرَّقة في تفسير البغوي ٣/ ٥٤، والكشاف ٢/ ٣٩٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٢٧.

فأصبحَ في حيثُ الْتَقَيْنَا شرِيدُهُمْ طليقٌ ومَكْتُوفُ اليَدَيْنِ ومُزْعَفُ(١)

ولما ضمَّن «قَضَيْنا» معنى «أوحَيْنا» تعدَّت تعدِّيَها بـ «إلى»، أي: وأوحينا إلى لوط مَقْضِيًّا مبتوتاً. والإشارةُ بـ «ذلك» إلى ما وعدَه تعالى من إهلاك قومه، و«أنَّ دابِرَ» تفخيم لـ «الأمر» وتعظيمٌ له(٢)، وهو في موضع نصب على البدَل من «ذلك». قاله الأخفش، أو على إسقاط الباء، أي: بأنَّ دابِرَ. قاله الفرَّاء(٣). وجَوَّزَهما الحَوْفيّ.

و«أنَّ دابِرَ هؤلاء مقطوعٌ» كنايةٌ عن الاستئصال. وتقدَّم تفسيرُ مثلِه في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنعام: ٤٥].

و«مُصْبِحينَ»: داخلينَ في الصَّباح، وهو حالٌ من الضمير المستكنّ في «مقطوع» على المعنى، ولذلك جمعَه، وقدَّره الفرَّاء وأبو عبيد: إذا كانوا مصبحين، كما تقول: أنتَ راكباً أحسنُ منك ماشياً. فإنْ كان تفسيرَ معنًى فصحيح، وإنْ أرادَ الإعرابَ فلا ضرورةَ تدعو إلى هذا التقدير.

وقرأ الأعمش وزيد بنُ علي: «إنَّ دابِرَ» بكسر الهمزة(٤)، لمَّا ضمَّن «قَضَيْنا» معنى «أَوْحَينا» فكان المعنى: أعْلَمْنا، علَّقَ الفعل، فكسرَ «إنَّ»، أو لمَّا كان القضاءُ بمعنى الإيحاء معناهُ القولَ كسَرَ «إنَّ» ويؤيِّده قراءةُ عبدِ الله: «وقلنا إنَّ دابِرَ»(٥) وهي قراءة تفسيرٍ لا قرآنٍ لمخالفتها السَّوَاد. والمدينة سَدُوم، وهي التي ضُرِبَ بقاضيها المَثَلُ في الجَوْر(٦).

---

(١) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ٢/ ٢٩، وهو من شواهد الكتاب ٢/ ١٠ على رفع «طليق» وما بعده على القطع لأنه تبعيض للشريد وبيان لأنواعه. قوله: مزعف، أي: المقتول مكانه.
(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٣٩٥.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٠. وذكر القولين ابن عطية ٣/ ٣٦٨، وصوَّب الأول. وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٨٩، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤١٥. والإملاء ٢/ ٧٦.
(٤) القراءات الشاذة ص٧١، والكشاف ٢/ ٣٩٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٩.
(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٠، وتفسير الطبري ١٤/ ٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٨٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٩٣، والكشاف ٢/ ٣٩٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٩.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٩٥. وفي مجمع الأمثال ١/ ١٩٠: أجْوَرُ من قاضي سَدُوم.

=

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

استبشارُهم: فَرَحُهُم بالأضياف الذين ورَدُوا على لوطٍ عليه السلام، والظاهرُ أنَّ هذا المجيءَ ومحاورةَ لوطٍ[1] مع قومه في حقِّ أضيافِه وعَرْضَه بناتِه عليهم كان ذلك كلُّه قبلَ إعلامِه بهلاك قومِه وعلمِه بأنهم رُسُلُ الله، ولذلك سمَّاهم ضَيْفاً، وخافَ الفضيحةَ منهم لأجل[2] تعاطيهم ما لا يجوزُ من الفعل القبيح. وقد جاء ذلك مرتَّباً هكذا في «هود»، والواو لا تُرتِّب.

قال ابنُ عطية[3]: ويَحتمل أن يكون المجيءُ والمحاورةُ بعدَ علمِه بهلاكِهم، وحاورَ تلك المحاورةَ على جهة التَّكَتُّم عنهم والإملاءِ لهم والتربُّصِ بهم. انتهى.

ونهاهم عن فضحهم إيَّاه لأنَّ من أساءَ إلى ضيفِه أو جارِه فقد أساءَ إليه[4].

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ من الخِزْي، وهو الإذلال، أو من الخَزَاية، وهو الاستحياء. وفي قولهم: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ﴾ دليلٌ على تقدُّم نهيهم إيَّاه عن أن يُضِيفَ أو يُجِيرَ أحداً أو يدفعَ عنه، أو يمنع بينهم وبينه، فإنَّهم كانوا يتعرَّضون لكلِّ أحد، وكان هو صلى الله على نبينا وعليه يقوم بالنهي عن المنكر والحَجْزِ بينَه وبين من تعرَّضَ له[5]، فأوْعَدُوه

= وقيل: سَدُوم، اسم قاضي القرية، وجاء في شعر ابن دارة: وأجْوَرُ في الحكومة من سَدُومِ. ينظر ثمار القلوب ص١٠٧، وفصل المقال ص٥٠٣.

(١) في (ح) والمطبوع: ومحاورته.

(٢) المثبت من (ز١) و(يه). وفي (د١) والمطبوع: سمَّاهم ضيفان خوف الفضيحة لأجل... وفي النسخ الأخرى: خاف، بدل: خوف.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٨.

(٤) الكلام في الكشاف ٢/ ٣٩٥، وعبارته: «لأن من أُسيء إلى ضيفِهِ أو جاره فقد أسيء إليه». وهي أحسن.

(٥) في المطبوع: والحجر بينهم وبين من تعرضوا له.

بأنه إن لم ينتهِ أخرجوه[١].

وتقدَّم الكلام في قوله: «بناتي» ومعنى الإضافة في «هود» [٧٨].

و«إنْ كنتُم فاعلين» شَكٌّ في قبولهم لقوله، كأنَّه قال: إنْ فعلتُم ما أقولُ لكم وما أظنُّكم تفعلون، وقيل: إن كنتُم تريدون قضاءَ الشهوة فيما أَحَلَّ الله دونَ ما حرَّم[٢].

واللام في «لَعَمْرُكَ» لامُ الابتداء، والكاف خطابٌ للوط عليه السلام، والتقدير: قالت الملائكة للوط: «لَعَمْرُكَ». وكَنَى عن الضلالة والغفلة بالسَّكْرَة، أي: تحيُّرُهم في غفلتهم وضلالتهم منعَهم عن إدراك الصَّواب الذي تُشيرُ به من ترك البنين إلى البنات.

وقيل: الخطابُ للرسول ﷺ، وهو قولُ الجمهور؛ ابنُ عبَّاس وأبو الجَوْزاء وغيرُهما[٣]، أقسمَ تعالى بحياته تكريماً له.

والعَمْرُ بفتح العين وضمِّها: البقاءُ، وألزمُوا الفتحَ القَسَم، ويجوز حذف اللام، وبذلك قرأ ابنُ عباس؛ قرأ: «وعَمْرَكَ»[٤].

وقال أبو الهيثم: «لَعَمْرُكَ» لَدِينُك الذي تعمُر. وأنشَدَ:

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانْ[٥]

أي: عبادتَك اللهَ. وقال ابنُ الأعرابيّ: عَمَرْتُ ربِّي، أي: عَبَدْتُه، وفلانٌ عامِرٌ

(١) بنحوه في الكشاف ٢/ ٣٩٥-٣٩٦.
(٢) المصدر السالف.
(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٤٩٣-٤٩٤، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٨، والكشاف ٢/ ٣٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٦٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٢٨-٢٢٩.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠.
(٥) البيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص٢٢٩. والمُراد بالثُّريَّا: بنتُ علي بن عبد الله بن الحارث، والمرادُ بسُهيل: ابنُ عبد الرحمن بن عوف، ورَّى عنهما بالنَّجمين المعروفَيْن.

لربِّه، أي: عابد. قال: ويقال: تركتُ فلاناً يعمُر ربَّه، أي: يعبُدُه[١]. فعلى هذا «لَعَمْرُكَ»: لَعِبَادَتُكَ.

وقال الزجّاج[٢]: ألزمُوا الفتحَ القَسَمَ لأنه أخفُّ عليهم، وهم يُكثرون القَسَم بـ «لَعَمْرِي» و«لَعَمْرُكَ»، فلزمُوا الأخَفَّ.

وارتفاعُه بالابتداء، والخبرُ محذوف، أي: ما أُقسِمُ به.

وقال بعضُ أصحاب المعاني: لا يجوزُ أن يضافَ إلى الله لأنه لا يقال لله تعالى عَمْر، وإنما يقال: هو أزليّ[٣]، وكأنَّه تَوهَّم أنَّ العَمْر لا يقال إلا فيما له انقطاع، وليس كذلك، العَمْر والعُمْر البقاء. وقال الشاعر:

إذا رَضِيَتْ عليَّ بنو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللهِ أعْجَبَني رِضاها[٤]

وقال الأعشى:

وَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهورَ علامةً فيَبِينُ منها نَقْصُها وكَمالُها[٥]

وكَرِهَ النخعيُّ أن يقال: لَعَمْرِي، لأنه حَلِفٌ بحياة المُقسِم[٦]. وقال النابغة:

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بهيِّنٍ[٧]

والضمير في «سَكْرَتِهم» عائدٌ على قوم لوط، وقال الطبريّ: لقريش. وهذا مرويٌّ عن ابن عباس؛ قال: ما خلقَ اللهُ نفساً أكرمَ على الله من محمد؛ قال له: وحياتِك «إنهم»، أي: قومَك من قريش[٨] «لفي سَكْرَتِهم» أي: في ضلالهم وجهلهم

---

(١) تهذيب اللغة ٢/ ٣٨٣.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ١٨٣. وينظر زاد المسير ٤/ ٤٠٨.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠ (والكلام فيه عن الزهراوي): وإنما يقال: بقاء أزلي.

(٤) البيت لقحيف العقيلي، ينظر أدب الكاتب ص٥٠٧، والخصائص ٢/ ٣١١، وخزانة الأدب ١٠/ ١٣٣.

(٥) ديوان الأعشى ص٨١، ورواية عجزه فيه: قَدْراً فبيَّنَ نصفَها وهلالَها، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ٣٦٩، ورواية عجزه فيه: فيها فبيَّن نصفها وكمالها.

(٦) تفسير الطبري ١٤/ ٩٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٠.

(٧) هو صدرُ بيت له، وعَجُزُه: لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ، وهو في ديوانه ص٨٠.

(٨) قوله: أي قومك من قريش. . . الخ، من كلام الطبري وليس من قول ابن عباس، ينظر

«يَعْمَهُون» يتردَّدُون. قال ابنُ عطية[١]: وهذا بعيد لانقطاعه ممَّا قبلَه وما بعدَه.

وقرأ الأشهب: «سُكْرَتِهم» بضمّ السين، وابنُ أبي عَبْلة: «سَكَرَاتهم» بالجمع، والأعمشُ: «سَكْرِهم» بغير تاء، وأبو عَمرو في رواية الجَهْضَمِيّ «أَنَّهم» بفتح همزة «أَنَّهم»[٢].

و«الصيحةُ» صيحةُ الهلاك، وقيل: صوتُ جبريلَ عليه السلام، وقال ابنُ عطية: هي صيحةُ الوَجْبة[٣]، وليست كصيحة ثمود.

«مُشرقين»: داخلين في الشروق، وهو بزوغُ الشمس[٤]، وقيل: أولُ العذابِ كان عند الصُّبح وامتدَّ إلى شروق الشَّمس، فكانَ تمامُ الهلاك عند ذلك[٥].

والضمير في «عَالِيَها سَافِلَها» عائدٌ على «المدينة» المتقدِّمةِ الذِّكْر. وقال الزمخشريّ: لِقُرى قومِ لوط[٦]. ولم يتقدَّم لفظ القُرى.

وقال مقاتل وابنُ زيد: «للمُتَوَسِّمِين»: للمتفكِّرين. وقال الضحَّاك: للناظرين. قال الشاعر:

أَوَكُلَّما وردت عُكاظَ قبيلةٌ ... بَعَثُوا إليَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ[٧]

وقال أبو عُبيدة: للمتبصِّرين، وقال قتادة: للمعتبرين. وروى نَهْشَل عن ابنِ

= تفسير الطبري ١٤/ ٩١. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٠٩ بنحوه عن عطاء. وينظر أيضاً الهداية ٦/ ٣٩١٤.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠.

(٢) القراءات المذكورة هي في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠، وبعضها في القراءات الشاذة ص٧١، والكشاف ٢/ ٣٩٦.

(٣) المثبت من المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠، وهو الصواب، وتحرفت في النسخ الخطية إلى الوحشة. وينظر تفسير ابن أبي حاتم (١١٠٨٩) (١١٠٩٠) (الآية ٨١ من هود)، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥١-٥٢ (الآية ٧٨ من الأعراف).

(٤) الكشاف ٢/ ٣٩٦.

(٥) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٢.

(٦) الكشاف ٢/ ٣٩٦.

(٧) البيت لطريف بن تميم العنبري، وهو في الكتاب ٤/ ٧، والأصمعيات ص١٢٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٩٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٣.

عباس «للمتوسِّمين» قال: لأهل الصَّلاح والخير[١].

والضمير في «وإنَّها» عائد على المدينة المُهْلَكة، أي: إنها لَبِطَرِيقٍ ظاهرٍ بَيِّنٍ للمعتبر. قاله مجاهد وقتادة وابن زيد[٢].

قيل: ويحتمل أن يعودَ على الآيات، ويحتمل أن يعودَ على الحجارة[٣].

وقولُه: «لَبِسبيل» أي: مَمَرٌّ ثابت، وهي بحيث يراها الناسُ ويعتبرون بها لم تندرس، وهو تنبيهٌ لقريش كقوله[٤]: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨].

وقيل: عائدٌ على الصَّيحة، أي: وإنَّ الصيحة لَبِمَرْصَدٍ لِمَنْ يعملُ عملَهم، كقوله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣]، وقيل: «مقيم»: معلوم، وقيل: مُعَبَّدٌ[٥] دائم السلوك. وقال ابنُ عباس: هلاكٌ دائم[٦].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في صُنعنا بقوم لوط لَعلَامةً ودليلاً لمن آمنَ بالله.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝٧٨ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝٧٩﴾ هم قومُ شُعيب ـ والأيكة التي أُضِيفُوا إليها كانت شَجَرَ الدَّوْم، وقيل: المُقْل، وقيل: السِّدْر. وقيل: الأيكة اسمُ النَّاحية، فيكون عَلَماً، ويقوِّيه قراءةُ مَن قرأ في «الشعراء» و«ص»: «لَيْكَة» ممنوعةَ الصَّرْف[٧] ـ كفروا فسلَّط الله عليهم الحرَّ

---

(١) ينظر ما سلف من أقوال في معنى «المتوسِّمين» في معاني الفراء ٢/ ٩١، وتفسير الطبري ١٤/ ٩٥-٩٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٤٩٤، والنكت والعيون ٣/ ١٦٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠، وزاد المسير ٤/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٣.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٩٨، والثعلبي ٣/ ٤٩٤، وزاد المسير ٤/ ٤١٠، والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٠.

(٤) لفظ «كقوله» من (ز١) و(يه). والكلام في الكشاف ٢/ ٣٩٦.

(٥) المثبت من (ز١) والضبط منها. وفي (د٢) والمطبوع: معتدّ، وفي النسخ الأخرى: معبر.

(٦) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٦٨، وزاد المسير ٤/ ٣١٠، ووقع بعدها في (د١) والمطبوع كلمة «السلوك»، ولم ترد هذه الكلمة في القول الذي قبله في المطبوع.

(٧) قرأ بها من السبعة نافع وابن كثير وابنُ عامر، وهي في «الشعراء» (١٧٦) و«ص» (١٣). وتنظر الأقوال السالفة في الأيكة في تفسير الطبري ١٤/ ١٠٠، والنكت والعيون ٣/ ١٦٨، =

وأُهلكوا بعذاب الظُّلَّة، ويأتي ذلك مستوفًى إن شاء الله تعالى في سورة الشعراء.

و«إنْ» عند البصريِّين هي المخفَّفة من الثقيلة، وعند الفرَّاء نافية، واللام بمعنى «إلّا» وتقدَّم نظيرُ ذلك في ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ في «البقرة» [١٤٣].

والظاهر قولُ الجمهور من أنَّ الضمير في «وإنَّهما» عائدٌ على قريَتي قوم لوط وقوم شعيب، أي: إنَّهما على مَمَرٍّ السَّابِلَة[١].

وقيل: يعودُ على لوط وشعيب، أي: وإنهما لبإمامٍ مبين، أي: بطريقٍ من الحقِّ واضح، والإمام: الطريق[٢].

وقيل: «وإنهما» أي: إن الخبر بهلاك قوم لوط وأصحابِ الأيكة لفي مكتوب مبين، أي: اللوح المحفوظ. قال مؤرِّج: والإمام: الكتاب بلغة حِمْير[٣].

وقيل: يعودُ على أصحاب الأيكة ومدين، لأنَّه مرسَلٌ إليهما، فدلَّ ذِكْرُ أحدِهما على الآخر، فعاد الضمير إليهما[٤].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

أصحاب الحِجْر ثمودُ قومُ صالحٍ عليه السلام، والحِجْرُ أرضٌ بين الحِجاز والشام، وتقدَّمت قصتُه في «الأعراف» مستوفاة.

و«المرسلين» يعني بتكذيبهم صالحاً، لأنَّ مَنْ كذَّبَ واحداً منهم فكأنما كذَّبهم جميعاً، قال الزمخشريّ[٥]: أو أرادَ صالحاً ومَنْ معَه من المؤمنين، كما قيل:

= والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٧. وفي النكت والعيون أن شجر الدَّوْم هو المُقْل.

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٠١-١٠٢، والثعلبي ٣/ ٤٩٤، والنكت والعيون ٣/ ١٦٩، والكشاف ٢/ ٣٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢، وزاد المسير ٤/ ٤١٠، والقرطبي ١٢/ ٢٣٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢.

(٣) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٦٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٩٦.

(٥) في الكشاف ٢/ ٣٩٦، والكلام السالف قبله فيه.

الخُبَيْبُون في ابنِ الزُّبير وأصحابِه[(١)].

وعن جابر قال: مَرَرْنا مع رسولِ الله ﷺ على الحِجْر، فقال لنا: «لا تَدْخُلُوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسَهم إلا أن تكونوا باكِينَ حَذَراً أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابَ هؤلاء» ثمَّ زجَرَ رسول الله ﷺ راحلتَه، فأسرعَ حتى خلَّفها[(٢)].

وفي بعض طُرقِه[(٣)]: ثم قال: «هؤلاء قومُ صالح أهلكَهم الله إلا رجلاً كان في حَرَمِ الله، منعَه حَرَمُ اللهِ من عذابِ الله». قيل: مَنْ هو يا رسول الله؟ قال: «أبو رِغَال» وإليه تُنسب ثَقِيف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ قيل: أُنزلَ إليهم آياتٌ من كتاب الله، وقيل: يُرادُ نَصب الأدلَّة، فأعرضُوا عنها.

وقيل: كان في النَّاقة آياتٌ خمسٌ: خروجُها من الصخرة، ودُنوُّ نَتاجِها عند خُروجِها، وعِظَمُها حتى لم تُشبهها ناقةٌ، وكثرةُ لَبَنِها حتى يكفيَهم جميعاً[(٤)]. وقيل: كانت له آياتٌ غير الناقة[(٥)].

وقرأ الجمهور: «يَنْحِتُون» بكسر الحاء، وقرأ الحسن وأبو حيوة بفتحها[(٦)]،

---

(١) لفظ «الخُبَيْبُون» جاء عند الزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٩٦ ومَنْ بعدَه. وجاء في رَجَز حُميد الأرقط: قَدْنِيَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي. رُوي بالتثنية والمرادُ بهما عبدُ الله بن الزُّبير وابنُه خُبيب، أو عبد الله وأخوه مصعب، ورُوي بالجمع، والمرادُ بهم ثلاثتهم، أو عبدُ الله ومن كان على رأيه، أقوال. ينظر اللسان (خبب)، وينظر تفسير قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠] في تفسير القرطبي ١٨/ ٨٩ وغيره.

(٢) الحديث بهذا اللفظ في الكشاف ٢/ ٣٩٦، وأورده الثعلبي في تفسيره ٣/ ٤٩٤ عن عبد الله بن عمر وجابر ﷺ بزيادة اللفظ الذي سيذكره المصنف بعده. والحديث عند البخاري (٣٣٨٠) ومسلم (٢٩٨٠) عن عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) هو من رواية الثعلبي التي ذكرتُها في التعليق السالف.

(٤) هذه أربعة لا خمسة، وجاء ذكرُها كذلك في تفسير البغوي ٣/ ٥٦، وزاد المسير ٤/ ٤١١. وقال القرطبي ١٢/ ٢٤٨: كانت فيها آيات جمَّة. . . . وذكرها.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٣/ ٥٦، والقرطبي ١٢/ ٢٤٨.

(٦) القراءات الشاذة ص٧١، والمحتسب ٢/ ٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢. قال ابن جني: نحَت ينحِتُ، بكسر الحاء، وفتحها لأجل حرف الحلق الذي فيها، كسَحَرَ يَسْحَرُ.

وصفَهم بشدَّة النَّظَر للدنيا والتكسُّب منها، فذَكَرَ من ذلك مثالاً وهو نَقْرُهُم بالمعاوِلِ ونحوِها في الحجارة(١).

و«آمنين» قيل: من الانهدام، وقيل: من حوادث الدُّنيا، وقيل: من الموت لاغترارهم بطول الأعمار(٢)، وقيل: من نَقْب اللُّصوص ومن الأعداء، وقيل: من عذاب الله، يَحسَبُون أنَّ الجبال تحميهم منه(٣).

قال ابنُ عطية: وأصحُّ ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقبَ الآخرة، فكانوا لا يعملون بِحَسَبِها، بل كانوا يعملون بِحَسَبِ الأمْنِ منها.

و«مُصْبِحين»: داخلين في الصَّباح.

والظاهر أنَّ «ما» في قوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ نافية، وتَحتمِلُ الاستفهامَ، المرادُ منه التعجُّب.

و«ما» في «ما كانوا» تَحتمِلُ أن تكون مصدرية، والظاهر أنها بمعنى «الذي» والضميرُ محذوف، أي: يكسبونَه من البيوت الوثيقة، والأموال والعُدَد، بل خرُّوا جاثِمينَ هَلْكَى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.

---

(١) الكلام مختصر من المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢.
(٢) المصدر السالف.
(٣) الكشاف ٢/ ٣٩٧. وينظر ما سلف من أقوال في النكت والعيون ٣/ ١٦٩، وزاد المسير ٤/ ٤١٢.

«إلا بالحقّ» أي: خَلْقاً مُلْتَبِساً بالحق لم يُخلَقْ شيءٌ من ذلك عَبَثاً ولا هَمَلاً، بل ليُطيع من أطاعَ بالتفكُّرِ في ذلك الخلقِ العظيم، وليتذكَّرِ النشأةَ الآخرةَ بهذه النشأةِ الأولى، ولذلك نبَّه مَنْ يتنبَّهُ بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ فيُجازِي مَنْ أطاعَ ومَنْ عَصَى.

ثم أمرَ نبيَّه ﷺ بالصفح، وذلك يقتضي المهادَنةَ، وهي منسوخةٌ بآية السيف. قاله قتادة[١]، أو إظهارِ الحِلْمِ[٢] عنهم والإغضاء له[٣].

ولما ذكرَ خَلْقَ السماواتِ والأرضِ وما بينَهما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾أتى بصفة المبالغة لكثرة ما خلقَ، أو الخلَّاقُ مَنْ شاء لِما شاءَ مِن سعادة أو شقاوة.

وقال الزمخشري[٤]: الخلَّاق الذي خلقَكَ وخلقَهم، وهو العليم بحالِكَ وحالِهم، فلا يخفَى عليه ما يجري بينَكم، أو إنَّ ربك هو الذي خلقَكم وعَلِمَ ما هو الأصلحُ لكم، وقد علمَ أنَّ الصَّفْحَ اليومَ أصلحُ إلى أنْ يكون السيفُ أصلحَ.

وقرأ زيد بن عليّ والجَحْدَرِيّ والأعمش ومالك بنُ دينار: «هو الخالق» وكذا في مصحف أُبيّ وعثمان[٥].

﴿مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ قال الحسن بنُ علي[٦]: إنَّ سبعَ قَوافِلَ [وافَتْ مِن بُصْرَى] وأَذْرِعات ليهودِ قُرَيْظةَ والنَّضِير بيوم واحد، فيها أنواعُ البَزِّ والطِّيب والجواهر وأمتعة البحر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموالُ لنا لَتَقَوَّيْنا بها وأَنْفَقْناها في

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٠٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢، وآية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة.
(٢) في (أ) و(د٢) و(يه) والمطبوع: الحكم. وهو تحريف.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١٧٠، والكشاف ٢/ ٣٩٧.
(٤) الكشاف ٢/ ٣٩٧.
(٥) ينظر القراءات الشاذة ص٧١، والمحتسب ٢/ ٦، والكشاف ٢/ ٣٩٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٢.
(٦) هذا الخبر من (يه) ولم يرد في النسخ الأخرى، وهو في أسباب النزول للواحدي ص٢٨٢، والكشاف ٢/ ٣٩٨، وزاد المسير ٤/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٣، ونسب الخبر في زاد المسير وأسباب النزول للحسين بن الفضل. وما سلف بين حاصرتين مستفاد منها. ونقل الآلوسي في روح المعاني ١٣/ ٥٤٤ أنه ضعيف أو لا يصحّ.

سبيل الله، فأنزل الله هذه الآية وقال: قد أعطيتُكم سبعَ آياتٍ هي خيرٌ لكم من هذه السَّبعِ القوافل.

و«المثاني» جمع مَثْنَاة، والمَثْنَاة[١] كلُّ شيء يُثْنَى، أي: يُجعلُ اثنين، من قولك: ثَنَيْتُ الشيء ثَنْياً، أي: عطفتُه وضممتُ إليه آخر، ومنه يقال لركبتي الدابَّة ومِرْفَقَيْه: مَثَاني، لأنه يُثْنَى[٢] بالفَخِذ والعَضُد، ومَثَاني الوَادِي: مَعَاطِفُهُ، فنقول: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ مفهومُ[٣] سبعة أشياء من جنس الأشياء التي تُثْنَى، وهذا مُجْمَلٌ، ولا سبيلَ إلى تعيينه إلا بدليل منفصل.

قال ابنُ مسعود وابنُ عبَّاس وابنُ عُمر ومجاهد وابنُ جُبير: السَّبْعُ هنا هي السَّبْعُ الطُّوَل[٤]: البقرة، وآلُ عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال وبراءة[٥]، لأنهما في حكم سورة، ولذلك لم يُفْصَل بينهما بالتسمية، وسُميت الطُّوَلُ مَثَانيَ لأنَّ الحُدُودَ والفرائضَ والأمثالَ ثُنِيَتْ فيها، قاله ابنُ عباس[٦]. وعلى قوله «مِنْ» لبيان الجنس.

وقيل: السابعةُ سورةُ يونس. قاله ابنُ جُبير، وقيل: براءةُ وحدَها. قاله أبو مالك[٧]. والمثاني على قول هؤلاء وابن عباس في قوله المتقدِّم القرآنُ، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣] وسُمِّيَ بذلك لأنَّ القَصَصَ والأخبارَ تُثْنَى فيه وتُرَدَّد[٨].

وقيل: السَّبْعُ آلُ «حم»، أو سَبْعُ صحائفَ وهي الأسْبَاع[٩].

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه)، وفي النسخ الأخرى: والمثنى. والكلام في تفسير الرازي ١٩/ ٢٠٧.
(٢) في تفسير الرازي ١٩/ ٢٠٧: ... ومرفقيها مثاني لأنها تثنى... إلخ.
(٣) في تفسير الرازي: مفهومه.
(٤) في (ح) و(يه) والمطبوع: الطِّوال. وهما بمعنى.
(٥) يعني مع براءة. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣، وزاد المسير ٤/ ٤١٤، وتفسير الرازي ١٩/ ٢٠٨، وأخرج الطبري أقوالهم ١٤/ ١٠٧-١١٢.
(٦) النكت والعيون ٣/ ١٧١، وزاد المسير ٤/ ٤١٤، وتفسير الرازي ١٩/ ٢٠٨.
(٧) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٠٩-١١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣، وزاد المسير ٤/ ٤١٤.
(٨) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣. وينظر تفسير الرازي ١٩/ ٢٠٩.
(٩) الكشاف ٢/ ٣٩٧.

وقيل: السَّبْع هي المعاني التي أُنزلت في القرآن: أمرٌ ونهيٌ وبِشارةٌ وإنذارٌ وضربُ أمثال وتَعدادُ النِّعم وأخبارُ الأمم. قاله زيادُ بنُ أبي مريم(١).

وقال عُمر وعليّ وابنُ مسعود وابنُ عبَّاس أيضاً والحسن وأبو العالية وابنُ أبي مُلَيْكة وعُبيد بنُ عُمير وجماعةٌ: السَّبْع هنا هي آيات «الحمدُ». قال ابن عباس: وهي سبعٌ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وقال غيرُه: سبعٌ دونَ البسملة(٢).

وقال أبو العالية: لقد نزلت هذه السورة وما نزل من السَّبع الطُّوَلِ شيء(٣). ولا ينبغي أن يُعْدَلَ عن هذا القول، بل لا يجوزُ العدولُ عنه لِما في حديث أُبيّ، ففي آخره: «هي السَّبْعُ المثاني» وحديثِ أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «إنَّها السَّبعُ المَثَاني، وأمُّ القرآن، وفاتحةُ الكتاب»(٤).

وسُمّيت بذلك لأنها تُثْنَى في كل ركعة، وقيل: لأنها يُثْنَى بها على الله تعالى، جوَّزَه الزجَّاج(٥)؛ قال ابنُ عطيَّة: وفي هذا القولِ من جهة التصريف نظر. انتهى. ولا نظرَ في ذلك، لأنها جمعُ مُثْنَى بضم الميم مُفْعل، من «أَثْنَى» رباعياً، أي: مقرّ ثناء على الله تعالى، أي: فيها ثناءٌ على الله تعالى.

وقال ابنُ عبّاس: لأنَّ الله استثناها لهذه الأمَّة ولم يُعطها لغيرها. وقال نحوَه ابنُ أبي مُلَيْكَة(٦).

وعلى هذا التفسير الوارد في الحديث تكونُ «مِنْ» لبيان الجنس كأنه قيل: التي هي المَثاني، وكذا في قولِ مَنْ جعلَها أسباعَ القرآن، أو سَبْعَ المعاني، وأمَّا مَنْ جعلَها السَّبعَ الطُّوَل، أو آل «حم» فـ «مِنْ» للتبعيض، وكذا في قولِ مَنْ جعلَ سَبْعاً الفاتحةَ، والمثانيَ القرآنَ.

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ١١٩-١٢٠، والنكت والعيون ٣/ ١٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣، وزاد المسير ٤/ ٤١٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٧٠، وزاد المسير ٤/ ٤١٣. وأخرج الطبري الأقوال ٢٤/ ١١٣-١١٩.
(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ١١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣ (واللفظ منه).
(٤) الحديثان في سنن الترمذي (٣١٢٤) (٣١٢٥). وينظر حديث البخاري (٤٧٠٤).
(٥) معاني القرآن له ٣/ ١٨٥. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣.
(٦) تفسير الطبري ١٤/ ١٢٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣.

قال الزمخشري[١]: يجوزُ أن تكون كتُبُ الله كلُّها مَثانيَ لأنها تُثْنَى عليه، ولِما فيها من المواعظ المكرَّرة، ويكون القرآنُ بعضَها.

وقرأ الجمهور: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ بالنصب، فإن عَنَى بالسَّبْع الفاتحةَ أو السَّبْعَ الطُّولَ؛ كان ذلك من عطف العامّ على الخاصّ، وصار الخاصُّ مذكوراً مرَّتين: إحداهما بجهة الخُصوص، والأخرى بجهة العُموم، أو لأنَّ ما دونَ الفاتحةِ أو السَّبعِ الطُّوَل ينطلقُ عليه لفظ القرآن، إذ هو اسمٌ يقعُ على بعض الشيء كما يقعُ على كلِّه، وإنْ عَنَى الأَسْباعَ فهو من باب عطف الشيء على نفسِه من حيث إنَّ المعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم[٢]، أي: الجامع لهذين النَّعتَيْن، وهو الثناء، أو التثنية[٣] والعِظَم.

وقرأت فِرْقة: «والقرآنِ العظيمِ» بالخفض عطفاً على «المثاني»[٤] وأبعدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الواوَ مقحمة، والتقدير: سبعاً من المثاني القرآنَ العظيمَ.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما أنعمَ على رسولِه ﷺ من إيتائِهِ ما آتاه نَهاه، وقد قلنا: إنَّ النهيَ لا يقتضي الملابسةَ ولا المقاربةَ عن طموح عينيهِ إلى شيء من متاع الدنيا. وهذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ؛ فالمعنى نَهْيُ أمَّتِه عن ذلك، لأنَّ مَنْ أُوتيَ القرآنَ شَغَلَهُ النظرُ فيه وامتثالُ تكاليفِه وفَهْمُ معانيه عن الاشتغالِ بزَهْرة الدُّنيا.

ومَدُّ العينِ للشيء إنَّما هو لاستحسانه وإيثارِه.

وقال ابنُ عباس: أي: لا تَتَمنَّ ما فضَّلْنَا به أحداً من متاع الدنيا[٥].

(١) الكشاف ٢/ ٣٩٧.

(٢) جاء بعده في (يه) ما صورتُه: «كما قال كعب بن زهير: بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ، متيَّم إثرها لم يفد مكبولُ، وما سعادُ غداة البين إذ رحلُوا، إلا أغنَّ غضيض الطرف مكحولُ. وقال آخر: أعطاك الله سبعاً من المثاني، وأعطاك ربِّي علم القرآن العظيم». ولم يتبين لي مناسبة بيتَي كعب، ولعل ذلك مقحم، فالكلام مستقيم من دونه، وهو في الكشاف ٢/ ٣٩٧.

(٣) في المطبوع: لهذين المعنيين وهو الثناء والتنبيه. وفيه تحريف، والكلام في الكشاف ٢/ ٣٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٣. وهي قراءة شاذة.

(٥) تفسير الطبري ١٤/ ١٢٨، وتفسير الرازي ١٩/ ٢١٠ (واللفظ منه).

﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ أي: رجالاً مع نسائهم، أو أمثالاً في النِّعم، أو أصنافاً من اليهود والنصارى والمشركين. أقوال[١].

ونهاه تعالى عن الحُزن عليهم إن لم يؤمنوا، وكان كثيرَ الشَّفَقةِ على مَن بُعث إليه وَادّاً أن يؤمنَ بالله كلُّهم، فكان يلحقُه الحُزنُ عليهم، فنهاه تعالى عن الحُزن على مَنْ لم يؤمن، وأمرَه بخفضِ جناحِه لمن آمن، وهي كنايةٌ عن التلطُّف والرِّفق، وأصلُه أنَّ الطائر إذا ضمَّ الفرخَ إليه بسطَ جناحَه له، ثم قبضَه على فَرْخِه، والجناحانِ من ابن آدم جانباه[٢].

ثم أمرَه أن يُبلِّغ أنه هو النذير الكاشفُ لكم ما جئتُ به إليكم من تعذيبكم إن لم تؤمنوا وإنزالِ نِقَمِ الله المخوفة بكم.

والكافُ؛ قال الزمخشري: فيه وجهان:

أحدهما: أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾ أي: أنزلنا عليك مثلَ ما أنزلنا على أهل الكتاب، وهم المُقتسمون «الذين جعلوا القرآنَ عِضِين» حيث قالوا بِعِنادهم وعُدْوَانهم[٣]: بعضُه حقٌّ موافقٌ للتوراة والإنجيل، وبعضُه باطلٌ مخالفٌ لهما، فاقتسَمُوه إلى حقٍّ وباطل، وعَضَوْهُ[٤]. وقيل: كانوا يستهزئون به، فيقول بعضُهم: سورة البقرة لي، ويقول الآخر: سورة آلِ عمران لي. ويجوزُ أن يُراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسَمُوه بتحريفهم، وبأنَّ اليهودَ أقرَّت ببعضِ التوراة وكذَّبت ببعض، والنصارى أقرَّتْ ببعض الإنجيل وكذَّبت ببعض. وهذه تسليةٌ لرسول الله ﷺ عن صنيعِ قومِه بالقرآن وتكذيبهم وقولِهم: سِحْر وشِعْر وأساطير بأنَّ غيرَهم من الكفَرة فعلُوا بغيرِهِ من الكتب نحوَ فِعْلِهم.

والثاني أن يتعلَّق بقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ۝٨٩﴾ أي: وأنذِرْ قريشاً مثلَ ما أنزَلْنا من العذاب على المقتسمين، يعني اليهود وهو ما جرى على قُرَيظةَ والنَّضِير،

---

(١) ينظر النكت والعيون ٣/ ١٧١، وزاد المسير ٤/ ٤١٦.
(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٤-٢٥٥.
(٣) في (أ) و(ح): وعداوتهم. والكلام في الكشاف ٢/ ٣٩٨.
(٤) أي: فرَّقوا أقاويلهم فيه، فجعلوه كذباً وسحراً وشعراً، كما سلف من أقاويلهم وكما سيرد.

جعلَ المُتوقَّعَ بمنزلة الواقع، وهو من الإعجاز، لأنه إخبارٌ بما سيكونُ وقد كان.

ويجوزُ أن يكون «الذين جعلُوا القرآنَ عِضِين» منصوباً بـ «النذير» أي: أَنْذِرِ المُعْضِينَ الذين يُجَزِّئون القرآن إلى سِحْر وشِعْر وأساطيرَ مثلَ ما أنزلنا على المقتسمين، وهم الاثنا عشرَ الذين اقتسموا مداخلَ مكة أيامَ الموسم، فقعدُوا في كلِّ مدخلٍ متفرّقين لِيُنَفِّروا الناسَ عن الإيمان برسول الله ﷺ، يقول بعضُهم: لا تغترُّوا بالخارج منَّا فإنَّه ساحر، ويقول الآخر: كذَّابٌ، والآخَر: شاعرٌ. فأهلكَهم الله تعالى يومَ بدر وقَبْلَه بآفاتٍ كالوليد بنِ المغيرة، والعاصي بنِ وائل، والأسود بنِ المطَّلب وغيرِهم.

أو مثل ما أنزلنا على الرَّهْط الذين تقاسَمُوا على أَنْ يُبَيِّتُوا صالحاً عليه السلام، والاقتسام بمعنى التقاسم.

فإن قلتَ: إذا علَّقتَ قولَه: «كما أنزَلْنا» بقوله: «ولقد آتيناك»، فما معنى توسُّط «لا تَمُدَّنَّ» إلى آخره بينهما؟

قلت: لمَّا كان ذلك تسليةً للرسول ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعتَرَضَ بما هو مَدَدٌ لمعنى التَّسلية من النهي عن الالتفاتِ إلى دنياهم والتأسُّفِ على كفرِهم، ومن الأمر بأن يُقْبِلَ بمجامِعِهِ على المؤمنين. انتهى.

أمَّا الوَجْهُ الأول ـ وهو تعلُّقُ «كما» بـ «آتيناك» ـ فذكرَه أبو البقاء[١] على تقدير، وهو أن يكون في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف، تقديره: آتيناك سبعاً من المثاني إيتاءً كما أنزلنا، أو إنزالاً كما أنزلنا؛ لأنَّ «آتيناك» بمعنى: أنزَلْنا عليك.

وأمَّا قولُه: إنَّ المُقتسمين هم أهلُ الكتاب، فهو قولُ الحسنِ ومجاهد، ورواه العَوْفي عن ابن عبَّاس.

وأمَّا قولُه: اقتسَمُوا القرآنَ؛ فهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ فيما رواه عنه سعيد بنُ جُبير.

وأمَّا قولُه: اقتسَمُوه فقال بعضُهم: سورة البقرة لي، إلى آخرِهِ؛ فقاله عكرمة[٢].

(١) الإملاء ٢/ ٧٧.

(٢) الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٤/ ٤١٧. وينظر صحيح البخاري (٤٧٠٥) وتفسير الطبري ١٤/ ١٣١.

=

وقال السُّدِّيّ: هم الأسود بن المطلب[١]، والأسود بن عبد يغوث، والوليد، والعاصي، والحارث بن قيس، ذكروا القرآنَ، فمن قائل: البعوضُ لي، ومن قائل: النملُ لي، وقائل: الذُّبابُ لي، وقائل: العنكبوت لي، استهزاءً، فأهلك الله جميعهم[٢].

وأمَّا قوله: إنَّ القرآن عبارةٌ عما يقرؤونه من كتبهم، إلى آخره، فقاله مجاهد[٣].

وأمَّا قولُه: ويجوزُ أن يكونَ «الذين جعلوا القرآن عِضِين» منصوباً بـ «النذير» أي: أنذرِ المُعْضِين، فلا يجوز أن يكون منصوباً بـ «النذير» كما ذَكرَ، لأنَّه موصوف بـ «المبين» ولا يجوزُ أن يعملَ إذا وُصف قبلَ ذِكرِ المعمولِ على مذهب البصريين، لا يجوزُ: هذا عليمٌ شجاعٌ عِلمَ النحو، فتفصل بين «عليم» و«علم» بقوله: شجاع، وأجازَ ذلك الكوفيُّون، وهي مسألة خلافية تُذكر دلائلُها في علم النَّحو.

وأمَّا قولُه: الذين يُجَزِّئون القرآن إلى سِحْر وشِعْر وأساطيرَ؛ فمرويٌّ عن قتادة، إلا أنَّه قال: بدلَ شِعْر: كَهانة[٤].

وأمَّا قوله: الذين اقتسموا مَدَاخِلَ مكةَ، فهو قول ابن السائب، وفيه أنَّ الوليد بن المغيرة قال: ليقل بعضُكم: كاهن، وبعضُكم: ساحر، وبعضكم: شاعر، وبعضكم: غاوٍ، وهم حنظلة بنُ أبي سفيان، وعُتبة وشيبةُ ابنا ربيعة، والوليدُ بن المغيرة، وأبو جهل، والعاصي بن هشام، وأبو قيس بنُ الوليد، وقيس بنُ الفاكِه،

= ملاحظة: وقع بعده في (يه) كلام مقحم وفي بعضه تحريف: ونصُّه: «وقال كعب الأحبار (كذا): وعندي اصطباري وشَكْوَى غير قاتلتي، فهل بأعجبَ من هذا امرؤ سمعا، وأما التفصيل فقول الشاعر حيث قال: فزحفاً أتيتُ على الركبتين، فثوبٌ لبست وثوب أجرّ، وقوله: إذا ما بكى من خلفها انصرفت له، بشقٌّ وشق عندنا لم يحوَّل، وقال: بكى الخزُّ من رَوح وأنكر جلده، وعجَّت عجيجاً من جذام المطارف».

(١) في النسخ الخطية: عبد المطلب، وهو خطأ، وسلف قبله على الصواب وسيأتي كذلك.

(٢) ذكره ابن حجر بنحوه عن السدي في فتح الباري ٨/ ٣٨٣. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٧٣.

(٣) النكت والعيون ٣/ ١٧٢، وزاد المسير ٤/ ٤١٧.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ١٣٥، والنكت والعيون ٣/ ١٧٢، وزاد المسير ٤/ ٤١٩.

وزُهير بن أمية[١]، وهلال بنُ عبد الأسود، والسائب بنُ صَيْفي، والنَّضر بن الحارث، وأبو البحتري بنُ هشام، وزَمْعة بنُ الحجَّاج، وأميَّة بنُ خَلَف، وأوسُ بنُ المغيرة، تقاسَمُوا على تكذيبِ رسولِ الله ﷺ، فأُهلِكُوا جميعاً[٢].

وأمَّا قوله: إنهم الذين تقاسَمُوا أن يُبَيِّتُوا صالحاً، فقولُ عبدِ الله بن زيد[٣].

وقال ابنُ عطيَّة[٤]: والكاف من قوله: «كما» متعلِّقة بفعل محذوف، تقديره: وقل إني أنا النذيرُ عذاباً كالذي أنزَلْنا على المُقْتسِمين. فالكافُ اسمٌ في موضع نصب. هذا قولُ المفسِّرين، وهو عندي غيرُ صحيح، لأنَّ «كما» ليس ممَّا يقوله محمدٌ ﷺ، بل هو من قول الله تعالى، فينفصلُ الكلامُ، وإنما يترتَّبُ هذا القولُ بأنْ يُقدَّر أنَّ الله تعالى قال له: أنذِرْ عذاباً كما. والذي أقولُ في هذا المعنى: وقُلْ أنا النذيرُ المبين كما قال قبلَك رسلُنا، وأنزلنا عليهم كما أنزَلْنا عليك.

ويحتمل أن يكون المعنى: وقل إني أنا النذيرُ المبين كما قد أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيراً. وهذا على أنَّ المُقتسِمين أهلُ الكتاب. انتهى.

أمَّا قولُه: وهو عندي غيرُ صحيح، إلى آخره، فقد استعذرَ بعضُهم عن ذلك، فقال: الكاف متعلّقة بمحذوف دلَّ عليه المعنى، تقديرُه: أنا النذيرُ بعذابٍ مثلِ ما أنزَلْنا، وإن كان المُنزِلَ الله، كما يقولُ بعضُ خَوَاصِّ الملك: أمَرْنا بكذا، وإنْ كان الملكُ هو الآمر.

وأمَّا قولُه: والذي أقولُ في هذا المعنى، إلى آخره، فكلامٌ مُثَبَّج[٥]، ولعله من الناسخ، ولعلَّه أن يكون وأنزلنا عليك كما أنزلنا عليهم[٦].

---

(١) في زاد المسير ٤/ ٤١٨ (والخبر فيه): بن أبي أمية.

(٢) ينظر إضافة إلى زاد المسير: النكت والعيون ٣/ ١٧٢، وتفسير البغوي ٣/ ٥٨، وتفسير الرازي ١٩/ ٢١١-٢١٢.

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ١٣٢-١٣٣، والنكت والعيون ٣/ ١٧٢. ونُسب فيهما لابن رزين، دون ذكر اسمه، ونُسب في زاد المسير ٤/ ٤١٨ لعبد الرحمن بن زيد.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٤.

(٥) أي: مضطرب غير منتظم.

(٦) نظر فيه السمين في الدر المصون ٧/ ١٨١ وقال: كيف يقدَّر ذلك والقرآن ناطق بخلافه، وهو قوله: «على المقتسمين».

وقال أبو البقاء[١]: وقيل: التقدير: متَّعْنَاهم تمتيعاً كما أنزَلْنا، والمعنى: نعَّمنا بعضَهم كما عذَّبْنا بعضَهم. وقيل: التقدير: إنذاراً مثلَ ما أنزَلْنا، فيكون وصفاً لمصدر، وقيل: هو وصفٌ لمفعول، تقديرُه: إني أُنذرُكم عذاباً مثلَ العذاب المُنزَلِ على المُقْتَسِمين، وقيل: تقديرُه: لَنَسْألَنَّهم أجمعين مثلَ ما أَنزَلْنا[٢]. انتهى.

وقيل: الكاف زائدة، التقدير: أنا النذيرُ المُبينُ ما أنْزَلْناه على المقتسمين.

هذه أقوالٌ وتوجيهاتٌ متكلَّفة، والذي يظهرُ لي أنه تعالى لمَّا أمرَه بأن لا يحزنَ على مَنْ لم يُؤمن، وأَمَرَهُ بخَفْضِ جناحِه للمؤمنين؛ أمرَه أن يُعْلِمَ المؤمنين وغيرَهم أنه هو النذيرُ المبينُ لئلا يَظُنَّ المؤمنون أنهم لمَّا أُمِرَ عليه الصلاة والسلام بخفضِ جناحِه لهم خَرجُوا من عُهدة النِّذارَة، فأمرَه تعالى بأنْ يقولَ لهم: إني أنا النذيرُ المبينُ لكم ولغيرِكم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥] وتكون الكاف نعتاً لمصدر محذوف تقديرُه: وقُلْ قولاً مثلَ ما أنزَلْنا على المُقتسِمين أنك نذيرٌ لهم، فالقولُ للمؤمنين في النِّذارة كالقول للكفار المُقتسمين لئلَّا يُظَنَّ أنَّ إنذارَك للكفار مخالفٌ لإنذارِ المؤمنين، بل أنتَ في وصفِ النِّذارةِ لهم بمنزلةٍ واحدة، تُنذِرُ المؤمنَ كما تُنذِرُ الكافرَ، كما قال تعالى: ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

والظاهر أنَّ «الذين» صفة للمقتسمين، وجوَّزُوا أن يكونَ خبرَ مبتدأ محذوف، ويجوزُ أن ينتصبَ على الذَّمِّ، وتقدَّم تجويز الزمخشريّ له أن يكونَ مفعولاً بـ «النَّذير».

﴿فَوَرَبِّكَ﴾ أقسمَ تعالى بذاتِه ورُبُوبيَّتِه مضافاً إلى رسولِه على جهة التشريف، والضميرُ في «لنسألنَّهم» يظهرُ عَوْدُه على «المقتسمين»، وهو وعيدٌ وسؤالُ تقريع، ويقال: إنه يعودُ على الجميع من كافر ومؤمنٍ، إذْ قد تقدَّم ذِكْرُهما. والسؤالُ عامٌّ للخلق، ويجوزُ أن يكون السؤالُ كنايةً عن الجزاء.

و ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝﴾ عامٌّ في جميع الأعمال. وقال أبو العالية: يُسألُ

---

(١) الإملاء ٢/ ٧٧.

(٢) من قوله: فيكون وصفاً. . . . إلى هذا الموضع من (ز١) و(يه). وهو في المصدر السالف.

العبادُ عن خَلَّتَيْنِ: عمَّا كانوا يعبدون، وماذا أجابُوا المرسَلين[١].

وقال ابنُ عبَّاس: يقال لهم: لِمَ عَمِلْتُم كذا وكذا؟ وقال أنس وابنُ عُمر ومجاهد: السؤالُ عن «لا إله إلا الله»[٢]. وذكرَه الزَّهْرَاويّ عن النبيّ ﷺ[٣].

وإذا ثبتَ ذلك فيكون المعنى عن الوفاء بـ «لا إله إلا الله» والصِّدقِ لِمقالها كما قال الحسن: ليس الإيمانُ بالتحلِّي ولا الدِّينُ بالتَّمنِّي، ولكن ما وَقَرَ في القلوب، وصَدَّقَتْهُ الأعمال[٤].

وقال ابن عباس: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ امْضِ به. وقال الكلبيّ: اجْهَرْ به وأظْهِرْهُ[٥]، من الصَّدِيع، وهو الفَجْر، قال الشاعر:

كأنَّ بياضَ غُرَّتِهِ صَدِيعُ[٦]

وقال السُّدِّيُّ: تَكَلَّمْ بما تُؤمَرُ. وقال ابنُ زيد: أعْلِمْ[٧] بالتبليغ، وقال ابنُ بحر: جَرِّدْ حَرِّدْ لهم القولَ في الدعاء إلى الإيمان. وقال أبو عبيدة عن رُؤْبَة: ما في القرآن أعربَ[٨] من قوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[٩].

و«ما» في «بما» بمعنى «الذي»، والمفعول الثاني محذوف، تقديرُه: بما تُؤمَرُهُ،

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ١٤١، والكشاف ٢/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥، وزاد المسير ٤/ ٤١٩. ونُسب القول في النكت والعيون ٣/ ١٧٤ للربيع بن أنس. قولُه: خَلَّتَيْن؛ الخَلَّة: الخَصْلَة، ووقع في المطبوع: حالتين.

(٢) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٩-١٤٠. والكلام أعلاه من المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥. وقد جاء مرفوعاً أيضاً عن أنس عند الطبري ١٤/ ١٤٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣٤٢)، وشعب الإيمان (٦٦)، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٩.

(٥) النكت والعيون ٣/ ١٧٤. وينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٤٠، وزاد المسير ٤/ ٤٢٠.

(٦) هو عجز بيت لعمرو بن معد يكرب، وصدرُه: ترى السِّرْحان مفترشاً يديه. وهو في اللسان (صدع) برواية: بياضَ لَبَّتِهِ. وجاء ضمن قصيدة له في الأصمعيات ص١٧٢-١٧٣ برواية: به السِّرحانُ... وردَّد ابنُ عبد البر في التمهيد ٤/ ٣٣٥ نسبةَ البيت بين ابن معد يكرب وبشر بن أبي خازم. قوله: السِّرْحان، أي: الذئب.

(٧) في (ح): أعلن.

(٨) بالعين المهملة. وتحرفت اللفظة في (أ) و(ح) والمطبوع إلى: أغرب.

(٩) النكت والعيون ٣/ ١٧٤، والإتقان ٤/ ١٣٥ (في النوع ٧٤).

وكان أصلُه: تُؤمَرُ به من الشرائع، فحذف الحرف، فتعدَّى الفعلُ إليه.

وقال الأخفش: «ما» موصولة، والتقدير: فاصْدَعْ بما تؤمَرُ بصَدْعِهِ. فحذف المضاف، ثم الجارّ، ثم الضمير.

وقال الزمخشريّ[١]: ويجوز أن تكون «ما» مصدريَّة، أي: بأمْرِك، مصدر من المبني للمفعول. انتهى. وهذا ينبني[٢] على مذهب من يُجَوِّزُ أن يكون المصدرُ يُرادُ به «أنْ» والفعل المبنيّ للمفعول، والصحيحُ أنَّ ذلك لا يجوز[٣].

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من آيات المهادَنات التي نَسَخَتْها آيةُ السَّيف. قاله ابنُ عباس[٤].

ثم أخبرَه تعالى أنه كفاه المستهزئين بمصائبَ أصابَتْهُم لم يَسْعَ فيها الرسولُ ولا تَكَلَّفَ لها مشقَّةً؛ قال عُروةُ وابنُ جُبير: هم خمسة: الوليد بنُ المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بنُ المطَّلب أبو زَمْعَة[٥]، والأسود بن عبد يغوث، ومن بني خُزاعة الحارث بن الطُّلاطِلَة[٦].

قال أبو بكر الهُذَليّ: قلت للزُّهْرِيّ: إنَّ ابنَ جُبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال ابنُ جبير: هو الحارث بن عَيْطَلة، وقال عكرمة: هو الحارث بن قيس، فقال الزُّهْريُّ: صدقا، أمُّه عَيْطَلَة، وأبوه قيس[٧].

---

(١) الكشاف ٢/ ٣٩٩.
(٢) في (ز١): يبتني.
(٣) قال السمين الحلبي: الخلاف إنما هو في المصدر المُصَرَّح به؛ هل يجوزُ أن ينحلَّ لحرف مصدري وفعل مبني للمفعول أم لا يجوز ذلك؟ خلاف مشهور، أمَّا أنَّ الحرف المصدريّ هل يجوز فيه أن يُوصل بفعل مبني للمفعول أم لا يجوز؟ فليس محلَّ نزاع. ينظر الدر المصون ٧/ ١٨٥.
(٤) تفسير الطبري ١٤/ ١٤٥، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٨٣، والنكت والعيون ٣/ ١٧٥. والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥. وآية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة.
(٥) في (يه) والمطبوع: وأبو زمعة، وهو خطأ، فأبو زمعة هو الأسود بن المطلب. ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥ (والكلام منه) وزاد المسير ٤/ ٤٢١.
(٦) بعدها في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥ (والكلام منه): وهو ابن عَيْطلة، وهو ابنُ قيس.
(٧) تفسير الطبري ١٤/ ١٤٩. والكلام من المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥.

وذكرَ الشعبيُّ في المستهزئين هَبَّارَ بنَ الأسود، وذلك وهمٌ، لأنَّ هبَّاراً أسلم يَومَ الفتح ورحل إلى المدينة[١].

وعن ابن عبَّاس أنَّ المستهزئين كانوا ثمانية[٢].

وفي رواية مكانَ الحارث بن قيس: عديُّ بنُ قيس[٣].

وقال الشعبيُّ وابنُ أبي بَزَّة: كانوا سبعة، فذكر[٤] [العاص و] الوليدَ والحارثَ بنَ عديّ والأسْوَدَيْنِ، والأثرم[٥] وبَعْكَك ابْنَي الحارث بن السَّبَّاق، وكذا قال مقاتل إلا أنه قال مكان الحارث بن عديّ الحارث بن قيس السَّهميّ.

وذكر المفسِّرُون والمؤرِّخون أنَّ جبريلَ عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: أُمِرْتُ أنْ أكْفِيَكَهُمْ. فأومَأ إلى ساقِ الوليد، فمرَّ بنبَّالٍ فتعلَّقَ بثوبِهِ سَهْمٌ، فمَنعَهُ الكِبْرُ أنْ يُطَامِنَ[٦] لِنَزْعِهِ، فأصابَ عِرْقاً في عَقِبِه ـ قال قتادة ومِقْسم[٧]: وهو الأكْحَل ـ فقطَعَه فمات، وأومأ إلى أَخْمص العاصي، فدخلت فيه شوكة ـ وقيل: ضرَبَتْه حيَّة[٨] ـ فانتفخت رِجْلُه حتى صارت كالرَّحَى ومات، وأومأ إلى عينَي الأسود بن المطّلب[٩]، فعَمِيَ وهلك، وأشارَ إلى أنفِ الحارث بن قيس فامتخَطَ قَيْحاً فمات. وأشار إلى بطن الأسود بن عبد يغوث فسُقي بطنه فمات[١٠]. وقيل: أصابته سَمُومٌ فاسْوَدَّ حتى صارَ كأنَّه حَبَشيٌّ، فأتَى أهلَه فلم يعرفوه، وأغلقُوا البابَ في وجهه،

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥.
(٢) تفسير الطبري ١٤/ ١٥٣. وذكره عنه ابن عطية ٣/ ٣٧٥.
(٣) ذكرها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٢١ روايةً عن ابن عباس ﷺ.
(٤) يعني ابنَ أبي بَزَّة، كما في زاد المسير ٤/ ٤٢١، واستدركتُ منه اسم العاص بين حاصرتين، ويكتمل به العدد إلى سبعة، وأخرج الطبري قول ابنِ أبي بزَّة وجاء فيه ذكرُ الخمسة الأُوَل.
(٥) في زاد المسير ٤/ ٤٢١ (والكلام منه إلى نهاية الفقرة): أصرم. وهو الأشبه.
(٦) بالهمز والتخفيف، أي: ينخفض.
(٧) تفسير الطبري ١٤/ ١٥٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٦.
(٨) ذكر السيوطي هذه الرواية في الدر المنثور ٤/ ٤٠٨ عن ابن أبي حاتم.
(٩) في (ز١) و(يه): عبد المطلب.
(١٠) قوله: وأشار إلى بطن الأسود... الخ، من (ز١) و(يه).

فصار يطوفُ في شِعابِ مكّة حتى مات[(١)]. وفي بعض ما أصاب هؤلاء اختلافٌ، والله أعلم[(٢)].

وقال مقاتل: أصاب أثرمَ[(٣)] أو بَعْككاً الدُّبَيْلَةُ[(٤)] والآخرَ ذاتُ الجَنْب، فماتا.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلِهم إلهاً مع الله في الآخرة كما جوَّزُوا في الدنيا.

وكنى بالصَّدر عن القلب[(٥)] لأنه محلُّه، وجعلَ سببَ الضِّيق ما يقولون، وهو ما ينطقون به من الاستهزاء، والطَّعْنِ فيما جاءَ به.

ثم أمرَه تعالى بتنزيهِهِ عن ما نسبوا إليه من اتخاذِ الشريك معه مصحوباً بحمده، والثناءِ على ما أسْدَى إليه من نعمة النُّبوَّة والرِّسالة والتوحيد وغيرِها من النِّعَم، فهذا في المعتقد والفعل القلبيّ، وأمرَه بكونه من الساجدين، والمرادُ - واللهُ أعلم - من المُصَلِّين، فكَنَى بالسُّجود عن الصلاة، وهي أشرفُ أفعال الجسد، وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجد[(٦)].

ولما كان الصادرُ من المستهزئين اعتقاداً، وهو فعلُ القلب، وقولاً، وهو ما يقولون في الرسول وما جاء به، وهو فعلُ جارحة، أمرَ تعالى بما يُقابل ذلك من التنزيه لله ومن السجود، وهما جامعان فعلَ القلب وفعلَ الجسد.

ثم أمَرَه تعالى بالعبادة التي هي شاملةٌ لجميع أنواع ما يُتَقَرَّبُ بها إليه تعالى، وهذه الأوامرُ معناها: دُمْ على كذا. لأنه ﷺ مازالَ متلبِّساً بها، أي: دُمْ على التسبيح والسُّجود والعبادة.

---

(١) زاد المسير ٤/ ٤٢٢.

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٤٦-١٥٣، والكشاف ٢/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٥-٣٧٦، وزاد المسير ٤/ ٤٢٢-٤٢٣، (ورواية المصنف مقتبسة من هذه الثلاثة الأخيرة). وينظر أيضاً تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦١-٢٦٢.

(٣) في زاد المسير ٤/ ٤٢٣: أصرم، وهو الأشبه، وسلف مثله قريباً.

(٤) وزنُ جُهَيْنَة: هو داءٌ في الجوف. (القاموس - دبل). والكلام في زاد المسير ٤/ ٤٢٣.

(٥) يعني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝﴾.

(٦) أخرج مسلم (٤٨٢) عن أبي هريرة مرفوعاً: «أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثِرُوا الدعاء».

والجمهورُ على أنَّ المرادَ باليقين الموت، أي: ما دُمْتَ حيّاً، فلا تُخِلَّ بالعبادة، وهو تفسيرُ ابنِ عمر ومجاهد والحَسَن وقَتَادة وابنِ زيد[1]، ومنه قوله ﷺ في عثمان بن مظعون عند موته: «أمَّا هو فقد رأى اليقينَ»، ويُرْوَى: «فقد جاءه اليقينُ»[2].

وليس اليقينُ من أسماء الموت، وإنَّما العلمُ به يقينٌ لا يَمترِي فيه عاقل، فسُمِّيَ يقيناً تجوُّزاً، أي: يأتيك الأمرُ اليقيْن علمُه ووقوعُه.

وقال ابن عطية[3]: ويَحتمِلُ أن يكون المعنى: حتى يأتيَك اليقينُ في النصرِ الذي وُعِدْتَه. انتهى. وقاله ابنُ بحر؛ قال: اليقينُ النصرُ على الكافرين. انتهى.

وحكمةُ التَّغْيِيَة باليقين ـ وهو الموت ـ أنه يقتضي دَيْمُومةَ العِبادةِ ما دامَ حَيّاً، بخلاف الاقتصار على الأمر بالعبادة غيرَ مُغَيًّى؛ لأنه يكون مطلقاً فيكون مطيعاً بالمرَّة الواحدة، والمقصودُ أن لا يُفارق العبادةَ حتى يموت.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٥٥-١٥٦، والنكت والعيون ٣/ ١٧٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٦، وزاد المسير ٤/ ٤٢٣. وقوله: «ابن عمر» نقله المصنف عن ابن عطية، ولم يرد في المصادر الأخرى.

(٢) رواية: «جاءه اليقين» قطعة من حديث أمّ العلاء في وفاة عثمان بن مظعون ﷺ أخرجه البخاري (١٢٤٣). أما لفظ «رأى اليقينَ» فقد نقله المصنف عن المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٦، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٥٧ بلفظ: «عاينَ اليقين»، فلعل ابن عطية نقله بالمعنى.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٦، والكلام السالف قبله منه.

سورة النحل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ
مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴿٤﴾ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٥﴾
وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ
بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا
وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ
أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ
تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ
لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ
بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ
كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا
وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ

فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

المفردات

النُّطفة: القَطْرَةُ من الماء، نَطَفَ رأسُه ماءً، أي: قَطَرَ.

الدِّفْءُ: اسمٌ لِما يُدْفَأُ به، أي يُسخَّن، وتقولُ العرب: دَفِئَ يومُنا فهو دَفِيءٌ: إذا حصلَتْ فيه سُخونةٌ تُزيلُ البردَ، ودَفِئَ الرجلُ دَفاءةً ودَفاءً.

وجمع الدِّفْء أدفاء، ورجلٌ دَفآن، وامرأةٌ دَفْأى. والمُدْفِئَة[1]: الإبلُ الكثيرةُ الأوبار؛ لإدفاء بعضِها بعضاً بأنفاسها، وقد تُشَدَّد. وعن الأصمعيّ: المُدْفِئة: الإبل[2] الكثيرة الأوبار والشُّحوم. وقال الجوهري: الدِّفْءُ نَتاجُ الإبلِ وألبانُها وما يُنتفعُ به منها.

البَغْل معروف، ولعَمْرِو بنِ بَحْر الجاحظ كتاب «البغال».

الحمار معروف، يُجمعُ في القلَّة على أحمرة، وفي الكثرة على حُمُر، وهو القياس، وعلى حمير.

الطَّرِيّ فَعِيل، من طَرُوَ يَطْرُو طَرَاوةً مثل سَرُوَ يَسْرُو سَرَاوةً. وقال الفرَّاء: طَرِيَ يَطْرَى طَرَاءً وطَرَاوةً، مثل: شَقِيَ يَشْقَى شَقاءً وشَقاوةً[3].

المَخْرُ: شَقُّ الماء من يمينٍ وشِمال، يقال: مَخَرَ الماءُ الأرضَ. وقال الفرَّاء:

---

(١) مخفَّفة ومشدَّدة. ووقع في المطبوع: الدفئة. وكذا في الموضع التالي. وهو خطأ.

(٢) كلمة «الإبل» من (ز١).

(٣) نقله الرازي في تفسيره ٢٠/ ٥-٦ عن الفراء، ولم أقف عليه في معانيه.

صوتُ جَرْي الفلكِ بالرِّياح(١). وقيل: الصوتُ الذي يكون من هبوب الرِّيح إذا اشتدَّت، وقد يكون من السَّفينة ونحوها.

مادَ: تحرَّكَ ودارَ.

السَّقْفُ معروف، ويُجمع على سُقوف، وهو القياس، وعلى سُقُف وسُقْف، وفُعُل وفُعْل محفوظان في فَعْل، وليسا مقيسين فيه(٢).

* * *

التفسير ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾.

قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر: هي كلُّها مكيَّة(٣).

وقال ابن عباس: إلَّا ثلاثَ آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة، وهي قوله: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٤) [٩٥-٩٧].

وقيل: إلا ثلاث آيات: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [١٢٦] الآية، نزلت في المدينة في شأن التمثيل بحمزة وقتلى أُحُد، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [١٢٧] وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾(٥) [١١٠].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٨، ونقله عنه أيضاً الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٠٤.
(٢) ينظر المقتضب ٢/ ٢٠٢.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١٧٧، وزاد المسير ٤/ ٤٢٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٧.
(٤) المصادر السالفة.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٧.

وقيل: من أولها إلى قوله: «كن فيكون»(١) مدنيّ، وما سواه مكّيّ(٢)، وعن قتادة عكسُ هذا.

ووَجْهُ ارتباطِها بما قبلَها أنه تعالى لما قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝﴾ [الحجر: ٩٢] كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يومَ القيامة وسؤالِهم عمَّا اجترموه(٣) في دار الدنيا، فقيل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو يومُ القيامة على قول الجمهور.

وعن ابن عباس: المرادُ بالأمر نصرُ رسولِ الله ﷺ وظهورُه على الكفار(٤).

وقال الزمخشريّ(٥): كانوا يستعجلون ما وُعِدُوا من قيام الساعة، أو نزول العذاب بهم يومَ بدر استهزاءً وتكذيباً بالوعد. انتهى.

وهذا الثاني قاله ابنُ جُريج؛ قال: الأمرُ هنا ما وعدَ الله نبيَّه من النَّصر وظَفَرِه بأعدائه وانتقامِه منهم بالقتل والسَّبْي ونهبِ الأموال والاستيلاء على منازلهم وديارهم(٦).

وقال الضحَّاك: «الأمر» هنا مصدر أمَرَ، والمرادُ به فرائضُه وأحكامُه؛ قيل: وهذا فيه بُعْدٌ، لأنه لم يُنقل أن أحداً من الصحابة استعجلَ فرائضَ الله من قبلِ أن تُفرضَ عليهم(٧).

وقال الحسن وابنُ جُريج أيضاً: «الأمرُ» عقابُ الله لمن أقامَ على الشرك وتكذيب الرسول. واستعجالُ العذاب منقولٌ عن كثير من كفار قريش وغيرِهم. وقريب من هذا القول قولُ الزجاج(٨): هو ما وعدَهم به من المجازاة على كفرهم.

وقيل: «الأمرُ» بعضُ أشراط الساعة(٩).

---

(١) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: يشركون. وهو خطأ.
(٢) زاد المسير ٤/ ٤٢٦ عن جابر بن زيد.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: أجرموه.
(٤) بنحوه في النكت والعيون ٣/ ١٧٨ عن ابن جُريج، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٧.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٠٠.
(٦) بنحوه مختصر في النكت والعيون ٣/ ١٧٨، وسلف قريباً عن ابن عباس.
(٧) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٧. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٧.
(٨) معاني القرآن ٣/ ١٨٩. والكلام قبله في تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٧.
(٩) تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٧. وينظر زاد المسير ٤/ ٤٢٧.

و«أتى» قيل: باقٍ على معناه من المُضيّ، والمعنى: أتَى أمرُ الله وعداً فلا تستعجلوه وقوعاً. وقيل: أتى أمرُ الله: أتَتْ مبادئه وأماراتُه. وقيل: عبَّر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعِه وتحقُّقه، وفي ذلك وعيد للكفار.

وقرأ الجمهور: «تستعجلوه» بالتاء على الخطاب، وهو خطابٌ للمؤمنين أو خطابٌ للكفار على معنى: قُلْ لهم: فلا تستعجلوه، وقال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨].

وقرأ ابنُ جُبير بالياء[١]، نهياً للكفار.

والظاهر عَوْدُ الضمير في «فلا تستعجلوه» على «الأمر»، لأنه هو المُحدَّثُ عنه. وقيل: يعود على الله، أي: فلا تستعجلوا اللهَ بالعذاب أو بإتيان يوم القيامة، كقوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: ٤٧].

وقرأ حمزة والكسائيُّ: «تُشركون» بتاء الخطاب[٢]، وباقي السبعة والأعرجُ وأبو جعفر وابنُ نِصَاح وأبو رجاء والحسنُ بالياء[٣].

وقرأ عيسى الأرلي بالتاء من فوق والثانيةَ بالياء.

وبالتاء من فوق معاً الأعمشُ وأبو العالية وطلحةُ وأبو عبد الرحمن وابنُ وثَّاب والجَحْدَريّ[٤]. و«ما» يَحتَمِل أن تكون بمعنى «الذي» ومصدريَّة، واتَّصَلَ بَرَاءتُه[٥] عمَّا يشركون باستعجالهم لأنَّ استعجالَهم استهزاءٌ وتكذيب، وذلك من الشِّرْك[٦].

وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمْرو: «يُنْزِلُ» مخفَّفاً، وباقي السبعة مشدَّداً.

وزيدُ بنُ عليّ والأعمش وأبو بكر: «تُنَزَّلُ» مشدَّداً مبنيًّا للمفعول، «الملائكةُ» بالرفع، والجَحْدريُّ كذلك إلا أنَّه خفَّف.

---

(١) القراءات الشاذة ص٧٢، والمحرر الوجيز٣/ ٣٧٨.
(٢) وذلك في الموضعين؛ هنا وفي الآية الثالثة، ينظر السبعة ص٣٢٤، والتيسير ص١٢١.
(٣) قوله: «بالياء» من (ح) و(د١)، ووقع في المطبوع: وأبوه جعفر وابن وضاح. وهو خطأ. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٨، ونُسب فيه لأبي حاتم.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٨.
(٥) في (ح) و(د١) والمطبوع: وأفضل قراءته. وهو تحريف.
(٦) بنحوه في الكشاف ٢/ ٤٠٠.

والحسنُ وأبو العالية والأعرجُ والمفضَّل عن عاصم ويعقوب بفتح التاء مشدَّداً مبنيّاً للفاعل.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «ما نُنَزِّلُ» بنون العظمة والتشديد، وقتادةُ بالنون والتخفيف. قال ابنُ عطيّة[(١)]: وفيهما شذوذٌ كثير. انتهى. وشذوذُهما أنَّ ما قبلَه وما بعدَه ضميرُ غَيبة، ووجهُه أنه التفات.

و«الملائكة» هنا جبريل وحدَه، قاله الجمهور، أو الملائكةُ المشارُ إليهم بقوله: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾.

وقال ابنُ عبَّاس: الرُّوح: الوَحْيُ تَنزِلُ به الملائكة على الأنبياء، ونظيرُه ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥].

وقال الرَّبيع بن أنس: هو القرآن، ومنه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال مجاهد: المرادُ بالرُّوح أرواحُ الخلق، لا يَنزِلُ مَلَكٌ إلا ومعه رُوح[(٢)].

وقال الحسن وقتادة: الرُّوحُ الرَّحمة[(٣)].

وقال الزجَّاج ما معناه[(٤)]: الرُّوح الهداية لأنها تحيا بها القلوبُ كما تحيا الأبدانُ بالأرواح.

وقيل: الرُّوح جبريلُ، ويدلُّ عليه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وتكون الباء للحال، أي: مُلتبسة بالرُّوح. وقيل: بمعنى «مع»[(٥)].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/٣٧٨. والقراءات السالفة فيه. ويقارن بما في تفسير القرطبي ١٢/٢٦٨-٢٦٩، وينظر زاد المسير ٤/٤٢٧-٤٢٨.

(٢) ينظر ما سلف من أقوال في تفسير الطبري ١٤/١٦٢-١٦٣، والنكت والعيون ٣/١٧٨، وتفسير القرطبي ١٢/٢٦٩.

(٣) النكت والعيون ٣/١٧٨، وزاد المسير ٤/٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٢/٢٦٩.

(٤) ينظر معاني القرآن له ٣/١٩٠، والنكت والعيون ٣/١٧٨، والمحرر الوجيز ٣/٣٧٨.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٣/٥٠٥، وتفسير القرطبي ١٢/٢٦٩.

وقيل: الرُّوح حَفَظَةٌ على الملائكة، لا تراهم الملائكة، كما الملائكةُ حَفَظَةٌ علينا لا نراهم.

وقال مجاهد أيضاً: الرُّوح اسمُ مَلَك، ومنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

وعن ابن عباس أنَّ الرُّوح خلقٌ من خلق الله كصُوَرِ ابنِ آدم، لا يَنْزِلُ من السماء مَلَكٌ إلا ومعه واحدٌ منهم، وقال نحوَه ابنُ جريج[1]. قال ابنُ عطية: وهذا قول ضعيف لم يأتِ به سَنَد.

وقال الزمخشري[2]: «بالرُّوح من أمره»: بما يُحْيِي به القلوبَ الميِّتةَ بالجهل من وَحْيِه، أو بما يقومُ في الدين مَقامَ الرُّوح في الجَسَد. انتهى.

و«من» للتبعيض، أو لبيان الجنس، و«مَنْ يشاء» هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

و«أَنْ» مصدرية، وهي التي من شأنها أن تنصبَ المضارع، وُصِلَتْ بالأمر كما وُصِلَتْ في قولهم: كَتبتُ إليه بأنْ قُمْ، وهو بدلٌ من الرُّوح، أو على إسقاط الخافض، أي: بأنْ أَنْذِرُوا، فيجري الخلافُ فيه؛ أهو في موضع نصب، أو في موضع خفض.

وقال الزمخشريّ: و«أنْ أَنْذِرُوا» بدلاً[3] من «الرُّوح» أي: يُنْزِلُهم بأنْ أنذِرُوا، وتقديرُه: بأنَّه أنذِرُوا، أي: بأنَّ الشأنَ أقولُ لكم أنذِرُوا أنه لا إله إلا أنا. انتهى. فجعلَها المخفَّفة من الثقيلة، وأضمرَ اسمَها، وهو ضميرُ الشأن، وقدَّر إضمارَ القول حتى يكون الخبرُ جملةً خبريَّة، وهي: أقولُ، ولا حاجة إلى هذا التكلُّف مع سهولة كونها الثنائيَّة[4] التي من شأنها نصبُ المضارع.

---

(١) معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٣ عن ابن عباس، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٨ عن ابن جُريج.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٠.

(٣) في الكشاف: بدلٌ، وهو الجادَّة.

(٤) أي: الثنائية الوضع تمييزاً لها عن «أنّ» المخفَّفة من الثقيلة الثلاثية الوضع. وتحرَّفت اللفظة في مطبوع البحر إلى: الثانية.

وجَوَّزَ ابنُ عطيَّة وأبو البقاء[١] وصاحبُ «الغُنْيَان» أن تكون «أنْ» مفسِّرة، فلا موضعَ لها من الإعراب، وذلك لما في التنزُّل بالوَحْي من معنى القول، أي: أعْلِمُوا الناسَ، من نَذِرْتُ بكذا: إذا عَلِمتَه[٢].

قال الزَّمخشريّ: والمعنى: يقولُ لهم: أعْلِمُوا الناسَ قولي: «لا إله إلا أنا فاتقون». انتهى. لمَّا جعلَ «أنْ» هي التي حُذف منها ضمير الشأن؛ قدَّر هذا التقدير، وهو: يقول لهم: أعْلِمُوا.

وقُرئ: «لِيُنذِرُوا أنه»[٣].

وحسُنت النِّذارة هنا وإن لم يكن في اللفظ ما فيه خوفٌ من حيث كان المُنذَرون كافرين بألوهيَّته، ففي ضمنِ أمْرِهم مكانُ خوف، وفي ضمن الإخبار بالوحدانيَّة نهيٌ عمَّا كانوا عليه ووعيدٌ، وتحذيرٌ من عبادة الأوثان[٤].

ومعنى «فاتقون» أي: اتقوا عقابي باتِّخاذِكم إلهاً غيري. وجاءت الحكايةُ على المعنى في قوله: «إلا أنا»، ولو جاءت على اللفظ لكان «لا إله إلا الله»، وكلاهما سائغ، وحكايةُ المعنى هنا أبلغُ إذْ فيها نسبة الحُكم إلى ضمير المتكلِّمِ المُنزِلِ الملائكةَ.

ثم دلَّ على وحدانيَّته وأنه لا إله إلا هو بما ذَكر ممَّا لا يقدرُ عليه غيرُه من خلقِ السَّماواتِ والأرض[٥]، وهم مُقِرُّون بأنه تعالى هو خالقُها.

و«بالحقِّ» أي: بالواجب اللائق، وذلك أنها تدلُّ على صفات يَحِقُّ لمن كانت له أن يَخلُقَ ويخترع، وهي الحياةُ والعلمُ والقُدرةُ والإرادة، بخلاف شركائهم التي لا يَحِقُّ لها شيء من ذلك[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٨، والإملاء ٢/ ٧٧.
(٢) في (ح) و(د١) والمطبوع: أعلمته، وهو خطأ. ونَذِرَ من باب طَرِبَ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٨ عن الأعمش.
(٤) الكلام في المصدر السالف دون قوله: وتحذير من عبادة الأوثان.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٠٠.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩.

وقرأ الأعمش: «فتعالى» بزيادة فاء[١].

وجاءت هذه الجملة منبهةً على تنزيهِ اللهِ تعالى مُوجِدِ هذا العالَم العُلويِّ والعالَمِ السُّفْلي عن أن يُتَّخذَ معه شريكٌ في العبادة.

ولما ذكر ما دلَّ على وحدانيَّتِه من خلقِ العالَم العُلْويِّ والأرضِ، وهو استدلالٌ بالخارج؛ ذكرَ الاستدلالَ من نفس الإنسان، فذكرَ إنشاءَه من نُطفة فإذا هو خصيمٌ مبين، وكان حقُّه والواجبُ عليه أن يُطيعَ ويَنقادَ لأمر الله.

والخَصِيم من صفات المبالغة من خَصَمَ، بمعنى: اختَصَم، أو بمعنى: مُخاصِم، كالخليط والجليس. والمبينُ: الظاهرُ الخُصومة أو المُظْهِرُها.

والظاهرُ أنَّ سِياقَ هذَيْن الوَصْفَيْن سياقُ ذَمّ لما تقدَّم من قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾وقوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾ الآية. ولتكرير ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ولقوله في «يس» [٧٧]: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الآية وقال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وعَنَى به مخاصمتَهم لأنبياء الله وأوليائه بالحُجَجِ الداحضة.

وأكثرُ ما ذُكر الإنسانُ في القرآن في مَعْرِضِ الذَّمِّ أو مُرْدَفاً بالذَّمِّ. وقيل: المرادُ بالإنسان هنا أُبيُّ بنُ خَلَف الجُمَحِيّ[٢].

وقال قوم: سِياق الوصفَيْن سِياق المدح لأنه تعالى قوَّاه على منازعة الخُصُوم، وجَعَلَه مُبينَ الحقِّ من الباطل، ونقلَه من تلك الحالة الجماديَّة ـ وهو كونه نُطفةً ـ إلى الحالة العالية الشريفة، وهي حالةُ النُّطق والإبانة.

و«إذا» هنا للمفاجأة، وبعد خَلْقِه من النُّطفة لم تقع المفاجأة بالمخاطبة إلا بعد أحوالٍ تَطَوَّرَ فيها، فتلك الأحوالُ محذوفة، وتقع المفاجأة بعدها.

وقال أبو عبد الله الرازيّ[٣]: اعلم أن أشرفَ الأجسام بعد الأفلاك والكواكب هو الإنسان. ثم ذكر الإنسانَ وأنه مركَّبٌ من بَدَنٍ ونَفْس، في كلام كثيرٍ يُوقَف عليه في تفسيره، ولا نُسَلِّم ما ذكرَه من أنَّ الأفلاك والكواكبَ أشرفُ من الإنسان.

---

(١) المصدر السالف.

(٢) تفسير الثعلبي ٣/ ٥٠٥، وأسباب النزول للواحدي ص٢٨٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩، وزاد المسير ٤/ ٤٢٨-٤٢٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٠.

(٣) تفسيره ١٩/ ٢٢٤.

ولمّا ذكرَ خَلْقَ الإنسان ذَكَرَ ما امتنَّ به عليه في قِوَام معيشتِه، فذكرَ أوّلاً أكثرَها منافعَ وألزمَ لمن أُنزِلَ القرآنُ بلغتهم، وذلك الأنعامُ، وتقدَّم شرحُ الأنعام في «الأنعام».

والأظهرُ أن يكون «الكم فيها دِفْءٌ» استئناف[1] لذكر ما يُنتفع به من جهتها، و«دِفْءٌ» مبتدأ، وخبرُه «الكم»، ويتعلَّقُ «فيها» بما في «الكم» من معنى الاستقرار، وجوَّز أبو البقاء[2] أن يكون «فيها» حالاً من «دِفْء»، إذْ لو تأخَّر كان صفة، وجَوَّزَ أيضاً أن يكونَ «لكم» حالاً من «دِفْء»، و«فيها» الخبر، وهذا لا يجوزُ لأنَّ الحال إذا كان العامل فيها معنًى فلا يجوزُ تقديمُها على الجملة بأسرها، لا يجوزُ: قائماً في الدار زيدٌ، فإن تأخَّرت الحال عن الجملة جازت بلا خلاف، أو توسَّطت: فأجازَ ذلك الأخفشُ، ومنعه الجمهور، وأجاز أيضاً أن يرتفع «دِفْء» بـ «لكم» أو بـ «فيها»؛ قال[3]: والجملة كلُّها حالٌ من الضمير المنصوب. انتهى. ولا تسمَّى جملة لأنَّ التقدير: خلقَها كائناً[4] لكم فيها دفءٌ، أو: خَلَقَها لكم كائناً فيها دِفْءٌ، وهذا من قبيل المفرد لا من قبيل الجملة.

وجوَّزُوا أن يكون «لكم» متعلقاً بـ «خَلَقَها»، و«فيها دِفْءٌ» استئنافٌ لذكرِ منافع الأنعام، ويُؤيِّدُ كونَ «لكم فيها دِفْءٌ» يظهرُ فيه الاستئنافُ مقابلتُه بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ فقابلَ المنفعةَ الضروريَّة بالمنفعة غيرِ الضروريَّة.

وقال ابن عباس: الدِّفْءُ نَسْلُ كلِّ شيء[5]. وذكرَه الأمويّ عن لغة بعض العرب[6].

---

(١) كذا. والجادة: استئنافاً.

(٢) الإملاء ٢/ ٧٨.

(٣) تحرف قوله «بفيها قال» في المطبوع إلى: نعتها بأل.

(٤) لفظة «كائناً» من (ز١).

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩. وأخرج الطبري ١٤/ ١٦٧ عنه في قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ قال: نَسْلُ كل دابَّة، قال النحاس في معاني القرآن ٤/ ٥٤: أحسب مذهبَ ابنِ عباس أن المنافع النسل لا الدِّفْء، على أنَّ الأموي قد رَوَى أن الدِّفء عند العرب نتاج الإبل والانتفاع بها، فيكون هذا فيه.

(٦) لفظ الأموي في المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩ عن النحاس: الدِّفْءُ في لغة بعضهم تناسل الإبل. وهو ما جاء عنه في التعليق السالف.

والظاهر أنَّ نصب «والأنعامَ» على الاشتغال، وحَسَّنَ النصبَ كونُ جملةٍ فعليةٍ تقدَّمت، ويُؤيِّدُ ذلك قراءتُه في الشاذّ برفع «الأنعام»[١].

وقال الزمخشري وابن عطيَّة: يجوز أن يكون قد عُطف على «الإنسان»[٢]، وعلى هذا يكون «لكم» استئناف أو متعلِّق[٣] بـ «خَلَقَها».

وقرأ الزُّهريُّ وأبو جعفر: «دِفٌّ» بضمّ الفاء وشدِّها وتنوينها[٤]، ووجهُه أنه نقلَ الحركةَ من الهمزة إلى الفاء بعد حذفها، ثم شدَّد الفاء إجراءً للوصلِ مُجرى الوقف، إذْ يجوزُ تشديدُها في الوقف.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «دِفٌ» بنقل الحركة وحذف الهمزة دون تشديد الفاء. وقال صاحب «اللوامح»: الزّهريُّ: «دِفٌ» بضّم الفاء من غير همز، والفاء محركةٌ بحركة الهمزة المحذوفة[٥]، ومنهم من يُعوِّضُ من هذه الهمزة فَيُشدِّدُ الفاء، وهو أحد وجهَي حمزة بن حبيب وقفاً.

وقال مجاهد: «ومنافع»: الرُّكُوب، والحَمْلُ، والألبانُ، والسَّمْنُ، والنَّضْحُ عليها، وغيرُ ذلك[٦].

وأفردَ منفعة الأكل بالذِّكر[٧] كما أفردَ منفعةَ الدِّفْء لأنهما من أعظم المنافع.

وقال الزمخشريّ[٨]: فإن قلت: تقدُّمُ الظرف في قوله: ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ مؤذِنٌ بالاختصاص، وقد يُؤكل من غيرها؟

قلت: الأكلُ منها هو الأصل الذي يعتمدُه الناسُ في معايشِهم، وأمَّا الأكلُ من

---

(١) الإملاء ٢/ ٧٨.
(٢) تحرَّف في (ح) و(د١) والمطبوع إلى: البيان. وينظر الكشاف ٢/ ٤٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩.
(٣) كذا. والجادة: استئنافاً أو متعلقاً. . .
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩. وينظر التعليق التالي.
(٥) نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٧ للزُّهري.
(٦) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ١٦٧-١٦٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٢-٢٧٣.
(٧) يعني في قوله: «ومنها تأكلون». وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٣.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٠١.

غيرِها من الدَّجاج والبَطّ وصيدِ البَرّ والبحرِ فكغيرِ المعتدِّ به، وكالجاري مجرى التفكُّه. انتهى.

وما قاله بناءً منه على أن تقديم الظرف أو المفعول دالٌّ على الاختصاص، وقد رددنا عليه ذلك في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والظاهر أن «من» للتبعيض، كقولك: أكلتُ من الرغيف.

وقال الزمخشريّ: ويَحتَمِلُ أنَّ طُعْمَتَكُم منها، لأنكم تحرُثون بالبقر، والحَبُّ والثِّمارُ التي تأكلونها منها، وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نَتَاجَها وألبانَها وجلودَها. انتهى. فعلى هذا يكون التبعيض مجازاً، أو تكون «من» للسَّبب.

الجَمال مصدر: جَمُلَ، بضمّ الميم، والرَّجلُ جميل، والمرأة جميلة، وجَمْلاء عن الكسائيّ، وأنشد:

فَهْيَ جَمْلاءُ كبَدْرٍ طالِعٍ بَذَّتِ الخَلْقَ جميعاً بالجَمَالْ[1]

ويُطلق الجمالُ ويُراد به التجمُّل، كأنه مصدرٌ على إسقاط الزوائد، والجَمالُ يكون في الصورة بحُسْنِ التركيب يُدركه البصر ويُلقيه في القلب، فتتعلَّق به النفسُ من غير معرفة، وفي الأخلاق باشتمالها على الصفات المحمودة، كالعلم والعِفَّة والحِلْم، وفي الأفعال بوجودها ملائمة لمصالح الخلق وجَلْبِ المنفعة إليهم، وصرفِ الشَّرّ عنهم[2].

والجَمالُ الذي لنا في الأنعام هو خارجٌ عن هذه الأنواع الثلاثة، والمعنى أنه لنا فيها تَجمُّلٌ وعَظَمةٌ عند الناس باقتنائها ودلالتها على سعادة الإنسان في الدنيا، وكونهِ فيها من أهل السَّعة، فمنَّ الله تعالى بالتجمُّل بها كما منَّ بالانتفاع الضروريّ، لأنَّ التجمُّلَ بها من أغراض أصحابِ المواشي ومفاخرِ أهلِها، والعربُ تفتخرُ بذلك، ألا ترى إلى قول الشاعر:

---

(١) الصحاح واللسان (جمل)، وشرح المفصل ١/ ١٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٣. قوله: بذَّت، أي: سبقت وغلبت، ووقع في (ح) ومطبوع البحر: بزَّت.

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٤.

لَعَمْرِي لَقَوْمٌ قد نَرَى أمْسِ فيهمُ   مَرَابِطَ للأمْهارِ والعَكَرِ الدَّثِرْ
أَحَبُّ إلينا من أُناسٍ بقُنَّةٍ   يَرُوحُ على آثارِ شائِهِمُ النَّمِرْ[١]

والعَكَرَةُ من الإبل ما بين الستِّين إلى السبعين، والجمع عَكَر، والدَّثِرُ والدَّثْر[٢]: الكثير.

ويقال: أراحَ الماشيةَ: رَدَّها بالعشيِّ من المَرْعَى، وسَرَحَها يَسْرَحُها سَرْحاً وسُرُوحاً: أخرجَها غُدْوةً إلى المَرْعَى، وسَرَحَتْ هي، يكون متعدِّياً ولازماً[٣]، وأكثرُ ما يكون ذلك أيامَ الرَّبيع إذا سقطَ الغيثُ وكثُر الكَلَأُ، وخرجُوا للنُّجْعَة.

وقدَّم الإراحةَ على السَّرْح لأنَّ الجَمالَ فيها أظهرُ إذا أقبلت مَلْأى البطون حافِلةَ الضُّروع، ثم أَوَتْ إلى الحظائر، بخلافِ وقتِ سَرْحِها؛ وإن كانت في الوَقْتَيْن تُزَيِّنُ الأفنيةَ، وتَجاوبَ فيها الرُّغاءُ والثُّغاء[٤]، فتُؤَنِّسُ[٥] أهلَها، وتُفْرِحُ أربابَها، وتُجِلُّهم في أعين الناظرينَ إليها، وتُكْسِبُهم الجاهَ والحُرْمَةَ كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وقولِه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقرأ عكرمة والضحَّاك والجَحْدَريُّ: «حيناً» فيهما بالتنوين وفكِّ الإضافة[٦]، وجعلوا الجُملتين صفتَين حُذف منهما العائد، كقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ [البقرة: ٤٨]، ويكون العامل في «حيناً» على هذا إمَّا المبتدأ لأنه في معنى التجمُّل، وإمَّا خبرُه بما فيه من معنى الاستقرار.

---

(١) البيتان لامرئ القيس، وهما في ديوانه ص١١٢. قوله: قُنَّة، أي: رأس جبل.
(٢) قوله: «والدَّثْر» من (ز١).
(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٥.
(٤) الرُّغاء: صوتُ الإبل، والثُّغاء: صوتُ الشَّاء والمَعْز. والكلام بنحوه في الكشاف ٢/ ٤٠١، وتفسير الرازي ١٩/ ٢٢٨.
(٥) الضبط من (ز١)، لكن جاءت الهمزة فيها وفي النسخ الأخرى على ألف، ورسمتُها على الجادَّة، وجاء في مطبوع البحر: فيأتنس.
(٦) القراءات الشاذة ص٧٢، والكشاف ٢/ ٤٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧٩، قال ابن عطية: وأظنُّها تصحيفاً.

والأثقال: الأمتعة، واحدُها «ثَقَل»[(١)]، وقيل: الأجسام كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ أي: أجسادَ بني آدم[(٢)].

وقولهُ: «إلى بلد» لا يُراد به معيَّن، أي: إلى بلدٍ بعيد تَوَجَّهْتُم إليه لأغراضكم.

وقيل: المرادُ به معيَّن، وهو مكّة، قاله ابنُ عباس وعكرمة والرَّبيع بن أنس[(٣)].

وقيل: مدينة الرسول. وقيل: مصر[(٤)].

وينبغي حملُ هذه الأقوال على التمثيل لا على المراد، إذِ المِنَّة لا تختصُّ بالحَمْل إليها.

و ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ صفة للبلد، ويَحتَمِلُ أن يكون التقدير: بها[(٥)]، وذلك تنبيهٌ على بُعد البلد، وأنه مع الاستعانة بها بِحَمْلِ الأثقال لا تصلون إليه إلا بالمشقَّة، أو يكون التقدير: لم تكونوا بالغيه بأنفسكم دونَها إلا بالمشقَّة فضلاً عن أن تَحمِلُوا على ظهوركم أثقالَكم.

وقرأ الجمهور: «بشِقِّ» بكسر الشين، وقرأ مجاهد والأعرجُ وأبو جعفر وعَمرو بنُ ميمون وابنُ أرقم بفتحها، ورُويت عن نافع وأبي عَمرو[(٦)]، وهما مصدران معناهما المشَقَّة، وقيل: الشَّقُّ بالفتح المصدر، وبالكسر: الاسم، ويعني به المشَقَّة، وقال الشاعر في الكسر:

وذي إبلٍ يَسْعَى ويَحْسِبُها لَهُ   أخي نَصَبٍ من شِقِّها ودُؤوبِ[(٧)]

---

(١) بالتحريك، وهو المتاع، وأمَّا الثِّقْلُ، فهو الوزن، والثِّقَل: ضدُّ الخفَّة.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٥.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٠ عن عكرمة.

(٤) في الوسيط للواحدي ٣/ ٥٦ عن ابن عباس قال: يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإلى مصر. وذكره الرازي ١٩/ ٢٢٨ وزاد: إلى المدينة.

(٥) أي: بالِغِيهِ بها. ينظر الكشاف ٢/ ٤٠٢.

(٦) القراءات الشاذة ص٧٢، والمحتسب ٢/ ٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠. وأبو جعفر من العشرة، وقراءتُه في النشر ٢/ ٣٠٢.

(٧) البيت للنَّمِر بن تَوْلب كما في مجاز القرآن ١/ ١٣٥٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٠٦، واللسان (شقق). ومن دون نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ١٧١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠، وتفسير =

أي: من مَشَقَّتِها. وشِقُّ الشيء نصفُه، وعلى هذا حملَه الفرَّاء هنا، أي: بذهابِ نصفِ الأنفُس[١]، كأنها قد ذابَتْ تَعَبًا ونَصَبًا، كما تقول: لا تقدرُ على كذا إلا بذهاب جُلِّ نفسِك وبقطعةٍ من كَبِدِك، ونحوِ هذا من المجاز[٢]. ويُقال: أخذتُ شِقَّ الشاة، أي: نصفَها، والشِّقُّ الجانب، والأخُ الشقيق، وشِقّ اسمُ كاهن[٣].

وناسبَ الامتنانَ بهذه النعمةِ من حملِها الأثقالَ الختمُ بصفة الرأفة والرحمة، لأنَّ مِن رأفتِه تيسيرَ هذه المصالح، وتسخيرَ الأنعام لكم.

ولما ذكر تعالى مِنَّتَه بالأنعام ومنافِعها الضروريَّة؛ ذكرَ الامتنان بمنافع الحيوان التي ليست بضرورية. وقرأ الجمهور بنصب: «والخَيْلَ» وما عُطف عليه عطفاً على «والأنعام». وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة بالرفع[٤].

ولمَّا كان الرُّكوب أعظمَ منافِعها اقتصَرَ عليه، ولا يدلُّ ذلك على أنه لا يجوزُ أكلُ الخيل[٥]؛ خلافاً لمن استدلَّ بذلك[٦].

وانتصب «وزينةً» ولم يكن باللام، ووصلَ الفعل إلى الركوب بوساطة الحرف، وكلاهما مفعول من أجله لأنَّ التقدير: خَلَقَها، والركوبُ من صفات المخلوق لهم ذلك، فانتفى شرط النصب وهو اتحاد الفاعل، فعُدِّيَ باللام، والزِّينةُ من وصف الخالق، فاتَّحدَ الفاعلُ، فوصلَ الفعلُ إليه بنفسه.

وقال ابنُ عطيَّة[٧]: «وزينةً» نصب بإضمار فعل تقديرُه: وجعلناها زينةً.

وروى قتادة عن ابن عياض[٨]: «لتركبوها زينة» بغير واو.

= القرطبي ١٢/ ٢٧٦. ونسبه ابن الأنباري في شرح القصائد السبع ص١٣٨ لأبي حِزام العكلي.

(١) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٧، وينظر زاد المسير ٤/ ٤٣١.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠.

(٣) الصحاح (شقق)، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٦.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٨.

(٥) في (ح) و(د١): أكل لحم الخيل. ووقع في المطبوع: لكل الخيل. وهو خطأ.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨١-٢٨٢.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠.

(٨) المثبت من (ز١) و(يه). وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٠ لكن دون ذكر قتادة. وفي

قال صاحب «اللوامح»: والزينة مصدر أُقيم مُقام الاسم، وانتصابُه على الحال من الضمير في «خَلَقَها» أو من «لتركبوها».

وقال الزمخشري: أي: وخَلَقَها زينةً لتركبوها، أو تَجعلَ «زينةً» حالاً من «ها» أي: وخَلَقَها[١] لتركبوها وهي زينةٌ وجمالٌ.

وقال ابن عطية: والنصبُ حينئذٍ على الحال من الهاء في «تركبوها».

والظاهرُ نفيُ العلم عن ذوات ما يخلقُ تعالى، فقال الجمهور: المعنى: ما لا تعلمون من الآدميِّين والحيوانات والجمادات التي خَلَقَها كلَّها لمنافعكم، فأخبرَنا بأنَّ له من الخلائق ما لا علم لنا به لنزدادَ دلالةً على قدرتِه بالإخبار وإن طوى عنَّا علمَه لحكمةٍ له في طَيِّهِ، وما خلق تعالى من الحيوان وغيره لا يُحيط بعلمه بَشَر.

وقال قتادة: ما لا تعلمون أصلَ حدوثِهِ، كالسُّوس في النبات، والدُّود في الفواكه[٢].

وقال ابن بحر: لا تعلمون كيف يخلقُه.

وقال مقاتل: هو ما أعدَّ اللهُ لأوليائه في الجنة «ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بَشَر»[٣]. وكذا قال الطبري، وزاد بعدَ «في الجنة»: وفي النار لأهلها، والباقي بالمعنى[٤].

= المحتسب ٢/ ٨، والهداية ٦/ ٣٩٥٥: أبو عياض، وجاء في النسخ الأخرى ومطبوع البحر والدر المصون ٣/ ١٩٥: قتادة عن ابن عباس، وفي اللباب ١٢/ ١٧: قتادة عن ابن أبي عامر، وكلاهما خطأ.

(١) المثبت من (ز١). وفي (يه) والكشاف ٢/ ٤٠٢ (والكلام منه): «منها» بدل قوله: «من ها». وفي النسخ الأخرى ومطبوع البحر: حالاً من هاء وخلقها.

(٢) تفسير البغوي ٣/ ٦٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٨.

(٣) لم أقف عليه عن مقاتل، ونُسب في تفسير الخازن ٣/ ٨١ لبعضهم، وجوَّز الآلوسي القول في تفسيره ١٤/ ٣٦ دون أن ينسبه. وقوله: ما لا عين رأت... الخ، قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً عن الله تعالى: «أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر» أخرجه عنه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

(٤) لفظ قول الطبري ١٤/ ١٧٦-١٧٧ في تفسير «ويخلق ما لا تعلمون»: يقول تعالى ذكرُه =

ورُويت تفاسيرُ في «ما لا تعلمون» في الحديث عن ابنِ عبَّاس ووَهْب بن منبِّه والشعبيِّ، اللهُ أعلمُ بصحَّتها[١].

ويقال: لمَّا ذكرَ الحيوانَ الذي يُنتفع به انتفاعاً ضرورياً وغيرَ ضروريّ أعقبَ بذكرِ الحيوانِ الذي لا يُنتفع به غالباً على سبيل الإجمال، إذ تفاصيلُه خارجة عن الإحصاء والعَدِّ.

والقَصْدُ مصدر، ويُوصَفُ به، يقال: سبيلٌ قَصْدٌ وقاصد: إذا كان مستقيماً كأنه[٢] يَقْصِدُ الوَجْهَ الذي يؤمُّه السالك لا يعدل عنه، والسبيلُ هنا مفرد اللفظ؛ فقيل: مفرد المدلول، و«أل» فيه للعهد، وهي سبيلُ الشرع، وليست للجنس، إذ لو كانت له لم يكن منها جائر، والمعنى: وعلى الله تبيينُ طريقِ الهدى، وذلك بنصب الأدلَّة وبَعْثِهِ الرُّسلَ.

وقال ابن عطية: ويَحتَمِلُ أن يكونَ المعنى أنَّ مَنْ سلكَ الطريقَ القاصدَ فعلى اللهِ ورحمتِه ونعيمِهِ طريقُه[٣]، وإلى ذلك مصيرُه، وعلى أنَّ «أل» للعهد يكون الضمير في قوله: «ومنها جائر» عائد[٤] على السبيل التي يتضمَّنُها معنى الآية، كأنه قيل: ومن السبيل جائر، فأعاد عليها وإن لم يَجْرِ لها ذِكْر، لأنَّ مقابلَها يدلُّ عليها.

قال ابن عطية[٥]: ويَحتَمِلُ أن يعودَ «منها» على سبيل الشرع وتكون «من» للتبعيض، والمرادُ فِرَقُ الضلالة من أمةِ محمد ﷺ، كأنه قال: ومِنْ بُنَيَّاتِ الطُّرُقِ في هذه السبيلِ ومن شُعَبِها جائرٌ.

وقيل: «أل» في «السبيل» للجنس، وانقسمت إلى قَصْدٍ[٦]، وهو طريق الحقِّ،

= ويخلقُ ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرَها لكم ما لا تعلمون مما أعدَّ في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين، ولا سمعته أُذن، ولا خطر على قلب بشر.

(١) تنظر بعض هذه الأخبار في تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٩.

(٢) قوله: ويوصف به... إلى هذا الموضع، من (ز١) و(يه).

(٣) في المطبوع: فعلى الله رحمته ونعيمه وطريقه... والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٣٨١.

(٤) كذا. والجادة: عائداً.

(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨١. والكلام الذي قبله فيه بنحوه.

(٦) في (أ) و(ح) و(د١) والمطبوع: مصدر.

وإلى جائر، وهو طريقُ الباطل. والجائرُ العادلُ عن الاستقامة والهداية، كما قال:

يَـجُـورُ بـهـا الـمَـلَّاح طَـوْراً ويَـهْـتَـدِي[١]

وكما قال الآخر:

ومِـنَ الـطـريـقـةِ جـائـرٌ وهـدًى قَـصْـدُ الـسَّـبـيـلِ ومـنـه ذُو دَخْـلِ[٢]

قَسَمَ الطريقة[٣] إلى جائرٍ وإلى هدًى وإلى ذي دَخْل وهو الفساد.

وقال الزمخشريّ: ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أنَّ هدايةَ الطريقِ المُوصل إلى الحقِّ واجبةٌ عليه لقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢] فإن قلت: لِمَ غيَّر أسلوبَ الكلام في قوله: «ومنها جائر»؟ قلت: لِيُعْلِمَ بما يجوز إضافتُه إليه من السبيلين وما لا يجوز، ولو كان كما تَزعُمُ المُجْبِرَةُ لقيل: وعلى الله قَصْدُ السبيل وعليه جائرُها، أو: وعليه الجائرُ. وقرأ عبدُ الله: «ومنكم جائر» يعني: ومنكم جائرٌ عن القَصْد[٤] بسوء اختياره، واللهُ بريءٌ منه ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَسْراً وإلجاءً. انتهى. وهو تفسيرٌ على طريقة الاعتزال.

وقيل: الضمير في «ومنها» يعود على الخلائق، أي: ومن الخلائق جائرٌ عن الحقِّ، ويؤيِّدُه قراءة عيسى: «ومنكم جائر» وكذا هي في مصحف عبد الله، وقراءة علي: «فمنكم جائر» بالفاء[٥].

قال ابن عباس: هم أهلُ المِلَل المختلفة[٦]. وقيل: اليهودُ والنصارى والمجوس[٧].

---

(١) عجُز بيت لطَرَفَة بن العبد، وصَدْرُه: عَدَوْلِيَّةٌ أو من سَفِينِ ابنِ يامِنٍ. وهو في ديوانه ص٢٠. قوله: عَدَوْلِيَّة، أي: سفينة منسوبة إلى عَدَوْلَى؛ قرية بالبحرين. ينظر الصحاح (عدل).

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٢٣٨.

(٣) في (ح): الطرائق.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٠٣ (والكلام منه): جائرٌ جارٍ عن القصد...

(٥) ينظر تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٥٤، وتفسير الطبري ١٤/ ١٧٩، والقراءات الشاذة ص٧٢، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٩١.

(٦) تفسير الطبري ١٤/ ١٧٩-١٨٠، والنكت والعيون ٣/ ١٨١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٩٠.

(٧) تفسير الواحدي ٣/ ٥٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٩٠، وبنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨١.

و«لهداكم»: لخَلَقَ فيكم الهداية فلم يَضِلَّ أحدٌ منكم، وهي مشيئةُ الاختيار.

وقال الزجَّاج[١]: لَعَرَضَ[٢] عليكم آيةً تضطرُّكم إلى الاهتداء والإيمان؛ قال ابنُ عطية: وهذا قولُ سوءٍ لأهل البِدَع الذين يَرَوْنَ أنَّ الله لا يخلُقُ أفعالَ العباد لم يُحَصِّلْه الزجَّاج ووقع فيه - رحمه الله - من غير قصد. انتهى. ولم يعرف ابنُ عطية أنَّ الزجَّاج معتزليٌّ، فلذلك تأوَّلَ عليه أنَّه لم يُحصِّل[٣]، وأنه وقعَ فيه من غير قصد.

وقال أبو علي: لو شاء لَهَدَاكُم إلى الثواب أو إلى الجنة بغير استحقاق.

وقال ابن زيد: لو شاء لمَحَضَ قَصْدَ السبيل دون الجائر[٤].

ومفعول «شاء» محذوف لدلالة «لهداكم» أي: ولو شاء هدايتكم لَهَدَاكُم[٥].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

مناسبةُ هذه الآية لِما قبلَها أنه لمَّا امتَنَّ عليهم بإيجادِهم بعد العَدَم وإيجادِ ما ينتفعون به من الأنعام وغيرِها من المركوب[٦]؛ ذكَرَ ما امْتَنَّ به عليهم من إنزالِ الماءِ الذي هو قِوَامُ حياتِهم وحياةِ الحيوان، وما يَتولَّدُ عنه من أقواتِهم وأقواتِها من الزَّرْع وما عُطف عليه، فذكرَ منها الأغلبَ، ثم عَمَّم بقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾.

(١) بنحوه في معانيه ٣/ ١٩٢، ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٣/ ٣٨١.
(٢) في (د١) والمطبوع: لَفَرضَ.
(٣) في (د١) والمطبوع: يُحصِّلْه.
(٤) لفظُه في تفسير الطبري ١٤/ ١٨٠: لو شاء لهداكم أجمعين لِقَصْدِ السبيل الذي هو الحقّ، وقرأ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ وقرأ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾.
(٥) قوله: «لهداكم» من (ح) و(د٢).
(٦) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: الركوب.

ثم أتبعَ ذلك بخلقِ الليلِ الذي هو سَكَنٌ لهم، والنهارِ الذي هو معاشٌ، ثم بالنَّيِّرَيْنِ اللذَّيْنِ جعلَهما الله تعالى مُؤَثِّرَيْنِ بإرادتِه في إصلاح ما يحتاجون إليه، ثم بما ذَرَأَ في الأرض.

والظاهر أنَّ «لكم» في موضع الصفة لـ «ماءً» فيتعلَّق بمحذوف، ويرتفع «شرابٌ» به، أي: ماءً كائناً لكم منه شرابٌ، ويجوز أن يتعلَّق بـ «أنزَلَ»، ويجوز أن يكون استئنافاً و«شرابٌ» مبتدأ؛ لمَّا ذَكَرَ إنزالَ الماء أخذَ في تقسيمه. والشَّرابُ هو المشروب، والتبعيض في «منه» ظاهرٌ، وأمَّا في «منه شَجَرٌ» فمجازٌ؛ لمَّا كان الشجرُ إنباتُه على سقيه بالماء جعل الشَّجَرَ من الماء كما قال:

أَسْـنِـمَـةُ الآبـالِ فـي رَبَـابَـهْ[1]

أي: في سحابِ المطر.

وقال ابنُ الأنباريّ: هو على حذف مضاف إمَّا قبلَ الضَّمير، أي: ومن جهته أو سَقْيِهِ شَجَرٌ، وإمَّا قبلَ «شَجَر» أي: شُرْبُ شَجَرٍ، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حُبَّه.

والشَّجَر هنا كلُّ ما تُنبِتُه الأرضُ. قاله الزجَّاج[2].

وقال الراجز:

نُطْعِمُها اللَّحْمَ إذا عَزَّ الشَّجَر[3]

(١) الرجز بهذه الرواية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٢، وهو في الكامل ٢/ ٩٩٤ برواية: أسنمةُ الآبالِ في سحابَهْ.
(٢) بمعناه في معاني القرآن له ٣/ ١٩٢.
(٣) نُسب الرَّجز للنَّمِر بن تَوْلَب في الحيوان ٧/ ١٤٥، ورسائل الجاحظ ٢/ ٣٢٩، والشعر والشعراء ١/ ٣٠٩ (وفيه: الشحم، بدل: اللحم، قال ابن قُتيبة: الشحم يعني اللبن) والأغاني ٢٢/ ٢٧٨، وهو بدون نسبة في زاد المسير ٤/ ٤٣٣ وفيه: يَعْلِفُها، بدل: نُطعمها؛ قال ابن الجوزي: يعني أنهم يسقون الخيلَ اللبن إذا أجدبت الأرض. ونسبه الزمخشري في أساس البلاغة (لحم) للطرمَّاح، وقال: أراد اللبن؛ لأنه يحطُّ لحمُ الحلائب، فكأنَّهم يُطعمون الخيلَ لحمَها. وينظر أيضاً ما قيل فيه في اللسان (علف ـ لحم).

فسَمَّى الكلأَ شَجَراً. وقال ابنُ قُتيبة: الشجرُ هنا الكَلَأُ[١]، وفي حديث عكرمة: «لا تأكلُوا [ثَمَنَ] الشَّجَرِ فإنه سُحْتٌ» يعني الكَلَأَ[٢].

ويقال: أَسَامَ الماشيةَ وسَوَّمَها: جَعَلَها تَرْعَى، وسامَتْ بنفسها فهي سائمةٌ وسَوَامٌ: رَعَتْ حيث شاءَت.

قال الزجّاج[٣]: من السُّومَة، وهي العَلامة لأنها تؤثِّر في الأرض علاماتٍ.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «تَسِيمُون» بفتح التاء، فإنْ سُمِعَ متعدِّياً كان هو و«أَسَامَ» بمعنىً واحد، وإنْ كانَ لازماً فتأويلُه على حذف مضاف، «تَسِيمون» أي: تَسِيمُ مَوَاشِيكم.

لمّا ذكرَ: «ومنه شجرٌ» أخَذَ في ذكر غالبٍ ما يُنتفع به من الشجر إنْ كانَ المرادُ من قوله: «ومنه شجر» العموم، وإنْ كان المرادُ الكلأَ فهو استئنافُ إخبارٍ منافعِ الماء.

ويقال: نبتَ الشيءُ وأنبتَه الله، فهو منبوت، وهذا قياسه مُنْبَت. وقيل: يقال: أنبتَ الشجرُ، لازماً، وأنشد الفرَّاء:

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حَوْلَ بُيوتِهِمْ قَطِيناً بها حتى إذا أنبتَ البَقْلُ[٤]

أي: نَبَتَ، وكان الأصمعيُّ يأبَى أنبتَ بمعنى نَبَتَ[٥].

وقرأ أبو بكر: «نُنْبِتُ» بنون العظمة[٦]، وقرأ الزُّهريُّ: «يُنَبِّتُ»[٧] بالتشديد،

(١) غريب القرآن ص٢٤٢، ونقله عنه الرازي ١٩/ ٢٣٣.
(٢) هو من قول عكرمة، وأخرجه عنه عبد الرزاق في المصنف (١٤٥٠١) وأبو عُبيد في الأموال (٧٤٧)، وهو في الكشاف ٢/ ٤٠٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٢، وتفسير الرازي ١٩/ ٢٣٣، ولفظة «ثمن» بين حاصرتين من هذه المصادر.
(٣) معاني القرآن له ٢/ ١٩٢، ونقله عنه الرازي ١٩/ ٢٣٤.
(٤) البيت لزُهير بن أبي سُلمى، وهو في ديوانه ص١١١ بشرح ثعلب، وذكره الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٣٣ «في تفسير الآية (٢٠) من سورة المؤمنين». والقَطِين: أهل الرجل وحَشَمُه، والساكنُ النازلُ في الدار. قاله ثعلب.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٢.
(٦) السبعة ص٣٧٠، والتيسير ص١٣٧.
(٧) بالياء كما هي في (ز١)، وهي نسخة مقروءة على المصنف، وهي كذلك في الأصل الخطي =

قيل: للتكثير والتكرير، والذي يظهرُ أنه تضعيف التعدية. وقرأ أُبيّ: «يَنْبُتُ» من: نَبَتَ، ورفع «الزَّرْع» وما عُطف عليه[١].

وخصَّ الأربعة بالذِّكر لأنها أشرفُ ما يَنْبُتُ، وأجمعُه للمنافع، وبدأ بالزَّرْع لأنه قوتُ أكثرِ العالَم، ثم بالزيتون لِما فيه من فائدة الاستصباح بدُهْنِه، وهي ضرورية مع منفعة أكْلِه والائتدامِ به وبدُهْنِه، والاطِّلاء بدهنه، ثم بالنَّخيل، لأنَّ ثمرتَه مِن أطيبِ الفواكه، وقوتٌ في بعض البلاد، ثم بالأعناب لأنها فاكهةٌ محضة[٢].

ثم قال: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أتَى بلفظ «من» التي للتبعيض لأن كلَّ الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وإنما أُنبِتَ في الأرض بعضٌ من كلِّها للتذكرة.

ولمَّا ذكرَ الحيواناتِ المنتفعَ بها على التفصيل؛ أعقبَه بقوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، كذلك هنا ذكرَ الأنواعَ المنتفَعَ بها من النبات، ثم قال: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ تنبيهاً على أنَّ تفصيلَ القولِ في أجناسِها وأنواعِها وصفاتِها ومَنافعِها ممَّا لا يكاد يُحْصَرُ، كما أنَّ تفصيلَ ما خلقَ من باقي الحيوان لا يكاد يُحْصَرُ. وختم ذلك تعالى بقوله: ﴿لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لأنَّ النظرَ في ذلك يحتاجُ إلى فَضْلِ تأمُّلٍ واستعمالِ فِكْر، ألا ترى أنَّ الحبَّةَ الواحدةَ إذا وُضِعَتْ في الأرض ومرَّ عليها مقدارٌ من الزمان معينٌ لَحِقَها من نداوةِ الأرض ما تَنفَتِحُ[٣] به، فينشقُّ أعلاها فتصعد منه شجرةٌ إلى الهواء وأسفلُها تغوصُ منه في عُمق الأرض شجرةٌ أخرى، وهي العروق، ثم ينمو الأعلى ويَقْوَى، وتخرجُ الأوراق والأزهار والأكمام والثِّمارُ المشتملة على أجسام مختلفةِ الطبائعِ والطُّعوم والألوانِ والرَّوائحِ والأشكالِ والمنافع، وذلك بتقدير قادرٍ مختار، وهو اللهُ تعالى[٤].

= لروح المعاني ١٤/ ٤٢ كما في حواشيه، وذكرها الزمخشري دون نسبة. ووقع في النسخ الأخرى غير (يه) بالنون. والله أعلم. وتحرَّفت في (يه) إلى: تنبت، بالتاء.

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٣.

(٢) ينظر في هذا المعنى تفسير الرازي ١٩/ ٢٣٤.

(٣) في (ح) والمطبوع: تنتفخ.

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الرازي ١٩/ ٢٣٤-٢٣٥.

وقرأ الجمهور: «والشمسَ» وما بعده منصوباً، وانتصبَ «مُسَخَّراتٍ» على أنها حال مؤكّدة إن كان «مسخَّرات» اسم مفعول، وهو إعراب الجمهور.

وقال الزمخشري[1]: ويجوزُ أن يكون المعنى أنه سَخَّرها أنواعاً من التسخير، جمع مُسَخَّر بمعنى تَسخِير، من قولك: سَخَّرَهُ الله مُسَخَّراً، كقولك: سَرَّحَهُ مُسَرَّحاً، كأنه قيل: وسَخَّرَها لكم تَسخيراتٍ بأمره. انتهى.

وقرأ ابنُ عامر: «والشمسُ» وما بعدَه بالرَّفع على الابتداء والخبر، وحفص: «والنجومُ مُسَخَّراتٌ» بِرفعهما[2]، وهاتان القراءتان يبعدان قولَ الزمخشري أنَّ «مُسَخَّرات» بمعنى: تسخيرات.

وقرأ ابنُ مسعود والأعمش وابنُ مُصَرِّف: «والرِّياح مسخَّرات» في موضع: «والنجوم»[3] وهي مخالفةٌ لسَوَاد المصحف.

والظاهر في قراءة نصب الجميع أنَّ «والنجومَ» معطوفٌ على ما قبلَه، وقال الأخفش: «والنجومَ» منصوب على إضمار فعل، تقديرُه: وجعلَ النجومَ مُسَخَّراتٍ[4]. فأضْمَرَ الفعل، وعلى هذا الإعراب لا تكون «مُسَخَّراتٍ» حالاً مؤكِّدة، بل مفعولاً ثانياً لـ «جعل» إن كان «جعل» المقدَّرة بمعنى صَيَّرَ، وحالاً مبينة إن كان بمعنى: خَلَقَ.

وتقدَّم شرح تسخير هذه النَّيِّرات في «الأعراف» [٥٤].

وجمعَ الآياتِ هنا وذَكَرَ العقلَ، وأفردَ فيما قبلُ وذَكَرَ التَّفَكُّر لأن فيما قبلُ استدلالاً بإنباتِ الماء وهو واحد وإن كثُرَتْ أنواعُ النبات، والاستدلالُ هنا متعدِّدٌ، ولأنَّ الآثارَ العُلْويَّة أظهرُ دلالةً على القُدرة الباهرة وأبينُ شهادةً للكبرياء والعَظَمة. ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ معطوف على «الليل والنهار» يعني ما خلقَ فيها من حيوان وشجرٍ وثَمر وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥٓ﴾ من البَياض والسَّواد وغيرِ ذلك.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٣.

(٢) وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على ما قبله. ينظر السبعة ص٣٧٠، والتيسير ص١٣٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٢.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٥.

وقيل: «مختلفاً ألوانُه»: أصنافُه، كما تقول: هذه ألوانٌ من الثَّمَر ومن الطعام. وقيل: المرادُ به المعادن.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذَرَأ على هذه الحال من اختلاف الألوان، أو ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في اختلاف الألوان.

وخَتَمَ هذا بقوله: «يَذَّكَّرون» ومعناه الاعتبار والاتِّعاظ، كأنَّ عِلْمَهُمْ بذلك سابِقٌ طَرَأ عليه النِّسيان، فقيل: يَذَّكَّرُون، أي: يتذكَّرون ما نَسُوا من تسخير هذه المكوَّنات في الأرض.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى الاستدلالَ بما ذَرَأ في الأرض ذَكَرَ ما امْتَنَّ به من تسخيرِ البحر، ومعنى تسخيرِه كونُه يَتَمكَّنُ الناسُ من الانتفاع به للرُّكوب في المصالح، وللغَوْصِ في استخراجِ ما فيه، وللاصطياد لِما فيه.

والبحر جنسٌ يشملُ المِلْحَ والعَذْبَ، وبدأ أوّلاً من منافعه بما هو الأهمُّ، وهو الأكلُ، و«منه» على حذف مضاف، أي: لتأكلوا من حيوانِهِ لحماً طَرِيّاً، ثم ثَنَّى بما يتزيَّنُ به، وهو الحِلْيَةُ من اللؤلؤ والمَرْجانُ، ونَبَّهَ على غاية الحِلْيَة، وهي اللُّبسُ، وفيه منافعُ غيرُ اللُّبس، فاللحمُ الطَّرِيُّ من المِلْحِ والعَذْب، والحِلْيَةُ من المِلْح، وقيل: إنَّ العَذْبَ يَخرجُ منه لؤلؤٌ لا يُلْبَسُ إلا قليلاً، وإنَّما يُتَدَاوَى به، ويقال: إنَّ في الزُّمرُّد بحرياً[1].

فأمَّا «لتأكلُوا» فعامٌّ في النِّساء والرِّجال، وأمَّا «تلبسونَها» فخاصٌّ بالنِّساء، والمعنى: يَلْبَسُها نساؤكم. وأسندَ اللُّبْسَ إلى الذكور لأنَّ النِّساء إنما يَتَزَيَّنَّ بالحِلْيَةِ من أجل رجالهنَّ، فكأنَّها زينتُهم ولباسُهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٩٧. والزمرُّد (أو الزَّبَرْجَد) حجر أرضي يتجسَّد في معادن الذهب بأرض العرب، أخضر شديد الخُضرة، يشفّ، وأشدُّه خضرةً أجودُه. قاله صاحب المعتمد في الأدوية المفردة ص٢٠٦.

ولمَّا ذكرَ تعالى نعمةَ الأكل منه ونعمةَ الاستخراج للحِلْية؛ ذكرَ نعمةَ تصرُّفِ الفُلْك فيه مَاخِرةً، أي: شاقَّةً فيه، أو ذاتَ صوتٍ لشَقِّ الماءِ بحملِ[١] الأمتعةِ والأقواتِ للتجارة وغيرِها.

وأسندَ الرؤيةَ إلى المخاطبِ المفردِ، فقال: «وتَرَى»، وجعلَها جملةً معترضةً بين التعليلَيْن: تعليلِ الاستخراج، وتعليلِ الابتغاء، فلذلك عَدَلَ عن جمع المخاطَب.

والظاهر عطف «ولتبتغوا» على التعليل قبلَه كما أشرنا إليه، وأجاز ابنُ الأنباريّ أن يكونَ معطوفاً على علَّة محذوفة، أي: لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا، وأن يكون على إضمار فعل، أي: وفعلَ ذلك لتبتغوا.

والفضلُ هنا حصولُ الأرباح بالتجارة، والوصولُ إلى البلاد الشاسعة، وفي هذا دليلٌ على جوازِ رُكوب البحر.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ما منحكم من هذه النِّعم.

قيل: خلقَ اللهُ الأرضَ فجعلَتْ تَمُورُ، فقالت الملائكة: ما هيَ بمَقَرٍّ أحدٍ على ظهرِها، فأصبحت وقد أُرْسِيَتْ بالجبال، لم تَدْرِ الملائكةُ مِمَّ خُلقت[٢].

وعَطَفَ «وأنهاراً» على «رواسي» ومعنى «ألقى» جَعَلَ، ألا ترى إلى قوله ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]. وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فصلت: ١٠]. وقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩] أي: جعلتُ.

وقال ابن عطية[٣]: قال المتأوِّلون: «ألقَى» بمعنى: خَلَقَ وجَعَل، و«ألقى» عندي أخَصُّ من «خَلَقَ» و«جعل»، وذلك أنَّ «أَلْقَى» يقتضي أنَّ الله أوجدَ الجبال ليس من الأرض، لكن من قدرتِه واختراعِه، ويؤيِّدُ هذا النظرَ ما رُوِيَ في القَصَص

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: لحمل.
(٢) هو في تفسير الثعلبي ٣/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٤ عن وهب بن منبِّه، ولفظه أعلاه من الكشاف ٢/ ٤٠٤، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٨٩ عن الحسن، عن قيس بن عُباد، و١٤/ ١٩٠ عن الحسن.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٤.

عن الحسن عن قيس بن عُباد أنَّ الله تعالى لمَّا خلقَ الأرضَ جعلَتْ تَمُورُ. إلى آخر الكلام السابق، وهو أيضاً مرويٌّ عن وَهْب بن مُنَبِّه[(١)].

وقال ابنُ عطيَّة أيضاً: وقوله: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديرُه: وجعلَ ـ أو خلقَ ـ أنهاراً، وإجماعُهم على إضمار هذا الفعل دليلٌ على خصوص «أَلْقى»، ولو كانت «ألقى» بمعنى «خَلَقَ» لم يحتج إلى هذا الإضمار. انتهى. وأيُّ إجماع في هذا وقد حكى عن المتأوِّلين أنَّ «ألقى» بمعنى: خلقَ وجعلَ؟

وقال الزمخشري: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ وجعلَ فيها أنهاراً، لأنَّ «ألقى» فيه معنى «جعل»، ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾[(٢)].

وقال أبو البقاء: «وأنهاراً» أي: وشَقَّ أنهاراً ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ أي: وضعَ علاماتٍ، ويجوزُ أن يُعطف على «رَوَاسي»[(٣)].

وقال أبو عبد الله الرازيّ: ثبتَ في العلوم العقليَّة أنَّ أكثرَ الأنهار إنما تتَفجَّرُ منابِعُها في الجبال، فلهذا السبب أَتْبَعَ ذِكْرَها بتفجير الأنهار[(٤)].

﴿وَسُبُلًا﴾ طُرُقاً إلى مقاصدكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بالسُّبلِ إلى مقاصدِكم. هذا هو الظاهرُ، ويدلُّ عليه ما بعدَه، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠].

وقيل: «تهتدون» أي: بالنظر في دلالة هذه المصنوعات على صانِعِها، فهو من الهداية إلى الحقِّ ودين الله.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: هي معالمُ الطُّرق وكلُّ ما يَستَدِلُّ به السَّابلةُ من جبلٍ وسَهْلٍ وغيرِ ذلك. قاله الزمخشري[(٥)]. وهو معنى قول ابن عباس[(٦)].

---

(١) أشرتُ إلى هاتين الروايتين قبل تعليق.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٤، وسلف نحو هذا الكلام قريباً.
(٣) الإملاء ٢/ ٧٩.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ١٠.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٠٤. قوله: السابلة، أي: الناس المختلفون على الطرق في حوائجهم.
(٦) تفسير الطبري ١٤/ ١٩٢، والنكت والعيون ٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٤، ولفظه فيه: العلامات معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية الليل.

وقال أبو عبد الله الرازيّ[١]: ورأيتُ جماعةً يتعرَّفون الطرقاتِ بشمِّ التراب.

وقال ابنُ عيسى: العلامةُ صورةٌ يُعْلَمُ بها ما يُراد من خطٍّ أو لفظ أو إشارة أو هيئة.

وقال ابنُ عطيَّة[٢]: «علاماتٍ» نُصِبَ كالمصدر، أي: فَعَلَ هذه الأشياءَ لعلكم تعتبرون بها. و«علاماتٍ» أي: عِبْرَةً وإعلاماً في كلِّ سلوك فقد يُهْتَدَى بالجبالِ وبالأنهارِ والسُّبُل. انتهى.

وقال ابن الكلبيّ: العلامات الجبال. وقال النَّخَعيّ ومجاهد: النجوم[٣].

وأغربُ ما فُسِّرَتْ به العلامات أنها حِيتانٌ طِوالٌ رِقاقٌ كالحيَّات في ألوانها وحركاتها تُسَمَّى بالعلامات، وذلك في بحر الهند الذي يُسارُ إليه من اليمن، فإذا ظَهَرَتْ كانت علامةً للوصول لبلادِ الهند وأمارةً للنَّجاة[٤].

وقرأ الجمهورُ: «وبالنَّجْمِ» على أنه اسمُ جنس، ويؤيِّد ذلك قراءةُ ابنِ وثَّاب: «وبالنُّجُم» بضمّ النون والجيم، وقراءةُ الحسن بضمّ النون[٥].

وفي «اللوامح»: الحسن: «النُّجْم» بضمتين، وابنُ وثَّاب بضمَّة واحدة، وجاء كذلك عن أبي هشام[٦] الرِّفاعي، ولا شكّ في أنه يذكرُه عن أصحاب عاصم. انتهى. وذلك جمع، كسَقْف وسُقُف، ورَهْن ورُهُن، وجَعْلُه ممَّا جُمِعَ على فُعُل أَوْلَى مِن حملِه على أنَّه أرادَ النُّجومَ فَحذفَ الواوَ، إلا أنَّ ابنَ عُصفور ذكرَ أن قولهم: النُّجُم من ضرورة الشعر، وأنشد:

---

(١) تفسيره ٢٠/ ١٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٤.
(٣) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٤/ ١٩٢-١٩٣، والنكت والعيون ٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٤، وزاد المسير ٤/ ٤٣٦.
(٤) نقلها ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥ عن أبيه عن بعض أهل العلم.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥، وعكسُه في المحتسب ٢/ ٨ وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٥، وهو ما سيذكره المصنف عن اللوامح، ونسبَ الزمخشري ٢/ ٤٠٤-٤٠٥، والرازي ٢٠/ ١٠ القراءتين للحسن، وينظر زاد المسير ٤/ ٤٣٦.
(٦) في (يه) والمطبوع: ابن هشام، وهو خطأ، وهو محمد بن يزيد بن رفاعة الكوفي القاضي، من رجال التهذيب.

إنَّ الـذي قَـضَـى بـذا قـاضٍ حَـكَـم ... أن تَـرِدَ الـمـاءَ إذا غـابَ الـنُّـجُـم[(١)]

قال: يُريد: النُّجوم، مثل قولِه:

حـتـى إذا ابْـتَـلَّـتْ حَـلَاقِـيـمُ الـحُـلُـقْ[(٢)]

يريد: الحُلُوق. والتسكين قيل: تخفيف، وقيل: لغة.

وعن السُّدِّيِّ: هو الثُّريَّا والفَرْقَدانِ وبناتُ نَعْش والجَدْي[(٣)].

وقال الفَرَّاء: المرادُ الجَدْيُ والفَرْقَدان. انتهى[(٤)].

قيل: والجَدْيُ: هو السابعُ من بنات نَعْش الصُّغرى، والفَرْقَدان الأوَّلانِ منها[(٥)]، وليس بالجَدْي الذي هو المنزلة[(٦)]، وبعضُهم يصغِّرُه فيقول: جُدَيّ[(٧)].

وفي الحديث عن ابن عباس أنه سأل الرسولَ ﷺ عن قوله: «وبالنَّجم» فقال: «هو الجَدْيُ»[(٨)]. ولو صَحَّ هذا لم يَعْدِلْ أحدٌ عنه.

وقال ابنُ عباس: عليه قِبْلَتُكم، وبه تهتدون في بَرِّكم وبَحْرِكُم[(٩)].

وقيل: هو القُطب الذي لا يجري[(١٠)]. وقيل: هو الثُّرَيَّا[(١١)].

---

(١) الرَّجز بهذه الرواية في ضرائر الشعر ص١٣٠ لابن عصفور، وهو في المحتسب ٢/ ٨، والخصائص ٣/ ١٣٤، واللسان (نجم) برواية: إن الفقير بيننا قاضٍ... الخ.

(٢) الخصائص ٣/ ١٣٤ (وفيه: بُلَّت)، واللسان (حلق).

(٣) تفسير الثعلبي ٣/ ٥١٠، وزاد المسير ٤/ ٤٣٦. وبناتُ نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالي، شُبِّهت بحملة النعش. «المعجم الوسيط».

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٩٨، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥. وثمة سقط في (يه) بدءاً من قوله: والفرقدان، بمقدار صفحتين من المطبوع.

(٥) ينظر أدب الكاتب ص٩١.

(٦) أي من منازل الشمس، وهي البُروج الاثنا عشر المشهورة (الحَمَل، والثور، والجوزاء... إلخ).

(٧) المُغرِب ص١٣٦.

(٨) النكت والعيون ٣/ ١٨٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٦، وهو في الفردوس (٢٦٤٧) للديلمي، والله أعلم بصحته.

(٩) جاء قول ابن عباس في المصادر السالفة مرفوعاً وتتمةً للحديث قبله.

(١٠) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥. ويردُّ هذا القولَ قولُه تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

(١١) سلف قريباً من قول السُّدِّي.

وقال الشاعر:

إذا طَلَبَ الجوزاءَ والنَّجْمُ طالعٌ فكلُّ مَخاضاتِ الفُراتِ مَعابِرُ[(١)]

وقال آخر:

حتى إذا ما اسْتَقلَّ النَّجْمُ في غَلَسٍ وغُودِرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومحصودُ[(٢)]

أي: منه مَلْوِيٌّ، ومنه محصودٌ، وذلك إنما يكون عند طلوع الثُّرَيَّا[(٣)].

و«هُمْ» ضمير غَيبة خرجَ من الخطاب إلى الغَيبة، كأنَّ الضميرَ النعتُ به إلى قريش، إذْ كان لهم اهتداءٌ بالنُّجوم في مسايرِهم، وكان لهم بذلك علمٌ لم يكن لِغيرِهم، فكان الشكرُ أوجبَ عليهم والاعتبارُ ألزمَ لهم[(٤)].

وقُدِّمَ المجرورُ على ما يتعلَّق به اعتناءً ولأجل الفاصلة، والزمخشريُّ على عادته قال: كأنَّه قيل: وبالنجم خُصوصاً هم يهتدون[(٥)].

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

ذكرَ تعالى التباينَ بين من يخْلُقُ ـ وهو الباري تعالى ـ وبين مَنْ لا يخلقُ وهي الأصنام ومَنْ عُبِدَ ممَّن يعقل[(٦)]، فجديرٌ أن يُفْرَد بالعبادة مَنْ له الإنشاءُ دون غيره.

(١) البيت لعبد الله بن سَبْرَة كما في الحماسَة بشرح المرزوقي ٢/ ٤٨٣، ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ٧ إليه، أو للأغرّ بن عبد الله اليشكري، والبيت فيهما برواية: إذا سالتِ الجوزاء...، وسلف بهذه الرواية في تفسير الآية (١٢٧) من سورة النساء.

(٢) البيت لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ٢/ ١٣٦٦ (بشرح أبي نصر) ورواية عجزه فيه: وأحْصَدَ البقلُ أو مُلْوٍ ومحصودُ. قال شارحُه: استقلَّ النجم، أي: طلعَ بعد النور عند الصبح.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٦.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٠٥.

(٥) في الكشاف: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون.

(٦) في (د١) والمطبوع: لا يعقل، بزيادة «لا». والمعنى عليها ليس مقصوداً هنا.

وجيء بـ «مَنْ» في الثاني لاشتمال المعبودِ غيرَ الله على مَنْ يعقلُ وما لا يعقل، أو لاعتقادِ الكفَّارِ أنَّ لها تأثيراً وأفعالاً، فعُومِلَتْ معاملةَ أولي العلم، أو للمشاكلةِ بينَه وبين مَنْ يَخلُق، أو لتخصيصِه بمن يعلم، فإذا وقعت البينونةُ بين الخالق وبين غيرِ الخالق من أُولي العلم؛ فكيفَ بمن لا يعلمُ البتَّة؟ كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥] أي: إنَّ آلهتَهم منحطَّةٌ عن حال مَنْ له أرجلٌ، لأنَّ مَنْ له هذه حيٌّ، وتلك مَوَاتٌ[1]، فكيف يصحُّ أن يُعبد؟! لا أنَّ مَنْ له رِجْلٌ يصحُّ أن يُعْبَد.

قال الزمخشري[2]: فإنْ قلتَ: هو إلزامٌ للذين عبدُوا الأوثان وسَمَّوْها آلهةً تشبيهاً بالله، فقد جعلُوا غيرَ الخالقِ مثلَ الخالق، فكان حقُّ الإلزام أن يقال لهم: أفمَنْ لا يخلقُ كمن يَخلق؟

قلت: حين جعلُوا غيرَ اللهِ مثلَ الله في تسميته باسمِه والعبادةِ له، وسوَّوْا بينَه وبينه، فقد جعلُوا الله من جنس المخلوقات وشبيهاً بها، فأنكرَ عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾.

ثم وبَّخَهُم بقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: مثلُ هذا لا ينبغي أن تقعَ فيه الغفلة.

والنّعمة يُرادُ بها النِّعَمُ لا نعمةٌ واحدة، يدلُّ على ذلك: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ﴾ و﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾، إذ ينتفي العَدُّ والإحصاء في الواحدة، والمعنى: لا تُحْصُوا عَدَدَها[3]، لأنَّها لكثرتها خرجَتْ عن إحصائكم لها، وانتفاءُ إحصائها يقتضي انتفاءَ القيام بحقِّها من الشُّكر.

ولـمَّا ذَكَرَ نِعَماً سابقةً أخبرَ أنَّ جميعَ نِعَمِهِ لا يُطيقون[4] عَدَّها، وأَتْبَعَ ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث يتجاوزُ عن تقصيرِكم في أداءِ شُكرِ النِّعَم، ولا يقطعُها عنكم لِتفريطِكمْ، ولا يُعاجِلُكم بالعقوبة على كُفْرانِها.

ولـمَّا كان الإنسانُ غيرَ قادر على أداء شُكرِ النِّعم وأنَّ له حالةً يَعرِضُ فيها منه

---

(١) المَوَات: ما لا رُوح فيه. وجاء بدلها في المطبوع: أموات.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٥، والكلام السالف قبله فيه بنحوه.
(٣) المثبت من (ز١). وفي النسخ الأخرى غير (يه): عدَّها. وفي هذا الموضع من (يه) سقط.
(٤) في (ح): لا تطيقون.

كفرانُها قال في عقب الآية [٣٤] التي في «إبراهيم»: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لَظلومٌ بترك الشُّكر، كفَّارٌ للنِّعمة، وفي هذه الآية ذكرَ الغفرانَ والرحمةَ لُطْفاً به وإيذاناً في التجاوزِ عنه.

وأخبرَ تعالى أنه يعلمُ ما يُسِرُّون، وضَمَّنَه الوعيدَ لهم والإخبارَ بعلمه تعالى، وفيه التنبيهُ على نفي هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم.

وقرأ الجمهور بالتاء من فوق في «تُسِرُّونَ» و«تُعلنون» و«تَدْعون»، وهي قراءة مجاهد والأعرج وشيبة وأبي جعفر وهُبيرة عن عاصم[١] على معنى: قُلْ لهم[٢].

وقرأ عاصم في مشهورِه: «يَدْعُون» بالياء من تحت، وبالتاء في السابقتين[٣].

وقرأ الأعمش وأصحابُ عبد الله: «يعلمُ الذي تبدون وما تكتمون» و«تدعون» بالتاء من فوق في الثلاثة[٤]. وقرأ طلحة: «ما تخفون وما تعلنون» و«تدعون» بالتاء من فوق[٥]. وهاتان القراءتان مخالفتان لِسوادِ المصحف ولِمشهورِ[٦] ما رُوِيَ عن الأعمش وغيرِه، فوجَبَ حملُها على التفسير، لا على أنها قرآن.

ولمَّا أظهرَ تعالى التباينَ بين الخالق وغيرِه نصَّ على أنَّ آلهتَهم لا تَخلُقُ وعلى أنها مخلوقة، وأخبر أنَّهم أمواتٌ، وأكَّدَ ذلك بقوله: «غيرُ أحياء»، ثم نَفَى عنهم الشُّعور الذي يكونُ للبهائم فضلاً عن العلم الذي يتَّصفُ به العقلاء، وعبَّر بـ «الذين» وهو للعاقل، عُوملَ غيرُه معاملتَه لكونها عُبدت واعتُقِدَ فيها الألوهيَّة.

(١) الذي في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥ وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٠٨-٣٠٩ أن هُبيرة رواها عن حفص عن عاصم بالياء على الغيبة. وقال ابن عطية: وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم كلَّ ذلك بالتاء من فوق.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥.
(٣) السبعة ص٣٧١، والتيسير ص١٣٧.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٥.
(٥) أهمل الفعلان: «تُخفون» و«تُعلنون» من النَّقْط في (ز١)، وجاءا في النسخ الأخرى والمطبوع بالياء، وأثبتُّهما بالتاء، كما هو ظاهر سياق الكلام، وهو ما جاء في روح المعاني ١٤/ ٧١. ولم أقف على هذه القراءة.
(٦) المثبت من (ز١)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: والمشهور، وهو خطأ.

وقرأ محمد اليمانيّ: «يُدْعَوْن» بضمّ الياء وفتح العين مبنيًّا للمفعول[(١)].

والظاهر أنَّ قوله: «وهم يُخْلَقُون» أي: اللهُ أنشأَهُم واختَرَعَهُم.

وقال الزمخشري[(٢)]: ووجهٌ آخر، وهو أن يكون المعنى أنَّ الناس يَخْلُقُونهم بالنَّحْت والتصوير، وهم لا يَقدِرُون على ذلك، فهم أعجزُ من عَبَدتِهم. انتهى.

و«أَمْوَات» خبر مبتدأ محذوف، أي: هم أمواتٌ، ويجوز أن يكون خبراً بعدَ خَبَر.

والظاهرُ أنَّ هذه كلَّها ممَّا حُدِّثَ به عن الأصنام، ويكون بعثهم إعادتها بعد فنائها، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقيل: معنى بعثِها إثارتُها، كما تقول: بَعثْتُ النائمَ من نومه: إذا نَبَّهتَهُ، كأنه وصفهم بغاية الجمود، أي: وإنْ طلبتَهم أو حَركتَهُم لم يشعروا بذلك[(٣)].

ونَفَى عنهم الحياةَ لأنَّ من الأموات ما يَعقُبُ موتَهُ حياةٌ، كالنُّطَفِ التي يُنشِئُها اللهُ حيواناً، وأجسادِ الحيوان التي تُبعث بعد موتِها، وأمَّا الأصنامُ من الحجارة والخشب فأمواتٌ لا يَعْقُبُ موتَها حياةٌ، وذلك أعرقُ في موتها[(٤)].

وقيل: «والذين تدعون» هم الملائكة، وكان ناسٌ من الكفَّار يعبدونهم. و«أموات» أي: لا بدَّ لهم من الموت، و«غيرُ أحياء» أي: غيرُ باقٍ حياتُهم «وما يشعرون» أي: لا عِلْمَ لهم بوقتِ بَعْثِهم[(٥)].

وجوَّزُوا في قراءة «والذين يَدْعُون» بالياء من تحت أن يكون قولُه: «أمواتٌ» يُراد به الكفار الذين ضميرُهم في «يَدْعُون»، شبَّههم بالأموات غيرِ الأحياء من حيثُ هم ضُلَّالٌ غيرُ مهتدينَ، وما بعدَه عائدٌ عليهم. والبعث: الحشرُ من قبورهم[(٦)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٦، وهي في الكشاف ٢/ ٤٠٥ دون نسبة.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٠٦.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٦.

(٤) الكشاف ٢/ ٤٠٦.

(٥) المصدر السالف.

(٦) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٦.

وقيل: في هذا التقدير وعيد، أي: أيَّان يُبعثون إلى التعذيب. وقيل: الضمير في «وما يشعرون» للأصنام، وفي «يُبْعَثون» لعَبَدَتِها، أي: لا تشعرُ الأصنام متى تُبعَثُ عَبَدَتُها. وفيه تَهَكُّم بالمشركين، وأنَّ آلهتَهم لا يعلمون وقتَ بعثِ عَبَدَتِهم[١]، فكيف يكون لهم وقتُ جزاء على عبادتهم؟

وتلخَّصَ من هذه الأقوال أن تكون الأخبار بتلك الجمل كلِّها عن المدعوِّين آلهة، إمَّا الأصنام وإمَّا الملائكة، أو يكون من قوله: «أمواتٌ» إلى آخره إخباراً عن الكفار، أو يكون «وما يشعرون أيَّان يُبعثون» فقط إخباراً عن الكفار، أو يكون «وما يشعرون» إخباراً عن المدعوِّين، و«يُبعثون» إخباراً عن الداعين العابدين.

وقرأ أبو عبد الرحمن: «إِيَّان» بكسر الهمزة[٢]، وهي لغة قومِهِ سُلَيم.

والظاهر أنَّ قوله: «أيَّان» معمولٌ لـ «يُبْعَثُون»، والجملة في موضع نصب بـ «يَشْعُرُون» لأنه معلَّق، إذْ معناه العلم، والمعنى أنه نَفَى عنهم عِلْمَ ما انفردَ بعلِمهِ الحيُّ القيُّوم، وهو وقتُ البعثِ إذا أُريد بالبعثِ الحشرُ إلى الآخرة.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: «وما يشعرون»، و«أيَّانَ يُبْعَثُون» ظرفٌ لقوله: «إلهكُم إلهٌ واحدٌ»، أخبرَ[٣] عن يوم القيامة أنَّ الإلهَ فيه واحدٌ. انتهى[٤]. ولا يصحُّ هذا القولُ لأنَّ «أيَّانَ»؛ إذْ ذاك تخرجُ عمَّا استقرَّ فيها من كونها ظرفاً إمَّا استفهاماً وإمَّا شرطاً، وفي هذا التقدير تكون ظرفاً بمعنى وقت مضافاً للجملة بعدَها معمولاً لقوله: «واحد»، كقولك: يومَ تقومُ[٥] زيدٌ قائمٌ.

وفي قوله: «أيَّانَ يُبْعَثُون» دلالةٌ على أنه لا بدَّ من البعث، وأنه من لوازم التكليف.

ولـمَّا ذكرَ تعالى ما اتَّصفت به آلهتُهم بما يُنافي الألوهيَّة؛ أخبرَ تعالى أنَّ إلهَ العالَمِ هو واحدٌ لا يتعدَّدُ ولا يتَجزَّأ، وأنَّ الذين لا يؤمنون بالجزاء بعدَ وُضوحِ

(١) ينظر الكشاف ٢/ ٤٠٦.
(٢) القراءات الشاذة ص٧٢، والمحتسب ٢/ ٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٦.
(٣) انتهى في هذا الموضع السقط في (به) الذي أشرتُ إليه قبل صفحات.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٦.
(٥) المثبت من (ز١). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: يقوم. وهو خطأ.

بُطلانِ أنْ تكونَ الإلهيَّةُ لغيرِه بل له وحدَه هم مستمرُّون على شِرْكهم منكرون وحدانيَّتَه مستكبرون عن الإقرارِ بها؛ لاعتقادِهم إلهيَّةَ أصنامِهم[١] وتكثرها[٢] في الوجود.

ووصفهُم بأنهم لا يؤمنون بالآخرة مبالغةٌ في نسبةِ الكُفرِ إليهم، إذْ عدمُ التصديق بالجزاء في الآخرة يتضمَّنُ التكذيبَ بالله تعالى وبالبعث، إذْ مَنْ آمنَ بالبعث يستحيلُ أن يُكَذِّبَ بالله[٣].

وقيل: «مستكبرون» عن الإيمان برسول الله واتِّباعِه، وقال العلماء: كلُّ ذنبٍ يمكنُ التَّستُّر به وإخفاؤه إلا التكبُّر[٤]، فإنه فسقٌ يلزمُه الإعلان[٥].

وفي الحديث الصحيح أنَّ المستكبرين يجيئون أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامة يَطَؤهم الناسُ بأقدامهم. أو كما قال ﷺ[٦].

وتقدَّم الكلام في «لا جَرَمَ» في «هود» [٢٢].

وقرأ عيسى الثقفيُّ: «إنَّ» بكسر الهمزة على الاستئنافِ والقطعِ مما قبلَه[٧].

وقال بعضُ أصحابِنا: وقد تُغني «لا جَرَمَ» عن لفظ القَسَم، تقول: لا جَرَمَ لَآتينَّك. فعلى هذا يكون لقوله: «إن الله» بكسر الهمزة تعلُّق بـ «لا جَرَمَ» ويكون استئنافاً. وقد قال بعضُ الأعرابِ لمِرْداس الخارجيّ: لا جَرَمَ واللهِ لا فارقتُك أبداً[٨].

---

(١) في (ح) والمطبوع: الإلهية لأصنامهم.
(٢) المثبت من (ز١). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: وتكبرها.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: الله. وأثبتُّ اللفظ على الجادة، وينظر المحرر الوجيز ٣/٣٨٦.
(٤) في تفسير القرطبي ١٢/٣١١ (والقول فيه): إلا الكبر.
(٥) بعدها في تفسير القرطبي: وهو أصل العصيان كله.
(٦) هو بنحوه في مسند أحمد (٦٦٧٧) وسنن الترمذي (٢٤٩٢) من حديث عبد الله بن عَمرو ﷺ. والكلام أعلاه من تفسير القرطبي ١٢/٣١١.
(٧) القراءات الشاذة ص٧٢، والمحرر الوجيز ٣/٣٨٧.
(٨) الكامل للمبرد ٣/١١٧٥. ومِرْداس: هو ابنُ حُدَيْر، أبو بلال، قُتل سنة (٦١)، ينظر الكامل لابن الأثير ٤/١٠٠.

ففي(١) كلامِهِ تعلُّقُها بالقَسَم(٢).

وفي قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ وعيدٌ وتنبيهٌ على المجازاة. وقال يحيى بنُ سلَّام والنقَّاش: المرادُ هنا: بما يُسِرُّون تَشاورَهم في دار النَّدْوة في قتلِ النبيِّ ﷺ(٣). انتهى.

و﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ عامٌّ في الكافرين والمؤمنين، يأخذُ كلُّ واحدٍ منهم بقِسْطِهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قيل: سببُ نزول ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾ الآية أنَّ النَضْر بنَ الحارث سافرَ عن مكة إلى الحِيرَة، وكانَ قد اتَّخذَ كُتبَ التواريخ والأمثال كـ «كليلة ودُمنة»(٤) وأخبار أسبنديار(٥) ورستم(٦)، فجاء إلى مكة، فكان يقولُ: إنما يُحَدِّثُ محمدٌ بأساطير الأوَّلين، وحديثي أجملُ من حديثِهِ(٧).

---

(١) تحرفت لفظة «ففي» في (أ) والمطبوع إلى: نفى.
(٢) قال السمين في الدُّرّ ٧/ ٢٠٦: وهذا عندي يُضعِفُ كونَها للقَسَم لتصريحه بالقَسَم بعدها وإن كان الشيخ (يعني أبا حيان) أتى بذلك مقوِّياً لجريانها مجرى القَسَم.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٧.
(٤) هو كتاب هندي في الأخلاق وحُسن السياسة، جاءت أخبارُه فيه على ألسنة الحيوانات. نقله إلى العربية عبد الله بنُ المقفَّع.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٧ (والكلام منه): السندباد.
(٦) كلاهما من قادة الفُرس، وأسبنديار، يُكتب بالفاء أيضاً، والكلمة أعجمية.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١١ بنحوه، وذكره بنحوه الواحدي في الوسيط ٢/ ٤٥٥ والقرطبي ٩/ ٤٩٥ سبباً لنزول الآية (٣١) من سورة الأنفال.

و«ماذا» كلمة استفهام مفعول بـ «أَنزَلَ»، أو «ما» مبتدأ خبرُه «ذا» بمعنى «الذي»، وعائدُهُ في «أَنزَلَ» محذوف، أيْ: أيُّ شيء الذي أنزلَهُ.

وأجازَ الزمخشريّ[١] أن يكون «ماذا» مرفوعاً بالابتداء، قال: بمعنى أيُّ شيء أنزلَهُ ربُّكم. وهذا لا يجوزُ عند البصريِّين إلا في ضرورة الشعر.

والضمير في «لهم» عائدٌ على كفَّار قريش، و«ماذا أَنزَلَ» ليس معمولاً لـ «قِيلَ» على مذهب البصريِّين لأنه جملة، والجملة لا تقعُ موقع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعلُه كما لا تقعُ موقع الفاعل.

وقُرِئ شاذّاً: «أساطِيرَ» بالنصب[٢] على معنى: ذكرتُم أساطيرَ، أو: أَنزَلَ أساطيرَ، على سبيل التهكُّم والسُّخرية، لأنَّ التصديقَ بالإنزال يُنافي «أساطير»، وهم يعتقدون أنه ما نَزَلَ شيءٌ ولا أنَّ ثَمَّ مُنْزِل[٣].

وبَنَى «قيل» للمفعول، فاحتمَلَ أن يكونَ القائلُ بعضَهم لبعض، واحتمَلَ أن يكونَ المؤمنون قالوا لهم ذلك على سبيل الامتحان[٤].

وقيل: قائلُ ذلك الذين تقاسَمُوا مداخلَ مكة يُنَفِّرون عن الرسول ﷺ إذا سألَهم وُفودُ الحاجّ: ماذا أُنزِلَ على رسول الله ﷺ؟ قالوا: أحاديثُ الأوَّلين[٥].

وقرأ الجمهور برفع «أساطير»، فاحتملَ أن يكون التقدير: المذكورُ أساطيرُ، أو المُنزَلُ أساطيرُ؛ جعلوه مُنزَّلاً على سبيل الاستهزاء وإن كانوا لا يؤمنون بذلك.

واللام في «لِيَحْمِلُوا» لامُ الأمر على معنى الحَتْم عليهم والصَّغارِ المُوجَبِ لهم، أو لامُ التعليل من غير أن يكون غرضاً، كقولك: خرجتُ من البلد مخافةَ الشرّ[٦]،

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٦.
(٢) الإملاء ٢/ ٧٩.
(٣) كذا. والجادة: مُنزلاً.
(٤) النكت والعيون ٣/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١١.
(٥) الكشاف ٢/ ٤٠٦. وأخرجه الطبري ١٤/ ١٩٩ بنحوه عن قتادة.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٠٦.

وهي التي يُعَبَّرُ عنها بلام العاقبة، لأنهم لم يقصدوا بقولهم: «أساطير الأولين» أن يحملُوا الأوزارَ.

ولمَّا قال ابنُ عطيَّة[١]: إنه يَحتَمِلُ أن تكون لامَ العاقبة قال: ويَحتَمِلُ أن يكون صريحَ لام «كي» على معنى: قَدَّرَ هذا لكذا. وهي لام التعليل، لكنه لم يعلِّقها بقوله: «قالوا» بل أضمرَ فعلاً آخرَ وهو: قَدَّرَ هذا.

و«كاملة» حال أي: لا ينقص منها شيء، و«مِنْ» للتبعيض، فالمعنى أنه يحملُ من وزرِ كلِّ مَنْ أَضَلَّ، أي: بعضَ وِزْرِ مَنْ ضَلَّ بضلالِهم، وهو وزرُ الإضلال، لأنَّ المُضلَّ والضَّالَّ شريكانِ، هذا يُضلُّه وهذا يُطاوِعُه على إضلاله، فيتحاملانِ الوِزْرَ.

وقال الأخفش: «من» زائدة، أي: وأوزار الذين يُضِلُّونَهم، والمعنى ومثلَ أوزارِ الذين يُضِلُّونهم، لقوله[٢]: «فعَلَيهِ وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يوم القيامة»[٣]. المرادُ: ومثلَ وزرِ، والمعنى أنَّ الرئيسَ إذا وضَعَ سُنَّةً قبيحةً عظُم عقابُه حتى إنَّ ذلك العقابَ يكونُ مساوياً لعقابِ كلِّ مَنِ اقتدَى به في ذلك.

وقال الواحديّ[٤]: ليست «من» للتبعيض، لأنه يستلزمُ تخفيفَ الأوزار عن الأتْباع، وذلك غيرُ جائز؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «مِنْ غيرِ أن يَنْقُصَ من أوزارِهم شيء»[٥] لكنها للجنس، أي: ليحملوا من جنسِ أوزارِ الأتْباع. انتهى. ولا تتقدَّر «من» التي لبيان الجنس هذا التقدير الذي قدَّره الواحديّ، وإنما تقدَّر: والأوزارَ[٦] التي هي أوزارُ الذين يُضِلُّونهم، فتؤولُ[٧] من حيث المعنى إلى قول الأخفش؛ وإن اختلفا في التقدير.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٧.

(٢) المثبت من (ز١)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: كقوله.

(٣) قطعة من حديث جرير بن عبد الله ﷺ أخرجه مسلم (١٠١٧) بنحوه، والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٧٢).

(٤) نقله عنه الرازي في تفسيره ٢٠/ ١٨.

(٥) هو قطعة من حديث جرير المُشار إليه قبل تعليق.

(٦) الواو في قوله: والأوزار، من (ز١).

(٧) في (أ) و(ح) والمطبوع: فيؤول.

و«بغير علم»؛ قال الزمخشريّ[(١)]: حال من المفعول، أي: يُضِلُّون مَنْ لا يعلم أنهم ضُلَّال. وقال غيره: حالٌ من الفاعل[(٢)]، وهو أولى، إذ هو المُحدَّثُ عنه والمُسنَدُ إليه الإضلالُ على جهة الفاعلية، والمعنى أنهم يُقْدِمُون على هذا الإضلال جهلاً منهم بما يستحقُّونه من العذاب الشديد على ذلك الإضلال.

ثم أخبر تعالى عن سوء ما يتحمَّلونه للآخرة، وتقدَّم الكلامُ في إعراب مثل «ساء ما يَزِرُون».

﴿فَأَتَى ٱللَّهُ﴾ أي: أمْرُهُ وعذابُه. والبنيانُ قيل: حقيقةٌ. قال ابنُ عباس وغيرُه: «الذينَ مِنْ قَبْلِهم» نُمرود، بَنَى صَرْحاً ليصعدَ بزعمِه إلى السماء، وأفرطَ في عُلُوِّه، وطَوَّلَهُ في السماء فرسخين على ما حَكَى النقَّاش، وقاله كعبُ الأحبار.

وقال ابنُ عباس ووَهْب: طُولُه في السماء خمسةُ آلاف ذراع، وعرضُه ثلاثةُ آلاف ذراع، فبعثَ الله تعالى عليه ريحاً فهَدَمَتْهُ، وخرَّ سقفُه عليه وعلى أتْباعِه.

وقيل: هَدَمَهُ جبريلُ بجناحِه، وألقَى أعلاه في البحر، وانحقفَ[(٣)] من أسفلِهِ.

وقال ابنُ الكلبيّ: المرادُ المقتسمون المذكورون في سورة الحِجْر.

وقيل: «الذين من قبلهم» بُختَنَصَّر وأصحابُه[(٤)].

وقال الضحَّاك: قُرَيَّاتُ قوم لوط[(٥)].

وقالت فرقة: المرادُ بـ«الذينَ مِنْ قبلِهم» مَنْ كفرَ من الأمم المتقدِّمة ومكرَ ونزلَتْ به عقوبة من الله، ويكون ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم﴾ إلى آخره تمثيلاً، والمعنى أنهم سَوَّوْا منصوباتٍ ليمكروا بها اللهَ ورسولَه، فجعلَ الله هلاكَهم في تلك

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٦.
(٢) قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٧ وبدأ به.
(٣) المثبت من (ز١). وهو كذلك في المحرر الوجيز (والخبر فيه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: والحقف. وانحقف؛ يعني ـ والله أعلم ـ اعوجَّ وانثنى.
(٤) ينظر ما سلف مفرَّقاً في تفسير الثعلبي ٣/ ٥١٢، والنكت والعيون ٣/ ١٨٥-١٨٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨، وزاد المسير ٤/ ٤٣٩-٤٤٠.
(٥) لم أقف عليه.

المنصوباتِ كحالِ قوم بَنَوْا بُنياناً وعَمَدُوه بالأساطينِ، فأتى البنيانَ من الأساطين بأنْ تضعضعت[١]، فسقطَ عليهم السقفُ وهلكُوا، ونحوُه: مَنْ حفرَ لأخيه جُبّاً وقعَ فيه مُنْكبّاً.

و«مِنْ» في «مِنَ القَواعِد» لابتداء الغاية، أي: أتاهم أمرُ اللهِ من جهةِ القواعد.

وقالت فرقة: المرادُ بقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: جاءهم العذابُ من قِبَل السماء التي هي فوقَهم[٢]. وقاله ابن عباس[٣].

وقيل: المعنى أحبطَ اللهُ أعمالَهم، فكانوا بمنزلةِ مَنْ سَقَطَ بُنيانُه[٤].

قال ابنُ عطيَّة: وهذا يَنْحُو[٥] إلى اللُّغْز. ومعنى قولِه: «مِنْ فَوْقِهم» رفعُ الاحتمال في قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ فإنَّك تقولُ: انهدمَ على فلان بناؤه، وهو ليس تحتَه، كما تقول: انفسدَ عليه [متاعُه][٦]. وقوله: «مِن فوقهم» ألزمَ أنَّهم كانوا تحتَه. انتهى.

وهذا الذي قالَه ابنُ الأعرابيّ؛ قال: يُعْلِمُكَ أنهم كانوا جالسين تحتَه، والعربُ تقولُ: خَرَّ علينا سقف، ووقعَ علينا سقف[٧]، ووقعَ علينا حائط: إذا كان يملكُه وإن لم يكن وقَعَ عليه، فجاء بقوله: «من فوقهم» ليَخرج هذا الذي في كلام العرب، فقال: من فوقهم، أي: عليهم وقع وكانوا تحتَه فهلكُوا فأتاهم العذاب[٨].

قال ابن عباس: يعني البعوضةَ التي أُهلك بها نمرود[٩].

(١) في الكشاف ٢/ ٤٠٧ (والكلام منه): ضُعْضِعَتْ.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨.
(٣) النكت والعيون ٣/ ١٨٥.
(٤) بمعناه في معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٩٥، وبلفظه في تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٤.
(٥) المثبت من (ز١) و(يه) وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: ينجرّ.
(٦) كلمة «متاعه» بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨، ومكانَها بياض في (ز١).
(٧) قوله: ووقع علينا سقف. لم يرد في (ز١) و(يه).
(٨) ينظر زاد المسير ٤/ ٤٤٠-٤٤١.
(٩) هذا القول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وهو في تفسير القرطبي ١٢/ ٣١٥.

وقيل: ﴿مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ من حيث ظَنُّوا أنهم في أمان[١].

وقرأ الجمهور: «بُنْيَانَهم»، وقرأت فرقة: «بُنْيتَهم»، وقرأ جعفر: «بَيْتَهم» والضحَّاك: «بُيوتَهم»[٢].

وقرأ الجمهور: «السَّقْفُ» مفرداً، والأعرج: «السُّقُفُ» بضمتين، وزيد بن عليّ ومجاهد بضمّ السين فقط[٣]. وتقدَّم توجيه مثل هاتين القراءتين في «وبالنَّجمِ».

وقرأت فرقة: «السَّقُف» بفتح السين وضمِّ القاف، وهي لغة في السَّقْف، ولعل «السَّقف» مخفَّفٌ منه، ولكنه كثُر استعمالُه كما قالوا في رَجُل: رَجْل، وهي لغة تميمية.

ولـمَّا ذكرَ تعالى ما حَلَّ بهم في دار الدنيا ذكرَ ما يَحُلُّ بهم في الآخرة، و«يُخْزِيهِم»: يَعُمُّ جميعَ المكارِه التي تَحُلُّ بهم ويقتضي ذلك إدخالَهم النارِ كقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢] أي: أهَنْتَه كلَّ الإهانة، وجمعَ بين الإهانةِ بالفعلِ والإهانةِ بالقولِ بالتقريع والتوبيخ في قوله: ﴿يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ﴾ أضافَ تعالى الشركاءَ إليه، والإضافةُ تكون بأدنى ملابسة، والمعنى: شركائي في زَعْمكم إذْ أضافَ على الاستهزاء.

وقرأ الجمهور: «شركائيَ» ممدوداً مهموزاً مفتوحَ الياء، وفرقةٌ كذلك تُسَكِّنُها، فتسقط في الدَّرج لالتقاء الساكنَين، والبَزِّي عن ابن كثير بخلاف عنه مقصوراً وفتح الياء هنا خاصة[٤]، ورُوي عنه تركُ الهمز في القَصص [٦٢] [٧٤]. والعملُ على الهمزِ فيه وقصرِ الممدودِ ذكروا أنه من ضرورة الشِّعر، ولا ينبغي ذلك لثبوته في هذه القراءة، فيجوزُ قليلاً في الكلام.

والمُشاقَّة: المُعاداةُ[٥] والمخاصمةُ للمؤمنين. وقرأ الجمهور: «تُشَاقُّونَ» بفتح

(١) تفسير البغوي ٣/ ١٦، والوسيط ٣/ ٦٠، وزاد المسير ٤/ ٤٤١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨. وينظر القراءات الشاذة ص٧٢.
(٣) ينظر المحتسب ٢/ ٩. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨، وزاد المسير ٤/ ٤١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١٥، وينظر السبعة ص٣٧١، والتيسير ص١٣٧.
(٥) تحرفت اللفظة في المطبوع إلى: المفاداة.

النون، ونافعٌ بكسرها[١]، ورُويت عن الحسن، ولا يُلتفتُ إلى تضعيف أبي حاتم هذه القراءة[٢].

وقرأت فرقة بتشديدها، أدغمَ نون الرفع في نون الوقاية[٣].

و«الذين أوتوا العلم» عامٌّ فيمن أُوتيَ العِلم من الأنبياء وعلماءِ أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويَعِظُونَهم، فلا يلتفتون إليهم ويتكبَّرون[٤] عليهم.

وقيل: هم الملائكةُ، وقاله ابنُ عبَّاس. وقال مقاتل: الحَفَظَة من الملائكة[٥].

وقيل: مَنْ حَضَرَ الموقفَ من مَلَكٍ وإنسيّ وغيرِ ذلك. وقال يحيى بنُ سلَّام: هم المؤمنون[٦]. انتهى.

ويقول أهلُ العِلم ذلك شَماتةً بالكفَّار وتسميعاً لهم، وفي ذلك إعظامٌ للعِلم، إذْ لا يقولُ ذلك إلا أهلُه.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ تقدَّم تفسيرُه في سورة النساء [٩٧].

والظاهر أن «الذين» صفة للكافرين، فيكون ذلك داخلاً في القَوْل، فإن كان القولُ يومَ القيامة فيكون «تَتَوَفَّاهُم» حكايةَ حالٍ ماضياً، وإنْ كان القولُ في الدُّنيا، أي: لمَّا أخبرَ تعالى أنه يُخْزِيهِم يومَ القيامة ويقولُ لهم ما يقول، قال أهلُ العلم، إذْ أخبرَ الله تعالى بذلك أنَّ «الخِزْيَ اليومَ» أي: اليومَ الذي أخبرَ الله أنه يُخزِيهِم فيه، فيكون «تَتَوَفَّاهم» على بابها، ويشتملُ من حيث المعنى من توفته ومَنْ تَتَوَفَّاه.

ويجوزُ أن يكون «الذين» خبرَ مبتدأ محذوف، وأن يكون منصوباً على الذَّمّ، فاحتمَلَ أن يكون مَقُولاً لأهل العلم، واحتَملَ أن يكونَ غيرَ مَقُول، بل من إخبارِ الله تعالى.

---

(١) السبعة ص٣٧١-٣٧٢، والتيسير ص١٣٧.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨.
(٣) المصدر السالف، والإملاء ٢/ ٨٠.
(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: وينكرون. والكلام في الكشاف ٢/ ٤٠٧.
(٥) ينظر تفسير مقاتل ٢/ ٢١٩، وزاد المسير ٤/ ٤٤١.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٨، والقول الذي قبله من كلام ابن عطية ٣/ ٣٨٩.

وقال ابنُ عطية[1]: ويَحتمل أن يكون «الذينَ» مرتفعاً بالابتداء منقطعاً ممَّا قبلَه، وخبرُه في قوله: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ فزِيدَتِ الفاء في الخبر، وقد يجيء مثلُ هذا. انتهى. وهذا لا يجوزُ إلا على مذهب الأخفش، فإنه يُجيزُ: زيدٌ فقام، أي: قامَ، ولا يُتَوَهَّمُ أنَّ الفاء هي الداخلةُ في خبر المبتدأ إذا كان موصولاً وضُمِّن معنى الشرط، لأنه لا يجوزُ دخولُها في مثل هذا الفعل مع صريح أداةِ الشرط، فلا يجوزُ فيما ضُمِّن معناه.

وقرأ حمزةُ والأعمش: «يَتوفَّاهم» بالياء من أسفل في الموضعين[2]، وقُرئ بإدغام تاء المضارعة في التاء بعدَها[3]، وفي مصحف عبد الله بتاء واحدة في الموضعين[4].

و«السَّلَم» هنا الاستسلام؛ قاله الأخفش[5]، أو الخضوع؛ قاله مقاتل[6]، أي: انقادُوا حين عَايَنُوا الموتَ قد نزلَ بهم.

وقيل: في القيامة؛ انقادُوا وأجابُوا بما كانوا على خِلافِهِ في الدُّنيا من الشِّقاق والكِبْر[7].

والظاهر عطف «فألْقَوْا» على «تَتَوَفَّاهم»، وأجازَ أبو البقاء أن يكون معطوفاً على قوله: «قال[8] الذين»، وأن يكون مستأنفاً.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ثم عاد الكلام إلى حكاية كلام المشركين يوم القيامة، فعلى هذا يكونُ قولُه: «قال الذين» إلى قوله: «فألْقَوْا» جملة اعتراضية بين الإخبار بأحوال الكفار.

---

(١) المصدر السالف ٣/ ٣٨٩.
(٢) ينظر السبعة ص٣٧٢، والتيسير ص١٣٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٨٩.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٠٧.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠.
(٥) في النكت والعيون ٣/ ١٨٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١٦: الصلح؛ قاله الأخفش، والاستسلام، قاله قطرب.
(٦) المصدران السالفان. قال الآلوسي ١٤/ ٨٨: لا بُعد بين القولين (أي الاستسلام والخضوع).
(٧) الكشاف ٢/ ٤٠٧.
(٨) كلمة «قال» سقطت من (أ) و(ح) والمطبوع. والكلام في الإملاء ٢/ ٨٠.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ هو على إضمار القول، أي: وقالوا، ونَفْيُهم عَمَلَ[١] السُّوء إمَّا أن يكونَ صريحَ كذبٍ كما قالوا ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ﴾ [الأنعام: ٢٤]. وإمَّا أن يكونَ المعنى: عندَ أنفسِنا، أي: لو كان الكُفرُ عندَ أنفسِنا سُوءاً ما عَمِلْناه[٢]، ويُرَجِّحُ الوجهَ الأوَّلَ الرَّدُّ عليهم بـ «بلى»[٣] إذْ لو كان ذلك على حَسَبِ اعتقادِهم لَمَا كان الجواب «بلى» على أنه يصحُّ على الوجه الثاني أن يُرَدَّ عليهم بـ «بلى». والمعنى أنكم كَذَبتُم في اعتقادكم أنه ليس بسوء، بل كنتم تعتقدون أنه سوءٌ لأنكم تبيَّنتُم الحقّ وعرفتُموه وكفرتُم لقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

والظاهر أن هذا السِّياق كلَّه هو مع أهل العلم والكفار، وأنَّ أهلَ العلم هم الذين رَدُّوا عليهم إخبارَهم بنفي عملِ السُّوء[٤]، ويجوز أن يكون الرَّدُّ من الملائكة، وهم الآمِرُوهم بالدُّخول في النار يسوقُونهم إليها. وقيل: الخَزَنة[٥].

والظاهرُ الأبوابُ حقيقةً. وقيل: المرادُ الدَّرَكات. وقيل: الأصناف، كما يقال: فلان ينظر في بابٍ من العلم، أي: صِنْف. وأبعدَ مَنْ قال: المرادُ بذلك عذابُ القبر، مستدلًّا بما جاء: «القبرُ رَوْضَةٌ من رياض الجنة، أو حفرةٌ من حُفَر النار»[٦].

ولما أكذبُوهم من دعواهم أخبرُوا أنه هو العالِمُ بأعمالهم، فهو المجازِي عليها، ثم أمرُوهم بالدخول.

واللام في «لَبِئْسَ» لامُ تأكيد، ولا تدخلُ على الماضي المنصرف، ودخلت على الجامد لبعدِه عن الأفعال وقُربه من الأسماء.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: ونعتهم بحمل، وهو تحريف. وسقط منها قبلها لفظ «وقالوا».
(٢) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٨٩.
(٣) لأن «بلى» تجيء بعد النفي، وأما «نعم» فتجيء بعد الإيجاب. ينظر المصدر السالف.
(٤) ينظر الكشاف ٢/ ٤٠٧.
(٥) زاد المسير ٤/ ٤٤٢. وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٥١٢.
(٦) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) وقال: حديث غريب. وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٣١٧.

والمخصوصُ بالذَّمِّ محذوف، أي: فلبئس مثوى المتكبرين هي؛ أي: جهنَّم. ووَصْفُ التكبُّر دليلٌ على استحقاق صحبِه النارَ، وذلك إشارة إلى قوله: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

* * *

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٞۚ
وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٞۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٖ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ
فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ
عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ
رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣)
فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا
أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ
فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٣٧) وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ
مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن
نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٤٠) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗۖ
وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤١) ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَمَآ
أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِٱلْبَيِّنَٰتِ
وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ
مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ
يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ (٤٧)
أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ
(٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩ (٥٠)﴾.

المفردات خَسفَ المكانُ يَخْسِفُ خُسُوفاً: ذَهَبَ، وخَسَفَهُ الله، يريد: أذهبَه في الأرض به[١].

دَخَرَ يَدْخَرُ دُخُوراً[٢]: تَصاغَرَ وفعلَ ما يُؤْمَرُ شاءَ أو أبَى. وقال ابنُ عطية: تَوَاضَعَ. قال ذو الرُّمَّة:

فلم يَبْقَ إلا دَاخِرٌ في مُخَيَّسٍ ... ومُنْجَحِرٌ في غيرِ أرضكَ في جُحْرِ[٣]

* * *

التفسير ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

تقدَّم إعرابُ «ماذا أَنْزَلَ» إلا أنه إذا كانت «ذا» موصولة لم يكن الجوابُ على وُفْق السؤال لكون «ماذا» مبتدأ وخبراً، والجواب نصبٌ، وهو جائز، ولكن المطابقة في الإعراب أحسن.

وقرأ الجمهور «خَيْراً» بالنصب، أي: أنزلَ خَيْراً.

قال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: لم نُصِبَ هذا ورُفِعَ الأوّل؟ قلت: فصلاً بين جوابِ المُقِرِّ وجوابِ الجاحد. يعني أنَّ هؤلاء لمَّا سُئلوا لم يتلعثموا، وأطبقُوا الجوابَ على السؤال بَيِّناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا: «خيراً»[٤]، وأولئك عَدَلُوا بالجواب عن السؤال، فقالوا: هو أساطيرُ الأولين[٥]، وليس من الإنزال في شيء. انتهى.

وقرأ زيد بنُ علي: «خَيْرٌ» بالرَّفع، أي: المُنْزَلُ خيرٌ، فتُطابِقُ هذه القراءةُ تأويلَ

---

(١) لفظة «به» لم ترد في (ح) و(يه).
(٢) كلمة «يَدْخَرُ» من (ز١) و(يه). ووقع في (أ) و(ح): دخر به دخوراً.
(٣) ديوان ذي الرُّمَّة ٢/ ٩٧٩. ونسبه الجوهري في الصحاح (خيس) للفرزدق، وقال: كل سجن مُخيَّس ومُخيِّس أيضاً. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٩١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٣٤.
(٤) بعدها في الكشاف ٢/ ٤٠٧ (والكلام منه): أي: أنزلَ خيراً.
(٥) سلف في الآية (٢٤).

مَنْ جَعَلَ «ذا» موصولةً، ولا تُطابقُ مَنْ جعل «ماذا» منصوبةً لاختلافهما في الإعراب، وإن كان الاختلافُ جائزاً كما ذكرنا.

ورُوِيَ أنَّ أحياءَ العرب كانوا يبعثون أيامَ المَوْسم[١] مَنْ يأتيهم بخبرِ النبيِّ ﷺ، فإذا جاء الوفدُ[٢] كفَّه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا: إنْ لم تَلْقَهُ كان خيراً لك، فيقول: أنا شرُّ وافِدٍ إنْ رَجَعْتُ إلى قومي دونَ أن أستَطْلِعَ أمْرَ محمدٍ وأراه، فيَلْقَى أصحابَ رسولِ الله ﷺ، فيُخبِرُونه بصدقه وأنه نبيٌّ مبعوث، فهم الذين قالوا خيراً[٣].

والظاهر أن قوله: «للذين» مندرجٌ تحت القول، وهو تفسيرٌ للخير الذي أنزلَه اللهُ في الوحي أنَّ مَنْ أحسنَ في الدنيا بالطاعة فله حسنةٌ في الدنيا ونعيمٌ في الآخرة بدخولِ الجنة.

وقال الزمخشري: «للذين أحسنوا» وما بعدَه بدلٌ من «خيراً»[٤] حكاية لقولِ الذين اتَّقَوْا، أي: قالوا هذا القولَ، فقدَّم عليه تسميتَه خيراً، ثم حكاه. انتهى.

وقالت فرقة: هو ابتداءُ كلامٍ من الله تعالى مقطوعٍ ممَّا قبلَه، وهو بالمعنى وعدٌ متصل بذكر إحسانِ المتقين في مقالتهم[٥].

ومعنى «حسنة» مكافأةٌ في الدُّنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خيرٌ منها[٦].

ولمَّا ذكرَ حالَ الكفار في الدنيا والآخرة ذكرَ حالَ المؤمنين في الدارين.

والظاهرُ أنَّ المخصوصَ بالمدح هو جناتُ عَدْن، وقال الزمخشري: «ولَنِعْمَ دارُ المتَّقين» دارُ الآخرة، فحذفَ المخصوصَ بالمَدْحِ لِتقدُّم ذِكرِه، و«جنَّاتُ عَدْن» خبرُ

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: المواسم. والكلام في الكشاف ٢/ ٤٠٧.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٠٧ (والكلام منه): الوافد. وهو الأنسب بالسياق بعده.
(٣) بنحوه في تفسير الثعلبي ٣/ ٥١٣، وزاد المسير ٤/ ٤٤٢-٤٤٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١٧، ولفظُه من الكشاف كما سلف.
(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: خير. والمثبت من الكشاف ٢/ ٤٠٧، والكلام منه.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠.
(٦) الكشاف ٢/ ٤٠٧. وفيه بعده: كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾.

مبتدأ محذوف. انتهى. وقاله ابنُ عطية وقبلَهما الزجَّاج وابنُ الأنباريّ[١]. وجوَّزُوا أن يكون «جناتُ عَدْن» مبتدأ، والخبر «يدخلُونها»[٢].

وقرأ زيد بنُ ثابت وأبو عبد الرحمن: «جناتِ عدن» بالنصب على الاشتغال[٣]، أي: يدخلون جناتِ عدن يدخلونها، وهذه القراءة تُقوّي إعراب «جناتُ عدن» بالرفع أنه مبتدأ، و«يدخلونها» الخبر.

وقرأ زيد بنُ عليّ: «ولنِعْمتُ دار» بتاء مضمومة، و«دار» مخفوض بالإضافة، فيكون «نعمتُ» مبتدأ، و«جناتُ» الخبر.

وقرأ السلمي: «تدخلونها» بتاء الخطاب.

وقرأ إسماعيل بنُ جعفر عن نافع: «يُدْخَلُونَها» بالياء على الغيبة والفعلُ مبنيٌّ للمفعول، ورُويت عن أبي جعفر وشيبة[٤].

«تجري»: قال ابن عطية: في موضع الحال. وقال الحَوْفي: في موضع نعت لـ «جنات». انتهى. وكأنَّ ابنَ عطيَّة لَحَظَ كونَ «جناتُ عدن» معرفة، والحَوْفي لَحَظَ كونَها نكرة، وذلك على الخلاف في «عَدْن» هل هي عَلَمٌ أو نكرةٌ بمعنى إقامة.

والكاف في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف، أي: جَزاءً مثلَ جَزاءِ الذين أحسنوا يجزي المتقين، و«طَيِّبينَ» حال من مفعول «تَتَوفَّاهم»، والمعنى أنهم صالحو الأحوال مستعدُّون للموت. والطَّيِّبُ الذي لا خُبْثَ فيه، ومنه: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٥] [الزُّمَر: ٧٣].

وقال أبو معاذ: «طَيّبين» طاهرينَ من الشِّرك بالكلمة الطيِّبة[٦]. وقيل: «طَيّبين»:

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٩٦، والكشاف ٢/ ٤٠٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠. وينظر زاد المسير ٤/ ٤٤٣.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠، ونُسبت في القراءات الشاذة ص٧٣ لزيد بن ثابت.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠. قال ابن عطية: ولا يصحُّ هذا عن نافع.
(٥) بنحوه في المصدر السالف.
(٦) زاد المسير ٤/ ٤٤٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣١٩ دون نسبته لقائل. وأبو معاذ هو الفضل بن خالد النحوي.

سهلاً[١] وفاتُهم لا صعوبةَ فيها ولا ألم، بخلاف ما يقبضُ روحَ الكافر والمخلِّط[٢]. وقيل: طيبةً نفوسهم بالرجوع إلى الله تعالى، وقيل: زاكيةً أفعالُهم وأقوالُهم، وقيل: صالحين.

وقال الزمخشري[٣]: طاهرين من ظلم أنفسِهم بالكفر والمعاصي، لأنه في مقابلة «ظالمي أنفسِهم».

و«يقولون» نصبٌ على الحال من «الملائكة»، وتسليمُ الملائكة عليهم بِشارةٌ من الله تعالى. وفي هذا المعنى أحاديثُ صحاح[٤].

وقولُهم هذا للمتقين هو وقتُ قبضِ أرواحِهم. قاله ابنُ مسعود ومحمد بنُ كعب ومجاهد[٥] والأكثرون، جعلُوا التبشيرَ بالجنة دخولاً مجازاً.

وقال مقاتل والحسن: عند دخول الجنة، وهو قولُ خَزَنَةِ الجنة لهم في الآخرة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٦] [الرعد: ٢٤] فعلى هذا القول يكون «يقولون» حالاً مقدَّرة، إذْ لا يكونُ[٧] القولُ وقتَ التوفِّي، وعلى هذا يَحتَمِلُ أن يكون «الذين» مبتدأ، والخبرُ «يقولون»، والمعنى: يقولون لهم: سلام عليكم، ويدلُّ لهذا القول قولُهم: ٱدْخُلوا الجنةَ، ووقتَ الموت لا يقال لهم: ٱدخلوا الجنة، فالتوَّفِّي هنا توفِّي الملائكة لهم وقتَ الحشر.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ظاهرٌ في دخول الجنة بالعمل الصالح.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم

(١) في (ح) والمطبوع: سهلة.
(٢) تفسير القرطبي ١٢/ ٣١٩. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٨٧، وزاد المسير ٤/ ٤٤٣-٤٤٤.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٠٨.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٠. وأورد القرطبي ١٢/ ٣٢٠ أخباراً في هذا المعنى فتنظر ثمة.
(٥) تفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٠. وينظر زاد المسير ٤/ ٤٤٤.
(٦) زاد المسير ٤/ ٤٤٤، عن مقاتل، ومعناه عن الحسن في تفسير الرازي ٢٠/ ٢٥.
(٧) في (أ) و(ح) والمطبوع: ولا يكون، بدل: إذ لا يكون.

مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾.

مناسبةُ هذه الآية لِما قبلَها أنه تعالى لمَّا ذكرَ طَعْنَ الكفار في القرآن بقولهم: «أساطير الأولين» ثم أَتْبَعَ ذلك بوعيدهم وتهديدِهم، ثم بوَعْدِ[1] مَنْ وَصفَ القرآنَ بالخيريَّة، بيَّنَ أنَّ أولئك الكفرة لا يرتدعون عن حالهم إلا أن تأتيَهم الملائكةُ بالتهديد، أو أمرُ الله بعذاب الاستئصال[2].

وقرأ حمزة والكسائيُّ: «يأتيهم» بالياء، وهي قراءة ابن وثَّاب وطلحةَ والأعمش، وباقي السبعة بالتاء على تأنيث الجمع[3].

وإتيانُ الملائكة لقبضِ الأرواح وهم ظالِمُو أنفسِهم، و«أمْرُ ربِّك» العذابُ المستأصِل، أو القيامة.

والكاف في موضع نصب، أي: مثلَ فِعْلِهم في انتظارِ الملائكةِ أو أمْرِ اللهِ فَعَلَ الكفارُ الذين تقدَّمونهم.

وقيل: مِثْلَ فِعْلِهم في الكفر والدَّيمومةِ عليه فَعَلَ متقدِّموهم من الكفار.

وقيل: «فَعَلَ» هنا كنايةٌ عن اغترارهم، كأنه قيل: مِثْلَ اغترارِهم باستبطاء العذاب اغترَّ الذين مِنْ قبلِهم.

والظاهرُ القولُ الأول لدلالة «هل ينظُرون» عليه.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكفرِهم وتكذيبِهم الذي أوْجَبَ لهم العذابَ في الدُّنيا والآخرة.

وقوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ معطوف على «فَعَلَ»، و﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ﴾ اعتراض، و«سيِّئاتُ»: عقوباتُ كفرِهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾: أحاطَ بهم جزاء استهزائهم.

---

(١) تحرفت اللفظة في (أ) و(ح) والمطبوع إلى: توعُّد.
(٢) بنحوه في تفسير الرازي ٢٠/٢٦.
(٣) السبعة ص٣٧٢، والتيسير ص١٠٨، وصدر الكلام في المحرر الوجيز ٣/٣٩١.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ تقدَّم تفسيرُ مثل هذه الآية في آخر الأنعام [١٤٨] فأغنى عن الكلام في هذا.

وقال الزمخشري هنا[١]: يعني أنهم أشركوا بالله وحرَّموا ما أحلَّ من البَحِيرَةِ والسَّائبةِ وغيرِهما، ثم نَسَبُوا فِعْلَهُم إلى الله وقالوا: لو شاء الله لم نفعل. وهذا مذهب المُجْبرةِ بعينه.

﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: أشركوا وحرَّمُوا حلالَ الله، فلما نُبِّهُوا على قُبح فعلهم وَرَّكُوه على ربِّهم[٢] ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾ إلا أن يُبَلِّغوا الحقَّ، وأنَّ الله لا يشاءُ الشِّركَ والمعاصي بالبيانِ والبُرهان ويُطْلِعُوا على بُطلان الشِّرك وقُبحه، وبراءةِ الله من أفعال العباد، وأنهم فاعلُوها بقَصْدِهم وإرادتهم واختيارِهم، والله تعالى باعثُهم على جميلِها وموفِّقُهم له، وزاجِرُهم عن قبيحها، ومُوعِدُهم عليه. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وهذا القول صادرٌ ممَّن أقرَّ بوجودِ الباري تعالى، وهم الأكثرون، أو ممَّن لا يقولُ بوجوده، فعلى تقديرِ أنَّ الرَّبَّ الذي يعبدُه محمد ويصفُه بالعلم والقدرة يعلمُ حالَنا، وهذا جدالٌ من أيِّ الصنفين كان، ليس فيه استهزاء[٣].

وقال الزجَّاج[٤]: قالوا ذلك على سبيل الهُزْءِ من الطائفةِ التي أنكرتِ الإلهَ؛ أقامت الحُجَّةَ[٥] من مذهب خَصْمِها مستهزئةً في ذلك.

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن

(١) الكشاف ٢/ ٤٠٨-٤٠٩.
(٢) أي: أضافوه إليه. ويقال أيضاً: وَرَّكَ الذنبَ عليه: حَمَّلَهُ. ينظر «اللسان» (ورك).
(٣) ينظر الكلام مفصَّلاً واضحاً في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩١-٣٩٢.
(٤) بمعناه في معاني القرآن للزجَّاج، ونقله المصنف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٢٩٢.
(٥) عبارة (د١) والمطبوع: قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء ومن المطابقة التي أنكرت مطابقة الأدلة لإقامة الحجة... الخ، والتحريف فيها ظاهر.

نَّصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

قال الزمخشريّ: ولقد أمدَّ إبطالَ قَدَرِ السُّوء ومشيئةِ الشرِّ بأنه ما من أمَّةٍ إلا وقد بعثَ فيهم رسولاً يأمرُهم بالخير الذي هو الإيمانُ وعبادةُ الله وباجتنابِ الشَّرِّ الذي هو الطاغوت، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: لَطفَ به، لأنه عَرَفَه من أهل اللُّطف ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: ثبتَ عليه الخِذْلانُ والتَّركُ من اللُّطف، لأنه عَرَفَه مُصَمِّماً على الكفر، لا يأتي منه خيرٌ ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ ما فعلتُ بالمكذِّبين حتى لا تبقَى لكم شبهة وأنّي[1] لا أُقدِّرُ الشَّرَّ ولا أشاؤه حيث أفعلُ ما أفعلُ بالأشرار. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

ولما قال: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ بَيَّنَ ذلك هنا بأنَّه بعثَ الرُّسل بعبادتِهِ وتَجنُّبِ عبادةِ غيرِه، فمنهم من اعتبرَ فهداه الله، ومنهم من أعرضَ وكفر. ثم أحالَهم في معرفةِ ذلك على السَّيْر في الأرضِ واستقراء الأمم، والوقوفِ على عذاب الكافرين المكذِّبين. ثم خاطبَ نبيَّه وأعلمَه أنَّ من خَتَمَ عليه بالضلالة لا يُجْدِي فيه الحرصُ على هدايته.

وقرأ النَّخَعيُّ: «وإنْ» بزيادة واو، وهو والحسنُ وأبو حَيْوَة: «تَحْرَصْ» بفتح الراء مضارع «حَرِصَ» بكسرها، وهي لغة[2]، وقراءةُ الجمهور بالكسر مضارع «حَرَصَ» بالفتح، وهي لغة الحجاز.

وقرأ الحِرْمِيَّانِ والعَرَبِيَّانِ[3] والحسنُ والأعرجُ ومجاهدٌ وشيبة وشِبْل ومُزاحم الخراسانيُّ والعُطارديُّ وابنُ سِيرين: «لا يُهْدَى» مبنيًّا للمفعول[4]، و«مَنْ» مفعول لم

---

(١) في الكشاف ٢/ ٤٠٩ (والكلام منه): شبهة في أنّي.

(٢) القراءات الشاذة ص٧٣، والمحتسب ٢/ ٩ (وتصحّف فيه «أبو حيوة» إلى: «ابن خيرة») والمحرر الوجيز ٢/ ٣٩٢-٣٩٣.

(٣) الحِرْمِيَّان: نافع المدني وابن كثير المكي، والعربيَّان: أبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، وقراءتُهم في السبعة ص٣٧٢، والتيسير ص١٣٧.

(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٢، وزاد نسبة القراءة لأبي جعفر المدني.

يُسَمَّ فاعله، والفاعلُ في «يُضِلُّ» ضمير الله، والعائد على «مَنْ» محذوف، تقديرُه: مَنْ يُضِلُّه اللهُ.

وقرأ الكوفيُّون وابنُ مسعود وابنُ المسيِّب وجماعة: «يَهْدِي» مبنيّاً للفاعل. والظاهر أنَّ في «يَهْدِي» ضميراً يعود على الله، و«مَنْ» مفعول، وعلى ما حكى الفرَّاء أنَّ «هَدَى» يأتي بمعنى: اهْتَدَى[1]، يكون لازماً، والفاعلُ «مَنْ» أي: لا يَهْتَدِي مَنْ يُضلُّه الله.

وقرأت فرقة منهم عبد الله: «لا يَهِدي» بفتح الياء وكسر الهاء والدال.

كذا قال ابنُ عطيَّة، ويعني: وتشديد الدال[2]، وأصلُه: يَهْتَدِي، فأدغم، كقولك في: يختصم: يَخِصِّم.

وقرأت فرقة: «يُهْدِي» بضمّ الياء وكسر الدال، قال ابنُ عطية: وهي ضعيفة. انتهى. وإذا ثبتَ أنَّ «هَدَى» لازم بمعنى «اهتدى» لم تكن ضعيفة لأنه أدخلَ على اللازم همزة التعدية، فالمعنى: لا يجعلُ مهتدياً من أضلَّه.

وفي مصحف أُبيّ: «لا هاديَ لِمَنْ أَضَلَّ»، وقال الزمخشريّ[3]: وفي قراءة أُبيّ: فإنَّ اللهَ لا هاديَ لِمَنْ يُضِلُّ ولِمَنْ أَضَلَّ، وقُرِئَ: «يَضِلُّ» بفتح الياء.

وقال أيضاً: حَرَصَ رسولُ الله ﷺ على إيمانِهم وعرَّفه أنهم من قِسم مَنْ حقَّتْ عليه الضلالة، وأنه لا يهدي من يُضل، أي: لا يلطُفُ بمن يَخذُلُ، لأنه عَبَث، والله تعالى متعالٍ عن العَبَث، لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

والضمير في «لهم» عائدٌ على معنى «مَنْ»، والضمير في «وأقسموا» عائدٌ على كفار قريش.

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٩، ونقله عنه الجوهريّ في الصحاح (هدى)، وشُدِّدت دال «هَدَى» في مطبوع معاني الفراء، وهو خطأ. والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٢. وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٢١٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٢، وذكرها أيضاً الفراء في معانيه ٢/ ٩٩، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٠٩.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٠٩، وذكر ابن عطية أيضاً قراءة أُبيّ.

وعن أبي العالية: نزلَتْ في رجل من المسلمين تَقاضَى دَيْناً على رجل من المشركين، وكان فيما تكلَّم به المسلم: [و] الذي أرجوه[١] بعد الموت. فقال المشرك وأنكر: إنك تُبعث بعد الموت؟! وأقسمَ بالله لا يبعثُ اللهُ مَنْ يموت[٢].

«بَلَى» رَدَّ عليه ما نفاه وأكَّدَه بالقَسَم، والتقدير: بلى يبعثُه. وانتصب «وَعْداً» و«حَقّاً» على أنهما مصدران مؤكِّدانِ لِما دلَّ عليه «بلى» من تقدير المحذوف الذي هو «يبعثُه».

وقال الحَوْفيُّ: «حَقًّا» نعت لـ «وَعْداً».

وقرأ الضَّحَّاك: «بلى وَعْدٌ عليه حقٌّ» برفع «وَعْدٌ» و«حَقٌّ» والتقدير. بَعْثُهم وَعْدٌ عليه حَقٌّ، و«حَقٌّ» صفة لـ «وَعْد».

وقال الزمخشري[٣]: «وأقسموا بالله» معطوفٌ على «وقال الذين أشركوا»، إيذاناً بأنهما كَفرتان عظيمتانِ موصوفتانِ، حقيقتانِ بأنْ تُحكَيا وتُدَوَّنا: تَوْرِيكُ ذنوبِهم على مشيئة الله[٤]، وإنكارُهم البعثَ مُقسِمين عليه. وبيَّن أنَّ الوفاءَ بهذا الموعدِ حقٌّ واجبٌ عليه[٥].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم يُبعثون، أو أنه وعدٌ واجبٌ على الله؛ لأنهم يقولون: لا يجبُ على الله شيءٌ، لا ثوابُ عامل ولا غيرُه من مواجب الحكمة. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

و«أكثر الناس» هم الكفار المكذِّبون بالبعث. وأمَّا قولُ الشيعة: إن الإشارة بهذه الآية إنما هي لعليّ بنِ أبي طالب وأن الله سيبعثُه في الدُّنيا، فسخافةٌ من القول،

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: أدخره، والمثبت من مصادر الخبر، والواو بين حاصرتين منها.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٢٢٠-٢٢١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥١٤-٥١٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٣ (دون ذكر الراوي)، وزاد المسير ٤/ ٤٤٦-٤٤٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٤.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٠٩.

(٤) أي إضافة ذنوبهم إلى الله، وسلف هذا المعنى قبل آيتين. وينظر اللسان (ورك).

(٥) بعدها في الكشاف: في الحكمة.

والقولُ بالرَّجعة باطلٌ وافتراءٌ على الله على عادتهم، ردَّه ابنُ عباس وغيرُه[١].

واللام في «لِيبيِّنَ» متعلِّقة بالفعل المقدَّرِ بعد «بَلَى» أي: نبعثُهم لنُبيِّنَ[٢] لهم، كما تقول لرجلٍ: ما ضربتَ أحداً؟ فيقول: بلى زيداً، أي: ضربتُ زيداً.

ويعود الضمير في «يبعثُهم» المقدَّر، وفي «لهم» على معنى «مَنْ» في قوله: «مَنْ يَمُوتُ»، وهو شاملٌ للمؤمنين والكفَّار.

والذي اختلفُوا فيه هو الحقّ، و﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ فيما اعتقدوا مِنْ جَعْلِ آلهةٍ مع الله وإنكار النُّبُوَّاتِ وإنكار البعثِ وغيرِ ذلك ممَّا أُمِرُوا به، وبُيِّنَ لهم أنه دينُ الله، فكذَّبوا به، وكَذَبُوا في نسبةِ أشياءَ إلى الله تعالى.

وقال الزمخشريّ[٣]: إنهم كذبوا في قولهم: «لو شاء اللهُ ما عَبَدْنا من دونه من شيء»، وفي قولهم: «لا يبعثُ الله مَنْ يموت» انتهى. وفي قوله دسيسةُ الاعتزال.

وقيل: تتعلَّق «لِيبيِّن» بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ أي: ليُظهِرَ لهم اختلافَهم، وأنَّ الكفار كانوا على ضلالة من قبل بعثِ ذلك الرسول، كاذبون في رَدِّ ما تجيءُ به الرُّسل[٤].

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

لمَّا تقدَّم إنكارُهم البعثَ وأكَّدُوا ذلك بالحَلِفِ بالله الذي أوجدَهم ورَدَّ عليهم تعالى بقوله: «بلى» وذكرَ حقِّيَّةَ وعدِه بذلك؛ أوضحَ أنه تعالى متى تعلَّقت إرادتُه بوجود شيء أوجدَه، وقد أقرُّوا بأنه تعالى خالقُ هذا العالمِ سمائِه وأرضِه، وأنَّ إيجادَه لذلك لم يتوقَّف على سبق مادَّة ولا آلة، فكما قَدَرَ على الإيجاد ابتداءً وجَبَ أن يكونَ قادراً على الإعادة.

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢٢٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٤.
(٢) في (يه): يبعثهم ليبيِّن.
(٣) الكشاف ٢/ ٤١٠.
(٤) ينظر المصدر السالف.

وتقدَّم تفسير قولِهِ تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ في البقرة [١١٧] فأغنَى عن إعادته.

والظاهر أنَّ اللام في «الشيء» وفي «له» هي للتبليغ، كقولك: قلتُ لزيد: قُمْ، وقال الزَّجَّاج[١]: هي لامُ السبب، أي لأجلِ إيجاد شيء، وكذلك «له» أي: لأجله.

قال ابنُ عطيَّة[٢]: وما في ألفاظ هذه الآية من معنى الاستقبال والاستئناف إنما هو راجعٌ إلى المُراد، لا إلى الإرادة، وذلك أنَّ الأشياءَ المُرادةَ المكوَّنة في وجودِها استئنافٌ واستقبال، لا في إرادة ذلك، ولا في الأمرِ به، لأنَّ ذَيْنِكَ قديمانِ، فمن أجلِ المُراد عَبَّر بـ «إذا» و«نقول».

وأمَّا قولُه: «الشيء» فيَحتَمِلُ وجهين:

أحدُهما: أنه لمَّا كان وجودُه حَتْماً جازَ أن يُسمَّى شيئاً وهو في حالة عدَم.

والثاني: أنَّ قولَه: «الشيء» تنبيهٌ على الأمثلة التي ننظرُ[٣] فيها، وأنَّ ما كان منها موجوداً كان مُراداً وقيل له: كُنْ، فكانَ، فصارَ مثالاً لما يتأخَّرُ من الأمور بما[٤] تقدَّم. وفي هذا مَخْلَصٌ من تسمية المعدوم شيئاً. انتهى وفيه بعضُ تلخيص.

وقال[٥]: «إذا أَرَدْناهُ» منزَّلٌ منزلةَ: مُراد، ولكنَّه أتى بهذه الألفاظِ المستأنفةِ بحسَبِ أنَّ الموجوداتِ تجيءُ وتَظهرُ شيئاً بعد شيء، فكأنَّه قال: إذا ظهرَ المُراد فيه[٦]. وعلى هذا الوجه يخرَّجُ قولهُ: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وقولُه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٧] [آل عمران: ١٤٠] ونحوُ هذا، معناه[٨]: يقعُ منكم ما رآه[٩] الله تعالى في الأزَل وعَلِمَه.

---

(١) بمعناه في معاني القرآن له ٣/ ١٩٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٣.
(٣) في (أ) و(ح) و(يه) والمطبوع: يُنظر. وفي المحرر الوجيز: تنظر.
(٤) في (ز١) و(يه): ما. وفي المحرر الوجيز: وما.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٣.
(٦) في المصدر السالف: للمراد منه.
(٧) جاء لفظ الآية في النسخ الخطية والمطبوع والنهر الماذ (بهامش مطبوع البحر ٥/ ٤٩٢) ليعلم الله الذين آمنوا منكم. وهو خطأ.
(٨) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٤: ممَّا معناه.
(٩) في (ح): أراده، وفي مطبوع البحر: أراد.

وقوله: «أنْ نقولَ» تَنَزَّلَ منزلةَ المصدر، كأنَّه قال: قولُنا، ولكن «أنْ» مع الفعل تعطي استئنافاً ليس في المصدر في أغلبِ أمرِها، وقد جيء في مواضعَ لا يُلحظُ فيها الزمن كهذه الآية، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] وغير ذلك، انتهى.

وقولُه: ولكن «أنْ» مع الفعل، يعني المضارع، وقوله: في أغلب أمرها، ليس بجيِّد، بل تدلُّ على المستقبل في جميع أمورِها، وأمَّا قولُه: وقد تجيءُ، إلى آخره، فلم يُفهم ذلك من دلالة «أنْ»، وإنما ذلك من نسبة قيام السماء والأرض بأمرِ الله، لأنَّ هذا لا يختصُّ بالمستقبل دون الماضي في حقِّه تعالى، ونظيرُه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧] فـ «كان» تدلُّ على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي، وهو تعالى متَّصف بهذا الوصف ماضياً وحالاً ومستقبلاً، وتقييدُ الفعل بالزَّمن لا يدلُّ على نفيه عن غير ذلك الزمن.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ قال قتادة: نزلت في مهاجري أصحاب الرسول ﷺ.

وقال داود بنُ أبي هند: في أبي جَنْدَل بن سُهيل بن عَمرو.

وعن ابن عباس: في صُهيب وبلال وخَبَّاب بن الأَرَتّ وأضرابِهم، عذَّبهم المشركون بمكة، فبوَّأهم الله المدينة[١].

وعلى هذا الاختلافِ في السبب يَتنزَّلُ المرادُ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾.

قال ابن عطية: لمَّا ذكرَ اللهُ كفَّارَ مكةَ الذين أقسمُوا بأنَّ الله لا يبعثُ مَنْ يموتُ وردَّ على قولهم؛ ذكرَ مؤمني مكةَ المعاصرين لهم، وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة، هذا قولُ الجمهور، وهو الصحيح في سبب الآية، لأنَّ هجرةَ المدينة لم تكن إلا بعد وقت نزول الآية. انتهى.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ عمومٌ في المهاجرين كائناً ما كانوا، فيشملُ أوَّلَهم وآخِرَهم.

وقرأ الجمهور: «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ». والظاهرُ انتصابُ «حسنةً» على أنه نعتٌ لمصدر محذوف يدلُّ عليه الفعل، أي: تَبْوِئةً حسنةً.

---

(١) الأقوال الثلاثة في تفسير الطبري ١٤/ ٢٢٣-٢٢٤، وزاد المسير ٤/ ٤٤٨ (والكلام منه بنحوه).

وقيل: انتصاب «حَسَنَةً» على المصدر على غير الصَّدْر، لأنَّ معنى «لَنبوِّئنَّهم في الدنيا» لَنُحْسِنَنَّ إليهم. فـ «حَسَنَة» في معنى: إحساناً.

وقال أبو البقاء[1]: «حَسَنَةً» مفعولٌ ثان لنُبَوِّئَنَّهُمْ، لأنَّ معناه: لَنُعطِيَنَّهم، ويجوز أن يكون صفة لمحذوف، أي: داراً حسنةً. انتهى.

وقال الحسنُ والشعبيُّ وقتادة: داراً حسنةً، وهي المدينة[2].

وقيل: التقدير: منزلةً حَسَنةً، وهي الغَلَبة على أهل مكَّة الذين ظَلَمُوا، وعلى العرب قاطبةً، وعلى أهل المشرق والمغرب[3].

وقال مجاهد: الرِّزْق الحَسَن.

وقال الضحَّاك: النَّصر على عدوِّهم.

وقيل: ما استَوْلَوْا عليه من فتوح البلاد، وصارَ لهم فيها من الولايات.

وقيل: ما بقيَ لهم فيها من الثَّناء، وما صارَ فيها لأولادِهم من الشَّرَف[4].

وقيل: الحسنةُ كلُّ شيء مستحسنٍ نالَه المهاجرون[5].

وقرأ عليٌّ وعبدُ الله ونُعيم بنُ مَيْسَرَة والرَّبيع بنُ خُثَيم: «لَنُثْوِيَنَّهُمْ» بالثاء المثلثة[6]، مضارع «أَثْوَى» المنقول بهمزة التعدية من: ثَوَى بالمكان: أقام فيه. وانتصب «حَسَنَةً» على تقدير: إثْواءةً حَسَنَةً، أو على نزع الخافض، أي: في حَسَنةٍ، أي: دارٍ حسنةٍ، أو مَنْزِلةٍ حسنة.

---

(١) الإملاء ٢/ ٨١.

(٢) النكت والعيون ٣/ ١٨٨، وزاد المسير ٤/ ٤٤٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٧، ونُسب القولُ فيها أيضاً لابن عبَّاس، والقول بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٤ دون نسبة.

(٣) الكشاف ٢/ ٤١٠.

(٤) ينظر ما سلف في النكت والعيون ٣/ ١٨٨-١٨٩، وزاد المسير ٤/ ٤٤٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٧. وفي القول الأخير تجوُّزٌ كثير واستعارةٌ بعيدة، فيما قاله ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥.

(٥) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٤، وذكرها ابنُ جني في المحتسب ٢/ ٩ عن عليّ ﷺ. وقرأ بها في السَّبع في العنكبوت (٥٨) حمزةُ والكسائي.

ودلَّ هذا الإخبار المؤكَّد بالقَسَم على عظيم محلِّ الهجرة، لأنه بسببها ظهرَتْ قوَّةُ الإسلام كما أنَّ بِنُصْرَة الأنصارِ قَوِيَتْ شَوْكَتُه.

و«في الله» دليلٌ على إخلاص العمل لله، ومَنْ هاجرَ لغيرِ الله فهجرتُه لِما هاجرَ إليه[1].

وفي الإخبار عن «الذين» بجملة القَسَم المحذوفة الدالِّ عليها الجملةُ المُقْسَمُ عليها دليلٌ على صحة وقوعِ الجُملةِ القَسَمية خبراً للمبتدأ خلافاً لثعلب، وأجازَ أبو البقاء[2] أن يكون «الذينَ» منصوباً بفعل محذوف يدلُّ عليه: «لَنُبَوِّئَنَّهم». وهو لا يجوز، لأنه لا يُفسِّر إلا ما يجوزُ له أن يعملَ، ولا يجوزُ: زيداً لأَضْرِبنَّ، فلا يجوز: زيداً لأضربنَّه.

وعن عمرَ رضي الله عنه أنه كان إذا أعطَى رجلاً من المهاجرين عطاءَهُ قال: خُذْ، بارَكَ الله لكَ فيه، هذا ما وعَدَكَ في الدُّنيا، وما ذَخَرَ[3] لك في الآخرة أكثرُ[4].

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: ولأجرُ الدارِ الآخرة «أكبرُ» أي: أكْبَرُ أنْ يعلَمَه أحدٌ قبلَ مشاهدتِهِ كما قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

والضمير في «يعلمون» عائدٌ على الكفَّار، أي: لو كانوا يعلمون أنَّ الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدُّنيا والآخرةَ لَرَغِبُوا في دينهم.

وقيل: يعودُ على المؤمنين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك لَزَادوا في اجتهادِهِم وصَبْرِهم[5].

و«الذين صبروا» على تقدير: هم الذين، أو: أعني الذين صبروا على العذاب، وعلى مفارقةِ الوطن؛ لاسيَّما حَرَمِ اللهِ المحبوبِ لكلِّ قلبِ مؤمنٍ، فكيف لمن كان

---

(١) يشير المصنف إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: «إنما الأعمال بالنِّيَّات...» أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) الإملاء ٢/ ٨١.

(٣) في المطبوع: ادَّخر. وكلاهما بمعنى.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٢٢٤-٢٢٥، والنكت والعيون ٣/ ١٨٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٧.

(٥) ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٧.

مسقطَ رأسِه، وعلى بذلِ الرُّوح في ذات الله واحتمالِ الغُربة في دارٍ لم ينشأ بها، وناسٍ لم يألفْهُم أجانبَ حتى في النَّسب.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

نزلت في مشركي مكة، أنكروا نبوَّةَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام وقالوا: اللهُ أعظمُ أن[١] يكونَ رسولُه بشراً، فهلَّا بعثَ إلينا مَلَكاً.

وتقدَّمَ تفسيرُ هذه الجملة في آخر «يوسف» [الآية: ١٠٩]. والمعنى: نُوحِي إليهم على ألسنةِ الملائكة.

وقرأ الجمهور: «يُوحَى» بالياء وفتح الحاء، وقرأت فرقة بالياء وكسرها، وعبدُ الله والسُّلَميُّ وطلحةُ وحفصٌ بالنون وكسرِها[٢].

و«أهل الذِّكر»: اليهود والنصارى، قاله ابنُ عبَّاس ومجاهد والحَسَن. وعن مجاهد أيضاً: اليهود. و«الذِّكر»: التوراة، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾[٣] [الأنبياء: ١٠٥]. وعنه: عبد الله بنُ سَلَام وسَلْمان[٤].

وقال الأعمش وابنُ عُيينة: مَنْ أسلمَ مِنَ اليهود والنصارى[٥].

وقال الزجَّاج: عامٌّ فيمن يُعْزَى إلى عِلْم[٦].

(١) في الكشاف ٢/ ٤١١ (والكلام فيه): أعظم من أن.
(٢) السبعة ص٣٧٣، والتيسير ص١٣٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥.
(٣) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٢٢٧-٢٢٨، والنكت والعيون ٣/ ١٨٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥، وزاد المسير ٤/ ٤٤٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٨-٣٢٩.
(٤) في زاد المسير ٤/ ٤٥٠ عن مجاهد: عبد الله بنُ سلام، وعن قتادة: سلمان الفارسي.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥، وأخرجه الطبري ١٤/ ٢٢٧ بنحوه عن سفيان عن الأعمش.
(٦) بمعناه في معاني الزجاج ٣/ ٢٠٠، وهو بمعناه أيضاً عنه في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥، وتفسير الرازي ٢٠/ ٣٦.

وقال أبو جعفر وابنُ زيد: أهلُ القرآن[١]. ويضعُفُ هذا القولُ وقولُ من قالَ: مَنْ أسلم من الفريقين، لأنه لا حُجَّةَ على الكفار في إخبار المؤمنين، لأنهم مكذِّبون لهم.

قال ابن عطية[٢]: والأظهر أنهم اليهودُ والنصارى الذين لم يُسْلِمُوا، وهم في هذه الآية النازلة إنما يُخْبِرُون بأنَّ الرُّسل من البشر[٣]، وإخبارُهم حُجَّةٌ على هؤلاء، فإنهم لم يزالوا مصدِّقين لهم ولا يُتَّهَمُون بشهادةٍ لنا؛ لأنَّهم مدافعون في صدرِ مِلَّةِ محمد ﷺ، وهذا هو كَسْرُ حُجَّتِهم ومذهبِهم، لا أنَّا افْتَقَرْنا إلى شهادةِ هؤلاء، بل الحقُّ واضحٌ في نفسِه، وقد أرْسَلَتْ قريشٌ إلى يهودِ يثربَ يسألونهم ويُسنِدون إليهم. انتهى.

والأجودُ أن يتعلَّق قولُه: «بالبيِّنات» بمضمرٍ يدلُّ عليه ما قبلَه، كأنَّه قيل: بِمَ أُرْسِلُوا؟ قال: أرْسَلْنَاهم بالبيِّنات والزُّبُر، فيكون على كلامين. وقاله الزَّمخشريُّ وابنُ عطيَّة وغيرُهما[٤].

وقيل: يتعلَّق بقوله: «وما أَرْسَلْنا»، وهذا فيه وجهان:

أحدُهما: أنَّ النِّيَّةَ فيه التقديم قبلَ أداة الاستثناء، والتقدير: وما أَرْسَلْنا من قبلك بالبيِّنات والزُّبُر إلا رجالاً، حتى لا يكون ما بعد «إلَّا» معمولَيْنِ متأخِّرَيْنِ لفظاً ورتبةً داخلَيْنِ تحت الحصرِ لِما قبلَها. وهذا حكاه ابنُ عطية عن فرقة.

والوجه الثاني: أنْ لا يُنوى به التقديم، بل وقعا بعدَ «إلا» في نيَّةِ الحَصْر. وهذا قالَه الحَوْفيّ والزَّمخشريّ وبدأ به؛ قال: تتعلَّق بـ «ما أَرْسَلْنا» داخلاً تحت حكم الاستثناء مع «رِجالاً»، أي: وما أرْسَلْنا إلا رِجالاً بالبيِّنات، كقولك: ما ضربتُ إلَّا زيداً بالسَّوط، لأن أصلَه: ضربتُ زيداً بالسَّوط. انتهى.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢٢٨-٢٢٩، وهو في النكت والعيون ٣/ ١٨٩، وزاد المسير ٤/ ٤٤٩ عن ابن زيد، وفي المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥ عن ابن جُبير وابنِ زيد. وينظر أيضاً في تفسير «أهل الذِّكر» ما سيرد في «الأنبياء» (٧).

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥.

(٣) في (ح) والمطبوع: من الرسل عن البشر. وهو خطأ.

(٤) الكشاف ٢/ ٤١١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥.

وقال أبو البقاء[(١)]: وفيه ضعف؛ لأن ما قبلَ «إلّا» لا يعملُ فيما بعدَها إذا تمَّ الكلام على «إلا» وما يليها، إلا أنه قد جاء في الشِّعْر؛ قال الشاعر:

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بالنارِ جارتَهم ... ولا يُعذِّبُ إلا اللهُ بالنارِ[(٢)]

انتهى. وهذا الذي أجازَه الحَوْفيُّ والزَّمخشريُّ لا يجوزُ على مذهب جمهور البصريِّين، لأنهم لا يُجيزون أن يقع بعد «إلّا» إلا مستثنًى، أو مستثنًى منه، أو تابعاً، وما ظُنَّ من غير الثلاثة معمولاً لِما قبلَ «إلّا» قُدِّر له عاملٌ.

وأجاز الكسائيُّ أن يقعَ معمولاً لِمَا قبلَها: منصوب نحو: ما ضربَ إلا زيدٌ عَمراً، ومخفوض نحو: ما مرَّ إلا زيدٌ بعَمرٍو، ومرفوع نحو: ما ضربَ إلا زيداً عَمرٌو، وافقَه ابنُ الأنباريّ في المرفوع، والأخفش في الظرف والجارِّ والحال، فالقولُ الذي قالَه الحَوْفيُّ والزَّمخشريُّ يتمشَّى على مذهب الكسائيّ والأخفش، ودلائلُ هذه المذاهب مذكورة في علم النحو[(٣)].

وأجاز الزمخشريّ[(٤)] أن يكون صفة لـ «رجال»، أي: رجالاً ملتبسين بالبيِّنات، فيتعلَّق بمحذوف. وهذا وجهٌ سائغٌ لأنه في موضع صفة لِما بعدَ «إلّا» فَوَصَفَ رجالاً «يُوحَى إليهم» وبذلك العاملِ في «بالبينات» كما تقول: ما أكرمتُ إلا رجلاً مسلماً ملتبساً بالخير.

وأجاز أيضاً أن يتعلَّق بـ «يُوحَى إليهم»، وأن يتعلَّق بـ «لا تعلمون»، قال: على أنَّ الشرطَ في معنى التبكيت والإلزام، كقول الأجير: إن كنتُ عملتُ لكَ فأعْطِني حقِّي. وقولُه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ اعتراضٌ على الوجوه المتقدِّمة. يعني من التي ذَكَرَ غيرَ الوَجْهِ الأخير.

---

(١) الإملاء ٢/ ٨١.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠١ برواية: وهل يُعذِّبُ...، وهو في الأغاني ٨/ ١٧٢ برواية: خُبِّرْتُهُمْ... ومَنْ يُعذِّبُ غيرَ الله... ونُسب فيه ليزيد بن الطَّثريَّة. والبيت أيضاً في الإملاء ٢/ ٨١ (والكلام منه).

(٣) ينظر الارتشاف ٣/ ١٥٣٢، وهمع الهوامع ٢/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) الكشاف ٢/ ٤١١.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ هو القرآن، وقيل له: ذِكْر؛ لأنه موعظة وتنبيه للغافلين. وقيل: الذِّكْر: العلم[١].

﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من المُشكل والمتشابه؛ لأنَّ النَّص والظاهرَ لا يحتاجان إلى بيان.

وقال الزمخشريّ[٢]: ممَّا أُمِرُوا بِهِ ونُهوا عنه، ووُعِدُوا وأُوعِدُوا.

وقال ابنُ عطية[٣]: لِتُبيِّنَ بسَرْدِكَ بنصِّ القرآن ما نُزِّلَ إليهم، ويَحتَمِل أن يُريد: لِتُبيِّنَ بتفسيرِكَ المجملَ وشرحِك ما أشكلَ، فيدخلُ في هذا ما تُبَيِّنُهُ السُّنَّة من أمرِ الشريعة. وهذا قول مجاهد. انتهى.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: وإرادةَ أن يُصْغُوا إلى تنبيهاتِه فيتَنبَّهُوا ويتأمَّلُوا.

و«السيِّئات» نعت لمصدر محذوف، أي: المَكْراتِ السَّيِّئات. قاله الزمخشري[٤]، أو مفعول بـ «مَكَروا» على تضمين «مكروا» معنى: فعلُوا وعملُوا. و«السيِّئات» على هذا معاصي الكفر وغيره. قاله قتادة. أو مفعول بـ «أَمِنَ» ويعني به العقوباتِ التي تَسُوءُهم. ذكرهما ابنُ عطيَّة، وعلى هذا الأخير يكون «أن يخسفَ» بدلاً من «السيِّئات». وعلى القولين قبلَه مفعول بـ «أَمِنَ».

و«الذين مكَرُوا» في قول الأكثرين هم أهلُ مكة، مكرُوا بالرسول ﷺ. وقال مجاهد: هو نُمرود[٥].

والخسفُ بَلْعُ الأرضِ المَخْسُوفَ به، وقعودُها به إلى أسفل. وذكر النقَّاش أنه وقعَ الخسفُ في هذه الأمة[٦].

---

(١) النكت والعيون ٣/ ١٨٩-١٩٠.
(٢) الكشاف ٢/ ٤١١.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٥.
(٤) الكشاف ٢/ ٤١١. والكلام السالف قبله فيه أيضاً.
(٥) تفسير الطبري ١٤/ ٢٣٣، وزاد المسير ٤/ ٤٥٠.
(٦) ذكر عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٦ أنه خُسف بقوم تدافعوا للإمامة في الصلاة وتصلَّفوا في ذلك. والله أعلم.

﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ كما فُعل بقارون، وذُكر لنا أنَّ أخلاطاً[1] من بلاد الروم[2] خُسف بها، وحين أحسَّ أهلُها بذلك فَرَّ أكثرُهم، وأنَّ بعضَ التُّجار ممَّن كانَ يَرِدُ إليها رأى ذلك من بعيد، فرجَعَ بتجارتِه.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من الجهةِ التي لا شُعور لهم بمجيء العذابِ منها كما فُعل بقوم لوط.

﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ في أسفارِهم. قاله قتادة، أو في منامهم، رُوِيَ هذا وما قبلَه عن ابن عبَّاس. وقال الضَّحَّاك وابنُ جُريج ومقاتل: في ليلهم ونهارِهم[3]، أي: حالةَ ذهابِهم ومجيئهم فيهما.

وقيل: «في تقلُّبِهم» في مَكْرِهم وحِيَلِهم، فيأخذُهم قبلَ تمامِ ذلك.

وقال الزجَّاج: جميع ما يتقلَّبون فيه[4]. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[5]: بسابقين الله ولا فائتيه، والأخذُ هنا الإهلاك، كقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

و﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: على تنقُّص. قاله ابن عبَّاس ومجاهد الضحَّاك. وقال ابنُ قتيبة: يقال: تخَوَّفَتْهُ [الدُّهور] وتَخَوَّنَتْهُ: إذا تَنقَّصَتْهُ وأخَذَتْ من مالِه وجسمِه[6].

وقال الهيثم بنُ عَدِيّ: هو التنقُّص بلغة أزْدِ شَنُوءَة[7].

وفي حديثٍ لعُمرَ أنه سأل عن التَّخَوُّف، فأجابَه شيخ بأنه التنقُّص في لغة هُذيل، وأنشدَه قولَ أبي كبير الهُذَليّ:

---

(١) في النسخ الخطية: أخلاط. والمثبت من المطبوع، وهو الجادَّة.

(٢) وقع بياض في (ز١) مكان كلمة «الروم». ولم ترد هذه الكلمة في (يه).

(٣) زاد المسير ٤/ ٤٥٠-٤٥١. وأخرج الطبري ١٤/ ٢٣٤-٢٣٥ قول كل من ابن عباس وقتادة وابن جُريج.

(٤) بنحوه في معاني الزجاج ٣/ ٢٠١، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٥١.

(٥) زدتُ لفظ «بمعجزين» في الآية للإيضاح.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٤٣، ونقله عنه ابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٥١، وما بين حاصرتين منهما، وفيهما أيضاً: نَقَصَتْه، بدل: تنقَّصته.

(٧) تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٥، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥١٧، وزاد المسير ٤/ ٤٥١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٣١.

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[(١)]

وهذا التخوُّف بمعنى التنقُّص؛ قيل: من أعماله[(٢)]. وقيل: يأخذُ واحداً بعد واحد، ورُويا عن ابن عباس[(٣)]. وقال الزجَّاج: ينقصُ ثمارَهم وأموالَهم حتى يُهلِكَهم[(٤)].

وقيل: «على تخوُّف»: على خوفٍ أن يعاقِبَهم أو يتجاوزَ عنهم. قاله قتادة[(٥)].

وقال الزمخشري[(٦)]: «على تَخوُّف»: مُتخوِّفين، وهو أن يُهلك قوماً قبلَهم فيتخوَّفُوا، فيأخذَهم بالعذاب وهم متخوِّفون متوقِّعون، وهو خلافُ قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾. انتهى. وقاله الضحَّاك قال: يأخذُ قريةً فتخافُ القريةُ الأخرى[(٧)].

وقال ابنُ بحر: «على تخوُّف» ضد البغتة، أي: على حدوث حالات يُخاف منها، كالرِّياح والزلازل والصواعق، ولهذا ختَم بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنَّ في ذلك مهلةً وامتدادَ وقت، فيمكن فيه التلافي.

وقال اللَّيث بنُ سعد: «على تخوُّف»: على عَجَل. وقيل: على تقريعٍ بما قدَّموه. وهذا مرويٌّ عن ابن عباس[(٨)].

---

(١) تفسير الثعلبي ٣/ ٥١٧، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٣٢، والخبرُ أيضاً بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٢٣٦ دون ذكر البيت فيه، وذكره قبلَه. ونُسب البيت في تهذيب اللغة ٧/ ٥٩٤ لابن أُبيّ بن مقبل، ونسب في الصحاح (خوف ـ سفن) لذي الرُّمَّة (وفيه: ظَهْرَ النبعة) ونسب في الكشاف ٢/ ٤١١ لزهير. قوله: تامكاً، أي: سَناماً مرتفعاً، وقَرِداً، أي: تجعَّدَ وَبَرُه، وعُود النَّبْعة، أي: السهم المتَّخذ من شجر النَّبع، وهو شجر صُلب العُود، والسَّفَن والمِسْفَن: ما يُنجرُ به الخشب. يريد أن السَّيْر تنقَّصَ سنامها.

(٢) في زاد المسير ٤/ ٤٥١: من أعمالهم. (والكلام بعده منه).

(٣) النكت والعيون ٣/ ١٩٠، وزاد المسير ٤/ ٤٥١.

(٤) القول في زاد المسير ٤/ ٤٥١ (وفيه: تنقُّصُ ثمارِهم... الخ) وبنحوه في معاني الزجاج ٣/ ٢٠١، والنكت والعيون ٣/ ١٩٠.

(٥) تفسير الطبري ١٤/ ٢٣٨، وزاد المسير ٤/ ٤٥١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٣٢-٣٢٣.

(٦) الكشاف ٢/ ٤١١.

(٧) زاد المسير ٤/ ٤٥١، وبنحوه في تفسير القرطبي ١٤/ ٢٣٨.

(٨) القولان في النكت والعيون ٣/ ١٩٠.

ولمَّا كان تعالى قادراً على هذه الأمور ولم يُعاجلْهم بها؛ ناسبَ وصفُه بالرأفة والرحمة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى قدرتَه على تعذيب الماكرين وإهلاكِهم بأنواعِ من الأخْذِ؛ ذكرَ تعالى طَوَاعيةَ ما خلقَ من غيرِهم وخضوعَه ضدّ حال الماكرين لينبِّههم على أنه ينبغي بل يجبُ عليهم أن يكونوا طائعين منقادين لأمره.

وقرأ السُّلميُّ والحسنُ[1] والأعرج والأخَوان: «أوَلَمْ تَرَوا» بتاء الخطاب، إمَّا على العموم للخلق استُؤنِفَ به الإخبار، وإمَّا على معنى: قُلْ لهم، إذا كان خطاباً خاصًّا. وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة[2].

واحتمَلَ أيضاً أن يعودَ الضمير على «الذين مكروا» واحتمَلَ أن يكونَ إخباراً عن المكلَّفين. والأوَّلُ أظهر لتقدُّم ذكرهم.

وقرأ أبو عَمرو وعيسى ويعقوب: «تَتَفَيَّؤُ» بالتاء على التأنيث، وباقي السبعة بالياء[3].

وقرأ الجمهور: «ظِلالُه» جمع ظِلّ. وقرأ عيسى: «ظُلَلُهُ» جمع «ظُلَّة» كـ: حُلَّة وحُلَل[4].

والرؤية هنا رؤية القلب التي يقع بها الاعتبار، ولكنها بوساطة رؤية العين[5].

قيل: والاستفهام هنا معناه التوبيخ، قيل: ويجوز أن يكون معناه التعجُّب، والتقدير: تَعَجَّبُوا من اتِّخاذِهم مع اللهِ شريكاً وقد رَأَوْا هذه المصنوعاتِ التي

---

(١) قوله: والحسن، من (ز١) و(يه). وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٧.
(٢) السبعة ص٣٧٣، والتيسير ص١٣٨.
(٣) السبعة ص٣٧٤، والتيسير ص١٣٨، والنشر ٢/ ٣٠٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٧.
(٤) المحتسب ٢/ ١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨ بنحوه.

أظهرَتْ عجائبَ قُدْرتِهِ وغرائبَ صُنْعِه مع علمِهم بأنَّ آلهتَهم التي اتخذوها شركاءَ لا تَقْدِرُ على شيء البتَّة.

والجملة من قوله: «تَتَفَيَّؤُ» في موضع الصفة. قاله الحَوْفيّ، وهو ظاهرُ قولِ ابنِ عطيَّة والزمخشريّ[(١)]؛ قال ابنُ عطية: «من شيء» لفظ عامٌّ في كلِّ ما اقتَضَتْه الصفة في قوله: «تَتَفَيَّؤُ ظِلالُه» لأن ذلك صفة لِما عَرَضَ للعبْرةِ[(٢)] في جميع الأشخاصِ التي لها ظِلّ.

وقال الزمخشريّ: و«ما» موصولة بـ «خَلَقَ الله» وهو مبهم، بيانهُ «من شيء تتفيؤ ظلالُه».

وقال غير هؤلاء: المعنى: من شيء له ظِلٌّ من جَبَلٍ وشَجَرٍ وبناءٍ وجسم قائم. وقوله: «تتفيَّؤ ظِلالُه» إخبارٌ عن قوله: «من شيء» ليس بوصفٍ له[(٣)]، وهذا الإخبارُ يدلُّ على ذلك الوصفِ المحذوف الذي هو له ظِلٌّ. و«تَتَفَيَّؤُ» تَتَفَعَّلُ، من الفيء، وهو الرجوعُ يقال: فاء الظِّلُّ يفيءُ فَيْئاً: رَجَعَ وعادَ بعد ما نسخَه ضياءُ الشمس، و«فاء» إذا عُدِّيَ فبالهمزة كقوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧] أو بالتضعيف نحو: فَيَّأَ الله الظِّلَّ فتفَيَّأَ. و«تفيَّأَ» من باب المطاوعة، فهو لازم وقد استعملَه أبو تمَّام متعدِّياً؛ قال:

طَلَبَتْ رَبِيعَ ربيعةَ المُمْهِي لها وتَـفَـيَّـأَتْ ظِـلًّا لَـهُ مَـمْـدُودَا[(٤)]

ويحتاجُ ذلك إلى نقله من كلام العرب متعدِّياً.

قال الأزهريُّ[(٥)]: تَفَيُّؤ الظِّلال: رُجوعُها بعد انتصافِ النهار، فالتفيُّؤ لا يكونُ

---

(١) الكشاف ٢/ ٤١١-٤١٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٧.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٧: العبرة.

(٣) في (أ): من شيء يوصف له، وفي (ح): من شيء توصيف له، وفي المطبوع: من شيء وصف له، وهو خطأ.

(٤) ديوان أبي تمام ١/ ٤١١ (بشرح التبريزي)، وعجزه منه: فوَرَدْنَ ظلَّ ربيعةَ الممدودا. وأشار التبريزي في شرحه إلى الرواية أعلاه. وقال في شرحه: المُمهي لها، أي: المُحسِّن الكثير الماء، ويجوز أن يكون من قولهم: أمهيتُ الفرس: إذا طوَّلْتَ له في الرَّسَن.

(٥) تهذيب اللغة ١٥/ ٥٧٨. وبعض الكلام نقله عن أبي طالب النحوي.

إلا بالعشيِّ وما انصَرَفَتْ عنه الشمس، والظلُّ ما يكون بالغداة، وهو ما لم تنله.

وقال الشاعر:

فلا الظِّلَّ من بَرْدِ الضُّحَى تستطيعُهُ ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[(١)]

وقال امرؤ القيس:

تَيَمَّمَتِ العينَ التي عندَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طَامِ[(٢)]

وعن رُؤْبة: ما كانَتْ عليه الشمس فزالت عنه فهو فَيْءٌ وظِلٌّ، وما لم تكن عليه فهو ظِلٌّ، وذلك أنَّ الشمس من طلوعها إلى وقت الزوال تنسخُ الظِّلَّ، فإذا زالت رجع، ولا يزال ينمو إلى أن تغيب. والمشهورُ أنَّ الفَيءَ لا يكون إلا بعدَ الزَّوال، والاعتبارُ في هذه الآية من أوَّلِ النهار إلى آخره، فمعنى «تتفيَّؤُ»: تتنقَّل وتميل، وأضافَ الظِّلالَ ـ وهي جمع ـ إلى ضمير مفرد لأنه ضمير «ما»، وهو جمعٌ من حيث المعنى، كقوله: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣].

وقال صاحب «اللوامح» في قراءة عيسى: «ظُلَلُهُ»، والظُّلَّة: الغيم، وهو جسم، وبالكسر: الفيء، وهو عَرَض في العامَّة، فرأى عيسى أنَّ التفيُّؤ الذي هو الرُّجوع بالأجسام أولى منه بالأعْراض[(٣)]، وأما في العامَّة فعلى الاستعارة. انتهى.

قالوا: في قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ بحثان:

أحدُهما: ما المُرادُ بذلك؟

والثاني: ما الحكمةُ في إفراد «اليمين» وجمع «الشمائل»؟

---

(١) البيت لحُميد بن ثور الهلالي، وهو في ديوانه ص٤٠، وتهذيب اللغة ١٤/ ٣٥٨ و١٥/ ٥٧٨، والأغاني ٤/ ٣٥٧، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ٧/ ٣٨٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٧. ورواية الديوان: فلا الظلَّ منها بالضحى تستطيعُه، ولا الفيء منها بالعشيّ تذوقُ.

(٢) ملحق ديوان امرئ القيس ص٤٧٥ (عن الشعر والشعراء ص١١٢)، وأدب الكاتب ص٢٨، وشرح أدب الكاتب للبطليوسي ٣/ ٢٥، وقال: ضارج: موضع في بلاد بني عَبْس فيه ماء، والعَرْمَض والطُّحلب والغلفق سواء، وهي الخضرة تكون على الماء، وطام: مرتفع. يصف حُمُراً وحشيَّة عطشت فاحتاجت إلى ورود الماء. . . وقيل: يصف ناقته.

(٣) قوله: منه بالأعراض، من (ز١) و(به).

أمَّا الأوَّل: فقالوا: يمينُ الفَلَك هو المَشْرِقُ، وشِمالُه هو المَغْرب، وخُصَّ هذان الاسمان بهذين الجانبين لأنَّ أقوى جانبي الإنسان يمينُه، ومنه تظهرُ الحركة [القوية، فلما كانت الحركة][1] الفلكية اليومية آخذةً من المشرق إلى المغرب، لا جَرَمَ كان المشرقُ يمينَ الفَلَك، والمغربُ شِمالَه.

فعلى هذا نقول: الشمسُ عند طُلوعِها إلى وقتِ انتهائها إلى وسط الفَلَك تقعُ الظِّلالُ إلى الجانب الغربيّ، فإذا انحَدَرَتْ من وَسَط الفَلَك إلى[2] الجانب الغربي وقعت الظِّلال في الجانب الشرقيّ، فهذا المرادُ من تفيُّؤ الظِّلال من اليمين إلى الشمال.

وقيل: البلدةُ التي عَرْضُها أقلُّ من مقدار الميل تكونُ الشمسُ في الصيف عن يمين البلدة[3]، فتقع الظِّلال على يمينهم.

وقال الزمخشريّ[4]: المعنى: أولم يَرَوْا إلى ما خلقَ اللهُ من الأجرام التي لها ظِلالٌ مُتَفَيِّئةٌ عن أيْمانِها وشمائلها، عن جانبي كلِّ واحدٍ منها وشِقَّيه، استعارةٌ من يمين الإنسان وشِماله لجانبي الشيء، أي: ترجعُ الظِّلالُ من جانبٍ إلى جانب. انتهى.

وقال ابنُ عطية[5]: والمنصوبُ للعِبْرَة[6] في هذه الآية هو كلّ جِرْمٍ له ظِلٌّ، كالجبالِ والشجرِ وغيرِ ذلك، والذي يَتَرتَّبُ فيه أَيْمانٌ وشمائلُ إنما هو البَشرُ فقط، لكنْ ذِكْرُ الأَيمانِ والشمائلِ هنا على حسب الاستعارة[7] لغير البشر، تُقدِّرُه ذا يمينٍ وشِمال وتُقدِّرُه بمستقبلٍ[8] أيَّ جهة شئتَ، ثم تنظرُ ظلَّه، فتراه يميلُ إمَّا إلى جهة

---

(١) ما بين حاصرتين من تفسير الرازي ٢٠/ ٤١ (والكلام منه).

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: عن، بدل: إلى، والمثبت من المصدر السالف.

(٣) يقارن بما في تفسير الرازي ٢٠/ ٤١ وروح المعاني ١٤/ ١٤٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٤١٢.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨.

(٦) في (ح): والمقصود للعبرة، وفي المطبوع: والمقصود العبرة.

(٧) في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨: على جهة الاستعارة.

(٨) في المصدر السالف: يستقبل.

اليمين وإمَّا إلى جهة الشِّمال، وذلك في كلِّ أقطار الدنيا، فهذا وَجْهٌ يعمُّ ألفاظَ الآية، وفيه تجوُّز واتِّساع، ومَنْ ذهبَ إلى أنَّ اليمين من غُدْوَةَ إلى الزَّوال، ويكونُ من الزوال إلى المغيب عن الشِّمال - وهو قولُ قتادة وابنِ جُريج - فإنما يترتَّب فيما قدَّره مستقبلَ الجنوب. انتهى.

وأمَّا الثاني؛ فقال الزمخشري: واليمين بمعنى الأيمان[1]. فجعلَه وهو مفردٌ بمعنى الجمع، فطابقَ الشمائلَ من حيثُ المعنى، كما قال: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] يريد الأدبار.

وقال الفراء[2]: كأنه إذا وَحَّدَ ذهبَ إلى واحدٍ من ذوات الظِّلال، وإذا جمعَ ذهبَ إلى كلِّها، لأنَّ قولَه: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ لفظُهُ واحدٌ، ومعناه الجمع، فعبَّر عن أحدِهما بلفظ الواحد، كقوله[3]: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧].

وقيل: إذا فسَّرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرقُ الشمسِ واحدةً بعينها، فكانت اليمين واحدة، وأما الشمائلُ فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الظِّلال بعد وقوعِها على الأرض، وهي كثيرة، فلذلك عبَّر عنها بصيغة الجمع.

وقال الكِرْمانيّ: يحتمل أن يُراد بالشمائل الشِّمالُ والقُدَّامُ والخَلْف، لأنَّ الظِّلَّ يَفيءُ من الجهات كلِّها فبُدِئَ باليمين لأنَّ ابتداء التفيُّؤ منها، أو تَيَمُّناً بذكرها، ثم جمعَ الباقي على لفظ الشِّمال لِما بينَ اليمينِ والشِّمال من التضادّ، وتَنَزَّلَ القُدَّامُ والخَلْفُ منزلةَ الشِّمال لما بينهما وبين اليمين من الخلاف.

وقيل: وحَّد اليمين وجمعَ الشمائل لأن الابتداء عن اليمين، ثم ينقبض شيئاً فشيئاً حالاً بعد حال، فهو بمعنى الجمع، فصَدَقَ على كلِّ حال لفظةُ الشِّمال، فتعدَّد بتعدُّد الحالات.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤١٢.
(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٢، ونقله المصنف عنه بوساطة تفسير الرازي ٢٠/ ٤٢.
(٣) في تفسير الرازي ٢٠/ ٤٢: إن العرب إذا ذكرت صيغتي جمع عبَّرت عن أحدهما بلفظ الواحد، كقوله... الخ.

وقال ابنُ عطيَّة: وما قال بعضُ الناس من أنَّ اليمينَ أوَّل وقعةٍ للظِّلّ بعد الزوال، ثم الآخرُ إلى الغروب هي عن الشمائل، ولذلك جَمَعَ الشمائل[1] وأفردَ اليمين = فتخليطٌ من القول، ومُبْطَلٌ من جهات.

وقال ابن عبَّاس: إذا صلَّيتَ الفجرَ كان ما بينَ مطلع الشمس إلى مغربها ظِلًّا، ثم بعثَ اللهُ عليه الشمسَ دليلاً، فقبضَ إليه الظِّلَّ. فعلى هذا فأوَّلُ ذُرُورِ[2] الشمس فالظِّلُّ[3] عن يمينِ مستقبِلِ الجنوب، ثم يبدأ الانحراف، فهو عن الشمائل، لأنّه حركاتٌ كثيرة وظِلالٌ متقطّعة، فهي شمائلُ كثيرةٌ، فكان الظِّلُّ عن اليمين متصلاً واحداً عامًّا لكلِّ شيء. انتهى.

وقال شيخُنا الأستاذ أبو الحسن علي بنُ محمد بن يوسف الكُتاميّ المعروف بابن الضائع[4]: أفردَ وجمعَ بالنظر إلى الغايتين، لأنَّ ظِلَّ الغَداة يضمحلُّ حتى لا يبقَى منه إلا اليسير، فكأنَّه في جهة واحدة، وهو بالعشيِّ على العكس لاستيلائه على جميع الجهات فلُحظت الغايتان في الآية، هذا من جهة المعنى، وفيه من جهة اللفظ المطابقة، لأن «سُجَّداً» جمعٌ، فطابقَهُ جمع الشمائل لاتِّصاله به، فحصلَ في الآية مطابقةُ اللفظ للمعنى ولَحْظُهما معاً، وتلك الغاية في الإعجاز. انتهى.

والظاهرُ حملُ الظِّلال على حقيقتها، وعلى ذلك وقع كلامُ أكثرِ المفسِّرين وقالوا: إذا طلعتِ الشمسُ وأنتَ متوجِّهٌ إلى القِبلة كان الظِّلُّ قُدَّامَكَ، فإذا ارتفَعَتْ كان على يمينك، فإذا كان بعدَ ذلك كان خَلْفَك، فإذا أرادتِ الغروب كان على يسارك[5].

---

(١) قوله: ولذلك جمع الشمائل، من (ز١) و(يه). والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨.
(٢) في النسخ الخطية: تأوَّل، بدل: فأوّل. وأثبتُّها من المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨ (والكلام منه) والدُّرّ المصون ٧/ ٢٣١. ووقع في (ز١): دور، بدل: ذُرُور (وهو أول شروق الشمس) وفي مطبوع البحر: دورة.
(٣) في (أ) و(ح): بالظّلّ.
(٤) من كبار أصحاب الشَّلَوْبين، بلغ الغاية في النحو، وردَّ على ابن عصفور معظم اختياراته. والضائع، بالضاد المعجمة والعين المهملة. توفي سنة (٦٨٠هـ) ينظر بغية الوعاة ٢/ ٢٠٤.
(٥) زاد المسير ٤/ ٤٥٢.

وقالت فرقة: الظِّلالُ هنا الأشخاصُ، وهي المُرادة نفسُها، والعربُ تُخبرُ أحياناً عن الأشخاص بالظِّلال، ومنه قولُ عَبْدَة بنِ الطَّبيب:

إذا نَزَلْنَا نَصَبْنَا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ وفارَ للقوم باللحمِ المراجيلُ[1]

وإنما تُنصب الأخبية، ومنه قول الآخر:

تَتَبَّعُ أفياءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً[2]

أي: أفياءَ الأشخاص. قال ابن عطية[3]: وهذا كلُّه مُحتمِلٌ غيرُ صَرِيح، وإن كان أبو عليّ قَرَّرَه. انتهى.

والظاهر أنَّ السجود هنا عبارةٌ عن الانقياد وجَرَيانِها على ما أرادَ الله من مَيَلان تلك الظِّلال ودورانها، كما يقال للمشيرِ برأسِه إلى الأرض على جهة الخضوع: ساجدٌ.

قال الزمخشريُّ[4]: «سُجَّداً» حال من الظِّلال «وهم داخِرُون»حالٌ من الضمير في «ظلالُه» لأنه في معنى الجمع، وهو ما خلقَ الله من شيء له ظِلّ، وجُمع بالواو لأنَّ الدُّخُورَ من أوصاف العقلاء، أو لأنَّ في جملة ذلك مَنْ يعقلُ فغُلِّبَ. والمعنى أنَّ الظِّلالَ منقادة للهِ غيرُ ممتنعةٍ عليه فيما سخَّرَها له من التفيُّؤ، والأجرامُ في أنفسها داخرةٌ أيضاً صاغرةٌ منقادةٌ لأفعال الله فيها لا تمتنع. انتهى. فغايرَ الزمخشريُّ بين الحالَيْن، جعلَ «سُجَّداً» حالاً من الظِّلال، و«وهم داخرون» حالاً من الضمير في «ظِلالُه»، وأجازَ أبو البقاء[5] أن يكون «وهم داخرون» حالاً من الضمير في «سُجَّداً»[6]، وأن يكون حالاً ثانيةً من الظِّلال، كما تقول: جاء زيدٌ

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨، والكلام السالف فيه، والبيت أيضاً في الكامل ٢/ ٦٧٥، وفيه: ولمَّا نزلنا. وهو في المفضَّليَّات ص١٤١ برواية:

لـمَّا وَرَدْنا رَفَعْنا ظِلَّ أرْدِيةٍ وفارَ باللحمِ للقوم المراجيلُ

(٢) هو صدر بيت لعلقمة الفحل، وهو في ديوانه ص٤٠، وعجزُه: على طُرُقٍ كأنهنَّ سُيُوبُ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨، والكلام السالف قبله فيه أيضاً.

(٤) الكشاف ٢/ ٤١٢.

(٥) الإملاء ٢/ ٨١.

(٦) من قوله: في ظلاله... إلى هذا الموضع، سقط من المطبوع.

راكباً وهو ضاحك، فيجوزُ أن يكون «وهو ضاحك» حالاً من الضمير في «راكباً»، ويجوزُ أن يكون حالاً من «زيد» وهذا الثاني عندي أظهرُ، والعاملُ في الحالَيْن هو «تتفيَّؤ»، و«عن» متعلِّقة به. وقاله الحَوْفيُّ. وقيل: في موضع الحال، وقاله أبو البقاء، وقيل: «عن» اسمٌ، أي: جانبَ اليمين، فيكون إذ ذاك منصوباً على الظرف.

وأمَّا ما أجازَه الزمخشريُّ من أنَّ قوله: «وهم داخرون» حالاً من الضمير في «ظلاله»؛ فعلى مذهب الجمهور لا يجوز، وهي مسألة: جاءني غلامُ هندٍ ضاحكةً، ومن ذهبَ إلى أنه إذا كان المضافُ جزءاً أو كالجزء جاز، وقد يُجيز ذلك هنا ويقول: الظِّلالُ وإن لم تكن جُزءاً من الأجرام فهي كالجزء، لأنَّ وجودَها ناشئٌ عن وجودها.

وذهبت فرقة إلى أنَّ السجود هنا حقيقة؛ قال الضحاك: إذا زالتِ الشمسُ سجدَ كلُّ شيء قِبَلَ القِبلة من نبت وشجر، ولذلك كان الصالحون يستحبُّون الصلاة في ذلك الوقت.

وقال مجاهد: إنما تسجدُ الظِّلالُ دون الأشخاص، وعنه أيضاً: إذا زالت الشمس سجدَ كلُّ شيء[1].

وقال الحسن: أمَّا ظِلُّك فيسجدُ لله، وأمَّا أنتَ فلا تسجدُ له[2]!

وقيل: لمَّا كانت الظِّلالُ مُلْصَقةً بالأرض واقعةً عليها على هيئة الساجدِ وُصفت بالسجود[3]. وكونُ السجودِ يُراد به الحقيقة ـ وهو الوقوعُ على الأرض على سبيل العبادة وقصدِها ـ يبعُد، إذ يستدعي ذلك الحياةَ والعلمَ والقَصْدَ بالعبادة.

وخُصَّ الظِّلُّ بالذِّكر لأنه سريعُ التغيُّر، والتغيُّر يقتضي مغيِّراً غيَّره ومدبِّراً له، ولمَّا كان سجودُ الظِّلال في غاية الظهور بُدئَ به، ثم انتقلَ إلى سجود ما في السماوات والأرض.

---

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ١٤/ ٢٤١، والنكت والعيون ٣/ ١٩١، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) النكت والعيون ٣/ ١٩١، وتفسير الرازي ٢٠/ ٤٣.

(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ٤٣.

و«مِنْ دابَّة» يجوز أن يكون بياناً لـ «ما» في الظرفين، ويكون في السماوات خلقٌ يَدِبُّون، ويجوزُ أن يكون بياناً لـ «ما في الأرض» ولهذا قال ابنُ عباس: يريدُ كلَّ ما دَبَّ على الأرض[١].

وعطف «والملائكةُ» على «ما في السماوات وما في الأرض» وهم مندرجون في عموم «ما» تشريفاً لهم وتكريماً، ويجوزُ أن يُراد بهم الحفَظَة التي في الأرض، وبـ «ما في السماوات» ملائكتُهنّ، فلم يدخلوا في العموم. وقيل: لمَّا[٢] بيَّنَ تعالى في آية الظِّلال أنَّ الجماداتِ بأسرها منقادةٌ لله بَيَّنَ أنَّ أشرفَ الموجودات وهم الملائكة، وأخسَّها وهي الدوابُّ منقادةٌ له تعالى، ودلَّ ذلك على أنَّ الجميعَ منقاد لله تعالى[٣].

وقيل: الدابَّة اسمٌ لكلِّ حيوانٍ جسمانيّ يتحرَّك ويَدِبُّ، فلمَّا ميَّز الله تعالى الملائكةَ عن الدابَّة علمنا أنها ليست مما يَدِبُّ، بل هي أرواحٌ مختصَّة بحركة. انتهى[٤]. وهو قول فلسفيّ.

ولـمَّا كان بين المكلَّفين وغيرِهم قَدْرٌ مشترك في السُّجود ـ وهو الانقياد لإرادة الله ـ جمع بينهما فيه وإنِ اختلفا في كيفية السجود.

وقال الزمخشريّ[٥]: فإنْ قلتَ: فهلَّا جيءَ بـ «مَنْ» دون «ما» تغليباً للعقلاء من الدوابِّ على غيرهم؟

قلت: لأنه لو جيءَ بـ «مَنْ» لم يكن فيه دليل على التغليب، فكان متناوِلاً للعقلاء خاصةً، فجيءَ بما هو صالح للعقلاء وغيرِهم إرادةَ العموم. انتهى.

وظاهر السؤال تسليم أنَّ «مَنْ» قد تشملُ العقلاءَ وغيرَهم على جهة التغليب، وظاهر الجواب تخصيص «مَنْ» بالعقلاء، وأنَّ الصالح للعقلاء وغيرِهم «ما» دونَ «مَنْ». وهذا ليس بجواب لأنه أوردَ السؤال على التسليم، ثم ذكرَ الجواب على غير

---

(١) المصدر السالف ٢٠/ ٤٤.
(٢) كلمة «لمَّا» من (ح).
(٣) بنحوه في تفسيره الرازي ٢٠/ ٤٤ بأطول منه وأوضح.
(٤) في تفسير الرازي: أرواح محضة مجردة.
(٥) الكشاف ٢/ ٤١٢.

التسليم، فصار المعنى أنَّ «مَنْ» يُغَلَّبُ بها، والجوابُ لا يُغلَّب بها، وهذا في الحقيقة ليس بجواب.

والظاهر أنَّ الضمير في قوله: «يخافون» عائدٌ على المنسوب إليهم السجود في «ولله يَسْجُدُ» وقاله أبو سليمان الدمشقيّ. وقال ابنُ السائب ومقاتل: «يخافون» من صفة الملائكة خاصَّة[1]. فيعود الضمير عليهم.

وقال الكِرْمانيّ: «والملائكة» موصوفون بالخوف؛ لأنهم قادرون على العصيان وإنْ كانوا لا يعصون.

والفوقية المكانية مستحيلة بالنسبة إليه تعالى، فإنْ علَّقتَه بـ«يخافون» كان على حذف مضاف، أي: يخافون عذابَه كائناً من فوقهم، لأنَّ العذاب إنما ينزلُ من فوق، وإن علَّقْتَه بـ«ربّهم» كان حالاً منه، أي: يخافون ربَّهم عالياً لهم قاهراً؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وفي نسبة الخوف لمن نُسب إليه السجود أو الملائكة خاصة دليلٌ على تكليف الملائكة كسائر المكلّفين، وأنهم بين الخوف والرجاء مُدارون على الوَعْد والوَعِيد[2]؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٨-٢٩].

وقيل: الخوفُ خوفُ جلالٍ ومهابة.

والجملة من «يخافون» يجوز أن تكون حالاً من الضمير في «لا يستكبرون»، ويجوز أن تكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيداً له، لأنْ مَنْ خافَ اللهَ لم يستكبر عن عبادته[3].

وقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أما المؤمنون فبحسب الشرع والطاعة، وأما غيرُهم من الحيوان فبالتسخيرِ والقَدَرِ الذي يسوقُهم إلى ما نَفَذَ من أمر الله تعالى.

❁ ❁ ❁

---

(١) القولان في زاد المسير ٤/ ٤٥٤.
(٢) ينظر الكشاف ٢/ ٤١٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٤١٢.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ
إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ
يُشۡرِكُونَ (٥٤) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٥٥) وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا
مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ (٥٦) وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا
يَشۡتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ (٥٨) يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٦٠) وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ
ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا
يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ (٦١) وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ
أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ (٦٢) تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ
مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٦٣) وَمَآ أَنزَلۡنَا
عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٦٤) وَٱللَّهُ
أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمۡ
فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ (٦٦)
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ (٦٧) وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ (٦٨)
ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ
شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ
إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ (٧٠) وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ
أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ (٧١) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم
بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ (٧٢) وَيَعۡبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا
تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ (٧٤)﴾.

المفردات

وَصَبَ الشيءُ: دامَ؛ قال أبو الأسود الدُّؤليّ:

لا أبتغي الحَمْدَ القليلَ بقاؤُهُ يوماً بِذَمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبا[1]

وقال حسان:

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ يَسْفِي به وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبُ[2]

والعَلِيل وَصِيب، لكونِ المَرَضِ لازماً له. وقيل: الوَصَبُ التعبُ، وَصَبَ الشيءُ: شَقَّ، ومفازةٌ واصِبةٌ: بعيدةٌ لا غايةَ لها.

الجُؤارُ: رفعُ الصوتِ بالدُّعاءِ؛ قال الأعشى يصفُ راهباً:

يُداومُ مِنْ صَلَواتِ المَلِيـ ـكِ طَوْراً سُجوداً وطَوْراً جُؤَارَا[3]

ويُرْوَى: يُراوِحُ.

دَسَّ الشيءَ في الشيء: أخفاه فيه.

الفَرْثُ: كثيفُ ما يَبقَى من المأكول في الكَرِش أو المِعَى.

النحل: حيوانٌ معروف.

الحَفَدَة: الأعوانُ والخَدَم، ومن يُسارِعُ في الطاعة، حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً وحُفُوداً وحَفَداناً، ومنه: «وإليك نَسْعَى ونَحْفِدُ»[4] أي: نُسْرِعُ في الطاعة.

وقال الشاعر:

حَفَدَ الولائدُ حَوْلَهنَّ وأُسْلِمَتْ بأكُفِّهِنَّ أزِمَّةُ الأجْمالِ[5]

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣٦١، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٤٧، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٢٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠، وزاد المسير ٤/ ٤٥٦.

(٢) ديوان حسان ص٢١، وتفسير القرطبي ١٤/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠.

(٣) ديوان الأعشى ص١٠٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠، وروايتُه فيهما: يُراوح.

(٤) قطعة من دعاء القنوت، أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩) عن خالد بن أبي عمران، وفيه قصة.

(٥) نُسب البيت لجميل في مجاز القرآن ١/ ٣٦٤، وتفسير الطبري ١٤/ ٣٠٢، والنكت والعيون ٣/ ٢٠٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٨، ونُسب في جمهرة اللغة ٢/ ١٢٣ للفرزدق، ونُسب في غريب الحديث للهروي ٣/ ٣٧٤ للأخطل.

وقال الأعشى:

كَلَّفْتُ مجهودَها[١] نُوقاً يمانيَّةً إذا الحُداةُ على أكسائِها حَفَدُوا[٢]

ويتعدَّى فيقال: حَفَدَني، فهو حافدي؛ قال الشاعر:

يَحْفِدُون الضَّيفَ في أبياتهم كَرَماً ذلك منهم غيرَ ذُلّ[٣]

قال أبو عبيدة: وفيه لغة أخرى: أَحْفَدَ إحفاداً. وقال: الحَفَد العملُ والخِدمة[٤].

وقال الخليل: الحَفَدَة عند العرب الخَدَم. وقال الأزهريّ[٥]: الحَفَدَة: أولادُ الأولاد. وقيل: الأَخْتان. وأنشد:

فلو أنَّ نفسي طاوعَتْني لأصبَحَتْ لها حَفَدٌ ممَّا يُعَدُّ كثيرُ

ولكنَّها نفسٌ عَلَيَّ أَبِيَّةٌ عَيوفٌ لأصهارِ اللئامِ قَذُورُ[٦]

* * *

التفسير ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

---

(١) في المصادر كلها: مجهولها.

(٢) نسبه كذلك القرطبي ١٢/ ٣٧٨. وإنما البيت للراعي النُّميري، وهو في ديوانه ص٥٨. وفي غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٩٧ برواية: تغتالُ مجهولَها نوقٌ...، وتفسير الطبري ١٤/ ٣٠٣، والنكت والعيون ٣/ ٢٠٣. والأكساء جمع كُسْي، وهو مؤخر العَجُز وكلّ شيء. القاموس (كسا).

(٣) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢٠٢ لطرفة بن العبد. ولم أقف عليه في ديوانه المطبوع.

(٤) قاله أبو عُبيد في غريب الحديث ٣/ ٣٧٤-٣٧٥، ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٤٢٧. ولم أقف عليه عن أبي عُبيدة.

(٥) تهذيب اللغة ٤/ ٤٢٧، ونقله عنه أيضاً القرطبي ١٢/ ٣٧٨.

(٦) البيتان للنُّعمان بن بشير، وهما في ديوانه ص١٠٢، والثاني منهما فيه برواية: عَلَيَّ كريمة. وهما برواية المصنِّف في النكت والعيون ٣/ ٢٠٢، وزاد المسير ٤/ ٤٦٩.

لمَّا ذكرَ انقيادَ ما في السماواتِ وما في الأرضِ لِما يُرِيدُه تعالى منها، فكان هو المنفردَ بذلك؛ نهى عن أن يُشْرَكَ به، ودَلَّ النهيُ عن اتِّخاذِ إلهَيْنِ على النَّهْي عن اتخاذِ آلهة، ولمَّا كان الاسمُ الموضوعُ للإفراد والتثنية قد يُتجوَّزُ فيه، فيُرادُ به الجنس، نحو: نِعْمَ الرَّجلُ زيدٌ، ونِعْمَ الرَّجلانِ الزيدانِ، وقولِ الشاعر:

فإنَّ النَّارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى وإنَّ الحَرْبَ أوَّلُها الكلامُ[1]

أكَّدَ الموضوعَ لهما بالوَصْف، فقيل: إلهَيْنِ اثْنَيْنِ، وقيل: إلهٌ واحدٌ.

وقال الزمخشري[2]: الاسمُ الحاملُ لمعنى الإفراد أو التثنية دالٌّ على شيئين: على الجنسيَّة، والعددِ المخصوص، فإذا أردتَ الدلالةَ على أنَّ المَعْنِيَّ به منهما[3] والذي يُساقُ إليه الحديثُ هو العددُ؛ شُفِعَ بما يُؤكِّدُه، فدُلَّ به على القصدِ إليه والعنايةِ به، ألا ترى أنَّك: لو قلتَ: إنَّما هو إله، ولم تُؤكِّدْهُ بـ «واحد» لم يحسُن، وخُيِّلَ أنك تُثبت الإلهيَّةَ لا الوَحْدَانيَّة. انتهى.

والظاهر أنَّ «لا تتَّخِذُوا» تعدَّى إلى واحد، و«اثنين» كما تقدَّم تأكيدٌ.

وقيل: هو متعدٍّ إلى مفعولين؛ فقيل: تقدَّم الثاني على الأول، وذلك جائز، والتقدير: لا تتَّخِذُوا اثنَيْن إلهَيْن[4]. وقيل: حُذِفَ الثاني للدلالة، تقديرُه: معبوداً، و«اثنين» على هذا القول تأكيدٌ.

وتقرير منافاة الاثنينيَّة للإلهيَّة من وجوه ذُكرت في علم أصول الدين.

ولمَّا نَهى عن اتِّخاذِ إلهَيْن واستلزمَ النهيَ عن اتِّخاذ آلهة؛ أخبرَ تعالى أنه إلهٌ واحد كما قال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ بأداة الحصر، وبالتأكيدِ بالوَحْدة، ثم أمرَهم بأنْ يرهبوه، والتفتَ من الغيبة إلى الحضور، لأنه أبلغُ في الرَّهبة.

---

(١) البيت لنَصْرِ بنِ سَيَّار في أبيات كتبها إلى مروان (أو هشام أو الوليد في روايات) في شأن أبي مسلم الخُراساني وأصحابه من المسوِّدة. ينظر عيون الأخبار ١/ ١٢٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٣٦٩، وأنساب الأشراف ٧/ ٦٤٧، والعقد الفريد ١/ ٩٤، والأغاني ٧/ ٥٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٤١٣.

(٣) تحرفت اللفظة في المطبوع إلى: مبهم.

(٤) استبعده السمين في الدر المصون ٧/ ٢٣٥.

وانتصب «إيَّايَ» بفعل محذوف مقدَّر التأخير عنه يدلُّ عليه: «فارهبون»، وتقديرُه: وإيَّايَ ارْهَبُوا. وقولُ ابنِ عطيَّة[١]: «فإيايَ» منصوب بفعل مضمر تقديرُه: فارْهَبُوا إيَّايَ فارْهَبُونِ، ذهولٌ عن القاعدة في النحو أنَّه إذا كان المفعولُ ضميراً منفصلاً والفعلُ متعدٌّ إلى واحد هو الضمير وجبَ تأخيرُ الفعل، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ولا يجوزُ أن يتقدَّم إلا في ضرورة، نحو قولِه:

إليكَ حتى بَلَغَتْ إيَّاكا[٢]

ثم التفتَ من التكلُّم إلى ضمير الغَيْبَة، فأخبرَ تعالى أنَّ له ما في السماواتِ والأرضِ، لأنه لمَّا كان هو الإلهَ الواحدَ الواجبَ[٣] لذاته؛ كان ما سواه موجوداً بإيجاده وخَلْقِه.

وأخبرَ أنَّ له الدينَ واصباً؛ قال مجاهد: «الدِّين»: الإخلاص. وقال ابنُ جُبير: العبادة. وقال عكرمة: شهادةُ أن لا إلهَ إلا الله وإقامةُ الحدود والفرائضِ[٤].

وقال الزمخشريّ وابنُ عطية[٥]: الطاعة، زاد ابنُ عطية: والمُلك، وأنشد:

فـي دِيـنِ عَـمْـرٍو وحـالَـتْ بَـيْـنَـنـا فَـدَكُ[٦]

أي: في طاعتِه ومُلكِه.

وقال الزمخشريّ: أو: وله الجزاءُ دائماً ثابتاً سَرْمَداً لا يزولُ، يعني الثوابَ والعقابَ.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٢) الرَّجَز لحُميد الأرقط، وهو في الكتاب ٢/ ٣٦٢، وأمالي ابن الشجري ١/ ٥٨، والأصول في النحو ٢/ ١٢٠، والخصائص ١/ ٣٠٧ و٢/ ١٩٤، والإنصاف ٢/ ٦٩٩. وقبلَه كما في خزانة الأدب ٥/ ٢٨٠-٢٨١: أتَتْك عَنْسٌ تقطعُ الأراكا. قال البغدادي: العَنْس: الناقة الشديدة، أي تقطع الأراضي التي هي منابتُ للأراك.

(٣) في (يه): الواجب الوجود.

(٤) الأقوال في زاد المسير ٤/ ٤٥٥، وفيه قول رابع عن ابن قتيبة وهو الطاعة.

(٥) الكشاف ٢/ ٤١٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠.

(٦) هو عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى، وصدرُه: لئن حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أسدٍ. وهو في ديوانه ص١٨٣ بشرح ثعلب، وجاء في شرحه: جَوّ: وادٍ.

وقال ابنُ عبَّاس وعكرمة والحسن ومجاهد والضحَّاك وقتادة وابنُ زيد والثوريُّ: «واصباً» دائماً[١].

قال الزمخشريّ: والواصِب: الواجبُ الثابت، لأنَّ كلَّ نعمةٍ منه، فالطاعةُ واجبةٌ له على كلِّ مُنْعَمٍ عليه.

وذكرَ ابنُ الأنباريّ أنه من الوَصَب، وهو التعب[٢]، وهو على معنى النَّسَب، أي: ذا وَصَب، كما قال:

أضْـــحَـــى فـــؤادي بـــه فـــاتِـــنـــا[٣]

أي: ذا فُتُون.

قال الزمخشريّ: أي[٤]: وله الدينُ ذا كُلْفةٍ ومَشَقَّة، ولذلك سُمِّيَ تكليفاً. انتهى.

وقال الزجَّاج: يجوزُ أن يكون المعنى: وله الدينُ والطاعةُ، رَضِيَ العبدُ بما يُؤْمَرُ به وسَهُلَ عليه أم لم يسهل[٥]، فله الدِّين، وإن كان فيه الوَصَبُ. والوَصَبُ شدَّةُ التعب.

وقال الربيع بنُ أنس: «وَاصِباً»: خالصاً[٦].

قال ابنُ عطيَّة[٧]: والواو في «وله ما في السماوات والأرض» عاطفة على قوله: «إلهٌ واحدٌ»، ويجوزُ أن تكون واوَ ابتداء. انتهى.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢٤٧-٢٤٩، والنكت والعيون ٣/ ١٩٣، وزاد المسير ٤/ ٤٥٥.
(٢) بنحوه في زاد المسير ٤/ ٤٥٦ (عن ابن الأنباري)، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠.
(٣) هو في الصحاح ٦/ ٢١٧٦ (وفيه: أمسى)، ومعجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٣، وتاج العروس (فتن)، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠ (والكلام منه). وصدره: رخيم الكلام قطيع القيام.
(٤) في (أ) و(ح): أو. والكلام في الكشاف ٢/ ٤١٣.
(٥) في النسخ والمطبوع: لا يسهل، والمثبت من معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٣، وزاد المسير ٤/ ٤٥٦.
(٦) زاد المسير ٤/ ٤٥٦، وحكاه الماوردي في النكت والعيون ٣/ ١٩٣ عن الفراء والكلبي.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠.

ولا يقال واو ابتداء إلا لواوِ الحال، ولا يظهر هنا الحالُ، وإنَّما هي عاطفة، فإمَّا على الخَبَر كما ذكرَ أوَّلاً، فتكون الجملة في تقدير المفرد؛ لأنَّها معطوفةٌ على الخَبَر، وإمَّا على الجملة بأسرها التي هي: «إنما هو إلهٌ واحد» فيكون من عطف الجُمل.

وانتصب «واصباً» على الحال، والعاملُ فيها هو ما يتعلَّق به المجرور.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ استفهام تَضَمَّنَ التوبيخ والتعجُّب، أي بعدَ ما عرفتُم وَحدانيَّته وأنَّ ما سواه له ومحتاجٌ إليه؛ كيف تتقون وتخافون غيرَه ولا نَفْعَ ولا ضُرَّ يقدر عليه؟!

ثم أخبرَ تعالى بأنَّ جميعَ النِّعمِ المُلْتَبِسَةِ بنا[1] إنما هي من إيجادِه واختراعِه، ففيه إشارة إلى وجوب الشُّكر على ما أَسْدَى من النِّعم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، ونِعَمُه تعالى لا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

و«ما» موصولة، وصِلتُها «بكم»، والعاملُ فعلُ الاستقرار، أي: وما استقرَّ بكم. و«من نعمةٍ» تفسيرٌ لـ «ما»، والخبرُ: «فمن الله»، أي: فهي من قِبَلِ الله، وتقديرُ الفعلِ العامل في «بكم» خاصّاً كـ «حَلَّ» أو «نَزَلَ» ليس بجيِّد[2].

وأجاز الفرَّاء والحَوْفيُّ أن تكون «ما» شرطيَّة وحُذف فعلُ الشرط؛ قال الفرَّاء[3]: التقدير: وما تكن بكم من نعمة. وهذا ضعيفٌ جدّاً؛ لأنه لا يجوزُ حذفُه إلا بعد «إنْ» وحدَها في باب الاشتغال، أو متلوَّة بـ «لا»[4] النافية مدلولاً عليه بما قبلَه، نحو قوله:

فَطَلِّقْها فلستَ لها بِكُفْءٍ ... وإلَّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسَامُ[5]

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: المكتسبة، وفي المطبوع: منا.
(٢) علَّله السمين في الدر المصون ٧/ ٢٣٨ بقوله: إذ لا يُقَدَّر إلا كونٌ مطلق. وينظر الكشاف ٢/ ٤١٣.
(٣) معاني القرآن ٢/ ١٠٤.
(٤) المثبت من (ز١). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: ما. وهو خطأ.
(٥) البيت للأحوص، وهو في ديوانه ص١٩١. وينظر أمالي ابن الشجري ٢/ ٩٦، والإنصاف ١/ ٧٢. وسلف في تفسير الآية (٥٤) من سورة البقرة.

أي: وإلا تُطَلِّقْها، حذف «تُطَلِّقْها» لدلالة «طَلِّقْها» عليه.

وحذفهُ بعد «إنْ» متلوَّة بـ «لا» مختصٌّ بالضرورة، نحو قوله:

قالَتْ بناتُ العَمِّ يا سَلْمَى وإنْ كانَ عَيِيّاً[1] مُعْدِماً قالت وإنْ[2]

أي: وإنْ كان فقيراً مُعْدِماً. وأمَّا غير «إنْ» من أدوات الشرط، فلا يجوزُ حذفُه إلا مدلولاً عليه في باب الاشتغال مخصوصاً بالضرورة، نحو قوله:

أينما الرِّيحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ[3]

التقدير: أينما تُمَيِّلْها الرِّيحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ.

ولمَّا ذكرَ تعالى أنَّ جميع النِّعَم منه؛ ذكرَ حالةَ افتقارِ العبدِ إليه وحدَه حيث لا يدعُو ولا يتضرَّع لسواه، وهي حالةُ الضُّرّ، والضُّرُّ يشملُ كلَّ ما يُتضَرَّرُ به من مرضٍ أو فقرٍ أو حبسٍ أو نَهْبِ مالٍ وغيرِ ذلك.

وقرأ الزُّهْريُّ: «تَجَرُون» بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم[4]. وقرأ قتادة: «كاشَفَ»[5] وفاعَلَ هنا بمعنى فَعَلَ.

و«إذا» الثانية للفُجاءة، وفي ذلك دليلٌ على أنَّ «إذا» الشرطيَّة ليس العامل فيها الجواب؛ لأنه لا يعملُ ما بعد «إذا» الفُجائية فيما قبلَها.

و«منكم» خطابٌ للذين خُوطِبُوا بقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾ إذ «بكم» خطابٌ عامٌّ،

---

(١) في المطبوع والمصادر: فقيراً، وسلف برواية: عَيِيّاً في تفسير الآية (٥٤) من البقرة، وكذلك هو في الارتشاف ٥/ ٢٤٢٦.

(٢) الرجز لرؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص١٨٦، وفيه: يا اسْلَمِي. والذي في المصادر: يا سَلْمَى.

(٣) هو عجز بيت لكعب بن جُعيل، وصدرُه: صَعْدَةٌ نابتةٌ في حائرٍ. وهو في الكتاب ٣/ ١١٣، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٨٢ و٣/ ١٣٠، والإنصاف ٢/ ٦١٨، وخزانة الأدب ٣/ ٤٧.

(٤) المحتسب ٢/ ١٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٠، وهي في الكشاف ٢/ ٤١٣ دون نسبة.

(٥) القراءات الشاذة ص٧٣، والمصادر السالفة. قال الزمخشري: هو أقوى من «كَشَفَ» لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة. اهـ. وضَعَّفَها ابنُ عطية. ملاحظة: لم ترد كلمة «قتادة» في (أ) و(ح)، فعُطفت القراءة فيهما على ما قبلها فصارت منسوبة للزهري، ونُسبت إليه في روح المعاني ١٤/ ١٦١.

والفريقُ هنا هم المشركون المعتقدون حالةَ الرَّخاء[١] أنَّ آلهتَهم تنفعُ وتضرُّ وتَشفِي. وعن ابن عباس: المنافقون، وعن ابن السائب: الكفَّار[٢].

و«منكم» في موضع الصفة، و«من» للتبعيض، وأجاز الزمخشريّ أن تكون «من» للبيان لا للتبعيض؛ قال: كأنه قال: فإذا فريقٌ كافرٌ وهم أنتم؛ قال: ويجوزُ أن يكون فيهم من اعتبر، كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢] انتهى.

واللام في «ليكفروا» إن كانت للتعليل كان المعنى أنَّ إشراكَهم بالله سببهُ كفرُهم به، أي: جُحودُهم، أو كفرانُ نعمتِه، وبما آتيناهم من النِّعم، أو من كَشْفِ الضُّرِّ، أو من القرآن المُنزل إليهم.

وإن كانت للصيرورة فالمعنى صارَ أمرُهم ليكفروا، وهم لم يَقْصِدُوا بأفعالهم تلك أنْ يكفُروا، بل آلَ أمرُ ذلك الجُؤارِ والرغبةِ إلى الكفر بما أنعمَ عليهم، أو إلى الكفر الذي هو جُحودُه والشركُ به.

وإن كانت للأمر فمعناه التهديدُ والوعيد؛ وقال الزمخشريّ[٣]: «ليكفُروا» «فتمتَّعوا» يجوز أن يكون من الأمر الوارد في معنى الخِذْلان والتخلية، واللامُ لامُ الأمر. انتهى. ولم يخلُ كلامُه من ألفاظ المعتزلة، وهي قوله: في معنى الخِذْلان والتخلية.

وقرأ أبو العالية: «فيُمْتَعُوا» بالياء باثنتين من تحتها مضمومة مبنياً للمفعول ساكنَ الميم، وهو مضارع «مُتِعَ» مخفَّفاً[٤]، وهو معطوف على «ليكفروا»، وحُذفت النون إمَّا للنصب عطفاً إن كان «يكفُروا» منصوباً، وإمَّا للجزم إن كان مجزوماً إن كان عطفاً، وإمَّا للنصب إن كان جوابَ الأمر.

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: الرجاء.
(٢) زاد المسير ٤/٤٥٧.
(٣) الكشاف ٢/٤١٤.
(٤) لم أقف على هذا التقييد عند غير المصنف، والذي في القراءات الشاذة ص٧٣، والمحتسب ٢/١١، والمحرر الوجيز: فيُمَتَّعُوا، مفتوح الميم مشدَّد التاء.

وعنه: «فسوف يعلمون» بالياء على الغَيْبة، وقد رواهما مكحول الشاميّ عن أبي رافع مولى النبيّ عن النبيّ ﷺ[(١)].

والتمتع هنا هو بالحياة الدُّنيا، ومآلُها إلى الزوال.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

الضمير في «ويجعلون» عائدٌ على الكفار، والظاهرُ أنه في «يعلمون» عائدٌ عليهم.

و«ما» هي الأصنامُ، أي: للأصنام التي لا يعلم الكفار أنها تضرُّ وتنفع، أو لا يعلمون في اتخاذها آلهةً حُجَّةً ولا برهاناً، وحقيقتُها أنها جَمادٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ ولا تشفع، فهم جاهلون بها.

وقيل: الضمير في «لا يعلمون» للأصنام، أي: للأصنام التي لا تعلم شيئاً ولا تشعرُ به؛ إذ هي جَمادٌ لم يَقُم بها عِلمٌ البتة.

والنَّصيب: هو ما جعلُوه لها من الحَرْث والأنعام؛ قبَّح تعالى فِعْلَهم ذلك، وهو أن يُفرِدُوا نصيباً ممَّا أنعمَ به تعالى عليهم لجماداتٍ لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تنتفعُ هي بجعل ذلك النصيب لها.

ثم أقسم تعالى على أنه يسألُهم عن افترائهم واختلاقِهم في إشراكهم مع الله آلهةً. وأنها أهلٌ للتقرُّب إليها بجعلِ النَّصيبِ لها.

والسؤالُ في الآخرة، أو عند عذابِ القبر، أو عند القُربِ من الموت، أقوال.

ولمَّا ذكرَ تعالى أنه يسألُهم عن افترائهم؛ ذكَرَ أنهم مع اتِّخاذِهم آلهةً نَسبُوا إلى الله تعالى التوالد، وهو مستحيل، ونسبُوا ذلك إليه فيما لم يرتضُوه، وتَرْبَدُّ

---

(١) المصادر السالفة.

وجوهُهم من نسبته إليهم، ويكرهونه أشدَّ الكراهة. وكانت خُزاعةُ وكِنانةُ تقول: الملائكةُ بناتُ الله[١].

«سبحانَه»: تنزيهٌ له تعالى عن نسبةِ الولدِ إليه.

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ وهم الذُّكور. وهذه الجملةُ مبتدأ وخبر.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ في «ما يشتهون» الرفعُ على الابتداء، والنصبُ على أن يكون معطوفاً على «البنات» أي: وجعلُوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور. انتهى.

وهذا الذي أجازَه من النصب تَبِعَ فيه الفرَّاءَ والحَوْفيَّ[٢]. وقال أبو البقاء ـ وقد حكاه ـ: وفيه نظر[٣]. وذَهَلَ هؤلاء عن قاعدة في النحو، وهو أنَّ الفعلَ الرافعَ لضمير الاسم المتَّصلِ لا يتعدَّى إلى ضميرِه المتصل المنصوب، فلا يجوز: زيدٌ ضربَه، تريدُ: ضربَ نفسَه، إلا في باب ظَنَّ وأخواتِها من الأفعال القلبيَّة وفَقَدَ وعَدِمَ، فيجوزُ: زيدٌ ظنَّه قائماً، وزيدٌ فَقَدَهُ، وزيدٌ عَدِمَهُ. والضميرُ المجرورُ بالحرف كالمنصوب المتصل، فلا يجوز: زيدٌ غَضِبَ عليه، تريد: غَضِبَ على نفسه. فعلى هذا الذي تقرَّر لا يجوزُ النصب، إذ يكون التقدير: ويجعلون لهم ما يشتهون، فالواو ضميرٌ مرفوع، و«لهم» مجرور باللام، فهو نظير: زيدٌ غضب عليه.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ المشهورُ أنَّ البِشارة أوَّلُ خَبَرٍ يَسُرُّ، وهنا قد يُرادُ به مطلقُ الإخبار، أو تغيُّر البَشَرَة، وهو القَدْرُ المشترك بين الخبر السارِّ أو المُحْزِنِ[٤]. وفي هذا تقبيحٌ لنسبتِهم إلى الله المنزَّهِ عن الولد البناتِ، وأحدُهم أَكْرَهُ الناسِ فيهنَّ، وأنفرُهُم طَبْعاً عنهنَّ.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤١٤.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٥، وكلام الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤١٤.
(٣) الإملاء ٢/ ٨٢. غير أن أبا البقاء لم يجعل النظر في هذا الوجه، إنما جعلَه في تضعيفه، حيث نقل عن قوم أنهم ضعَّفوه، ثم قال بإثره: وفيه نظر. وقد نبَّه عليه السمين الحلبي في الدُّرِّ المصون ٧/ ٢٤٤.
(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: المخبرين. وهو تحريف.

و«ظَلَّ» تكون بمعنى «صارَ»، وبمعنى: أقامَ نهاراً على الصفة التي تُسْنَد إلى اسمها[(١)]، وهنا[(٢)] تَحتَمِلُ الوجهين، والأظهرُ أن تكونَ بمعنى «صار»؛ لأنَّ التبشيرَ قد يكون في ليلٍ ونهار، وقد تُلحظ الحالةُ الغالبةُ من أنَّ أكثر الولادات تكونُ بالليل، ويتأخَّرُ إخبارُ المولودِ له إلى النهار؛ وخصوصاً بالأنثى، فيكون ظُلُولُه على ذلك الوَصْفِ طُولَ النهار.

واسوِدادُ الوَجْهِ كنايةٌ عن العُبُوسِ والغَمِّ والتَّكَرُّهِ والنُّفْرَةِ التي لَحِقَتْهُ بولادة الأنثى. قيل: إذا قَوِيَ الفَرَحُ انبسطَ رُوحُ القلب من داخله، ووصَلَ إلى الأطراف، ولاسيَّما إلى الوجهِ لِما بين القلب والدِّماغ من التعلُّق الشديد، فتَرَى الوجهَ مشرقاً متلألئاً، وإذا قَوِيَ الغمُّ انحصرَ الرُّوحُ إلى باطن القلب، ولم يبقَ له أثرٌ قويٌّ في ظاهر الوجه، فيَرْبَدُّ الوجهُ ويصفرُّ ويسودُّ، ويظهرُ فيه أثرُ الأرضيَّة، فمن لوازمِ الفرحِ استنارةُ الوَجْهِ وإشراقُهُ، ومن لوازم الغمِّ والحُزنِ ارْبِدَادُهُ واسوِدَادُه، فلذلك كُني عن الفَرَح بالاستنارة، وعن الغمِّ بالاسوِداد[(٣)].

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي ممتلئ القلب حُزناً وغمًّا، وأخبرَ عمَّا يظهرُ في وجهه، وعمَّا يُجِنُّهُ في قلبه. و«كَظِيم» يَحتَمِلُ أن يكون للمبالغة، ويَحتَمِلُ أن يكون بمعنى مفعول، كقوله: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. ويقال: سِقاءٌ مكظوم، أي: مملوءٌ مشدودُ الفم.

ورَوَى الأصمعيُّ أنَّ امرأةً ولَدَتْ بنتاً سمَّتْها الذَّلْفاء، فهَجَرَها زوجُها، فقالت:

مـا لأبـي الـذَّلْـفـاءِ لا يـأتِـيـنـا ... يَـظَـلُّ فـي الـبـيـت الـذي يَـلِـيـنـا
يَـحْـرِدُ أن لا نَـلِـدَ الـبَـنِـيـنَـا ... وإنَّـمـا نـأخُـذُ مـا يُـعـطِـيـنـا[(٤)]

(١) وقال المصنف في الارتشاف ٣/ ١١٥٦ في معنى «ظلَّ»: اتِّصاف الموصوف بالصفة نهاراً. وقال ابن عقيل ١/ ٢٦٨: اتصاف المُخبَرِ عنه بالخبر نهاراً.
(٢) لفظ «وهنا» من (ز١) و(يه).
(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٠/ ٥٥.
(٤) بنحوه في البيان والتبيين ١/ ١٨٦ و٤/ ٤٧، والعقد الفريد ٣/ ٤٨٢ ومحاضرات الأدباء ١/ ٦٨٠، وتفسير كل من الكشاف ٣/ ٤٨٢، والقرطبي ١٩/ ١٨ (عند تفسير الآية ١٧ من سورة الزخرف).

«يتوارى»: يختفي من الناس، و«مِنْ» في «مِنْ سُوء» للتعليل، أي: الحاملُ له على التواري هو سُوءُ ما أُخبِرَ به، وقد كان بعضُهم في الجاهلية يتوارَى حالةَ الطَّلْق، فإنْ أُخبِرَ بولدٍ ذَكَرٍ ابتهجَ وظَهَرَ، أو أُنثى حَزِنَ وتَوَارَى أيَّاماً يُدَبِّرُ فيها ما يصنع.

﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ قبلَه حالٌ محذوفةٌ دلَّ عليها المعنى، والتقدير: مفكِّراً أو مُدَبِّراً أيُمْسِكُهُ، وذكَّرَ الضميرَ ملاحظةً للفظِ «ما» في قوله: ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾.

وقرأ الجَحْدريُّ: «أَيُمْسِكُها على هَوَانٍ أم يَدُسُّها» بالتأنيث عَوْداً على قوله: «بالأنثى» أو على معنى «ما بُشِّر بهِ»، وافقَه عيسى على قراءة: «هَوَان» على وزن فَعَال. وقرأت فرقة: «أَيُمْسِكُهُ» بضمير التذكير «أم يَدُسُّها» بضمير التأنيث(١).

وقرأت فرقة: «على هَوْنٍ» بفتح الهاء(٢).

وقرأ الأعمش: «على سُوء»(٣) وهي عندي تفسيرٌ لا قراءة؛ لمخالفتها السَّوَاد المُجمَع عليه.

ومعنى الإمساك حبسُه وتربيتُه، والهُونُ الهَوَان، كما قال: ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣]. والهَوْن بالفتح: الرِّفْق واللِّين(٤): ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾ قولان:

أحدُهما: أنه حالٌ من الفاعل، وهو مرويٌّ عن ابن عباس، قال ابن عباس: إنه صفة للأب، والمعنى أيُمْسِكُها مع رِضاه بِهَوانِ نفسِه وعلى رُغم أنفِهِ(٥)؟

وقيل: حال من المفعول، أي: أيُمْسِكُها مُهَانةً ذليلةً؟.

---

(١) ينظر ما سلف من قراءات في القراءات الشاذة ص٧٣، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٦، والكشاف ٢/ ٤١٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٢، وزاد المسير ٤/ ٤٥٨-٤٥٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤١.

(٢) القراءات الشاذة ص٧٣. قال الآلوسي ١٤/ ١٦٨: هو بمعنى الذُّلِّ أيضاً، ويكون بمعنى الرِّفق واللِّين، وليس بمراد.

(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٤٠٢.

(٤) وليس بمراد هنا كما سلف قبل تعليق.

(٥) تفسير الرازي ٢٠/ ٥٥.

والظاهر من قوله: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾أنّه يَئِدُها، وهو دَفْنُها حيَّةً حتى تموت. وقيل: دَسُّها إخفاؤُها عن الناس حتى لا تُعرف، كالمدسُوسِ في التراب.

والظاهرُ من قوله: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾رجوعُه إلى قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ الآية، أي: ساءَ ما يحكمون في نِسبتِهم إلى الله ما هو مستكرةٌ عندَهم، نافرٌ عنهنَّ طبعُهم، بحيث لا يحتملُون نسبتَهنَّ إليهم، ويَئِدُونهنَّ استنكافاً منهنَّ، ويَنسُبون إليهم الذَّكَرَ كما قال: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١].

وقال ابنُ عطية: ومعنى الآية: يُدَبِّرُ؛ أيُمسِكُ هذه الأنثى على هَوَانٍ يتجلَّدُ له[١]، أم يَئِدُها فيدفنُها حَيَّةً؟ فهو الدَّسُّ في التراب، ثم استقبحَ اللهُ سُوءَ فِعْلِهِم وحُكْمِهم بهذا في بناتهم، ورِزْقُ الجميع على الله. انتهى. فعلَّق «ألا ساءَ ما يحكمون» بصنعِهم[٢] في بناتِهم.

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ قيل: «مَثَل» بمعنى صِفَة، أي: صِفَةُ السَّوء، وهي الحاجةُ إلى الأولاد الذُّكور، وكراهةُ الإناث، ووَأْدُهنَّ خشيةَ الإملاق، وإقرارُهم على أنفسهم بالشُّحِّ البالغ.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ أي: الصفةُ العُليا، وهي الغِنَى عن العالَمين، والنزاهةُ عن سِمات المُحدَثين[٣].

وقيل: «مَثَلُ السَّوْء» هو وَصْفُهم اللهَ تعالى بأنَّ له البناتِ، وسَمَّاه مَثَلَ السَّوْء لنسبتِهم الوَلَدَ إلى الله، وخصوصاً على طريق الأنوثة التي هم يستنكفون منها.

وقال ابنُ عبَّاس: «مَثَلُ السَّوْء»: النَّار[٤].

وقال ابنُ عطيَة: قالت فِرْقة: «مَثَل» بمعنى: صفة[٥]، أي: لهؤلاء صفةُ السَّوْء، وللهِ الوصفُ الأعلى. وهذا لا يُضطَرُّ إليه لأنه خروجٌ عن اللفظ، بل قولُه: «مَثَلُ»

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٢: على هَوَانٍ يتحمَّلُه وهَمٍّ يتجلَّدُ له.
(٢) في (ز١): بصنيعهم.
(٣) بنحوه في الكشاف ٢/ ٤١٤-٤١٥.
(٤) تفسير الثعلبي ٣/ ٥٢١. قال الآلوسي في روح المعاني ١٤/ ١٦٩: أظنُّه لا يصحُّ عنه.
(٥) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٢: «مَثَل» في هذه الآية بمعنى صفة.

على بابه، وذلك أنهم إذا قالوا: إنَّ البناتِ لله، فقد جعلوا للهِ مثلاً بالبناتِ[١] من البشر، وكثرةُ البناتِ مكروهٌ عندهم ذميمٌ، فهو المَثَلُ السَّوْء الذي أخبرَ الله تعالى أنَّه لهم، وليس في البنات فقط، بل لمَّا جعلُوه هم [في] البنات؛ جعلَه هُو لهم على الإطلاق في كلِّ سُوء، ولا غايةَ أبعدُ من عذاب النار، وقولُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ على الإطلاق، أي: الكمال المستغنِي. وقال قتادة[٢]: «المَثَلُ الأعلى»: لا إله إلا الله. انتهى. وقولُ قتادة مرويٌّ عن ابن عبَّاس[٣].

ولمَّا تقدَّم قولُه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ الآية؛ فقدَّم[٤] ما نسبوا إلى الله، وأتى ثانياً ما كان منسوباً لأنفسهم؛ بدأ هنا بقوله: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ وأتى بعد ذلك بما يُقابل قولَه سبحانه وتعالى من التنزيه؛ وهو قولُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ وهو الوصفُ المنزَّه عن سِمات الحُدُوث والتوالُد، وهو الوصفُ الأعلى الذي ليس يَشْرَكُه فيه غيرُه، وناسبَ الختمَ بالعزيز، وهو الذي لا يُوجد نظيرُه، الحكيم الذي يضعُ الأشياء مواضعَها.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

لما حكى تعالى عن الكفَّار عظيمَ ما ارتكبُوه من الكفر ونسبةِ التَّوالُدِ له، بَيَّنَ أنه تعالى يُمْهِلُهم ولا يُعاجِلُهم بالعقوبة إظهاراً لفضلهِ ورحمتِه.

---

(١) المثبت من (ح)، وفي (أ) و(ب): فالبنات، وتحتمل الوجهين في (ز١). وفي المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٢ (والكلام منه): أبا البنات.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٢٥٨. والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٢. وكلمة «في» السالفة بين حاصرتين منه.

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٧٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤٤.

(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: تقدَّم.

و«يُؤاخِذُ» مضارع «وَاخَذَ»، والظاهرُ أنه بمعنى المجرّد الذي هو «أَخَذَ».

وقال ابنُ عطية[١]: كأنَّ أحَدَ المؤاخِذَيْنِ يأخذُ من الآخر؛ إمَّا بمعصيةٍ كما هي في حقِّ اللهِ تعالى، أو بإذاية في جهةِ المخلوقِين، فيأخذُ الآخر من الأول بالمعاقبة والجزاء. انتهى.

والظاهرُ عمومُ الناس، وقيل: أهل مكة.

والباء في «بظلمهم» للسبب، وظلمُهُمْ: كفرُهم ومعاصيهم، والضمير في «عليها» عائد على غير مذكور، ودلَّ على أنه الأرض قولُه: «مِنْ دابَّة» لأنَّ الدَّبيبَ من الناس لا يكون إلا في الأرض، فهو كقوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤] أي: بالمكان لأنَّ العاديات معلومٌ أنها لا تعدُو إلا في مكان، وكذلك الإثارة والنَّقْع.

والظاهر عموم «من دابَّة» فيَهْلِكُ الصالح بالطالح، فكان يَهْلِكُ جميعُ ما يَدِبُّ على الأرضِ حتى الجِعْلانُ[٢] في جُحرها. قاله ابنُ مسعود[٣].

قال قتادة: وقد فعلَ تعالى ذلك في زمن نوحٍ عليه السلام[٤]. وقال السُّدِّيّ ومقاتل: إذا قَحَطَ المطر لم تبق دابَّة إلا هلكت[٥].

وسمعَ أبو هريرة رجلاً يقول: إنَّ الظالمَ لا يَضُرُّ إلا نفسَه، فقال: بلى والله، حتى إنَّ الحُبارَى لتموتُ في وَكْرِها بظلم الظالم[٦]. وهذا نظير ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ الآية [الأنفال: ٢٥]، والحديث: «أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟»[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٢.

(٢) جمع جُعَل، وهو حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع الندبة. (المعجم الوسيط).

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٢٦٠، وزاد المسير ٤/ ٤٥٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤٥.

(٤) زاد المسير ٤/ ٤٥٩.

(٥) القولان في المصدر السالف.

(٦) تفسير الطبري ١٤/ ٢٦٠، والكشاف ٢/ ٤١٥. والحُبارى: طائر يشبه الإوَزَّة، الذكرُ والأنثى والجمعُ فيه سواء.

(٧) هو قطعة من حديث زينب بنت جحش ﵂ في الفتن في سؤالها لرسول الله ﷺ، وأجابها فقال: «نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ». أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠).

وقال ابنُ السائب واختارَه الزجّاج: «من دابّة» من الإنس والجنّ. وقال ابنُ جُريج: من الناس خاصّة[١].

وقالت فرقة منهم ابنُ عباس: «من دابَّة»: من مشركٍ يَدِبُّ عليها[٢].

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ﴾ إلى آخر الآية، تقدَّم تفسيرُ ما يُشبهُهُ في الأعراف.

و«ما» في «ما يكرهون» لمن يعقل، وأُريد بها النوع، كقوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣].

ومعنى «ويجعلون»: يصفونه بذلك ويَحكُمُون به.

وقال الزمخشريّ[٣]: «ما يكرهون» لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رئاستهم، ومن الاستخفاف برسلهم والتهاونِ برسالاتهم، ويجعلون له أرذلَ أموالهم ولأصنامِهم أكرمَها «وتصفُ ألسنتُهم» مع ذلك أنَّ لهم الحُسنى عند الله، كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. انتهى.

وقال مجاهد: «الحُسنى» قولُ قريش: لنا البنون[٤]. يعني قالوا: لله البنات ولنا البنون.

وقيل: «الحسنى» الجنَّة، ويؤيِّدُه: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ والمعنى على هذا: يجعلون للهِ المكروهَ، ويدَّعون مع ذلك أنهم يدخلون الجنة، كما تقول: أنت تعصي اللهَ وتقول مع ذلك: إنك تنجوا أي: هذا بعيدٌ مع هذا[٥].

وهذا القول لا يتأتَّى إلا ممَّن يقول بالبعث، وكان فيهم من يقولُ به، أو على تقدير: إنْ كان ما يقولُ من البعث صحيحاً.

و«أنَّ لهم الحُسنى» بدلٌ من الكذب، أو على إسقاط الحرف، أي: بأنَّ لهم.

---

(١) القولان في زاد المسير ٤/ ٤٥٩. ولم أقف على قول الزجاج في معانيه.
(٢) الكشاف ٢/ ٤١٥.
(٣) المصدر السالف.
(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٢٦٢، والنكت والعيون ٣/ ١٩٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤٧.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣.

وقرأ الحسن ومجاهد باختلاف: «ألسِنَتْهُمْ» بإسكان التاء[١]، وهي لغة تميم، جمع لساناً المذكَّر، نحو: خِمار وأخْمِرَة[٢]، وفي التأنيث: ألسن، كذِرَاع وأذْرُع[٣].

وقرأ معاذ بن جبل وبعضُ أهل الشام: «الكُذُبُ» بضم الكاف والذال والباء، صفة للألسن[٤]، جمع كَذُوب، كصَبُور وصُبُر، وهو مقيس، أو جمع كاذب، كشارف وشُرُف، ولا ينقاس. وعلى هذه القراءة «أنَّ لهم» مفعول «تَصِفُ».

وتقدَّم الكلام في «لا جَرَمَ أنَّ».

وقرأ الحسن وعيسى بن عُمر: «إنَّ لهم» بكسر الهمزة[٥]، و«إنَّ» جواب قسَم أغنَتْ عنه «لا جَرَمَ».

وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عباس وأبو رجاء وشيبة ونافع وأكثرُ أهل المدينة: «مُفْرِطُون» بكسر الراء[٦] من: أفْرَطَ، أي: متجاوزون الحدَّ في معاصي الله، وباقي السبعة والحَسنُ والأعرجُ وأصحابُ ابن عبَّاس ونافعٌ في رواية بفتح الراء من: أفرطتُه إلى كذا: قدَّمْتُه، مُعدًّى بالهمزة، من فَرَطَ إلى كذا: تقدَّمَ إليه. قال القَطاميّ:

واستَعْجَلُونا وكانُوا من صَحابَتِنا كــمــا تَــعَــجَّــلَ فُــرَّاطٌ لِــوُرَّادِ[٧]

ومنه: «أنا فَرَطُكم على الحَوْض»[٨] أي: مُتَقَدِّمُكم.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣ عن الحسن: ألسنتهم، بسكون النون كراهية توالي الحركات. وفي روح المعاني ١٤/ ١٧٤ عن الحسن ومجاهد باختلاف: ألسُنُهم، بإسقاط التاء.
(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: نحو: حمار وأحمرة، وهو صحيح أيضاً.
(٣) يعني أنك تقول: ثلاثةُ ألسنة، فتُذكِّر، وثلاثُ ألْسُن، فتُؤنِّث.
(٤) المحتسب ٢/ ١١، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣. وينظر زاد المسير ٤/ ٥٠٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤٧.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣. وذكر السمين في الدُّرِّ المصون ٧/ ٢٤٩ أنهما قرآ: «إنَّ لهم النار وإنهم» بكسر «إنَّ» فيهما.
(٦) قوله: بكسر الراء، من المطبوع. وقراءةُ نافع في السبعة ص٣٧٤، والتيسير ص١٣٨. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤٨.
(٧) ديوان القَطامي ص٩٠. والفُرَّاط: المتقدِّمون في طلب الماء، والوُرَّاد: المتأخِّرون. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٩٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٤٨.
(٨) رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله ﷺ: =

وقال ابن جُبير ومجاهد وابنُ أبي هند: «مُفْرَطون»: مُخَلَّفُون متروكون في النار[١]، من: أفرطْتُ فلاناً خلفي: إذا خَلَّفْتَهُ ونَسِيتَهُ[٢]. قال الفرَّاء[٣]: تقولُ العرب: أفرطتُ منهم ناساً، أي: خَلَّفْتُهم ونَسِيتُهم.

وقرأ أبو جعفر: «مُفَرِّطون» مشدَّداً[٤]، من: فَرَّط، أي: مُقَصِّرون مُضَيِّعون، وعنه أيضاً فتحُ الراء وشدُّها[٥]، أي: مقدَّمون، من: فَرَّطْتُه المعدَّى بالتضعيف من: فَرَط، بمعنى تقدَّم.

ثم أخبرَ تعالى بإرسال الرُّسل إلى أمم من قبلِ أممك مُقسِماً على ذلك ومؤكِّداً بالقَسَم وبـ «قَدْ» التي تقتضي تحقيقَ الأمر على سبيل التسلية للرسول ﷺ لِما كان ينالُه بسبب جهالات قومِه ونسبتِهم[٦] إلى الله ما لا يجوز ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من تمادِيهم على الكفر.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ حكايةُ حالٍ ماضية، أي: لا ناصرَ لهم في حياتهم إلا هو، أو عَبَّرَ باليوم عن وقت الإرسال ومحاورةِ الرُّسل لهم، أو حكايةُ حالٍ آتية، وهو يومُ القيامة.

و«أل» في «اليوم» للعهد، وهو اليومُ المشهود، فهو وليُّهم في ذلك اليوم، أي: قَرِينُهم وبئس القرين.

والظاهر عَوْدُ الضمير في «وَلِيُّهم» إلى «أمم»، وقال الزمخشري[٧]: ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، وأنه زَيَّنَ للكفار قبلَهم أعمالهم، فهو وليُّ هؤلاء

= (٦٥٧٥) و(٦٥٨٣) و(٦٥٨٩)، ومسلم أيضاً (٢٢٩٧) و(٢٢٩٠) و(٢٢٨٩) على الترتيب.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣. وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٢٦٣-٢٦٥، والنكت والعيون ٣/ ١٩٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٤١٥.

(٣) المثبت من (ز١) و(يه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: أبو البقاء. والكلام في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٧-١٠٨، وليس في الإملاء.

(٤) يعني مع كسر الراء، والقراءة في النشر ٢/ ٣٠٤.

(٥) القراءتان عنه في المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٣-٤٠٤.

(٦) في (أ) و(ز١): ونسبته.

(٧) الكشاف ٢/ ٤١٦.

لأنهم منهم، ويجوز أن يكون على حذف المضاف، أي: فهو وليُّ أمثالِهم اليوم. انتهى. وهذا فيه بُعد لاختلاف الضمائر من غير ضرورة تدعو إلى ذلك ولا إلى حذف المضاف.

واللام في «لِتُبَيِّنَ» لام التعليل، و«الكتاب» القرآن، و«الذي اختلفوا فيه» من الشِّرك والتوحيد، والجَبْرِ والقَدَر، وإثباتِ المعاد ونفيه، وغير ذلك ممَّا يُعتَقَد، ومن الأحكام كتحريم البَحِيرَة، وتحليلِ الميتةِ والدَّم، وغير ذلك من الأحكام.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ في موضع نصب على أنهما مفعولٌ من أجله، وانتصَبا لاتّحادِ الفاعل في الفعل وفيهما؛ لأنَّ المُنزِلَ هو الله، وهو الهادي والراحم، ودخلت اللام على «التبيِّن» لاختلاف الفاعل، لأنَّ المُنزِلَ هو الله، والتبيينُ مسندٌ للمخاطَب، وهو الرسول ﷺ. وقولُ الزمخشريّ: معطوفان[1] على محلّ «لتبيِّن» ليس بصحيح، لأنَّ محلَّه ليس نصباً فيُعطَفَ منصوبٌ عليه، ألا ترى أنه لو نصبَه لم يجز لاختلاف الفاعل[2]؟

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال أبو عبد الله الرازيّ: المقصود من القرآن أربعة: الإلهيَّات، والنُّبوَّات، والمَعَاد، والقَدَر، والأعظم منها الإلهيَّات، فابتدأ في ذكر دلائِلها بالأجرام الفلكيَّة، ثم بالإنسان، ثم بالحيوان، ثم بالنبات، ثم بأحوال البحر والأرض، ثم عاد إلى تقرير دلائل الإلهيَّات، فبدأ بذكر الفَلَكيَّات. انتهى ملخَّصاً[3].

وقال ابنُ عطية: لمَّا أمرَهُ بتبيين ما اختُلِفَ فيه نَصَّ العِبَرَ المؤدِّيَةَ إلى بيان أمرِ الرُّبوبيَّة، فبدأ بنعمة المطر التي هي أبينُ العِبَر، وهي مِلاكُ الحياة، وهي في غاية الظُّهور، ولا يختلف[4] فيها عاقل. انتهى.

ونقول: لمَّا ذكرَ إنزالَ الكتاب للتبيين كان[5] القرآنُ حياةً للأرواح وشِفاءً لِما في

(١) في المطبوع: معطوف. والكلام في الكشاف ٢/ ٤١٦.
(٢) ينظر تعقُّب السمين الحلبي لهذا الكلام في الدر المصون ٧/ ٢٥٠.
(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٠/ ٦٣.
(٤) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٤ (والكلام منه): لا يُخالف. وهو الأشبه.
(٥) لعل الصواب: وكان. لأن جواب «لمَّا» هو عند قوله الآتي: ذَكَرَ.

الصُّدورِ من عِللِ العقائد، ولذلك ختمَ بقوله: ﴿لِقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ أي: يُصَدِّقُون، والتصديقُ مَحلُّه القلب = ذكر[1] إنزالَ المطر الذي هو حياةُ الأجسام وسببٌ لبقائها، ثم أشارَ بإحياء الأرضِ بعدَ موتِها إلى إحياء القلوب بالقرآن كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فكما تصيرُ الأرضُ خَضِرةً بالنبات نَضِرَةً بعدَ هُمودِها؛ كذلك القلبُ يحيا بالقرآن بعد أن كان مَيْتاً بالجهل، ولذلك ختمَ بقوله: «يسمعون» أي: يسمعون هذا التشبيهَ المشارَ إليه، والمعنى سماع إنصاف وتدبُّر، ولملاحظةِ هذا المعنى ـ والله أعلم ـ لم يختم بـ: لقوم يُبصرون، وإن كان إنزالُ المطر ممَّا يُبصَرُ ويُشاهَد.

وقال ابن عطية[2]: وقوله: «يسمعون» يدلُّ على ظهورِ هذا المعتبر فيه وبيانِه لأنه لا يحتاجُ إلى نَظَرٍ ولا تفكُّر، وإنما يحتاجُ المُنبَّهُ إلى أن يسمعَ القولَ فقط.

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى إحياءَ الأرضِ بعدَ مَوْتِها ذكرَ ما ينشأُ عن ما ينشأ عن المطر، وهو حياةُ الأنعام التي هي مألوفُ العرب بما تتناولُه من النبات النَّاشئ عن المطر، ونبَّه على العِبْرَةِ العظيمة، وهو خروجُ اللبنِ من بين فَرْثٍ ودم.

وقرأ ابنُ مسعود بخلافٍ والحسنُ وزيد بنُ علي وابنُ عامر وأبو بكر ونافع وأهل المدينة: «نَسْقِيكُم» هنا وفي «قد أفلح» [٢١] بفتح النون مضارع «سَقَى»، وباقي السبعة بضمِّها مضارع «أَسْقَى»[3].

وتقدَّم الكلام في «سَقَى» و«أَسْقَى» في قوله: ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ [الحِجر: ٢٢].

---

(١) في المطبوع: فكذا، بدل: ذكر.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٤.
(٣) السبعة ص٣٧٤، والتيسير ص١٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٠. وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٢٧٠.

وقرأ أبو رجاء: «يَسْقِيكُم» بالياء مضمومة[١]، والضمير عائد على الله أي: يَسْقِيكم الله، قال صاحب «اللوامح»: ويجوز أن يكون مسنَداً إلى النَّعَم، وذَكَّرَ لأنَّ النَّعَم ممَّا يُذكَّرُ ويؤنَّث، ومعناه: وإنَّ لكم في الأنعام نَعَماً يُسقيكم، أي: يجعلُ لكم سُقْيًا. انتهى.

وقرأت فرقةٌ بالتاء مفتوحةً منهم أبو جعفر[٢]؛ قال ابنُ عطية: وهي ضعيفة. انتهى. وضعفُها عندَه ـ والله أعلم ـ من حيث أنَّثَ في «تَسْقيكم» وذكَّر في قوله: «ممّا في بطونه»، ولا ضعفَ في ذلك من هذه الجهة، لأنَّ التأنيثَ والتذكيرَ باعتبار وجهين، وأعاد الضميرَ مذكَّراً مراعاةً للجنس[٣]، لأنه إذا صحَّ وقوعُ المفرد الدالِّ على الجنس مقام جمعِهِ جاز عَوْدُه عليه مذكَّراً، كقولهم: هو أحسنُ الفتيان وأنبلُه، لأنه يصحُّ: هو أحسنُ فتًى، وإنْ كان هذا لا ينقاسُ عند سيبويه، إنما يُقتصر فيه على ما قالته العرب. وقيل: جمعُ التكسير فيما لا يعقل يُعامَلُ معاملةَ الجماعة ومعاملةَ الجمع، فيعود الضميرُ عليه مفرداً كقوله:

مِثْلُ الفِرَاخِ نَتَقَتْ[٤] حَوَاصِلُهْ

وقيل: أفردَ على تقدير المذكور، كما يُفرَدُ اسمُ الإشارة بعد الجمع، كما قال:

فيها خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وبَلَقْ
كأنَّه في الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[٥]

فقال: كأنَّه، وقُدِّرَ بـ: كأنَّ المذكور.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥.

(٢) النشر ٢/ ٣٠٤. والكلام في المصدر السالف.

(٣) قال السمين في الدر المصون ٧/ ٢٥٢: ضعفُها عنده (أي عند ابن عطية) من حيث المعنى، وهو أن المقصود الامتنان على الخلق، فنسبة السَّقْي إلى الله تعالى هو الملائم، لا نسبتُه إلى الأنعام.

(٤) في (ز١) و(يه): نتفت، وفي (ح): تفقنت، وفي (أ): تفقت. والمثبت من معاني القرآن للفراء ١/ ١٣٠ و٢/ ١٠٩ (وقال: لم يقل حواصلها)، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٧٣. وينظر مجالس ثعلب ص١٠٣ والتعليق عليه، ونَتَقَتْ، أي: امتلأت.

(٥) الرَّجَز لرؤبة بن العجَّاج، وهو في ديوانه ص١٠٤. وسلف في تفسير الآية (٦٨) من سورة البقرة.

قال الكسائي: أي: في بطونِ ما ذكرنا[١]. قال المبرِّد: وهذا شائعٌ[٢] في القرآن، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾[٣] [عبس: ١١-١٢] أي: ذكرَ هذا الشيء، وقال: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ [الأنعام: ٧٨] أي: هذا الشيء الطالعُ. ولا يكون هذا إلا في التأنيث المجازي، لا يجوز: جاريتُك ذهبَ.

وقالت فرقة: الضميرُ عائد على البعض، إذ الذكورُ لا ألبانَ لها[٤]، فكأنَّ العبرةَ إنما هي في بعض الأنعام.

وقال الزمخشريّ[٥]: ذكرَ سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة على أفعال، كقولهم: ثوبٌ أكياشٌ[٦]، ولذلك رجعَ الضمير إليه مفرداً، وأمَّا «في بطونها» في سورة المؤمنين [٢١] فلأنَّ معناه الجمع، ويجوزُ أن يقال في الأنعام وجهان:

أحدُهما: أن يكون تكسير نَعَم، كالأجبال في جَبَل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كـ: «نَعَم»، فإذا ذكَّرَ فكما يُذكِّر «نَعَم» في قوله:

فـي كـلِّ عـامٍ نَـعَـمٌ تَـحْـوُونَـهْ يُـلْـقِـحُـهُ قـومٌ وتَـنْـتِـجُـونَـهْ[٧]

وإذا أنَّثَ ففيه وجهان، أنه تكسير «نَعَم» وأنه في معنى الجمع. انتهى.

أمَّا ما ذكرَ عن سيبويه، ففي كتابه[٨] في هذا في باب ما كان على مثال مفاعل ومفاعيل ما نصُّه: وأمَّا أجْمَال وفُلُوس فإنها تنصرفُ وما أشبهَهَا، لأنها ضارعتِ

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٠٩، وزاد المسير ٤/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥١.
(٢) في النسخ الخطية: سائغ. والمثبت من تفسير الرازي ٢٠/ ٦٤. وفي زاد المسير ٤/ ٤٦٣: فاشٍ.
(٣) في النسخ الخطية والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥: إن هذه تذكرة، فمن شاءَ ذكَرَهُ.. وهو خطأ.
(٤) ذكره القرطبي ١٢/ ٣٥١ عن الكسائي.
(٥) الكشاف ٢/ ٤١٦. وينظر الكتاب ٣/ ٢٢٩-٢٣٠.
(٦) ثوب أكياش، وأكباش وأكراش، هي من بُرُود اليمن. ينظر اللسان والتاج (كبش ـ كرش ـ كيش).
(٧) ينظر الكتاب ١/ ١٢٩، وخزانة الأدب ١/ ٤٠٧، وذكر البغدادي فيها ١/ ٤١٢ أن شُرَّاح سيبويه نسبوه لقيس بن حُصين الحارثي. والكلام أعلاه في الكشاف ٢/ ٤١٦.
(٨) ٣/ ٢٢٩-٢٣٠.

الواحدَ، ألا ترى أنك تقول: أقوال وأقاويل، وأعراب وأعاريب، وأيْدٍ وأيَادٍ، فهذه الأحرفُ تُخرجُ إلى مثال: مفاعل ومفاعيل، كما يُخرج إليه الواحد إذا كُسِّرَ للجمع.

وأمَّا مفاعل ومفاعيل، فلا يُكسَّر فيُخرجَ الجمعُ إلى بناءٍ غيرِ هذا، لأنَّ هذا البناء هو الغاية، فلما ضارعتِ الواحدَ صُرفت.

ثم قال: وكذلك الفُعُول لو كُسِّرت مثل الفُلُوس لأن تُجمع جميعاً لأخْرَجَتْه إلى فعائل، كما تقول: جَدُود وجَدَائد، ورَكُوب ورَكائب، ولو فعلتَ ذلك بمفاعل ومفاعيل لم يجاوز هذا البناء، ويُقوِّي ذلك أنَّ بعض العرب يقول: أُتِيٌّ، للواحد، فيضمُّ الألف[1].

وأمَّا أفعال فقد يقعُ للواحد، من العرب من يقول: هو الأنعام، قال جلَّ ثناؤه وعزَّ: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾.

وقال أبو الخطاب: سمعتُ العرب يقولون: هذا ثوبٌ أكياشٌ. انتهى.

والذي ذكره سيبويه هو الفرقُ بين مفاعل ومفاعيل، وبين أفعال وفُعول، وإن كان الجميع أبنيةً للجمع من حيث إنَّ مفاعل ومفاعيل لا يُجمعان، وأفعال وفُعول قد يَخرُجَان إلى بناءٍ شبه مفاعل أو مفاعيل، فلما كانا قد يخرجان إلى ذلك انصرفا، ولم ينصرف مفاعل ومفاعيل[2]، لشِبْهِ ذَينِك بالمفرد من حيث إنه يمكن جمعُهما وامتناعُ هذين من الجمع، ثم قَوِيَ شَبَهُهُما بالمفرد بأنَّ بعضَ العرب قال في أَتِيّ: أُتِيّ، بضمّ الهمزة، يعني أنه قد جاء نادراً فُعُول من غير المصدر للمفرد، وبأنَّ بعضَ العرب قد يُوقِعُ أفعالاً للواحد من حيث أفردَ الضمير، فيقول: هو الأنعام، وإنما يعني أنَّ ذلك على سبيل المجاز، لأنَّ الأنعام في معنى النَّعَم، والنَّعَم يُفرد كما قال:

تَرَكْنَا الخيلَ والنَّعَمَ المُفَدَّى   وقُلْنا للنساءِ بها أقِيمي[3]

(١) في اللسان (أتى): الأتِيُّ (بفتح الهمزة): النهر يسوقهُ الرجل إلى أرضه. وكلُّ مَسِيلٍ سَهَّلْتَهُ لماءٍ أتِيٌّ، وهو الأُتِيُّ (يعني بضم الهمزة) حكاه سيبويه، وقيل: الأُتِيُّ جمعٌ.

(٢) من قوله: فلما كانا قد يخرجان... إلى هذا الموضع، من (ز١) و(به).

(٣) شرح الجمل ٢/ ٣٩٦ (وفيه: المندَّى)، والمقرَّب ١/ ٣٠٣، كلاهما لابن عصفور.

ولذلك قال سيبويه: وأما أفعال فقد يقع للواحد. فقولُ سيبويه: فقد يقع للواحد[١] دليلٌ على أنه ليس ذلك بالوضع، فقول الزمخشريّ: إنه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال؛ تحريفٌ في اللفظ، وفَهِمَ عن سيبويه ما لم يُرِدْه، يدلُّ على ما قلناه أنَّ سيبويه حين ذكرَ أبنيةَ الأسماء المفردة نصَّ على أنَّ أفعالاً ليس من أبنيتها، قال سيبويه[٢] في باب ما لَحِقَتْهُ الزوائد من بنات الثلاثة: وليس في الكلام أُفْعِيل ولا أَفْعَوْل ولا أُفْعَال ولا أَفْعِيل ولا أفعال إلا أن تُكَسِّر عليه اسماً للجميع. انتهى. فهذا نَصٌّ منه على أنَّ أفعالاً لا يكون في الأبنية المفردة.

و«نُسقِيكم ممَّا في بطونه» تبيينٌ للعِبْرة، وقال الزمخشريّ[٣]: وهو استئناف، كأنَّه قيل: كيف العِبْرَة؟ فقيل: نُسقِيكُم من بينِ فَرْثٍ ودَم، أي: يخلقُ اللهُ اللبنَ وَسِيطاً بين الفَرْثِ والدَّم يَكتَنِفانِهِ، وبينَه وبينَهما برزخٌ من قدرةِ الله، لا يبغي أحدُهما عليه بلونٍ ولا طعمٍ ولا رائحةٍ، بل هو خالصٌ من ذلك كلِّه. انتهى.

قال ابن عباس: إذا استقرَّ العَلَفُ في الكَرِشِ صارَ أسفلُه فَرْثاً يبقَى فيها، وأعلاه دماً يجري في العُروق، وأوسطُه لبناً يجري في الضَّرْع[٤].

وقال ابنُ جُبير: الفَرْثُ في أوسط المصارين، والدمُ في أعلاها، واللبنُ بينهما، والكبدُ تُقسِّمُ الفَرْثَ إلى الكَرِش، والدمَ إلى العروق، واللبنَ إلى الضُّروع.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: قال المفسِّرون: المرادُ من قوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ هو أن هذه الثلاثة تتولَّد في موضعٍ واحد، فالفَرْثُ يكون في أسفل الكَرِش، والدمُ في أعلاه، واللبنُ في الوسط، وقد دلَّلنا على أنَّ هذا القول على خلاف الحِسِّ والتجربة. وكان الرازيُّ قد قدَّم أنَّ الحيوانُ يذبحُ ولا يُرى في كَرِشِه دَمٌ ولا لبنٌ، بل الحقُّ أنَّ الغذاء إذا تناولَه الحيوانُ وَصَلَ إلى الكَرِش وانطبخَ، وحصلَ الهضمُ الأول فيه، فما كان منه كثيفاً نزلَ إلى الأمعاء، وصافياً انحدرَ إلى الكبد، فينطبخُ

(١) قوله: «فقول سيبويه فقد يقع للواحد» من (ز١) و(ب).
(٢) الكتاب ٤/ ٢٤٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٤١٦.
(٤) الوسيط ٣/ ٧٠، وتفسير الرازي ٢٠/ ٦٤، وزاد المسير ٤/ ٤٦٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٢. وهو في الكشاف ٢/ ٤١٦ دون نسبة.

فيها ويصيرُ دَماً ـ وهو الهضمُ الثاني ـ مخلوطاً بالصَّفراء والسَّوداء وزيادة المائيَّة، فتذهبُ الصَّفراءُ إلى المرارة، والسَّوداءُ إلى الطِّحال، والماءُ إلى الكُلْيَة، وخالصُ الدم يذهبُ إلى الأوردة، وهي العروقُ النابتة من الكَبِد، فيحصل الهضمُ الثالث، وبين الكبد وبين الضَّرْع عروقٌ كثيرة، فينصبُّ الدَّمُ من تلك العُروقِ إلى الضَّرْع ـ وهو لحمٌ رخوٌ أبيض ـ فينقلبُ من صورة الدَّم إلى صورة اللبن، فهذا هو الصحيح في كيفية تَولُّدِ اللبنِ. انتهى ملخَّصاً[١].

وقال أيضاً: وأما نحنُ فنقول: المرادُ من الآية هو أنَّ اللبنَ إنما يتولَّدُ من بعض أجزاء الدَّم، والدَّمُ إنما يتولَّدُ من الأجزاء اللطيفة التي في الفَرْث، وهي الأشياء المأكولةُ الحاصلةُ في الكَرِشِ، فاللبنُ متولِّدٌ ممَّا كان حاصلاً فيما بين الفَرْثِ أوَّلاً، ثم ممَّا كان حاصلاً فيما بين الدَّم ثانياً. انتهى ملخَّصاً أيضاً.

والذي يظهرُ من لفظ الآية أنَّ اللبنَ يكونُ وَسِيطاً بين الفَرْثِ والدَّم، والبينيَّة تَحتَمِلُ أن تكونَ باعتبار المكانيَّة حقيقةً كما قاله المفسِّرون، وادَّعى الرازيُّ أنه على خلاف الحِسِّ والمشاهَدة، وتَحتَمِلُ أن تكونَ البينيَّة مجازيةً باعتبار تولُّده من ما حصل في الفَرْث أولاً، وتولُّدِه من الدم الناشئ من لطيف ما كان في الفَرْث ثانياً كما قرَّره الرازيّ.

و«من» الأولى للتبعيض متعلِّقة بـ «نُسْقِيكم»، والثانية لابتداء الغاية متعلِّقة بـ «نُسقيكم»، وجازَ تعلُّقُهما بعامل واحد لاختلافِ مدلولَيْهما.

ويجوزُ أن يكونَ «من بينِ» في موضع الحال، فتتعلَّق بمحذوف، لأنه لو تأخَّرَ لكان صفةً، أي: كائناً من بين فَرْثٍ ودم، ويجوز أن يكون «من بين فَرْثٍ» بدلاً من «ما في بطونِه».

وقرأت فرقة: «سَيِّغاً» بتشديد الياء[٢]، وعيسى بنُ عمر: «سَيْغاً» تخفيفاً من «سَيِّغ»، كهَيْنٍ المخفَّف من «هَيِّن»، وليس بِفَعْل، لأنه كان يكون سَوْغاً[٣].

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٦٤-٦٥.

(٢) مثل سيِّد وميِّت، والقراءة في القراءات الشاذة ص٧٣، والمحتسب ٢/ ١١، والكشاف ٢/٤١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥، والإملاء ٢/ ٨٣.

(٣) وزن سَوْغ: فَعْل، ووزن سَيْغ: فَيْل، أصله: سَيْوِغ، وزن فَيْعِل، أُدغمت الواو في الياء ثم خُفِّف. ووقع في (ز١) و(يه): وسوغاً. وهو خطأ.

والسَّائغ: السَّهْلُ في الحَلْقِ اللذيذُ، ورُوِيَ في الحديث أنَّ اللبنَ لم يَشْرَقْ به أحدٌ قطّ[١].

ولمَّا ذكر تعالى ما منَّ به من بعض منافعِ الحيوان؛ ذكرَ ما منَّ به من بعض منافعِ النبات.

والظاهرُ تعلُّق «من ثمرات» بـ «تتَّخذون» وكُرِّرت «مِنْ» للتأكيد، وكان الضميرُ مفرداً راعياً لمحذوف، أي: ومن عصيرِ ثمراتِ، أو على معنى الثمرات، وهو الثمر، أو بتقدير من المذكور.

وقيل: تتعلَّق بـ «نُسْقِيكُم» فيكون معطوفاً على «ممَّا في بطونه»، أو بـ «نُسقيكم» محذوفة دلَّ عليها «نُسقيكم» المتقدِّمة، فيكون من عطف الجُمل، والذي قبلَه من عطف المفردات، إذِ اشتركا في العامل.

وقيل: معطوف على «الأنعام» أي: ومن ثمراتِ النخيل والأعناب عِبْرَة، ثم بيَّن العِبْرَةَ بقوله: «تتَّخذون».

وقال الطبريُّ: التقدير: ومن ثمراتِ النخيل والأعناب ما تتَّخذون. فحذف «ما»، وهو لا يجوزُ على مذهب البصريِّين.

وقال الزمخشريّ: ويجوز أن يكون [تتَّخذون][٢] صفةَ موصوفٍ محذوفٍ، كقوله:

بِكَفَّيْ كانَ مِنْ أَرْمَى البَشَرْ[٣]

تقديرُه: ومن ثمراتِ النخيلِ والأعنابِ ثمرٌ تتَّخذون منه. انتهى.

وهذا الذي أجازَه قاله الحَوْفيُّ قبله؛ قال: أي: وإنَّ من ثمراتِ[٤]، وإن

(١) أخرجه ابن مردويه عن ابن أبي لبيبة فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٢٢. والكلام أعلاه في المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥.

(٢) كلمة «تتَّخذون» بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٤١٧. (والكلام منه).

(٣) الرجز بتمامه: جَادَتْ بكَفَّيْ كان من أرمى البشر، وفي رواية: ترمي بكفَّيْ كان... وهو في المقتضب ٢/ ١٣٩، ومجالس ثعلب ص٤٤٥، والخصائص ٢/ ٣٦٧، والإنصاف ١/ ١١٥. ويعني: بكفَّي رجلٍ كان من أرمى البشر. وسلف في تفسير التوبة (١٠١).

(٤) أي: وإنَّ من ثمرات النخيل والأعنابِ شيئاً. وينظر الإملاء ٢/ ٨٣، الدر المصون ٧/ ٢٦٠.

شئتَ: شيءٌ، بالرفع بالابتداء، و«من ثمرات» خبرُه. انتهى.

والسَّكَر في اللغة: الخمرُ؛ قال:

بِئسَ الصُّحاةُ وبِئسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ إذا جَرَى فيهم[١] المُزَّاءُ والسَّكَرُ[٢]

وقال الزمخشريّ[٣]: سُمِّيت بالمصدر، من: سَكِرَ سَكَراً وسُكْراً، نحو: رَشِدَ رَشَداً ورُشْداً. قال:

وجاؤونا بِهِمْ سَكَرٌ علينا فأجْلَى اليومُ والسَّكْرانُ صاحي[٤]

وقاله ابن مسعود وابنُ عُمر وأبو رَزِين والحسن ومجاهد والشعبيّ والنَّخَعيّ وابنُ أبي ليلى والكلبيُّ وابنُ جُبير وأبو ثور والجمهور[٥].

وهذه الآية مكّيَّة نزلت قبل تحريم الخمر، ثم حُرِّمَتْ بالمدينة، فهي منسوخة[٦]. قال الحسن: ذكرَ اللهُ نعمتَه في السَّكَر قبل تحريم الخمر[٧]. وقال ابنُ عبَّاس: هو الخلُّ بلغة الحبشة[٨].

وقيل: العصيرُ الحُلْوُ الحَلَال، وسُمِّيَ سَكَراً باعتبار مآلِه إذا تُرِك.

وقال أبو عُبيدة: السَّكَر: الطُّعْم، يقال: هذا سَكَرٌ لك، أي: طُعْمٌ. واختارَه الطبريّ، قال: والسَّكَرُ في كلام العرب ما يُطْعَمُ، وأنشد أبو عبيدة:

---

(١) في النسخ الخطية: منهم، والمثبت من المصادر التالية.

(٢) البيت للأخطل، وهو في ديوانه ص١١٠. وينظر الصحاح واللسان (مزز)، والنكت والعيون ٣/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٨. قوله: المُزَّاء: الخمر التي تلذع اللسان. والشَّرْب (بالفتح) جمع شارب.

(٣) الكشاف ٢/ ٤١٧.

(٤) إصلاح المنطق ص٩٩ (ضمن أبيات)، والكشاف ٢/ ٤١٧ (والكلام منه)، واللسان (سكر) برواية: سُكْرٌ علينا؛ قال ابن منظور: ورواه يعقوب: سَكَرٌ.

(٥) تفسير الطبري ١٤/ ٢٨٢-٢٨٣، وزاد المسير ٤/ ٤٦٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٨. وينظر النكت والعيون ٣/ ١٩٨.

(٦) تفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٧-٣٥٨.

(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٥.

(٨) زاد المسير ٤/ ٤٦٤، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٨.

جعلتَ أعراضَ الكِرامِ سَكَرًا[(١)]

أي: تنقلب[(٢)] بأعراضهم[(٣)].

وقيل: هو من الخمر، وأنه إذا ابترك في أعراض الناس[(٤)] فكأنه تخمَّر بها. قاله الزمخشري، وتَبِعَ الزجاجَ، قال: يصفُ أنه تخَمَّر بعيوب الناس. وعلى هذه الأقوال لا نَسْخَ.

وقال الزجاج: قولُ أبي عبيدة لا يصحُّ وأهلُ التفسير على خلافه[(٥)].

وقيل: السَّكَرُ ما لا يُسكر من الأنبذة، وقيل: السَّكَر النبيذ، وهو عصير العنب والزَّبيب والتمر إذا طُبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يُترك حتى يشتدَّ، وهو حلالٌ عند أبي حنيفة إلى حدِّ السُّكْر. انتهى.

وإذا أُريد بالسَّكَر الخمر فقد تقدَّم أنَّ ذلك منسوخٌ، وإذا لم نقل بنسخ؛ فقيل: جمعَ بين العِتاب والمِنَّة؛ يعني بالعِتاب على اتخاذِ ما يحرم، وبالمِنَّة على اتخاذ ما يَحِلّ، وهو الخلُّ والرُّبُّ والزبيب والتمر.

وقال الزمخشريّ[(٦)]: ويجوز أن يجعل السَّكَر رزقاً حسناً، كأنه قيل: يتَّخذون منه ما هو سَكَرٌ ورِزْقٌ حسن. انتهى. فيكون من عطف الصفات، وظاهرُ العطفِ المغايرة.

ولمَّا كان مفتتح الكلام ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ ناسبَ الختم بقوله:

---

(١) البيت بهذه الرواية في معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٩، والكشاف ٢/ ٤١٧، وتفسير الرازي ٢٠/ ٦٨، واللسان (سكر). وهو في مجاز القرآن ١/ ٣٦٣، وتفسير الطبري ١٤/ ٢٨٤، والنكت والعيون ٣/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٨ برواية: جعلت عَيْب الأكرمين سكَراً.

(٢) كذا في (أ) و(ح)، وفي (يه): ينقلب، وهي غير واضحة في (ز١). وفي الكشاف ٢/ ٤١٧: تنفلت، وفي الدر المصون ٧/ ٢٦١: تتقلَّبُ. والله أعلم.

(٣) قال في اللسان: أي جعلت ذمَّهم طُعماً لك.

(٤) ابتركَ في أعراض الناس، أي: تَنَقَّصَهُم واجتهدَ في ذَمِّهم.

(٥) تفسير القرطبي ١٢/ ٣٥٩. وينظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٠٩.

(٦) الكشاف ٢/ ٤١٧، والكلام قبله هو فيه بنحوه.

«يعقلون» لأنه لا يَعتبر إلا ذَوُو العقول كما قال: إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الألباب[١].

وانظر إلى الإخبار عن نعمة اللَّبَن ونعمةِ السَّكَر والرِّزق الحَسن، لمَّا كان اللبنُ لا يحتاجُ إلى معالجةٍ من الناس أخبرَ عن نفسه تعالى بقوله: «نُسقيكم»، ولما كان السَّكَرُ والرِّزقُ الحسن يحتاج إلى معالجة قال: «تتَّخذون» فأخبر عنهم باتخاذهم منه السَّكَر والرِّزق الحسن[٢]، ولأمرٍ مَّا عَجَزَتِ العربُ العَرْباء عن معارضته.

ولمَّا ذكرَ تعالى المِنَّةَ بالمشروب اللبنِ وغيرِه، أتمَّ النعمةَ بذِكْرِ العسل، ولما كانت المشروباتُ من اللبنِ وغيرِه هو الغالب في الناس أكثرَ من العسل، قدَّم اللبنَ وغيرَه عليه، وقدَّم اللبن على ما بعدَه لأنه المحتاج إليه كثيراً، وهو الدليلُ على الفطرة، ولذلك اختارَه الرسولُ ﷺ حين أُسريَ به وعُرِض عليه اللبنُ والخمرُ والعَسَل[٣]، وجاء ترتيبها في الجنة كهذِه الآية، قال تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

ففي إخراج اللبن من النَّعَم، والسَّكَر والرِّزق الحسن من ثمراتِ النخيل والأعناب، والعَسَل من النحل؛ دلائلُ باهرةٌ على الألوهية والقُدرة والاختيار[٤].

والإيحاءُ هنا الإلهام والإلقاء في رُوعِها وتعليمُها على وجهٍ هو تعالى أعلمُ بكُنْهِه لا سبيل إلى الوقوف عليه.

والنحل جنسٌ واحدُهُ نحلة، ويؤنَّث في لغة الحجاز، ولذلك قال: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾.

وقرأ ابن وثَّاب: «النَّحَلِ» بفتح الحاء.

(١) صواب الآية: إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار، وهي في آل عمران (١٣)، وإن أرادَ لفظ الألباب، ففي آخر آية من يوسف: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب. . .

(٢) جاء بدل هذه العبارة في (أ) و(ح) ما نصُّه: ولما كان السَّكَر والرزق الحسن مما يُعالج، لم يضفه إليه.

(٣) ينظر حديث أبي هريرة في صحيح البخاري (٣٣٩٤)، وصحيح مسلم (١٦٨).

(٤) بنحوه في تفسير الرازي ٢٠/ ٦٩.

و«أنْ» تفسيرية؛ لأنه تقدَّم معنى القول، وهو «وأوحى»، أو مصدرية، أي: باتخاذ، قال أبو عبد الله الرازيّ[١]: «أنْ» هي المفسِّرة لِما في الوحي[٢] من معنى القول. هذا قول جمهور المفسِّرين. وفيه نَظَر، لِأنَّ الوَحْيَ هنا بإجماعٍ منهم هو الإلهام، وليس في الإلهام معنى القول.

وقال: قرَّر تعالى في أنفسِها الأعمالَ العجيبة التي يعجزُ عنها العقلاء من البشر، منها بناؤها البيوت المسدَّسة من أضلاع متساوية بمجرد طِباعها، ولا يتمُّ مثلُ ذلك للعقلاء إلَّا بآلات، كالمسطرة والبِرْكار[٣]، ولم تَبْنِها بأشكالٍ غيرِ تلك فتضيقَ تلك البيوت عنها لبقاء فُرَجٍ لا تسعُها، ولها أميرٌ أكبرُ جُثَّةً منها نافذُ الحكم يخدُمونه، وإذا نفرت عن وَكْرِها إلى موضعٍ آخر وأرادوا عَوْدَها إلى وَكْرِها ضربُوا الطُّبول وآلات الموسيقا، وبوساطة تلك الألحان تعود إلى وَكْرِها.

فلما امتازت بهذه الخواصّ العجيبة، وليس إلا على سبيل الإلهام وهي حالةٌ تُشبه الوحي لذلك قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ انتهى ملخَّصاً.

و«من» للتبعيض، لأنها لا تَبْنِي في كلِّ جبل وكلِّ شجر وكلِّ ما يُعرش، ولا في كلِّ مكان منها.

والظاهر أنَّ البيوتَ هنا عبارة عن الكُوَى التي تكون في الجبال، وفي متجوَّف الأشجار، وأمَّا مِنْ مَا يَعْرِشُ ابنُ آدم؛ فالخلايا التي يصنعُها للنحل ابنُ آدم، الكُوى التي تكون في الحيطان. ولمَّا كان النحلُ نوعين، منه ما مقرُّه في الجبال والغِياض ولا يتعهَّدُه أحد، ومنه ما يكون في بيوت الناس ويُتعهَّد في الخلايا ونحوِها، شَمِلَ الأمرُ باتخاذ البيوت النوعَيْن.

وقال الزمخشريّ ما يدلُّ على أنَّ البيوتَ ليست الكُوى وإنما هي ما تَبْنِيه هي،

---

(١) تفسيره ٢٠/ ٧٠، وهو نقله عن الكشاف، والكلام فيه ٢/ ٤١٧.

(٢) في المصدرين السالفين: الإيحاء.

(٣) في تفسير الرازي ٢٠/ ٦٩: الفرجار، ويلفظ كذلك أيضاً، فاللفظة فارسية، وهو آلة بسيطة معروفة تُرسم بواسطتها الدوائر والأقواس. وتحرفت اللفظة في مطبوع البحر إلى: البركاك.

فقال[1]: أُرِيدَ معنى البعضيَّة ـ يعني بـ «مِنْ» ـ وأنْ لا تَبنِيَ بيوتَها في كلِّ جبلٍ وكلِّ شجر وكلِّ ما يُعرش.

وقال ابنُ زيد: «ومِمَّا يَعْرِشُون»: الكُروم. وقال الطبريّ: ما يَبْنُون من السُّقوف[2]. قال ابن عطية[3]: وهذا منهما تفسيرٌ غيرُ متقَن. انتهى.

وقرأ السُّلَميُّ وعُبيد بن نضلة وابنُ عامر وأبو بكر عن عاصم بضم الراء، وباقي السبعة بكسرها[4].

وتقتضي «ثمَّ» المُهْلَةَ والتراخي بين الاتخاذ والأكل الذي تدَّخر منه العَسَل، فلذلك كان العطف بـ «ثُمَّ»، وهو معطوف على «اتَّخِذِي» وهو أمرٌ معطوف على أمر.

وسيأتي الكلام على أمر غير المكلَّف في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨] إن شاء الله.

و«كلّ الثمرات» عامٌّ مخصوصٌ، أي: المعتادة لأكلها؛ قال الزمخشريّ[5]: أي: ابني البيوتَ ثم كُلِي من كلِّ ثمرة تشتهيها. انتهى. فدلَّ قولُه: أي ابني البيوتَ أنه لا يُريد بقوله: «بيوتاً» الكُوى التي في الجبال ومتجوَّف الأشجار ولا الخلايا، وإنما يُراد البيوتُ المسدَّسة التي تبنيها هي.

وظاهرُ «مِنْ» في قوله: «مِنْ كلِّ الثمرات» أنها للتبعيض، فتأكلُ من الأشجار الطيِّبة والأوراق العَطِرة أشياءَ يُولِّدُ اللهُ منها في أجوافها عَسَلاً.

قال ابن عطية: إنَّما تأكل النُّوَّار من الأشجار[6].

---

(١) الكشاف ٢/٤١٧-٤١٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/٢٨٦، وقول ابن زيد السالف فيه ٢٤/٢٨٧ وفي النكت والعيون ٣/١٩٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٤٠٦، والكلام السالف قبله فيه.

(٤) السبعة ص٣٧٤، والتيسير ص١١٣، والمحرر الوجيز ٣/٤٠٦.

(٥) الكشاف ٢/٤١٨.

(٦) المحرر الوجيز ٣/٤٠٦. والنُّوَّار يعني الزَّهر، واحدتُه نُوَّارَة.

وقال أبو عبد الله الرازيّ ما ملخَّصه[١]: يُحْدِثُ الله تعالى في الهواء طَلًّا كثيراً[٢] يجتمعُ منه أجزاءٌ محسوسة مثل التَّرَنجَبين[٣]، وهو محسوس، وقليلاً لطيفَ الأجزاء صغيرَها، وهو الذي ألهمَ الله تعالى النَّحلَ التقاطَه من الأزهار وأوراق الأشجار وتغتذي بها، فإذا شبعت التقطت بأفواهها شيئاً من تلك الأجزاء ووضَعَتْها في بيوتها كأنها تُحاولُ أن تدَّخر لنفسها غذاءَها، فالمجتمِعُ من ذلك هو العسل، وعلى هذا القول تكونُ «مِنْ» لابتداء الغاية لا للتبعيض. انتهى.

وظاهر العطف بالفاء في «فاسْلُكِي» أنه يعتقب[٤] الأكل، أي: فإذا أكلتِ فاسْلُكي سُبُلَ ربِّكِ، أي: طُرُقَ ربِّكِ إلى بيوتِكِ راجعةً. والسُّبُلُ إذْ ذاك مسالكُها في الطيران، وربما أجْدَبَ مكانُها فانتجعَتِ المكانَ البعيد، ثم عادت إلى مكانها الأوّل.

وقيل: «سُبُلَ ربِّك»: الطُّرق التي ألهمكِ وأفهمكِ في عمل العَسَل، أو: فاسْلُكِي ما أكَلْتِ في سُبُلِ[٥] ربِّكِ، أي: في مسالِكِه التي يُحِيلُ فيها بقدرتِهِ النَّوْرَ المُرَّ عَسَلاً من أجوافِكِ ومنافِذِ مآكِلِكِ. وعلى هذا القول ينتصب «سُبُلَ ربِّك» على الظرف، وعلى ما قبلَه ينتصبُ على المفعول به.

وقيل: المرادُ بقوله: «ثم كُلِي»: ثم اقْصِدِي الأكلَ من الثمرات، فاسلكي في طلبِها سُبُلَ ربِّكِ[٦].

وهذا القول والقول الأول أقربُ في المجاز في «سُبُل ربِّك» من القولين اللذين بينهما، إلا أنَّ «كُلي» بمعنى اقْصِدِي الأكْلَ مجاز.

---

(١) تفسير الرازي ٢٠/ ٧١.
(٢) الطَّلُّ: المطر الضعيف، أو أخف المطر وأضعفُه. ينظر القاموس (طلل).
(٣) بتشديد الراء، هو مادة تُشبهُ المَنَّ. والمَنُّ ـ كما في القاموس ـ هو كلُّ طَلٍّ ينزلُ من السماء على شجر أو حجر ويحلُو وينعقدُ عسلاً ويجفُّ جفاَفَ الصَّمغ. وينظر تفسير القرطبي ٢/ ١١٨ (البقرة: ٥٧).
(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: بعقيب.
(٥) في النسخ: أي في سُبُل ربِّك. والمثبت من الكشاف ٢/ ٤١٨ والكلام منه.
(٦) تفسير الرازي ٢٠/ ٧٢.

وأضافَ السُّبُلَ إلى رَبِّ النَّحل من حيث إنه تعالى هو خالقُها ومالكُها والناظرُ في تهيئة مصالِحِها ومَعَاشِها.

وقال مجاهد: «ذُلُلاً» غيرَ مُتَوَعِّرَةٍ عليها سبيلٌ تسلكه[1]. فعلى هذا «ذُلُلاً» حال من «سُبُلَ ربك» كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥].

وقال قتادة: أي: مطيعةً منقادة. وقال ابنُ زيد: يخرجون بالنَّحْلِ ينتجعون وهي تتبعُهم، فعلى هذا «ذُلُلاً» حال من النحل، كقوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾[2] [يس: ٧٢].

ثم ذكرَ تعالى على جهة تعديد النعمة والتنبيهِ على المِنَّةِ ثمرةَ هذا الاتِّخاذِ والأكل والسُّلُوك، وهو قولُه: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ وهو العسلُ، وسَمَّاه شَراباً لأنه ممَّا يُشرب، كما ذكرَ ثمرةَ الأنعامِ وهو سقْيُ اللبن، وثمرةَ النخيلِ والأعناب وهو اتِّخاذُ السَّكَرِ والرِّزقِ الحَسَن.

وذكرَ تعالى المَقَرَّ الذي يخرجُ منه الشرابُ، وهو بطونُها، وهو مبدأ الغاية الأولى. والجمهور على أنه يخرجُ من أفواهها، وهو مبدأ الغاية الأخيرة، ولذلك قال الحريري[3]:

تقولُ هذا مُجاجُ النحلِ تمدحُهُ   وإنْ ذَمَمْتَ تَقُلْ قَيْءُ الزَّنابيرِ[4]

والمُجاج والقيءُ لا يكونانِ إلا من الفمِ.

ورُوِيَ عن عليّ كرَّمَ اللهُ وجهَه أنه قال في تحقير الدُّنيا: أشرفُ لباسِ ابنِ آدمَ فيها لُعابُ دُودة، وأشرفُ شرابِه رَجِيعُ نَحْلَة[5].

وعنه أيضاً: أمَّا العسلُ فوَنِيمُ ذُباب[6]. فظاهرُ هذا أنَّ العسلَ يخرجُ من غير

---

(١) تفسير الطبري ٢٨٨/٢٤، والنكت والعيون ١٩٩/٣، والمحرر الوجيز ٤٠٦/٣.

(٢) القولان في المصادر السالفة.

(٣) كذا في النسخ غير (ح) ونقله عنه الآلوسي ١٩٨/١٤، وهو وهم، والبيت لابن الرومي. ووقع في (ح): قال بعضهم.

(٤) رواية عجزه في ديوان ابن الرومي ٣/ ١١٤٤: وإن تَعِبْ قلتَ ذا قَيْءُ الزَّنابِيرِ. والمُجاج: الرِّيق.

(٥) المحرر الوجيز ٤٠٦/٣.

(٦) أي: سَلْحُهُ (ما يخرج منه).

الفم، وقد خَفِيَ من أيِّ المخرجَيْن يخرجُ، أمنَ الفم أم من أسفل[١].

وحُكيَ أنَّ سليمان عليه السلام والإسكندر وأرسطاطاليس صنعوا لها بيوتاً من زجاج لينظروا إلى كيفية صنيعها، وهل تُخرِجُ العسلَ من فيها أم من أسفلِها، فلم تصنع من العسل شيئاً حتى لَطَخَتْ باطنَ الزُّجاج بالطين بحيثُ يمنعُ المشاهدة.

وقال الحسن: لُبابُ البُرِّ بلُعابِ النَّحل بخالصِ السَّمن ما عابَه مسلم[٢]. فجعله لُعاباً كالرِّيق الدائم الذي يخرجُ من فم ابنِ آدم.

وقيل: «من بطونها»: من أفواهها[٣]، سُمِّيَ الفمُ بطناً لأنه في حكم البطن، ولأنه ممَّا يَبْطُن ولا يظهَر.

واختلافُ ألوانِه بالبياضِ والصُّفرةِ والحُمرة والسَّواد، وذلك لاختلاف طِباع النَّحل واختلافِ المراعي، وقد يختلفُ طعمُه لاختلاف المَرْعَى كما في الحديث: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ[٤].

وقيل: الأبيض يُلقيه شبابُ النَّحل، والأصفر كُهولُها، والأحمرُ شِيبُها.

والظاهرُ عود الضمير في «فيه» إلى الشراب ـ وهو العسل ـ لأنه شفاءٌ من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة. وقلَّ معجونٌ من المعاجين لم يذكرِ الأطباءُ فيه العسلَ، والعسلُ موجود كثيرٌ في أكثر البلدان، وأمَّا السُّكَّر فمختصٌّ به بعضُ البلاد وهو مُحْدَث، ولم يكن فيما تقدَّم من الأزمان يُجعلُ في الأشربة والأدوية إلا العَسَل.

وليس المرادُ بالناس هنا العموم، لأنَّ كثيراً من الأمراض لا يدخلُ في دوائها العسلُ، وإنما المعنى للناس الذين يَنْجَعُ العسلُ في أمراضِهم. ونكَّر «شفاء» إمَّا

(١) ثبت علمياً أن العسل يخرج من أفواه النحل، لا من أسفلها.
(٢) الكشاف ١/ ٦٤٠، وتفسير النسفي ٢/ ٦، كلاهما عند تفسير الآية (٨٧) من المائدة.
(٣) تفسير الرازي ٢٠/ ٧٢.
(٤) هو من قول عائشة وسَوْدَة وصفيَّة لرسول الله ﷺ لما شرب عند حفصة شربة عسل، وهو من حديث عائشة عند البخاري (٦٩٧٢)، ومسلم (١٤٧٤): (٢١). وقوله: جَرَسَتْ، أي: رَعَتْ، والعُرْفُط: شجر يخرجُ منه المغافير، وهي مادة صمغية حلوة، له رائحة كريهة.

للتعظيم، فيكونُ المعنى: فيه شفاءٌ أيُّ شفاء، وإمَّا لدلالته على مطلق الشِّفاء، أي: فيه بعضُ الشفاء.

ورُوي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضَّحاك والفرَّاء وابنِ كَيْسان أن الضمير في «فيه» عائد على القرآن، أي: في القرآن شفاءٌ للناس(١)؛ قال النحاس(٢): وهذا قولٌ حسن، أي: فيما قَصَصْنا عليكم من الآيات والبراهين شفاءٌ للناس، قال القاضي أبو بكر بن العربيّ(٣): أرى هذا القولَ لا يصحُّ نقلُه عن هؤلاء، ولو صحَّ نقلاً لم يصحَّ عقلاً، فإنَّ سياقَ الكلام كلَّه للعسل، ليس للقرآن فيه ذِكْر.

ولـمَّا كان أمرُ النحل عجيباً في بنائها تلك البيوتَ المسدسةَ، وفي أكلِها من أنواع الأزهار والأوراقِ الحامضَ والمُرَّ والضَّارَّ، وفي طواعيتها لأميرِها ولمن يملكُها في النقلة معه، وكان النظرُ في ذلك يحتاجُ إلى تأمُّلٍ وزيادةِ تدبُّرٍ = خَتَمَ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

لـمَّا ذكرَ تعالى تلك الآياتِ التي في الأنعام والثمراتِ والنحل؛ ذكرَ ما نَبَّهَنا به على قدرته التامَّة في إنشائنا من العَدَم وإماتتنا وتنقُّلنا في حالِ الحياةِ من حالةِ العلم إلى حالةِ الجهل(٤)، وذلك كلُّه دليلٌ على القدرةِ التامَّة والعلمِ الواسع، ولذلك ختمَ بقوله: ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ١٩٩-٢٠٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٦٧-٣٦٨.
(٢) معاني القرآن ٤/ ٨٤-٨٥. والكلام في تفسير القرطبي ١٢/ ٣٦٨.
(٣) أحكام القرآن ٣/ ١١٤٦. ونقله أيضاً القرطبي ١٢/ ٣٦٨.
(٤) هو معنى قوله: «لكي لا يعلم بعد علم شيئاً». ووقع في مطبوع البحر: من حالة الجهل إلى حالة العلم.

و«أرذلُ العمر» آخِرُه الذي تَفْسُدُ فيه الحَواسُّ، ويختلُّ النطقُ والفِكْر، وخُصَّ بالرذيلة لأنها حالةٌ لا رَجَاءَ بعدَها لإصلاحِ ما فسدَ؛ بخلاف حالِ الطُّفولة، فإنها حالةٌ يتقدَّم فيها إلى القوة وإدراك الأشياء. ولا يتقيَّد أرذلُ العُمُر بسِنٍّ مخصوص كما رُوِيَ عن عليٍّ أنه خمسٌ وسبعون سنة. وعن قتادة أنه تسعون[١]، وإنما ذلك بحسب إنسان إنسان، فرُبَّ ابنِ خمسين انتهَى إلى أرذل العُمُر، ورُبَّ ابنِ مئة لم يُرَدَّ إليه.

والظاهر أنَّ مَنْ يُرَدُّ إلى أرذلِ العُمُر عامٌّ فيمن يلحقُه الخَرَفُ والهَرَم.

وقيل: هذا في الكافر، لأنَّ المسلم لا يزدادُ بطُول عُمُرِه إلا كرامةً على الله[٢]، ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين ٥-٦] أي: لم يُرَدُّوا إلى أسفلِ سافلين.

وقال عكرمة: مَنْ قرأ القرآنَ لم يُرَدَّ إلى أرذلِ العُمُر[٣].

واللام في «لكي» قال الحوفيُّ: هي لام «كي» دخلت على «كي» للتوكيد، وهي متعلِّقة بـ «يُرَدُّ». انتهى.

والذي ذهبَ إليه محقِّقُو النُّحاة في مثل «لكي» أنَّ «كي» حرف مصدريّ إذا دخلت عليها اللام، وهي الناصبة كـ «أنْ» واللام جارَّة، فينسبِكُ من «كي» والمضارع بعدها مصدرٌ مجرورٌ باللام تقديراً، فاللام على هذا لم تدخل على «كي» للتوكيد لاختلاف معناهما واختلاف عملِهما، لأنَّ اللام مشعرةٌ بالتعليل، و«كي» حرف مصدريّ واللام جارَّة، و«كي» ناصبة.

وقال ابن عطية[٤]: يُشبه أن تكون لامَ صيرورة، والمعنى: ليصيرَ أمرُه بعد العلم بالأشياء إلى أن لا يعلمَ شيئاً، وهذه عبارةٌ عن قلَّة علمِهِ، لا أنه لا يعلمُ شيئاً البتَّة.

---

(١) القولان في الكشاف ٢/ ٤١٨، وزاد المسير ٤/ ٤٦٧، وقول علي في تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٢، والنكت والعيون ٣/ ٢٠٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٧.

(٢) بنحوه عن ابن عباس في زاد المسير ٤/ ٤٦٨.

(٣) المصدر السالف، وأخرجه عن عكرمة سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٤/ ١٢٣. ووقع في مطبوع البحر: قتادة، بدل: عكرمة، ولم أقف عليه عن قتادة.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٧.

وقال الزمخشريّ[١]: ليصيرَ إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلمَ شيئاً ثم يُسرعَ في نسيانِهِ، فلا يعلمُه إنْ سُئِلَ عنه.

وقيل: لئلا يعقلَ من بعد عقلِه الأوَّل شيئاً.

وقيل: لئلا يعلمَ زيادةَ علمٍ على علمه. انتهى.

وانتصب «شيئاً» إمَّا بالمصدر على مذهب البصريِّين في اختيار إعمالِ ما يلي للقُرب، أو بـ «يعلم» على مذهب الكوفيِّين في اختيار إعمال ما سبقَ للسَّبق.

ولمَّا ذكرَ ما يَعْرِضُ في الهَرَم من ضعفِ القُوى والقُدرة وانتفاءِ العلم؛ ذكرَ عِلْمَه وقدرتَه اللَّذين لا يتبدَّلان ولا يتغيَّران ولا يدخلُهما الحوادثُ، ووَلِيَتْ صفةُ العلم ما جاورَها من انتفاء العلم.

وتقدَّم أيضاً ذِكْرُ مناسبةٍ للختم بهذين الوصفين.

ولما ذَكَرَ تعالى خَلْقَنَا ثم إماتَتنا وتفاوتَنا في السِّنِّ؛ ذَكَرَ تفاوتَنا في الرِّزق، وأنَّ رِزقَنا أفضلُ من رِزْقِ المماليك، وهم بشرٌ مثلُنا، وربَّما كان المملوكُ خيراً من المَوْلَى في العقل والدِّين والتصرُّف، وأنَّ الفاضِلَ في الرِّزق لا يُساهم مملوكَه فيما رُزِق فيُساويَهُ، وكان ينبغي أن يَرُدَّ فَضْلَ ما رُزق عليه، ويُساوِيَهُ في المطعم والملبس، كما يُحكى عن أبي ذرٍّ أنه رُئِيَ عبدُه وإزارُه مثلُ إزارِه، ورِدَاؤُه مثلُ ردائِهِ من غير تفاوت، عملاً بقول رسول الله ﷺ: «إنما هم إخوانُكم، فاكْسُوهُمْ ممَّا تَلْبَسُون، وأطْعِمُوهُمْ ممَّا تَطْعَمُون»[٢].

وعن ابن عبَّاس وقتادة أن الإخبار بقوله ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾ على سبيلِ المَثَل، أي: إنَّ المفضَّلين في الرِّزق لا يصحُّ منهم أن يُساهموا مماليكَهم فيما أُعطُوا حتى تستويَ أحوالُهم، فإذا كان هذا في البشر، فكيف تنسُبون أنتم أيُّها الكَفَرة إلى الله تعالى أنه يُشْرَكُ في ألوهيَّته الأوثان والأصنام ومَنْ عُبدَ من الملائكة وغيرهم، والجميع عبيدُه وخلقه[٣]؟!

---

(١) الكشاف ٢/٤١٨.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١) بنحوه عن أبي ذرّ، وفيه قصة، واللفظ أعلاه أقرب إلى لفظ الكشاف ٢/٤١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٤٠٧. وينظر تفسير الطبري ١٤/٢٩٢-٢٩٣.

وعن ابن عبَّاس أنَّ الآية مشيرةٌ إلى عيسى بنِ مريمَ عليه السلام[١].

وقال المفسِّرون: هذه الآية كقوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[٢] الآية [٢٨: الروم].

وقيل: المعنى أنَّ المواليَ والمماليكَ أنا رَازِقُهم جميعاً، فهم في رِزْقي سواء، فلا يحسبنَّ المواليَ أنَّهم يَرُدُّون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرِّزق، فإنَّما ذلك رزقي أُجْرِيه إليهم على أيديهم[٣].

وعلى هذا القول يكون «فهم فيه سواءٌ» جملةُ إخبارٍ عن تساوي الجميع في أنَّ الله تعالى هو رازقُهم، وعلى القولين الآخرَيْن تكون الجملة في موضع جواب النَّفي، كأنه قيل: فيستووا.

وقيل: هي جملة استفهامية حُذف منها الهمزة، التقدير: أفهم فيه سواء؟ أي: ليسوا مستوين في الرِّزق، بل التفضيلُ واقعٌ لا محالة.

ثم استفهمَ عن جُحُودِهم نِعَمَهُ استفهامَ إنكار، وأتى بالنّعمة الشاملة للرِّزق وغيرِه من النِّعم التي لا تُحْصَى، أي: إنَّ مَنْ تَفَضَّلَ عليكم بالنَّشْأةِ أوَّلاً، ثم بما فيه قوامُ حياتِكم، جَدِيرٌ بأن تُشكر نِعَمُهُ ولا تُكْفَرَ.

وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عبد الرحمن والأعرج بخلاف عنه: «تجحدون» بالتاء على الخطاب[٤]، لقوله: «فَضَّلَ بعضكم» تبكيتاً لهم في جَحْد نعمةِ الله.

ولـمَّا ذَكَرَ تعالى امتنانَه بالإيجاد ثم بالرِّزق المفضَّل فيه؛ ذكرَ امتنانَه بما يقومُ بمصالح الإنسان ممّا يأنسُ به ويستنصرُ بِهِ ويخدُمهُ.

واحتمل «مِنْ أنفسِكم» أن يكون المراد: من جنسِكم ونَوْعِكم، واحتَملَ أن يكون ذلك باعتبار خلقِ حوَّاءَ من ضِلَعٍ من أضلاعِ آدم، فنُسب ذلك إلى بني آدم، وكلا الاحتمالين مجاز.

---

(١) المصدران السالفان.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٧.

(٣) الكشاف ٢/ ٤١٩.

(٤) ينظر السبعة ص٣٧٤، والتيسير ص١٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٠٧.

والظاهر عطفُ «حَفَدَة» على «بنين» بِقَيْدِ كونِ الجميع من الأزواج، وأنهم غيرُ البنين، فقال الحسن: هم بَنُو ابنِكَ(١). وقال ابن عباس والأزهريّ: الحَفَدَة أولادُ الأولاد. واختاره ابنُ العربي(٢).

وقال ابن عباس أيضاً: البنون صغارُ الأولاد، والحَفَدَةُ كِبارُهم(٣). وقال مقاتل بعكسه(٤).

وقيل: البنات لأنهنَّ يخدُمْنَ في البيوت أتمَّ خِدْمَة. ففي هذا القول خَصَّ البنين بالذُّكران لأنه جمع مذكر كما قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وإنما الزِّينة في الذكور(٥).

وعن ابن عباس: هم أولاد الزوجة من غير الزوج التي هي في عصمته(٦).

وقيل: «وَحَفَدَة» منصوب بـ «جَعَلَ» مضمرة، وليسوا داخلين في كونهم من الأزواج(٧)، فقال ابنُ مسعود وعلقمة وأبو الضُّحى وإبراهيم وابنُ جُبير: الأصهار، وهم قرابةُ الزوجة، كأبيها وأخيها(٨).

وقال مجاهد: هم الأنصار والأعوان والخَدَم(٩).

وقالت فرقة: الحَفَدَة هم البنون، أي: جامعون بين البنوّة والخدمة، فهو من عطف الصفاتِ لموصوفٍ واحد.

قال ابن عطية ما معناه(١٠): وهذه الأقوالُ مبنيَّة على أنَّ كلَّ أحدٍ جعلَ له من

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٩.
(٢) تهذيب اللغة ٤/٤٢٨، وتفسير الطبري ١٤/ ٣٠١، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٥٠.
(٣) هو في تفسير الثعلبي ٣/٥٢٧، وزاد المسير ٤/ ٤٧٠ عن ابن السائب ومقاتل.
(٤) لم أقف عليه. وقول مقاتل في المصدرين السالفين هو المذكور قبله.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/٤٠٨.
(٦) ينظر تفسير الثعلبي ٣/٥٢٧، والكشاف ٢/٤١٩، والمحرر الوجيز ٣/٤٠٨، وزاد المسير ٤/ ٤٧٠.
(٧) ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٣٧٩-٣٨٠.
(٨) تفسير الطبري ١٤/ ٢٩٦-٢٩٨، والمحرر الوجيز ٣/٤٠٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٢٧٨-٢٧٩.
(٩) تفسير الطبري ١٤/ ٣٠٠، والمحرر الوجيز ٣/٤٠٨.
(١٠) المحرر الوجيز ٣/٤٠٨.

زوجهِ بنينَ وحَفَدَة، وهذا إنَّما هو في الغالب وعُظْمِ الناس، ويَحتَمِلُ عندي أنَّ قولَه: «من أزواجكم» إنَّما هو على العموم والاشتراك، أي: من أزواج البشر جعلَ الله منهم البنين، ومنهم جعلَ الخدَمة، وهكذا رتبت الآية النعمةَ التي تشملُ العالَم، وتستقيم لفظة الحَفَدَة على مجراها في اللغة إذِ البشرُ بجملتهم لا يستغني أحدٌ منهم عن حفدة. انتهى.

وفي قوله: ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ دلالةٌ على كذب العرب في اعتقادها أنَّ الآدميَّ قد يتزوَّج من الجنِّ ويُباضِعُها، حتى حَكَوْا ذلك عن عَمرو بن هند أنه تزوَّجَ سِعْلاةً[١].

و«مِنْ» في «مِنَ الطَّيِّبات» للتبعيض لأنَّ كلَّ الطَّيِّباتِ في الجنَّة، والذي في الدُّنيا أُنموذجٌ منها[٢]، والظاهر أنَّ الطَّيِّباتِ هنا هي المستلذَّات لا الحلال، لأن المخاطبين كفار لا يتلبسون بشرع.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما امتنَّ به من جعلِ الأزواج وما يُنتفعُ[٣] به من جهتهنَّ ذكرَ مِنَنَهُ بالرِّزْق. والطَّيِّباتُ عامٌّ في النبات والثمار والحُبوب والأشربة، ومن الحيوان.

وقيل: الطَّيِّبات الغنائم. وقيل: ما أَتَى من غير نَصَب.

وقال مقاتل: الباطلُ الشيطانُ، ونعمةُ الله محمدٌ ﷺ.

وقال الكلبيّ: طاعةُ الشيطان في الحلال والحرام.

وقيل: ما يُرجَى من شفاعة الأصنام وبركتها؛ قال الزمخشريّ: «أفبالباطل يؤمنون» وهو ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتِها وشفاعتِها، وما هو إلا وَهْمٌ باطلٌ لم يتوصَّلُوا إليه بدليل ولا أَمارة فليس لهم إيمانٌ إلا به، كأنَّه شيء معلوم مستيقن، و«نعمةُ الله» المشاهَدةُ المعايَنةُ التي لا شُبهةَ فيها لِذِي عقلٍ وتمييزٍ هُم كافرون بها منكرون لها كما يُنكَرُ المُحَالُ الذي لا تتصوَّرُه العقول. وقيل: «الباطل»

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١١٤٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٧٦-٣٧٧. وينظر النوادر ص١٤٦-١٤٧، وجمهرة اللغة ٣/ ١٥٢. والسِّعلاة: الغُول.

(٢) الكشاف ٢/ ٤١٩.

(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: نتفع.

ما يُسوِّلُ لهم الشيطان من تحريم البَحِيرَةِ والسَّائبة وغيرِهما، و«نعمةُ الله» ما أحلَّ لهم. انتهى[١].

وقرأ الجمهور: «يؤمنون» بالياء، وهو توقيفٌ للرسول ﷺ على إيمانهم بالباطل، ويندرجُ في التوقيف المعطوفُ بعدَها.

وقرأ السُّلَميُّ بالتاء على الخطاب، ورُويت عن عاصم[٢]، وهو خطابُ إنكارٍ وتقريعٍ لهم، والجملةُ بعدَ ذلك مجرَّدُ إخبارٍ عنهم، فالظاهرُ أنه لا يندرجُ في التقريع.

و«يعبدون» استئنافُ إخبارٍ عن حالهم في عبادة الأصنام، وفي ذلك تبيينٌ لقوله: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ نَعَى عليهم فسادَ نظرِهم في عبادةِ ما لا يمكنُ أن يقعَ منه ما يسعى عابدُهُ في تحصيله منه، وهو الرِّزق، ولا هو في استطاعتِه، فنَفَى أوَّلاً أن يكون شيء من الرِّزق في مِلْكِهِمْ، ونَفَى ثانياً قدرتَها على أن تُحاول ذلك.

و«ما لا يملكُ» عامٌّ في جميعِ مَنْ عُبِدَ من دون الله، من مَلِكٍ أو آدميّ أو غيرِ ذلك.

وأجازوا في «شيئاً» انتصابَه بقوله: «رِزْقاً»، أجازَ ذلك أبو عليّ وغيرُه، ورَدَّ عليه ابنُ الطَّرَاوة بأنَّ الرِّزْق هو المرزُوق، كالرِّعْي والطِّحْن، والمصدرُ هو الرَّزْق، بفتح الراء، كالرَّعي والطَّحْن، ورُدَّ على ابنِ الطَّرَاوة بأنَّ الرِّزق بالكسر يكون أيضاً مصدراً، وسُمع ذلك فيه، فصَحَّ أن يعملَ في المفعول به. والمعنى ما لا يملكُ لهم أن يرزقَ مِنَ السَّماواتِ والأرضِ شيئاً، و«من السَّماواتِ» متعلِّق إذ ذاك بالمصدر.

قال ابنُ عطية[٣] بعد أنْ ذَكَرَ إعمالَ المصدرِ مُنَوَّناً: والمصدرُ يعملُ مضافاً باتِّفاق، لأنه في تقدير الانفصال، ولا يعملُ إذا دخلَه الألف واللام، لأنه قد توغَّلَ في حال الأسماء، وبَعُدَ عن الفِعليَّة، وتقديرُ الانفصال في الإضافة حَسَّنَ عَمَلَه،

---

(١) الكشاف ٢/ ٤١٩. والقول الأخير بنحوه من كلام الطبري ١٤/ ٣٠٤.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٨. وذكرها القرطبي ١٢/ ٣٨١ عن السُّلمي (وهو أبو عبد الرحمن).
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٩.

وقد جاء عاملاً مع الألف واللام في قول الشاعر:

ضعيفُ النِّكايةِ أعداءَهُ[(١)]

البيت، وقولِه:

لَحِقْتُ فلم أنْكُلْ عن الضَّرْبِ مِسْمَعَا[(٢)]

انتهى. أمَّا قولُه: «يعملُ مضافاً باتفاق» إنْ عَنَى من البصريِّين فصحيح، وإنْ عَنَى من النحويين فغيرُ صحيح، لأنَّ بعضَ النحويِّين ذهبَ إلى أنه وإنْ أُضِيفَ لا يعملُ، وأنَّ نصبَ ما بعدَه أو رَفْعَه إنما هو على إضمار الفعل المدلول عليه بالمصدر.

وأمَّا قولُه: «لأنه في تقدير الانفصال» ليس كذلك؛ لأنه لو كان في تقدير الانفصال لكانت الإضافة غيرَ مَحْضَة، وقد قال بذلك أبو القاسم بن بَرْهَان[(٣)] وأبو الحسين بن الطَّرَاوة، ومذهبُهما فاسدٌ لنعتِ هذا المصدر المضاف وتوكيدِه بالمعرفة. وأمَّا قولُه: «ولا يعمل» إلى آخره، فقد ناقضَ في قوله أخيراً: وقد جاء عاملاً مع الألف واللام، وأمَّا كونه لا يعملُ مع الألف واللام فهو مذهبٌ منقولٌ عن الكوفيِّين، ومذهبُ سيبويه جوازُ إعمالِه. قال سيبويه[(٤)]: تقولُ: عجبتُ من الضَّرْبِ زيداً، كما تقول: عجبتُ من الضاربِ زيداً، تكون الألفُ واللامُ بمنزلة التنوين.

---

(١) هو صدر بيت، وعجزُه: يخالُ الفِرارَ يُراخي الأجَلْ. وهو في الكتاب ١/ ١٩٢، وشرح المفصل ٦/ ٥٩، وشرح الكافية ٣/ ٤٧٧، وخزانة الأدب ٨/ ١٢٧. قال البغدادي: هو من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يُعرف قائلها.

(٢) هو عجز بيت، وصدرُه: لقد علمت أولي المغيرة أنني. وهو في الكتاب ١/ ١٩٣ ونسب فيه للمرَّار الأسدي، وذكر ابن يعيش في شرح المفصَّل ٦/ ٦٤ أن بعضهم رواه في شعر مالك بن زُغْبة الباهليّ، وكذا نسبه البغدادي في خزانة الأدب ٨/ ١٣٢ لمالك بن زُغْبة. وهو في المقتضب ١/ ١٤ دون نسبة.

(٣) هو عبد الواحد بن علي بن بَرْهان العكبري، لغويّ نحويّ، عالم بالأنساب وأيام العرب، من أصحاب ابن بطَّة، توفي سنة (٤٥٦هـ). ينظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٤-١٢٥.

(٤) الكتاب ١/ ١٩٢.

وإذا كان «رِزْقاً» يُراد به المرزوق؛ فقالوا: انتصبَ «شيئاً» على أنه بدل من «رِزْقاً» كأنَّه قيل: ما لا يملكُ لهم من السماواتِ والأرضِ «شيئاً» وهذا[١] البَدَل ليس[٢] جارياً على جهة البيان لأنه أعمُّ من «رِزْق» ولا على جهة التوكيد، لأنه لعمومه ليس مرادفاً، فينبغي أن لا يجوز، إذ لا يخلُو البَدَلُ من أحدِ نوعَيْه هذَيْن؛ إمَّا البيانِ وإمَّا التأكيد.

وأجازُوا أيضاً أن يكون مصدراً[٣]، أي: شيئاً من المِلك، كقوله: ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا﴾ [هود:٥٧] أي: شيئاً من الضَّرَر، وعلى هذين الإعرابين يتعلَّق «من السماوات» بقوله: «لا يملك»، أو يكون في موضع الصفة لـ «رِزْق» فيتعلَّق بمحذوف.

ومِن السماواتِ رزقاً[٤] يعني به المطر، وأُطلق عليه رِزْقٌ لأنه عنه ينشأ الرِّزق، و«الأرض» يعني الشجرَ والثمرَ والزرعَ.

والظاهر عَوْدُ الضمير في «يستطيعون» على «ما» على معناها لأنه يُراد بها آلهتُهم بعدَما أعادَ على اللفظ في قوله: «ما لا يملك» فأفرد، وجازَ أن يكون داخلاً في صلة «ما» وجازَ أن لا يكونَ داخلاً بل إخبارٌ عنهم بانتفاء الاستطاعة أصلاً؛ لأنهم مَوَات.

وأمَّا قولُ الزَّمْخشريّ[٥]: إنه يُراد بالجمع بين نفي المِلْك والاستطاعة التوكيد، فليس كما ذَكَرَ؛ لأنَّ نفيَ المِلْكِ مغايرٌ لِنَفْي الاستطاعة.

وقال ابن عباس: «ولا يستطيعون» أن يَرْزُقُوا أنفسَهم[٦].

وجوَّز الزَّمَخْشريّ وابنُ عطية أن يعود الضميرُ على ما عادَ عليه في قوله: «ويعبدون»، وهم الكفار، أي: ولا يستطيعُ هؤلاء مع أنهم أحياءٌ متصرِّفون أولو ألباب من ذلك شيئاً، فكيف بالجماد الذي لا حسَّ به؟ قاله الزمخشري.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: وهو، بدل: وهذا.
(٢) سقطت لفظة «ليس» من المطبوع.
(٣) يعني قوله: «شيئاً» وحيث يُراد بالرِّزق المرزوق.
(٤) كذا في النسخ، ولفظ الآية: «رزقاً من السماوات».
(٥) الكشاف ٢/ ٤٢٠.
(٦) بنحوه في الهداية وتفسير القرطبي عند تفسير الآية (٥٧) من الذاريات.

وقال ابن عطية[1]: لا يستطيعون ذلك ببرهانٍ يُظهرونه وحُجَّةٍ يُثبتونَها. انتهى.

ونهى تعالى عن ضربِ الأمثالِ للهِ، وضربُ الأمثالِ تمثيلُها، والمعنى هنا تمثيلٌ للإشراكِ بالله والتشبيه به، لأنَّ من يضربُ الأمثالَ مشبِّهٌ حالاً بحالٍ وقصَّةً بقصَّة، من قولهم: هذا ضَرْبٌ لهذا، أي: مِثْلٌ، والضَّرْبُ: النَّوعُ، تقول: الحيوانُ على ضُروب، أي: أنواع، وهذانِ مِن ضربٍ واحدٍ، أي: من نوعٍ واحد.

وقال ابن عباس: معناه لا تشبهوه بخَلْقه. انتهى[2].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أثبتَ العلم لنفسه، والمعنى أنه يعلم ما تفعلون من عبادةِ غيرِه والإشراكِ به، وعبَّر عن الجزاء بالعلم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ كُنْهَ ما أقدمتُم عليه ولا وبالَ عاقبتِه، فعدَمُ عِلْمِكُم بذلك جَرَّكُمُ وجَرَّأكُم، وهو كالتعليل للنهي عن الإشراك.

قال الزمخشري[3]: ويجوزُ أن يُراد أنَّ الله يعلمُ كيف تُضربُ[4] الأمثال وأنتم لا تعلمون. انتهى. وقاله ابن السائب؛ قال: يعلم بضَرْبِ المَثَل وأنتم لا تعلمون ذلك.

وقال مقاتل: يعلمُ أنه ليس له شريك وأنتم لا تعلمون ذلك.

وقيل: يعلمُ خطأً ما تضربون من الأمثال، وأنتم لا تعلمون صوابَ ذلك من خطئه[5].

❋ ❋ ❋

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٠٩.
(٢) هو في زاد المسير ٤/ ٤٧١، وتفسير الرازي ٢٠/ ٨٢-٨٣ دون نسبة.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٢٠، والكلام قبله هو فيه بنحوه.
(٤) في الكشاف: يضرب.
(٥) الأقوال السالفة في زاد المسير ٤/ ٤٧١، وفيه قول رابع: يعلم ما كان ويكون، وأنتم لا تعلمون قدر عظمته حين أشركتم به ونسبتموه إلى العجز عن بعث خلقه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾.

المفردات

الكَلُّ: الثقيلُ، وقد يسمَّى اليتيمُ كَلًّا لِثقلهِ على مَنْ يَكْفُلُه. وقال الشاعر:

أَكُـولٌ لِـمـالِ الـكَـلِّ قَـبْـلَ شَـبـابِـهِ إذا كـانَ عَـظْـمُ الـكَـلِّ غيـرَ شـديـدِ[1]

والكَلُّ أيضاً الذي لا وَلَدَ له ولا والد، والكَلُّ: العِيال، والجمع كُلُول.

اللَّمْحُ: النَّظرُ بسرعة، لَمَحَهُ لَمْحاً ولَمَحَاناً.

(١) البيت في العين ٥/ ٢٧٩، وتهذيب اللغة ٩/ ٤٤٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٨٧، واللسان (كلل) دون نسبة.

الجوُّ: مسافةُ ما بينَ السماءِ والأرض، وقيل: هو ما يلي الأرضَ في سَمْتِ العُلُوّ، واللُّوحُ والسُّكَاكُ أبعدُ منه[(١)].

الظَّعْنُ: سَيْرُ البادية في الانتجاع، والتحوُّلُ من موضع إلى موضع، والظَّعْن: الهَوْدَجُ أيضاً[(٢)].

الصُّوفُ للضأن، والوَبَرُ للإبل، والشَّعَرُ للمَعْز، قاله أهلُ اللغة في قوله: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ الآية [النحل: ٨٠].

الأثاثُ قال المفضَّل: متاعُ البيتِ، كالفُرُش والأكسية. وقال الفرَّاء[(٣)]: لا واحدَ له من لفظه، كما أنَّ المتاعَ لا واحدَ له من لفظه، ولو جَمعتَ لقلتَ: آثِثة[(٤)] في القليل، وأُثُث في الكثير. وقال أبو زيد: واحدُهُ أَثَاثَة. وقال الخليل: أصلُه من قولهم: أثَّ النباتُ والشَّعَر، فهو أثيث: إذا كثُر. قال امرؤ القيس:

وفَرْعٍ يُغَشِّي المَتْنَ أسْوَدَ فاحِمٍ[(٥)] ... أثِيثٍ كقِنْوِ النخلةِ المُتَعَثْكِلِ[(٦)]

الكَنُّ ما حَفِظَ ومَنَعَ من الرِّيح والمطر وغيرِ ذلك، ومن الجبالِ الغارُ.

استعتبتُ الرجلَ بمعنى أعتَبْتُه، أي: أزَلْتُ عنه ما يُعْتَبُ عليه ويُلام، والاسم العُتْبَى، وجاءت استفعل بمعنى أفعل، نحو: استَدْنَيْتُهُ وأَدْنَيْتُهُ.

* * *

(١) في اللسان (سكك): اللُّوح والسُّكاك والسُّكاكة: الهواء بين السماء والأرض، وقيل: الذي لا يُلاقي أعنان السماء.

(٢) كذا في تفسير القرطبي ١٢/ ٣٩٢. والذي في المعاجم: الظعينة: الهَوْدَج. وقال ابن قتيبة في غريب الحديث ١/ ٢٨٦: الظعينة الهودج، وسُمِّيت المرأة ظعينة لأنها تكون فيه.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ١٧١ (عند تفسير آية مريم ٧٤)، ونقله المصنف عنه بواسطة تفسير الرازي ٢٠/ ٩٢، وقول أبي زيد والخليل بعده فيه أيضاً.

(٤) رُسمت اللفظة في (أ) و(ز١) و(يه): ااثة، وكذا في (ح) وجاء فوقها مدَّة على الألف، ورسمتُها حسب قواعد الإملاء. ووقع في المطبوع: أأثثة. وعبارة معاني الفراء: ولو جمعتَ لقلتَ: ثلاثة آثّة وأُثُث لا غير. وينظر الدر المصون ٧/ ٢٧٥.

(٥) في (ح): ليس بفاحش، بدل: أسود فاحم (وهو وهم، وقد جاء هذا في صدر البيت الذي قبله في القصيدة)، ووقع في مطبوع البحر: يَزِينُ، بدل: يغشّي.

(٦) ديوان امرئ القيس ص١٦. قوله: فَرْع: أي: شعر طويل، والمتعثكل: المتداخل لكثرته.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

مناسبةُ ضَرْبِ هذا المَثَل أنه لما بَيَّنَ تعالى ضلالَهم في إشراكهم بالله غيرَه وهو لا يجلِبُ نفعاً ولا ضَرّاً لا لنفسه ولا لعابدِهِ، ضَرَبَ لهم مَثَلاً قصَّةَ عبدٍ في مِلْكِ غيرِه عاجزٍ عن التصرُّف، وحُرٌّ غَنيّ متصرِّف فيما آتاه الله، فإذا كان هذانِ لا يستويان عندكم مع كونهما من جنسٍ واحد ومشترِكَيْنِ في الإنسانية، فكيف تُشركون باللهِ وتُسَوُّون به مَنْ هو مخلوقٌ له مقهورٌ بقدرته من آدميٍّ وغيرِه مع تبايُنِ الأوصاف، وأنَّ واجِبَ[1] الوجودِ لا يمكن أن يُشبِهَه شيءٌ من خلقِه، ولا يمكن لعاقلٍ أن يُشبِّهَ به غيرَه.

قال مجاهد: هذا مَثَلٌ للهِ وللأصنام.

وقال قتادة: للمؤمن والكافر، فالكافر العبدُ المملوك لا ينتفعُ بعبادتهِ في الآخرة، ومَنْ رَزَقْناه: المؤمن[2].

وقال ابن جُبير: مَثَلٌ للبخيل والسَّخي. انتهى.

ولمَّا كان لفظ «عَبْد» قد يُطلق على الحُرِّ خُصِّصَ بمملوك، ولمَّا كان المملوكُ قد يكون له تصرُّفٌ وقدرة كالمأذون له والمكاتَب خُصِّصَ بقوله: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾. والمعنى: على شيء من التصرُّف في المال، لأنه يقدرُ على أشياء من حركاته، كالقيام والقُعود والأكل والشُّربِ والنَّوم، وغيرِ ذلك.

---

(١) في المطبوع: موجد.
(٢) ينظر القولان السالفان في تفسير الطبري ١٤/ ٣٠٨-٣٠٩، والنكت والعيون ٣/ ٢٠٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٠، وزاد المسير ٤/ ٤٧٢.

والظاهرُ كونُ «ومَنْ» موصولة، أي: والذي رزقناه، ودلَّت الصِّلة وما عُطف على أنه يُرادُ به الحُرُّ.

وقال أبو البقاء[١]: موصوفة؛ قال الزمخشري[٢]: الظاهر أنها موصوفة، كأنه قيل: وحُرًّا رَزَقْناه، ليطابق «عَبْداً» ولا يمتنع أن تكون موصولة.

وقال الحَوْفي: «مَنْ» بمعنى «الذي».

ولا يقتضي ضربُ المَثَل بشخصين موصوفين بأوصافٍ متباينةٍ تعيينهما، بل ما رُوِيَ في تعيينهما من أنهما عثمان بنُ عفان ﷺ وعبدٌ له، أو أنهما أبو بكر الصديق ﷺ وأبو جهل، لا يصحُّ إسنادُه[٣].

وجُمع الضميرُ في «يستوون» ولم يُثَنَّ لسبق اثنين، لأنَّ «مَنْ» يحتمل أن يُراد بها الجمع، فيصير إذ ذاك جمعُ الضمير لانتظام العبد المملوك والأغنياء في الجمع، وكأنه قيل: عبداً مملوكاً والمُلَّاكَ المرزوقون المنفقون[٤].

ويحتمل أن يُراد بـ «عبداً مملوكاً» الجنسُ، فيصلح عَوْدُ الضمير جمعاً عليه وعلى جنس الأغنياء، ويحتمل أن يعودَ على العبيد والأحرار وإنْ لم يجرِ للجمعين ذِكْرٌ لدلالة عبدٍ مملوكٍ ومَنْ رزقناه عليهما.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الظاهرُ أنه خطابٌ للرسول ﷺ. وقيل: يحتمل أن يكون خطاباً لمن رَزَقَه الله، أَمَرَهُ أن يحمدَ الله على أن ميَّزه بهذه القدرة على ذلك العَبْدِ الضعيف.

وقال ابنُ عطيَّة: «الحمدُ لله» شكرٌ على بيانِ الأمرِ بهذا المَثَلِ وعلى إذعان الخصم له، كما تقول لمن أذْعَنَ لك في حُجَّةٍ وسَلَّم ما[٥] تبني أنت عليه قولَكَ: الله

(١) الإملاء ٢/ ٨٤.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٢٠.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١٠. وخبر أن الآية في عثمان وعبدٍ له، أخرجه الطبري ١٤/ ٣١٢. وينظر تفسير كل من الثعلبي ٣/ ٥٢٩، والقرطبي ١٢/ ٣٨٦.
(٤) كذا. والجادة: المرزوقين المنفقين.
(٥) لفظة «ما» من (ح)، وهي أيضاً في المحرر الوجيز ٣/ ٤١٠، والكلامُ منه.

أكبر، على هذا يكون كذا وكذا. فلما قال هنا: ﴿هَلْ يَسْتَوُنَ﴾ فكأنَّ الخصمَ قال له: لا، فقال: الحمدُ لله، ظهرتِ الحُجَّة. انتهى.

وقيل: «الحمدُ لله» أي: هو المستحقُّ للحمدِ دونَ ما يعبدونَ من دونه، إذْ لا نعمةَ للأصنام عليهم فتُحْمَدَ عليها، إنَّما الحمدُ الكاملُ للهِ، لأنه المُنعِم الخالِق[1].

وقال ابن عبَّاس: «الحمدُ للهِ» على ما فعلَ بأوليائِهِ وأنعمَ عليهم بالتوحيد[2].

والظاهرُ نفيُ العلم عن أكثرِهم، لأنَّ منهم مَنْ بانَ له الحقُّ ورَجَعَ إليه، أو أكثرِ الخلق لأنَّ الأكثَرَ هم المشركون.

وقيل: المرادُ بها العموم، أي: بل هم لا يعلمون.

ومتعلَّق «يعلمون» محذوف إمَّا لأنَّ المعنى نفيُ العلم عن الأكثر، ولم يُلحظ متعلَّقُه، وإمَّا لأنه محذوف يترتَّب على الأقوال التي سببُها قوله: «الحمد لله».

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ أي: قصَّة رجلَيْن؛ قال الزمخشريّ: وهذا مَثَلٌ ثانٍ ضربَه لنفسه ولِما يُفِيضُ[3] على عبادِهِ ويشملُهم من آثار رحمتِهِ وألطافِهِ ونِعَمِه الدينيَّة والدنيويَّة، والأصنام التي هي أمواتٌ لا تضرُّ ولا تنفع.

والأبكم: الذي وُلد أخرسَ، فلا يَفْهَم ولا يُفْهِم.

«وهو كَلٌّ على مولاه» أي: ثِقْلٌ وعِيالٌ على مَنْ يلِي أمرَه ويَعُولُه.

«أينما يُوجِّهْهُ»: حيثما يُرْسِلُه ويصرفُه في مطلبِ حاجةٍ، أو كفايةِ مُهمّ، لم ينفع ولم يأتِ بنُجْحٍ، هل يستوي هو ومَنْ هو سليمُ الحَوَاسِّ نَفَّاعٌ ذُو كفايات مع رُشْدٍ ودِيانة، فهو يأمرُ الناسَ بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم: على سيرة صالحة ودينٍ قويم. انتهى[4].

(١) ينظر تفسير كل من الطبري ١٤/ ٣٠٩، والثعلبي ٣/ ٥٢٩، والرازي ٢٠/ ٨٥، والقرطبي ٢٠/ ٣٨٥-٣٨٦.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ٨٥.
(٣) في (ز١) و(يه): يقتص، والمثبت من النسخ الأخرى، وهو موافق لما في الكشاف ٢/ ٤٢١.
(٤) الكلام في الكشاف بتقديم وتأخير.

وقال ابنُ عباس: أحدُهما أبكم مَثَلٌ للكافر، والذي يأمرُ بالعدلِ: المؤمنُ.

وقال قتادة: هذا مَثَلٌ للهِ تعالى والأصنام، فهي كالأبكم الذي لا نطق له، ولا يقدر على شيء، وهو عِيالٌ على مَنْ والاه من قريبٍ أو صديق، كما الأصنام[١] تحتاجُ أن تُنقلَ وتُخدمَ ويُتعذب بها، ثم لا يأتي من جهتها خيرٌ البتة.

وعن قتادة أيضاً وغيره: هذا مَثَلٌ ضربه الله لنفسه وللوثَن، فالأبكمُ الذي لا يقدرُ على شيء هو الوَثَن، والذي يأمرُ بالعدل هو اللهُ تعالى[٢].

وهذا ليس كذلك، لأنه قال: ﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ فلا بدَّ أن يكون عديلَ الأبكم الموصوف بتلك الصفات ومقابلَه رجلٌ موصوف بما يقابل تلك الصفات من النطق والقدرة والكفاية، ولكنه حذف المقابل لدلالة مقابله عليه، ثم قيل: هل يستوي ذلك الأبكم الموصوف بتلك الصفات وهذا الناطقُ؟ ففي ذِكرِ استوائهما أيضاً دليلٌ على حذف المقابِل.

ولمَّا كان البَكَمُ هو المُبدَأ بِهِ من الأوصاف، وعنه تكون الأوصاف التي بعدَه قابلَهُ في الاستواء بالنُّطق وثمرتِه من الأمر بالعَدْلِ غيرَهُ، وهو في نفسه على طريقة مستقيمة، فحيثُما تَوجَّهَ صَدَرَ منه الخيرُ ونفعَ، وليس بكالٍّ على أحد.

وقد تَقرَّرَ في بَدَائِهِ العقول أنَّ الأبكم العاجزَ لا يكون مساوياً في العقل والشرف للناطقِ القادرِ الكامل مع استوائهما في البشريَّة، فَلأنْ يُحكَم بأنَّ الجمادَ لا يكونُ مساوياً لربِّ العالمين في المعبوديَّة أَحْرَى وأَوْلَى.

وكما قلنا في المَثَل السابق: لا يحتاجُ إلى تعيين المضروب بهما المَثَل؛ فكذلك هنا؛ فتعيينُ الأبكم بأبي جهل والآمرِ بالعدل بعمَّار، أو بأُبيِّ بنِ خَلَف وعثمانَ بنِ مظعون، أو بهاشم بن عَمرو بن الحارث الذي كان يعادي الرسولَ ﷺ لا يصحُّ إسناده[٣].

---

(١) في (ح): كما أن الأصنام. والكلام (قول قتادة وابن عباس) في المحرر الوجيز ٣/ ٤١١.
(٢) هو مكرر الذي قبلَه، ولفظه هنا من النكت والعيون ٣/ ٢٠٤، وهو بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٣١٠.
(٣) ينظر تفسير البغوي ٣/ ٧٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٨٦-٣٨٧.

وقرأ عبدُ الله وعلقمة وابنُ وثَّاب ومجاهد وطلحة: «يُوَجِّهْ» بهاء واحدة ساكنة مبنيًّا للفاعل[١]، وفاعلُه ضميرٌ يعودُ على «مَوْلاه»[٢] وضميرُ المفعول محذوف لدلالة المعنى عليه، ويجوز أن يكون ضمير الفاعل عائداً على الأبكم، ويكون الفعلُ لازماً، وَجَّهَ بمعنى تَوَجَّهَ، كأنَّ المعنى: أينما يتَوَجَّهْ.

وعن عبد الله أيضاً: «تُوَجِّهْهُ» بهاءَيْن بتاء الخطاب[٣]، والجمهورُ بالياء والهاءَيْن.

وعن علقمة وابنِ وثَّاب وطلحة: «يُوَجَّهْ» بهاء واحدة ساكنة، والفعلُ مبني للمفعول[٤].

وعن علقمة وطلحة: «يُوَجِّهُ» بكسر الجيم، وهاءٍ واحدة مضمومة؛ قال صاحب «اللوامح»: فإنْ صحَّ ذلك فإنَّ الهاء التي هي لام الفعل محذوفة، فراراً من التضعيف، ولأنَّ اللفظ به صعبٌ مع التضعيف، أو لم يُرَدْ به الشرطُ، بل أُضْمِرَ «هو» بتقدير: أينما هو يُوَجِّهُ، وقد حُذف منه ضمير المفعول به، فيكون حذفُ الياء من «لا يأتِ بخير» على التخفيف، نحو: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [هود: ١٠٥]، و﴿إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]. انتهى. ولا تخرجُ «أيْنَ» عن الشرط أو الاستفهام، وقال أبو حاتم: هذه القراءة ضعيفة، لأنَّ الجزم لازم. انتهى[٥].

والذي تُوَجَّهُ عليه هذه القراءة إنْ صَحَّت أنَّ «أينما» شرط حُملت على «إذا» لجامع ما اشتركا فيه من الشرطية، ثم حُذفت الياء من «لا يأتِ» تخفيفاً، أو جزمُهُ على توهُّم أنه نُطق بـ «أينما» المهملةِ مُعمَلَةً كقراءة مَنْ قرأ: «إنه مَنْ يتَّقي ويصبر»[٦] في أحد الوجهين، ويكون معنى يُوَجِّهُ: يَتَوَجَّهُ، فهو فعلٌ لازمٌ لا متعدٍّ.

---

(١) قوله: للفاعل، من (ز١) و(يه). والقراءة في المحتسب ٢/ ١١.

(٢) لعلَّ السمين الحلبي نقلَ الكلام هنا بالمعنى، فَوَهِمَ وقال: ضمير يعود على الباري تعالى. ينظر الدر المصون ٧/ ٢٧٠.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٨٨.

(٤) المحتسب ٢/ ١١ عن علقمة.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١١.

(٦) في الآية (٩٠) من سورة يوسف، وقرأ: «يتقي» بالياء ابن كثير في رواية قُنْبُل. ينظر السبعة ص٣٥١، والتيسير ص١٣١.

ثم ذكرَ تعالى أنَّه له غيبُ السماواتِ والأرض، وهو ما غابَ عن العباد، وخَفِيَ فيهما عنهم علمُه.

والظاهرُ اتصالُه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أخبرَ باستئثاره بعلم غيبِ السماواتِ والأرض، ثم بكمال قدرتِه على الإتيان بالساعة التي يُنكرونها في لمحة البصر أو أقرب، والمعنى بهذا الإخبار أنَّ الآلهةَ التي يعبدونها منتفٍ عنها هذانِ الوصفانِ اللذان للإله، وهما العِلْمُ المحيط بالمغيَّبات، والقدرةُ البالغة التامَّة.

ومَنْ ذكرَ أنَّ قوله: ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ هو الله تعالى ذَكَرَ ارتباطَ هذه الجملة بما قبلَها بأنَّ مَنْ يأمرُ بالعدل وهو على صراط مستقيم هو الكاملُ في العلم والقدرة، فبيَّنَ ذلك بهذه الجملة.

قيل: والغَيْبُ هنا ما لا يُدْرَكُ بالحِسِّ ولا يُفْهَم بالعقل.

وقال المفضَّل: ما غابَ عن الخلق هو في قبضته لا يعزُبُ عنه.

وقيل: هو ما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

وقال الزمخشري(١): أو أرادَ بـ «غيب السماوات والأرض» يومَ القيامة على أنَّ علمَه غائبٌ عن أهل السماوات والأرض لم يطَّلع عليه أحدٌ منهم.

قيل: لمَّا كانت الساعة آتيةً ولا بدَّ؛ جُعلت من القُرب كلمح البصر.

وقال الزجَّاج(٢): لم يُرد أنَّ الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصفَ سُرعةَ القُدرة على الإتيان بها، أي: يقولُ للشيء: كن، فيكون.

وقيل: هذا تمثيلٌ للمُقرب كما تقول: ما السَّنةُ إلا لحظة(٣).

وقال الزمخشري: هو عند الله وإنْ تَراخَى، كما تقولون أنتم في الشيء الذي تَستقْرِبونَه: كلمح البصر أو هو أقرب، إذا بالغتُم في استِقْرابِهِ، ونحوُه قولُه: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ أي: هو عنده دانٍ وهو عندكم بعيد.

(١) الكشاف ٢/ ٤٢١.
(٢) بنحوه في معاني القرآن ٣/ ٢١٤، ولفظه في تفسير القرطبي ١٢/ ٣٨٨.
(٣) تفسير القرطبي ١٢/ ٣٨٩.

وقيل: المعنى أنَّ إقامة الساعة وإماتةَ الأحياء وإحياءَ الأموات من الأوَّلين والآخِرين يكونُ في أقربِ وقت وأَوْحَاه[١]، «إن الله على كل شيء قدير» فهو يَقْدِرُ على أن يُقيم الساعةَ ويَبعثَ الخلقَ، لأنه بعضُ المقدورات[٢].

وقال ابن عطية: والمعنى على ما قال قتادة وغيرُه: ما تكون الساعةُ وإقامتُها في قدرة الله تعالى إلا أن يقولَ لها: كن، فلو اتَّفَقَ أن يقفَ على ذلك شخص[٣] من البشر لكانت من السرعة بحيث يشكُّ هل هي كلمحِ البصر أو هي أقرب من ذلك، فـ «أَوْ» على هذا على بابها في الشكّ، وقيل: هي للتخيير. انتهى. والشكُّ والتَّخيير بعيدانِ، لأنَّ هذا إخبارٌ من الله تعالى عن أمر الساعة، فالشكُّ مستحيلٌ عليه، ولأنَّ التخييرَ إنما يكون في المحظورات، كقولهم: خُذْ من مالي ديناراً أو درهماً، أو في التكليفات كآية الكفَّارات.

والذي يظهرُ أنَّ «أو» هنا[٤] للإبهام على المخاطب كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٧]، وقوله: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤] وهو تعالى قد علمَ عَدَدَهُم ومتى يأتيها أمرُه، كما علم أمرَ الساعة، لكنه أبهم على المخاطب. وكونُ «أو» للإبهام هنا ذكره الزجَّاج.

وقال القاضي[٥]: هذا لا يصحُّ؛ لأنَّ إقامةَ الساعة ليست حالَ تكليف حتى يقال: إنه تعالى يأتي بها في زمان. يعني القاضي فيكون الإبهام على المخاطَب في ذلك الزمان، وليس زمانَ تكليف.

والذي نقولُه: إنَّ الإبهام وقعَ وقتَ الخطاب المتقدِّم على أمرِ الساعة، لا وقتَ الإتيان بها، وليس من شرط الإبهام على المخاطَب في الإخبار عن شيء اتِّحادُ

---

(١) أي: أسرعه، من الوَحَا، أي: السرعة.

(٢) انتهى كلام الزمخشري، وهو في الكشاف ٢/ ٤٢١-٤٢٢.

(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤١١ (والكلام منه): محصّل، بدل: شخص. وهو الأشبه.

(٤) في (أ) و(ح): والذين يظهرون، وأو هنا. . . . الخ. وفي المطبوع: والذين يظاهرون، وأو هنا. . . الخ. وكلاهما خطأ. ولعلها أشكلت عليهم بآية المجادلة (٣)، لكن ليس فيها لفظ «أو».

(٥) هو القاضي عبد الجبَّار المعتزلي، وكلامُه في تفسير الرازي ٢٠/ ٨٨، وفيه كلام الزجاج المذكور قبله.

زمانِ الإخبار وزمانِ وقوعِ ذلك الشيء، ألا ترى في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ كيف تأخَّرَ زمانُ الإخبار عن زمان وقوع ذلك الإرسالِ ووجودِهم مئة ألف أو يزيدون.

وقال أبو عبد الله الرازي[1]: لَمْحُ البصر انتقالُ الجسم بالطَّرْف من أعلى الحَدَقة [إلى أسفلها] وهي مؤلفة من أجزاء، وتلك الأجزاء كثيرة، والزمانُ الذي يَحصُلُ فيه اللَّمْحُ مركَّب من آناءٍ متعاقبة، واللهُ تعالى قادرٌ على إقامة القيامة في آنٍ واحد من تلك الآناء، فلذلك قال: «أو هو أقربُ».

ولمَّا كان أسرعُ الأحوال والحوادث في عقولنا هو لَمْح البصر؛ ذكرَه ثم قال: «أو هو أقرب» تنبيهاً على ما ذكرناه، وليس المرادُ طريقةَ الشكّ، والمرادُ: بل هو أقرب. انتهى، وفيه بعضُ تلخيص.

وما ذكرَه من أنَّ «أو» بمعنى «بل» هو قولُ الفرَّاء، ولا يصحُّ، لأنَّ الإضراب على قسمين؛ كلاهما لا يصحُّ هنا.

أمَّا أحدُهما؛ فأنْ يكون إبطالاً للإسناد السابق، وأنه ليس هو المراد، وهذا مستحيلٌ هنا، لأنه يؤول إلى إسناد غير مطابق.

والثاني أن يكون انتقالاً من شيء إلى شيء من غير إبطالٍ لذلك الشيء السابق، وهذا مستحيلٌ هنا؛ للتنافي الذي بين الإخبار بكونه مثلِ لمح البصر في السُّرعة والإخبارِ بالأقربية، فلا يمكن صدقُهما معاً.

وقال صاحب «الغُنْيان»: وهذا وإن كان يعسُرُ إدراكهُ حقيقةً؛ إلا أنَّ المقصود المبالغة على مذهب العرب وأرباب النَّظم، وما أحسنَ قول الأبله الشاعر[2] في المعنى:

قال له البرقُ وقالَتْ له الرِّيـ ... ـحُ جميعاً وهُما ما هُما

(١) تفسيره ٢٠/ ٨٨، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) كذا نَسَبَ المصنف الشعر للأبْلَه الشاعر (وهو محمد بن بختيار بن عبد الله البغدادي، توفي سنة ٥٧٩هـ)، ونُسب في المصادر التالية لابن حجَّاج، وهو حسين بن أحمد بن محمد النِّيلي البغدادي، توفي سنة (٣٩١هـ) والأبيات في مرثيَّة فرس له. وينظر الأعلام ٢/ ٢٣١ و٦/ ٥٠.

أأنتَ تجري معنا قال إنْ نَشِطْتُ أضحكتُكُما منكما[1]
أنا ارْتِدَادُ الطَّرْفِ قَدْ فُتُّهُ إلى المَدَى سَبْقاً فمن أنتما؟

ولمَّا ذكرَ تعالى أمْرَ الساعة، وأنها كائنةٌ لا محالة، فكان في ذلك دلالةٌ على النشأة الآخِرة، وتقدم وصفُهم بانتفاء العلم = ذكرَ تعالى النشأة الأولى، وهي إخراجُهم من بطون أُمَّهاتِهم غيرَ عالِمين شيئاً تنبيهاً على وقوع النشأة الآخرة.

ثم ذكرَ تعالى امتنانَه عليهم بجعلِ الحواسِّ التي هي سببٌ لإدراك الأشياء والعلم. ولمَّا كانت النشأةُ الأولى وجَعْلُ ما يعلمون به لهم من أعظمِ النِّعمِ عليهم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وتقدَّم الكلام في «أمَّهات» في «النساء» [٢٣].

وقرأ حمزة بكسر الهمزة والميم هنا وفي النور والزُّمَر والنَّجم، والكسائيُّ بكسر الهمزة فيهنّ[2]، والأعمشُ بحذف الهمزة وكسر الميم، وابنُ أبي ليلى بحذفها وفتح الميم. قال أبو حاتم: حذفُ الهمزة رديء، ولكن قراءة ابن أبي ليلى أصوب. انتهى[3].

وإنما كانت أصوبَ لأنَّ كسر الميم إنَّما هو لإتْباعِها حركة الهمزة، فإذا كانت الهمزة محذوفة زالَ الإتْباع؛ بخلاف قراءة ابن أبي ليلى، فإنه أقرَّ الميم على حركتها.

و«لا تعلمون» جملة حاليَّة، أي: غيرَ عالِمين.

وقالوا: «لا تعلمون شيئاً» ممَّا أَخَذَ عليكم من الميثاق في أصلابِ آبائكم، أو شيئاً ممَّا قَضَى عليكم من السَّعادة أو الشقاوة، أو شيئاً من منافعكم[4]. والأولى

(١) في أعيان العصر ٣/ ٤٠٥، ومعاهد التنصيص ٣/ ٤١، ونفحة الرَّيحانة ١/ ٣٦:
أأنت تجري معنا قال لا إنْ شئتُ أضحكتُكُما منكما
وهو أحسن.
(٢) السبعة ص٢٢٨، والتيسير ص٩٤، وزاد المسير ٤/ ٤٧٥.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١١، وينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٣٩٠.
(٤) تفسير القرطبي ١٢/ ٣٨٩.

عمومُ لفظ «شيء» ولاسيَّما في سياق النَّفي.

وقال وَهْب: يُولدُ المولودُ خَدِراً إلى سبعة أيام لا يُدْرِك راحةً ولا ألماً.

ويحتملُ «وجَعَلَ» أن يكون معطوفاً على «أخرجَكم» فيكون داخلاً[1] في حيِّز خبر المبتدأ، ويحتملُ أن يكونَ استئنافَ إخبارٍ معطوفاً على الجملة الابتدائية كاستئنافها.

والمرادُ بالسمع والأبصار والأفئدة إحساسُها وإدراكُها، فعبَّر عن ذلك بالآية.

وقال أبو عبد الله الرازي ما معناه[2]: إنما جمعَ الفؤادَ جمع قلَّة لأنه إنما خُلق للمعارف الحقيقية اليقينية، وأكثرُ الخلقِ مشغولون بالأفعال البهيميَّة، فكأنَّ فؤادَهم ليس بفؤاد، فلذلك ذكر في جمعِه جمع القلَّة. انتهى ملخصاً، وهو قول هَذَيَانيّ، ولولا جلالةُ قائلِه وتسطيرُه في الكتب ما ذكرتُه، وإنما يقال في هذا ما قالَه الزمخشريّ: إنه من جُموع القِلَّة التي جرت مجرى جُموع الكثرة والقِلَّة إذْ[3] لم يَرِدْ في السماع غيرُها، كما جاء: شُسُوع في جمع شِسْع لا غير، فجَرَتْ[4] ذلك المجرى. انتهى. إلا أنَّ دَعْوَى الزمخشريّ أنه لم يَجِئ في جمع شِسْع إلا شُسُوع لا غير ليس بصحيح، بل جاء فيه جمع القلَّة قالوا: أشْسَاع، فكان ينبغي له أن يقول: غُلِّب شُسُوع[5].

وقرأ ابنُ عامر وحمزة وطلحة والأعمش وابنُ هُرمز: «ألم تَرَوْا» بتاء الخطاب وباقي السبعة بالياء[6]، قال ابنُ عطية[7]: واختُلف عن الحسن وعيسى الثقفي وعاصم وأبي عَمرو.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: واحداً.
(٢) تفسيره ٢٠/ ٩٠.
(٣) المثبت من (ح)، وفي النسخ الأخرى: إذا، والكلام في الكشاف ٢/ ٤٢٢.
(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: فجرى.
(٥) قولُه: أشساع فكان ينبغي له... الخ، ليس في (يه) ومكانها بياض في (ز١).
(٦) ينظر التيسير ص١٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٣٩٠.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤١١.

ولـمَّا ذكرَ تعالى مَدَارِكَ العلم الثلاثةَ السمعَ والنظرَ والعقلَ ـ والأوَّلانِ مَدْرَكُ المحسوس، والثالثُ مَدْرَكُ المعقول ـ اكتفَى من ذِكْرِ مَدْرَك المحسوس بذِكْرِ النظر، فإنه أغرب، لِما يُشاهِدُ به من عظيم المخلوقات على بعدِها المتفاوت كمشاهدتهِ للنَّيِّرات التي في الأفلاك، وجعلَ هنا موضعَ الاعتبار والتعجُّب الحيوانَ الطائِرَ، فإنَّ طيرانَه في الهواء مع ثِقَلِ جسمِه ممَّا يُعْجَبُ منه ويُعتبرُ به.

وتضمَّنت الآية أيضاً ذكر مَدْرَك العقل في كونه لا يسقطُ، إذْ ليس تحته ما يدعمُه، ولا فوقَه ما يتعلَّق به، فيُعلم بالعقل أنَّه له مُمْسِكٌ قادرٌ على إمساكه، وهو الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ [الملك: ١٩]، فانتَظَمَ في الآية ذِكْرُ مَدْرَكِ الحِسِّ ومَدْرَكِ العقل.

ومعنى «مُسَخَّرات»: مُذَلَّلات، وبُنِيَ للمفعول دلالةً على أنَّ له مُسَخِّراً.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: هذا دليلٌ على كمال قدرةِ الله وحكمتِه، فإنه تعالى خلقَ الطائرَ خِلْقَةً معها يمكنُه الطيرانُ، أعطاه جناحاً يبسطُه مرَّةً ويكفُّه[1] أخرى مثل ما يعمل السابحُ في الماء، وخلقَ الجوَّ خِلْقَةً معها يمكن الطيرانُ، خلقَهُ خِلقةً لطيفةً يسهُلُ بسببها خَرْقُهُ والنفاذُ فيه، ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً. انتهى، وكلامُه منتزَعٌ من كلام القاضي[2] قال: إنما أضافَ الإمساكَ إلى نفسِه لأنه تعالى هو الذي أعطَى الآلاتِ التي[3] لأجلها تمكَّنَ الطائرُ من تلك الأفعال، فلما كان هو المُسَبِّب لذلك صحَّت هذه الإضافة. انتهى.

والذي نقوله: إنه كان يمكنه أن يطير ولو لم يُخْلَقْ له جناح وأنه كان يمكنه خَرْقُ الشيء الكثيف، وذلك بقدرةِ الله تعالى، وأنَّ الممسكَ له في جوِّ السماء هو اللهُ تعالى، وقد قامَ الدليلُ على أنَّ جميعَ الأفعال كلِّها مخلوقةٌ لله، وقام الدليلُ على أنَّه تعالى هو الفاعلُ المختار، فلا نقول: إنه لولا الجناحُ ولُطْفُ الجوِّ ما أمكنَ الطيران، ولا: لولا الآلاتُ ما أمكنَ.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: ويُكنُّهُ. وفي تفسير الرازي ٢٠/ ٩١ (والكلام منه): ويكسره.
(٢) هو القاضي عبد الجبَّار، وكلامه في المصدر السالف.
(٣) لفظة «التي» من (ح). وهي أيضاً في المصدر السالف، والكلام منه.

وقال الزمخشريّ ما يوافقُ كلامَهما؛ قال[١]: «مُسَخَّراتٍ» مُذَلَّلاتٍ للطيران بما خَلَقَ لها من الأجنحةِ والأسبابِ المُواتيةِ لذلك. ثم أحسنَ أخيراً في قوله: ما يُمسِكُهُنَّ في قَبْضِهِنَّ وبَسْطِهِنَّ ووقُوفهنَّ إلا اللهُ بقدرته. انتهى.

«لآياتٍ» جُمع ولم يُفرَد لِما في ذلك من الآيات: خِفَّةِ الطائر التي جعلَها اللهُ فيه لأنْ يرتفعَ بها، وثِقْلِه الذي جعلَه فيه لأنْ ينزل، والفضاءِ الذي بين السماء والأرض، والإمساكِ الذي لله تعالى، أو جُمع باعتبار ما في هذه الآية والتي قبلها.

وقال: «لقوم يؤمنون» فإنَّهم هم الذين ينتفعون بالاعتبار، ولِتَضَمُّنِ الآية أنَّ المُسخِّرَ والمُمْسِكَ لها هو الله، فهو إخبارٌ منه تعالى ما يُصَدِّقُ به إلا المؤمن.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى ما مَنَّ به عليهم مِن خَلْقِهم وما خَلَقَ لهم مِن مداركِ العلم؛ ذكرَ ما امتنَّ به عليهم ممَّا ينتفعون به في حياتهم من الأمور الخارجية عن ذواتِهم من البيوت التي يسكنونَها من الحَجَر والمَدَرِ والأخشاب وغيرِها.

والسَّكَنُ فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالقَبْض والنَّقَض، وأنشدَ الفرَّاء:

جاءَ الشِّتاءُ ولمَّا أتَّخِذْ سَكَناً يا وَيْحَ نفسيَ من حَفْرِ القَرَامِيصِ[٢]

وليس السَّكَنُ بمصدر كما ذهبَ إليه ابنُ عطية[٣]، وكأنه تعالى ذكرَ أوَّلاً

(١) الكشاف ٢/ ٤٢٢.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ٩١، وذكره عن الفرَّاء، وفيه: يا ويح كفَّيَّ. وهو في إصلاح المنطق ص٨٣، والاشتقاق ص٤١٤، واللسان (قرمص) برواية: ولما أتَّخذْ رَبَضاً، يا ويح كفَّيَّ. والقَرَامِيص جمع قُرْموص وقِرْماص: حفرة يُستدفأ فيها من البَرْد.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٢.

ما غالبُ البيوتِ عليه من كونها لا تُنقَلُ، بل ينتقلُ الناسُ إليها، ثم ذكرَ ثانياً ما مَنَّ به علينا من المُتَّخَذِ من جُلودِ الأنعام، وهو ما يُنْقَلُ من القِباب والخِيام والفَساطيط التي من الأدَم.

أو ذكرَ أوَّلاً البيوتَ على طريق العُموم، ثم ذكرَ بيوتَ الجلود خصوصاً تنبيهاً على حالِ أكثرِ العرب، فإنهم لانتجاعِهِم إنَّما بيوتُهم من الجلود.

والظاهر أنه لا يندرجُ في البيوت التي من جُلود الأنعام بيوتُ الشَّعر وبيوتُ الصُّوف والوَبَر، وقال ابنُ سلَّام: تندرجُ لأنها نابتة[١] فيها، فهي منها. ومعنى «تَسْتَخِفُّونَها» تَجِدُونَها خفيفةَ المَحْمِلِ في الضرب والنَّقض والنَّقل.

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ يومَ تَرْحَلون خفَّ عليكم حملُها ونقلُها، ويومَ تَنزلون وتُقيمون في مكان لم يَثْقُل عليكم ضَرْبُها.

وقد يُراد بالاستخفاف في وقتي السَّفَر والحَضَر، أي: مدَّةَ النَّجْعَةِ والإقامة.

وقرأ الحِرْمِيَّان وأبو عَمرو: «ظَعَنِكم» بفتح العين، وباقي السبعة بسكونها[٢]، وهما لغتان، وليس السكون بتخفيف كما جاء في نحو: الشَّعْر والشَّعَر لمكان حرفِ الحلق.

والظاهرُ أنَّ «أثاثاً» مفعول، والتقديرُ: وجعلَ من أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها أثاثاً. وقيل: «أثاثاً» منصوبٌ على الحال، على أنَّ المعنى: جعلَ من أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها بيوتاً[٣]، فيكون ذلك معطوفاً على من جلود الأنعام، كما تقول: جعلتُ لك من الماء شراباً ومن اللبن، وفي التقدير الأول يكون قد عطفَ مجروراً على مجرور، ومنصوباً على منصوب، كما تقول: ضربتُ في الدار زيداً وفي القصر عَمْراً.

ولمَّا لم تكن بلادُهم بلادَ قطن وكَتَّان وحريرٍ اقتصرَ على هذه الثلاثة هنا، واندرجت في قوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾.

(١) المثبت من (ز١) وهو كذلك في المصدر السالف. وفي النسخ الأخرى: ثابتة.
(٢) السبعة ص٣٧٥، والتيسير ص١٣٨. والحِرْمِيَّان: نافع المدني، وابن كثير الشامي.
(٣) يعني: بيوتاً حال كونها أثاثاً، كما في الدر المصون ٧/ ٢٧٤. قال السمين: وليس المعنى على هذا، إنما هو على الأول.

والمتاع ما يُتَمتَّع به، أي: يُنتفع به. وقال ابنُ عباس: الزِّينة. وقال المفضَّل: المتجر والمعاش. وقال الخليل: الأثاث والمتاع واحد، وجمع بينهما لاختلاف اللفظين كقوله:

وأَلْـفَـى قَـوْلَـهـا كَـذِبـاً ومَـيْـنَـا[١]

وغَيَّا تعالى ذلك بقوله: «إلى حين» فقال ابن عبَّاس: إلى الموت. وقال مقاتل: إلى بِلَى ذلك الشيء[٢]. وقيل: إلى انقضاء حاجتكم منه[٣].

ولمَّا ذكرَ تعالى ما مَنَّ به عليهم ممَّا سبق ذِكرُهُ وكانت بلادُهم غالباً عليها الحَرُّ؛ ذكرَ امتنانَه عليهم بما يَقِيهم الحَرَّ من خَلْقِ الأجرام التي لها ظلٌّ كالشَّجَرِ وغيرِه ممَّا يمنعُ من أذى الشمس.

وقال ابن عباس ومجاهد: ظِلال الغمام. وقال ابنُ السائب: ظِلال البيوت. وقال قتادة والزَّجَّاج: ظلال الشجر. وقال ابن قُتيبة: ظِلال الشجر والجبال[٤].

والأكنانُ من الجبال هي الغِيرانُ[٥] والكهوفُ والبيوتُ المنحوتة منها.

والسِّرْبالُ ما لُبس على البَدَن من قميصٍ وقَرْقَلٍ ومِجْولٍ ودِرْعٍ وجَوْشَن[٦]، ونحوِ ذلك من صوفٍ وكَتَّانٍ وقطنٍ وغيرِها. واقتصر على ذِكْر الحرِّ إمَّا لأنَّ ما يَقِي الحرَّ يَقِي البردَ. قاله الزجَّاج، أو حُذِفَ البردُ لدلالةِ ضدِّه عليه. قاله المبرِّد[٧]،

(١) هو عجز بيت لعدي بن زيد، وصدرُه: وقدَّمت الأديمَ لِراهِشَيه. وهو في ديوانه ص١٨٣. والراهشان: عِرْقان في باطن الذِّراعين. وينظر معاني القرآن للفراء ١/ ٣٧، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٧٦، وجمهرة اللغة ٣/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ٢/ ١٠٧.

(٢) زاد المسير ٤/ ٤٧٧.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٢٢.

(٤) الأقوال الأربعة في زاد المسير ٤/ ٤٧٧، وفيه قول خامس عن أبي سليمان الدمشقي: أنه كلُّ شيء له ظلٌّ من حائط وسقف وشجر وجَبَل وغيرِ ذلك. وينظر غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٤٨، ومعاني الزجاج ٣/ ٢١٥.

(٥) جمع غار.

(٦) الجَوْشن: الدِّرْع، والمِجْولُ والقَرْقل من ألبسة النساء، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٤١٢.

(٧) تفسير الرازي ٢٠/ ٩٤، وقول الزجاج السالف هو في معانيه ٣/ ٢١٥.

أو لأنه أمسُّ في تلك البلاد، والبردُ فيها معدومٌ في الأكثر، وإذا جاء تُوُقِّيَ[1] بالأثاث، فيخلُصُ السِّرْبالُ لِتَوَقِّي الحرِّ فقط. قاله عطاء الخُراساني[2]. وهذا في بلاد الحجاز، وأمَّا غيرُها من بلاد العرب فيوجد فيها البرد الشديد كما قال مُتَمِّم:

إذا القَشْعُ من بَرْدِ الشتاءِ تَقَعْقَعَا[3]

وقال الآخر:

في ليلةٍ من جُمادى ذاتِ أنديةٍ[4]

والسَّرابيل التي تقي الناس هي الدُّروع، قال كعبُ بنُ زهير:

شُمَّ العَرَانِينِ أبطالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ داودَ في الهيجا سَرابيلُ[5]

والسِّرْبالُ عامٌّ يقعُ على ما كان من حديد وغيرِه.

والبأسُ في أصلِ اللغة: الشدَّةُ، وهنا الحَرْب، وفي الحديث: كُنَّا إذا اشتدَّ البأسُ اتَّقَيْنا برسول الله ﷺ[6].

والمعنى: تَقِيكم أذى الحرب، وهو ما يَعْرِضُ فيها من الجِراح الناشئة من

---

(١) في (ح): وإذا جاز أن توقى...

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٣، والنكت والعيون ٣/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٢، وزاد المسير ٤/ ٤٧٨، وتفسير الرازي ٢٠/ ٩٣.

(٣) المعاني الكبير ٢/ ١١٤٧، والكامل ٣/ ١٤٤٠، والمفضليات ص٢٦٥، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٧٤٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٣، واللسان والتاج (قشع). وصدرُ البيت: ولا بَرَمٍ تُهدِي النساءُ لِعِرْسِهِ. وقوله: القَشْع يعني الجلدَ اليابس.

(٤) هو صدرُ بيت لمُرَّة بن مَحْكان، وعجزُه: لا يُبصِرُ الكلبُ في ظلمائها الطُّنُبا. وهو في المقتضب ٣/ ٨١، والخصائص ٣/ ٥٢، وشرح الحماسة للمرزوقي ٤/ ١٥٦٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٣، واللسان والتاج (ندى). والطُّنُب: حَبْل البيت.

(٥) ديوان كعب ص٩١. قوله: عَرَانين، جمع عِرْنِين، وهو أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١٣.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٣٤٧) عن علي ﷺ بلفظ: كنا إذا احمرَّ البأس ولقيَ القومُ القومَ، اتَّقينا برسول الله ﷺ.... وأخرجه أبو عوانة في مسنده ٤/ ٢١٠ عن البراء بلفظ: كان ـ واللهِ ـ إذا اشتدَّ القتال واحمرَّ البأس اتقينا به.

ضرب السَّيف والدَّبُّوس[١] والرُّمح والسَّهم وغيرِ ذلك ممَّا يُعَدُّ للحرب.

«كذلك» أي: مثلَ ذلك الإتمام للنعمة فيما سبق يُتِمُّ نعمتَه في المستقبل.

وقرأ ابنُ عباس: «تَتِمُّ» بتاء مفتوحة «نعمتُه» بالرفع، أسندَ التمام إليها اتِّساعاً، وعنه: «نِعَمُهُ» جمعاً[٢]. وقرأ: «لعلكم تَسْلَمُون» بفتح التاء واللام[٣] من السلامة والخَلاص، فكأنَّه تعليل لوقاية السَّرابيل من أذى الحرب، أو تَسْلَمون من الشِّرك. وأمَّا «تُسْلِمون» في قراءة الجمهور فالمعنى: تؤمنون، أو تنقادون، أي: النَّظَرُ في نِعَمِ الله تعالى مُفْضٍ إلى الإيمان والانقياد.

رُوِيَ أنَّ أعرابياً سَمِعَ قولَه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا﴾ إلى آخر الآيتين، فقال عند كلِّ نعمة: اللهمَّ نَعَمْ، فلمَّا سَمِعَ ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ قال: اللهم هذا فلا، فنزلت[٤].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ يحتمل أن يكون ماضياً، أي: فإن أعرضوا عن الإسلام، ويحتمل أن يكون مضارعاً، أي: فإن تَتَولَّوْا، وحذفت التاء، ويكون جارياً على الخطاب السابق، والماضي على الالتفات. والفاء وما بعدَها جوابُ الشرط صورةً، والجوابُ حقيقةً محذوفٌ، أي: فأنت معذورٌ؛ إذْ أدَّيْتَ ما وَجَبَ عليك. فأُقيمَ سببُ العُذر ـ وهو البلاغ ـ مقام المسبَّب لدلالته عليه.

وقال ابنُ عطية[٥]: المعنى إنْ أعرضُوا فلستَ بقادر على خلق الإيمان في قلوبهم، فإنَّما عليك أن تُبَيِّن وتُبَلِّغَ أمْرَ الله ونَهْيَه. انتهى.

(١) هو المِقْمَعَة. كما في معجم الألفاظ الفارسية.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٠٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٣. ونسبها القرطبي ١٢/ ٤٠٦ لابن محيصن وحُميد.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٢، وتفسير الطبري ١٤/ ٣٢٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٠٦. وقد ردَّها الطبري.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٧/ ٢٢٩٥-٢٢٩٦. وفي آخره: فأنزل الله: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٣.

ثم أخبر عنهم على سبيل التقريع والتوبيخ بأنهم يعرفون نعمةَ الله ثم يُنكرونها، وعِرْفانُهم للنِّعم التي عُدَّتْ عليهم حيث يعترفون بها وأنها منه تعالى، وإنكارُهم لها حيث يعبدون غيرَ الله وجعل ذلك إنكاراً على سبيل المجاز، إذ لم يُرَتِّبُوا على معرفةِ نِعَمِهِ تعالى مقتضاها من عبادته وإفرادِه بالعبادة دون ما نسبُوا إليه من الشركاء. قال قريباً من هذا المعنى مجاهد[1].

وقال السُّدِّيّ: النعمةُ هنا محمدٌ ﷺ، والمعنى يعرفون بمعجزاته وآيات نبوته وينكرون ذلك بالتكذيب، ورَجَّحه الطبريّ[2].

وعن مجاهد أيضاً: إنكارُهم قولُهم: ورثناها من آبائنا[3].

وعن ابن عَوْن: إضافتُها إلى الأسباب لا إلى مُسَبِّبها[4].

وحكى صاحب «الغُنْيان»: يعرفونها في الشدَّة، ثم ينكرونها في الرخاء.

وقيل: إنكارهم هي بشفاعةِ آلهتهم عند الله[5].

وقيل: يعرفونها بتقلُّبِهم فيها، ثم يُنكرونها بتَرْكِ الشُّكْرِ عليها[6].

وقيل: يعرفونها بقلوبهم ثم يُنكرونَها بألسنتهم[7].

والظاهرُ أنَّ المرادَ من «وأكثرُهم» موضوعُه الأصليّ.

---

(١) الكلام بنحوه في المصدر السالف. وقول مجاهد في تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٥-٣٢٦، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٣٢، والنكت والعيون ٣/ ٢٠٧، وزاد المسير ٤/ ٤٧٩، وتفسير القرطبي ٤٠٦/١٢ (ولفظُه كما في القرطبي): يريد ما عَدَّدَ الله عليهم في هذه السورة من النِّعم، أي: يعرفون أنها من عند الله وينكرونها بقولهم: إنهم ورثوا ذلك عن آبائهم.

(٢) تفسيره ١٤/ ٣٢٥.

(٣) هو تتمة قوله السالف.

(٤) بمعناه في تفسير الطبري ٣٢٦/١٤، والنكت والعيون ٢٠٧/٣، وزاد المسير ٤/ ٤٧٩، وتفسير القرطبي ٤٠٧/١٢.

(٥) يوضحه قول الزمخشري ٢/ ٤٢٣: ينكرونها بعبادتهم غيرَ المنعِم بها، وقولهم: هي من الله، ولكنها بشفاعة آلهتنا. وينظر تفسير الرازي ٢٠/ ٩٤-٩٥.

(٦) لم يرد هذا القول في المطبوع.

(٧) القولان في النكت والعيون ٢٠٧/٣، وتفسير القرطبي ٤٠٧/١٢.

وقال الحسن: وكلُّهم[١]؛ ما مِنْ أحدٍ يقومُ بواجب حقِّ الشُّكر. فجعلَه من كفران النعمة.

والظاهر أنَّ الكُفر هنا هو مقابل الإيمان.

وقيل: أكثرُ أهل مكة، لأنَّ منهم مَنْ أبى. وقيل: معنى «الكافرون»: الجاحدون المعاندون لأنَّ فيهم مَنْ كان جاهلاً لم يعرف فيعانِد.

وقال الزمخشري[٢]: فإنْ قلتَ: ما معنى «ثُمَّ»؟

قلت: الدلالةُ على أنَّ إنكارَهم أمرٌ مستبعدٌ بعد حصول المعرفة، لأنَّ حقَّ مَنْ عَرَفَ النعمة أنْ يعترفَ، لا أنْ يُنكر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

لمَّا ذكرَ إنكارَهم لنعمةِ الله تعالى ذكرَ حالَ يومِ القيامة حيثُ لا ينفعُ فيه الإنكار على سبيل الوعيد لهم بذلك اليوم.

وانتصب «يومَ» بإضمار «اذْكُر» قاله الحَوْفيّ والزمخشريّ وابنُ عطية وأبو البقاء[٣]. وقال الزمخشري: أو: يومَ نبعثُ وقعوا فيما وقعُوا فيه.

وقال الطبريّ[٤]: هو معطوف على ظرف محذوف العاملُ فيه «ثم ينكرونها» أي: ينكرونها اليومَ ويومَ نبعثُ، أي ينكرون كفرَهم فيُكذِّبُهم الشهيدُ.

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٠٧، وزاد المسير ٤/ ٤٧٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٢٣.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٢٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٣، والإملاء ٢/ ٨٥، قال أبو البقاء: أو وخوّفهم.
(٤) بنحوه في تفسيره ١٤/ ٣٢٧. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١٤.

والشهيدُ نبيُّ تلك الأمة، يشهدُ عليهم بإيمانهم وبكفرهم.

ومتعلَّق الإِذْن محذوف، فقيل: في الرجوع إلى دار الدنيا. وقيل: في الكلام والاعتذار، كما قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦]. أي: بعدَ شهادةِ أنبيائهم عليهم، وإلَّا فقَبْلَ ذلك تُجادلُ كلُّ نفسٍ[١] عن نَفْسها وجاء كلامهم في ذلك، ولكنها مواطن يتكلَّمون في بعضها، ولا ينطقون في بعضها.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: يُزالُ عنهم العَتَب. وقال قوم: معناه: لا يُسألون أن يرجعوا عمَّا كانوا عليه في الدنيا[٢]. فهذا استعتابٌ معناه طلبُ عُتْبَاهم، ونحوُه قولُ من قال: ولا هم يُسْتَرْضَوْن، أي: لا يقالُ لهم: أرْضُوا ربَّكم، لأنَّ الآخرةَ ليست بدارِ عملٍ. قاله الزمخشريّ[٣].

وقال الطبري[٤]: معناه يُعْطَوْن الرجوعَ إلى الدنيا، فيقعُ منهم توبة وعمل.

قال الزمخشريّ: فإنْ قلتَ: فما معنى «ثم» هذه؟

قلت: معناها أنهم يُمْنَوْنَ بعدَ شهادةِ الأنبياء بما هو أَطَمُّ منه، وأنهم يُمنعون الكلام، فلا يُؤْذَنُ لهم في إلقاء معذرة، ولا إدْلاء بحجَّة. انتهى.

ولمَّا كانت حالةُ العذاب في الدنيا مخالفةً لحالِ الآخرة، إذْ مَنْ رأى العذابَ في الدنيا رَجَا أنْ يُؤخَّرَ عنه، وإنْ وقعَ فيه أنْ يُخفَّفَ عنه = أخبرَ تعالى أنَّ عذابَ الآخرة لا يكونُ فيه تخفيفٌ ولا نَظِرَة.

والظاهر أنَّ جوابَ «إذا» قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ وهو على إضمار «هو» أي: فهو لا يُخفَّفُ، لأنه لولا تقديرُ الإضمار لم تدخل الفاء، لأن جواب «إذا» إذا كان مضارعاً لا يحتاجُ إلى دخول الفاء، سواء أكان مُوجَباً أم منفيّاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الحج: ٧٢] وتقول: إذا جاء زيد لا يجيء عَمرو.

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: أمة، بدل: نفس.
(٢) في زاد المسير ٤/ ٤٧٩: لا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما أمر الله به.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٢٣.
(٤) بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٧. ونقله المصنف عنه بواسطة المحرر الوجيز ٣/ ٤١٤.

قال الحَوْفي: «فلا يُخفَّفُ» جواب «إذا» وهو العاملُ في «إذا»، وقد تقدَّم لنا أنَّ ما بعدَ[1] فاء الجواب في غير «أمَّا» لا يعملُ فيما قبلَه، وبَيَّنَّا أنَّ العامل في «إذا» الفعلُ الذي يليها كسائر أدوات الشرط، وإنْ كان ليس قولَ الجمهور.

وجعلَ الزمخشريُّ[2] جوابَ «إذا» محذوفاً، فقالَ وقد قَدَّرَ العاملَ في «يَوْمَ نبعثُ» محذوفاً، قال: و«يومَ نبعثُ» وقَعُوا فيما وقعُوا فيه، وكذلك «وإذا رَأَوا العذابَ» بَغَتَهم وثَقُلَ عليهم «فلا يخفَّف عنهم ولا هم ينظرون» كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ الآية [الأنبياء: ٤٠]. انتهى.

والظاهر أنَّ قوله: «شركاءَهم» عامٌّ في كلِّ من اتَّخذُوه شريكاً للهِ من صنمٍ ووَثَنٍ وآدميٍّ وشيطانٍ ومَلَك، فيُكذِّبُهم مَنْ له منهم عقل، فيكون «فألقَوْا» عائداً على مَنْ له الكلام، ويجوزُ أن يكون عامّاً يُنْطِقُ اللهُ تعالى بقدرته الأوثانَ والأصنامَ. وإضافةُ الشركاء إليهم على هذا القول لكونِهم هم الذين جعلوهم شركاءَ للهِ.

وقال الحسن[3]: شركاؤهم الشياطين، شَرِكُوهم في الأموال والأولاد، كقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقيل: شركاؤهم في الكفر.

وعلى القول الأول شركاؤهم في أن اتَّخذوهم آلهة مع الله وعبدُوهم، أو شركاؤهم في أنْ جعلوا لهم نصيباً من أموالهم وأنعامهم.

والظاهر أنَّ القول منسوب إليهم حقيقة.

وقيل: منسوبٌ إلى جوارحهم؛ لأنهم لما أنكرُوا الإشراك بقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] أصمتَ الله ألسنتَهم وأنطقَ جوارِحَهم.

ومعنى «ندعو»: نعبد، قالوا ذلك رجاءَ أن يُشْرَكُوا معهم في العذاب، إذ يحصل التأسِّي، أو اعتذاراً عن كفرهم إذ زَيَّنَ لهم الشياطين ذلك وحملوهم عليه إن كان الشركاء هم الشياطين.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: تقدم، بدل: بعد. وهو خطأ.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٢٣.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٢٠/ ٩٦.

وقال أبو مسلم الأصبهانيّ: قالوا ذلك إحالةَ هذا الذنب على تلك الأصنام، وظنّاً[١] أنَّ ذلك يُنجيهم من عذاب الله، أو ينقص من عذابهم، فعند ذلك تُكذِّبُهم تلك الأصنام.

وقال القاضي[٢]: هذا بعيد لأن الكفار يعلمون علماً ضرورياً في الآخرة أن العذاب سينزلُ بهم ولا نُصْرَةَ ولا فِدْيةَ ولا شفاعة.

وتقدَّم الإخبارُ بأنهم شركاءُ والإخبارُ أنهم كانوا يدعونهم، أي: يعبدونهم، فاحتملَ التكذيبُ أن يكون عائداً للإخبار الأول، أي: لسنا شركاء لله في العبادة ولا آلهة، نزَّهوا اللهَ تعالى عن أن يكونوا شركاءَ له. واحتملَ أن يكون عائداً على الإخبار الثاني، وهو العبادة؛ لمَّا لم يكونوا راضين بالعبادة جعلُوا عبادتَهم كَلَا عبادة، أو لمَّا لم يدعوهم إلى العبادة، ألا ترى أنَّ الأصنام والأوثان لا شعورَ لها بالعبادة فضلاً عن أن تدعو، وأنَّ مَنْ عُبد من صالحي المؤمنين والملائكة لم يَدْعُ إلى عبادته.

وإن كان الشركاءُ الشياطينَ جازَ أن يكونوا كاذبين في إخبارهم بكذبِ مَنْ عَبَدَهم كما كذبَ إبليس في قوله: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

والضمير في ﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عائدٌ على «الذين أشركوا». قاله الأكثرون.

والسَّلْمُ: الاستسلامُ والانقيادُ لِحُكم الله بعد الإباء والاستكبار في الدنيا، فلم يكن لهم إذ ذاك حيلةٌ ولا دَفْع.

وروى يعقوب عن أبي عَمرو: «السَّلْم» بإسكان اللام، وقرأ مجاهد بضم السين واللام[٣]. وقيل: الضمير عائدٌ على «الذين أشركوا» وشركائهم كلِّهم.

قال الكلبي: استسلموا منقادين لحُكمِهِ. والضمير في وضلوا[٤] عائد على الذين أشركوا خاصَّة، أي: وبطلَ عنهم ما كانوا يفترون من أنَّ للهِ شركاءَ وأنهم

(١) في (ح) وتفسير الرازي ٢٠/٩٧: وظنوا. وفي اللباب ١٢/١٣٨: ظنّاً، دون واو.
(٢) هو عبد الجبار، وكلامه في المصدر السالف.
(٣) القراءتان في المحرر الوجيز ٣/ ٤١٥.
(٤) كذا وقع في النسخ، وهو خطأ، والصواب: وضلَّ عنهم.

ينصرونَهم ويشفعون لهم حين كذَّبوهم وتبرؤوا منهم.

والظاهر أن «الذين» مبتدأ و«زِدْناهُم» الخبر، وقال ابنُ عطية[(١)]: يحتمل أن يكون قولُه: «الذين» بدلاً من الضمير في «يفترون» و«زِدْناهُم» فعلٌ مستأنَفٌ إخبارُه.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَهم ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾ بسبب الصَّدّ ﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الذي تَرتَّبَ لهم على الكفر، ضاعَفُوا كفرَهم، فضاعفَ اللهُ عِقابَهم.

وهذا المزيد عن ابن مسعود عقاربُ كأمثال النخل الطِّوال، وعنه: حيَّاتٌ كأمثال الفِيَلة، وعقاربُ كأمثال البِغال[(٢)].

وعن ابن عباس: أنهارٌ من صُفْرٍ مُذابٍ تسيلُ من تحت العرش يُعَذَّبون بها[(٣)].

وعن الزجَّاج[(٤)]: يخرجون من حرِّ النار إلى الزَّمهرير، فيبادِرون من شدَّة بردِهِ إلى النار. وعلَّلَ تلك الزيادةَ بكونهم مفسدين غيرَهم، وحامليهم على الكفر.

و«في كل أمة»: يُبعث[(٥)] فيها منها، حَذَفَ في السابق «من أنفسهم» وأثبتَه هنا، وحَذَفَ هناك «في» وأثبتَه هنا. والمعنى في كليهما أنه يَبْعَثُ اللهُ أنبياءَ الأمم فيهم منهم.

والخطاب في «بِكَ»[(٦)] للرسول ﷺ، والإشارة بـ «هؤلاء» إلى أمته. وقال ابنُ عطيَّة: ويجوزُ أن يبعثَ الله شهداء[(٧)] من الصالحين مع الرُّسل، وقد قال بعضُ الصحابة: إذا رأيتَ أحداً على معصية فانْهَهُ، فإنْ أطاعك وإلَّا كنتَ عليه شهيداً يومَ القيامة. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٥.
(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٠-٣٣١، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٣٣، وزاد المسير ٤/ ٤٨٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٥.
(٣) بنحوه أطول منه في زاد المسير ٤/ ٤٨٢. قوله: صُفْر، أي: نحاس.
(٤) معاني القرآن ٣/ ٢١٦.
(٥) كلمة «يُبعث» من (ز١) و(يه).
(٦) في (أ) و(ح) والمطبوع: ذلك، بدل: بك.
(٧) في المحرر الوجيز ٣/ ٤١٥ (والكلام منه): شهيداً.

وكان الشهيد من أنفسهم لأنه كان كذلك حين أُرسل إليهم في الدنيا من أنفسهم.

وقال الأصمّ أبو بكر: المرادُ بذلك[١] الشهيدِ هو أنه تعالى يُنْطِقُ عَشَرَةً من أجزاء[٢] الإنسان حتى تشهدَ عليه، لأنه قال في صفةِ الشهيد: «من أنفسهم». وهذا بعيد لمقابلته بقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فتقتضي المقابلة أنَّ الشهداءَ على الأمم أنبياؤهم، كرسول الله ﷺ.

«ونَزَّلْنا» استئنافُ إخبار، وليس داخلاً مع ما قبلَه لاختلاف الزَّمانين؛ لمَّا ذكرَ ما شرَّفَه الله به من الشهادة على أمَّته؛ ذكرَ ما أنزلَ عليه ممَّا فيه بيانُ كلِّ شيء من أمورِ الدِّين ليُزيح بذلك عِلَّتَهُمْ فيما كُلِّفُوا، فلا حجَّة لهم ولا معذرة.

والظاهر أنَّ «تِبْيَاناً» مصدرٌ جاء على «تِفعال» وإن كان باب المصادر أن يجيء على «تَفعال» بالفتح، كالتَّرْدَاد والتَّطْوَاف، ونظير «تبيان» في كسر تائه «تِلْقاء»، وقد جَوَّزَ الزجَّاج فتحَه في غير القرآن.

وقال ابنُ عطية: «تِبْياناً» اسم وليس بمصدر[٣]. وهو قولُ أكثر النحاة، ورَوَى ثعلب عن الكوفيين والمبرِّدُ عن البصريِّين أنه مصدر، ولم يجئ على «تِفْعال» من المصادر إلا ضربان: تِبْيَان وتِلْقَاء.

قال الزمخشري[٤]: فإن قلتَ: كيف كان القرآنُ تبياناً لكلِّ شيء؟

قلت: المعنى أنه بَيَّنَ كلَّ شيء من أمورِ الدِّين حيث كان نصًّا على بعضها، وإحالةً على السُّنَّة، حيث أمرَ فيه باتِّباعِ رسولِ الله ﷺ وطاعتِه، وقيل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] وحَثًّا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥] وقد رَضِيَ رسولُ الله ﷺ لأمَّتِه اتِّباعَ أصحابِه والاقتداءَ بآثارِهم في

---

(١) لفظة «بذلك» من (ز١) و(يه) وهي أيضاً في تفسير الرازي ٢٠/ ٩٩، وكلام أبي بكر الأصمّ فيه.
(٢) في تفسير الرازي ٢٠/ ٩٩: أعضاء.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٥.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٢٤.

قوله: «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتَدَيْتُم اهْتَدَيْتُم» وقد اجتهدُوا وقاسُوا ووطَّؤوا طُرُقَ القياس والاجتهاد، فكانت السُّنَّةُ والإجماعُ والقياسُ والاجتهادُ مستندةً إلى تبيين[1] الكتاب، فمن ثَمَّ كان تِبياناً لكلِّ شيء. انتهى.

وقوله: وقد رَضِيَ رسولُ الله ﷺ، إلى قوله: اهتديتُم، لم يَقُلْ ذلك رسولُ الله ﷺ، وهو حديثٌ موضوعٌ لا يصحُّ بوجهٍ عن رسول الله ﷺ.

قال الحافظ أبو محمد عليُّ بنُ أحمدَ بنِ حَزْم في رسالته في إبطال الرأي والقياس والاستحسان والتعليل والتقليد ما نصُّه: وهذا خبرٌ مكذوبٌ موضوعٌ باطلٌ لم يصحَّ قطُّ، وذكرَ إسنادَه إلى البزَّار صاحب «المسند» قال: سألتُم عمَّا رُوِيَ عن النبي ﷺ ممَّا في أيدي العامَّة ترويه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما مَثَلُ أصحابي كَمَثَلِ النُّجوم ـ أو كالنجوم ـ بأيِّها اقْتَدَوْا اهْتَدَوْا». وهذا كلامٌ لم يصحَّ عن النبيِّ ﷺ، رواه عبد الرحيم بن زيد العَمِّي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيِّب، عن ابن عُمر[2]، عن النبي ﷺ، وإنما أَتَى ضَعْفُ هذا الحديث من قِبَلِ عبدِ الرحيم؛ لأنَّ أهلَ العلم سكتُوا عن الروايةِ لحديثِه، والكلامُ أيضاً منكَرٌ عن النبيِّ ﷺ، ولم يثبت، والنبيُّ ﷺ لا يُبيحُ الاختلافَ بعدَه من أصحابِه. هذا نصُّ كلام البزَّار.

قال ابن مَعِين: عبدُ الرحيم بنُ زيد كذَّاب خبيث ليس بشيء[3]، وقال البخاري: هو متروك، رواه أيضاً حمزة الجزَرِيّ، وحمزةُ هذا ساقطٌ متروكٌ[4].

ونصبُوا «تبياناً» على الحال، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله، و«للمسلمين» متعلِّق بـ «بُشْرَى» ومن حيث المعنى هو متعلِّق بـ «هدًى» وبـ «رحمة»[5].

❁ ❁ ❁

(١) في الكشاف ٢/ ٤٢٤: تبيان.
(٢) في الأمالي المطلقة لابن حجر ص٦٠: عن عمر، وربما قال: عن ابن عمر.
(٣) ينظر الجرح والتعديل ٥/ ٣٣٩-٣٤٠.
(٤) التاريخ الكبير ٦/ ١٠٤.
(٥) ينظر ما سبق في جامع بيان العلم ٢/ ٩٢٣-٩٢٤، والأمالي المطلقة ص٥٩-٦٠.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ
وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ
بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١ وَلَا
تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ
تَخۡتَلِفُونَ ٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ
وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٣ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ
ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا
مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٩٧ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم
بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ
أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ
بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ
إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ
مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ
وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ
ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ
وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن
نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ
ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ

ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ
ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ
عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا
قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا
لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ
إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟
وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

المفردات النَّقْضُ ضدُّ الإبرام، وفي الجِرْم فكُّ أجزائِه بعضِها من بعض.

التوكيد: التثبيت، ويقال: توكيد وتأكيد، وهما لغتان، وزعم الزجَّاج أنَّ الهمزة بدلٌ من الواو، وليس بجيِّد، لأنَّ التصريف جاء في التركيبين، فدلَّ على أنهما أصلان.

الغَزْلُ معروفٌ، وفِعْلُه: غَزَلَ يَغْزِلُ بكسر الزاي غَزْلاً، وأُطلق المصدر على المغزول.

نَفِدَ الشيءُ يَنْفَدُ: فَنِيَ.

الأعجميُّ: الذي لا يتكلَّم بالعربية.

* * *

التفسير

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٩٢﴾.

عن ابن عباس في حديث فيه طُولٌ، منه أنَّ عثمانَ بنَ مَظْعُون كان جليسَ النبيِّ ﷺ وقتاً، فقال له عثمان: ما رأيتُك تفعل فعلتك الغداة، قال: وما رأيتَني فعلت؟ قال: شخَصَ بَصَرُك إلى السماء ثم وضعتَه على يمينك، فتحرفْتَ عنِّي إليه وتركتني، فأخذتَ تُنغِضُ رأسَك كأنك تستفقهُ شيئاً يقالُ لك. قال: أوَفَطِنْتَ لذلك؟ أتاني رسولُ الله آنفاً وأنت جالسٌ. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ الآية. قال عثمان: فذلك حين استقرَّ الإيمان في قلبي، فأحببتُ محمداً ﷺ[(١)].

لمَّا ذكر الله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ وَصَلَ به ما يقتضي التكاليفَ فَرْضاً ونَفْلاً وأخلاقاً وآداباً.

والعَدْلُ: فِعْلُ كلِّ مفروضٍ من عقائدَ وشرائعَ وسَيْرٍ مع الناس في أداء الأمانات وتركِ الظُّلم والإنصاف وإعطاء الحقِّ. والإحسانُ: فعلُ كلِّ مندوبٍ إليه. قاله ابن عطية[(٢)].

وقال الزمخشريُّ[(٣)]: العَدْلُ هو الواجبُ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ عَدَلَ فيه على عباده، فجعلَ ما فرضَه عليهم واقعاً تحت طاقتهم. والإحسانُ النَّدب، وإنَّما علَّق أمرَه بهما جميعاً؛ لأنَّ الفَرْضَ لا بدَّ أن يقعَ فيه تفريطٌ، فيَجْبُرُهُ النَّدب. انتهى. وفي قوله: تحت طاقتهم نزغة الاعتزال.

(١) الأدب المفرد (٨٩٣)، ومسند أحمد (٢٩١٩)، والمعجم الكبير (٨٣٢٢).
(٢) المحرر الوجيز ٣/٤١٦.
(٣) الكشاف ٢/٤٢٤-٤٢٥.

وعن ابن عبَّاس: العَدْلُ لا إله إلا الله، والإحسانُ أداءُ الفرائض، وعنه أيضاً أنَّ العَدْل هو الحقّ[١].

وعن سفيان بن عُيينة أنه استواء السَّريرةِ والعلانية في العمل[٢].

وذكر الماورديُّ[٣] أنه القضاءُ بالحقِّ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾.

وقال أبو سليمان: العَدْلُ في لسان العرب الإنصافُ[٤].

وقيل: خَلْعُ الأنداد. وقيل: العَدْلُ في الأفعال، والإحسانُ في الأقوال[٥].

وإيتاءُ ذي القُرْبى هو صلةُ الرَّحِم، وهو مندرجٌ تحت الإحسان، لكنَّه نبَّه عليه اهتماماً به وحضًّا على الإحسان إليه.

والفحشاءُ الزِّنا، أو ما شُنْعَتُهُ ظاهرةٌ من المعاصي، وفاعلُها أبداً مُسْتَتِرٌ بها[٦]، أو القبيحُ من فعلٍ أو قول، أو البخلُ، أو موجِبُ الحدِّ في الدنيا والعذابِ في الآخرة، أو مجاوزةُ حدود الله. أقوال. أوَّلُها لابنِ عباس[٧].

والمنكرُ الشِّرْكُ؛ عن مقاتل، أو ما وُعد عليه بالنار؛ عن ابن السائب، أو مخالفة السريرة للعلانية؛ عن ابن عيينة[٨]، أو ما لا يُوجب الحدَّ في الدنيا لكن العذاب في الآخرة، أو ما تُنكره العقول[٩]. أقوال. ويظهر أنه أعمُّ من الفحشاء

(١) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٥، والنكت والعيون ٣/ ٢٠٩، وزاد المسير ٤/ ٤٨٣، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٠١، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٦.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٢٠٩، وزاد المسير ٤/ ٤٨٣.
(٣) النكت والعيون ٣/ ٢٠٩.
(٤) زاد المسير ٤/ ٤٨٣.
(٥) تفسير الرازي ٢٠/ ١٠١.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٦.
(٧) تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٦، وزاد المسير ٤/ ٤٨٣.
(٨) ينظر زاد المسير ٤/ ٤٨٤.
(٩) الكشاف ٢/ ٤٢٥. ولم ينبّه المصنف على أنه قول المعتزلة، فالمنكر عند أهل السنة ما أنكره الشرع.

لاشتماله على المعاصي والرذائل[١].

والبغي: التطاول بالظلم والسِّعايةِ فيه، وهو داخلٌ في المنكر، ونبَّهَ عليه اهتماماً باجتنابه.

وجمع في المأمور به والمنهيِّ عنه بين ما يجبُ ويُندب، وما يَحرُم ويُكره؛ لاشتراك ذلك في قَدْرٍ مشترك، وهو الطلبُ في الأمر، والتركُ في النَّهْي.

وقال أبو عبد الله الرازيّ: أَمَرَ بثلاثة، ونَهَى عن ثلاثة[٢]، فالعدلُ التوسُّط بين الإفراطِ والتفريط، وذلك في العقائد وأعمالِ الرُّعاة، فقال ابنُ عباس: العدلُ لا إله إلا الله، وهو إثباتُ الإلهِ الواحد، فليس تعطيلاً محضاً ولا إثباتَ أكثر من إله[٣].

وإثباتُ كونِه عالماً قادراً واجبَ الصفات، فليس نفياً للصفات ولا إثباتَ صفاتٍ حادثةٍ متغيرة.

وكونُ فعلِ العبد بواسطة قدرتِه تعالى والداعيةِ التي جعلَها فيه، فليسَ جَبْراً محضاً ولا استقلالاً بالفعل.

وكونُه تعالى يُخرِجُ من النار مَنْ دَخَلَها من أهلِ التوحيد، فليس إرجاءً ولا تخليداً بالمعصية.

وأمَّا أعمالُ الرُّعاة، فالتكاليفُ اللازمةُ لهم، فليس قولاً بأنه لا تكليفَ ولا قولاً بتعذيب النفس واجتنابِ ما يميلُ الطبعُ إليه من أكْلِ الطيِّب والتزوُّجِ ورَمْيِ نفسِه من شاهق.

والقِصاصُ أو الدِّيةُ أو العفوُ، فليس تشديداً في تعيين القصاص كشريعة موسى عليه السلام، ولا عفواً حتماً كشريعة عيسى عليه السلام.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/٤١٦.

(٢) أَمَرَ بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونَهَى عن الفحشاء والمنكر والبغي. وينظر تفسير الرازي ٢٠/١٠١-١٠٢.

(٣) يعني أنَّ نَفْيَ الإله تعطيلٌ محض، وإثباتَ أكثر من إله تشريك وتشبيه، وهما مذمومان، والعدل هو إثبات الإله الواحد. ينظر تفسير الرازي ٢٠/١٠٢.

وتجنُّبُ الحائضِ في اجتنابِ وَطْئها فقط، فليس اجتناباً مطلقاً كشريعة موسى عليه السلام، ولا حِلَّ وَطْئِها حالةَ الحيض كشريعة عيسى عليه السلام.

والاختتانُ؛ فليس إبقاءً للقُلْفَة، ولا قَطْعاً للآلة كلِّها كما ذهبَ إليه المانَوِيَّة.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] الآيتين[(١)].

ومن المشهورِ قولُهم: بالعدلِ قامت السَّماواتُ والأرض، ومعناه أنَّ مقاديرَ العناصر لو لم تكن متعادلة وكان بعضُها أزيدَ لغلبَ الأزيد[(٢)]، وانقلبت الطبائع إليه، فالشمسُ لو قَرُبت من العالم الأرضيّ لَعَظُمَتِ السُّخُونة واحترقَ ما فيه، ولو زادَ بُعدُها لاسْتَوَى البَرْدُ والحرُّ، وكذا مقاديرُ حركاتِ الكواكب ومراتبُ سرعتها وبُطئها.

والإحسانُ: الزيادةُ على الواجب من الطاعات بحسب الكميَّة والكيفيَّة والدواعي والصَّوارف والاستغراق في شهود مقامات العبوديَّة والرُّبوبيَّة.

ومن الإحسان الشفقةُ على الخلق، وأجلُّها[(٣)] صلةُ الرَّحِم.

والمنهيُّ عنه ثلاثة، وذلك أنه أودعَ في النفس البشريَّة قُوًى أربعة: الشهوانيَّة، وهي تحصيلُ اللذَّات، والغضبية، وهي إيصال الشَّرَّ، ووهميَّة، وهي شيطانيَّة تسعى في الترفُّع والتراؤس على الناس.

فالفحشاء ما نشأ عن القوَّة الشهوانيَّة الخارجة عن إذن[(٤)] الشريعة، والمنكرُ ما نشأ عن الغضبيَّة، والبغيُ ما نشأ عن الوهميَّة. انتهى ما تلخَّص من كلامه عفا الله عنه[(٥)].

---

(١) إتمام الآيتين من (ح)، واختصرتا في النسخ الأخرى والمطبوع.
(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: الازدياد.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: وأصلها.
(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع: أدب.
(٥) ينظر تفسيره ٢٠/ ١٠١-١٠٢ والكلام فيه أوضح.

ولما أمرَ تعالى بتلك الثلاث ونهى عن تلك الثلاث، قال: «يَعِظُكم»[١] أي: بما ذَكَرَ تعالى من أمرٍ ونهي. والمعنى: يُنَبِّهُكُم أحسنَ تنبيه «لعلكم تذكرون» أي: تتنبهون لِما أُمِرْتُم به ونُهيتُم عنه.

وعَهْدُ[٢] الله عَلَمٌ لِما عَقَدَه الإنسان والتزمَه ممَّا يُوافق الشريعة.

وقال الزمخشريّ[٣]: هي البيعةُ لرسولِ الله ﷺ على الإسلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] انتهى. وكأنه لَحَظَ ما قيل: إنَّها نزلَتْ في الذين بايعوا الرسولَ ﷺ، رواه أبو ليلى عن بريدة[٤].

وقال قتادة ومجاهد: فيما كان من تحالفِ الجاهلية في أمرٍ بمعروف أو نهيٍ عن منكر[٥].

وقال ميمون بن مِهْران: الوفاء لمن عاهدته، مسلماً كان أو كافراً، فإنَّما العهدُ لله.

وقال الأصمّ: الجهاد، وما فُرضَ في الأموال من حقّ.

وقيل: اليمينُ بالله[٦].

﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾[٧]: العهودَ المُوثَقَةَ بالأيمان، نَهَى عن نقضها تهمُّماً بها.

﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: توثيقِها باسم الله.

وكفالةُ الله شهادتُه ومراقبتُه، لأنَّ الكفيلَ مُراعٍ لحالِ المكفول به.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ أي: في نقضِ العهد بعد توكيدِه وتَقْوِيَتِه بالله كالمرأة الوَرْهَاء[٨] تبرُمُ فتلَ غزلها ثم تنقضُه نَكْثاً، وهو ما يُحَلُّ فتلُه.

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: يعظكم به. وهو خطأ.
(٢) في (أ) و(ز١) والمطبوع: وعقد. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١٧.
(٣) الكشاف ٢/ ٤٢٥.
(٤) قوله: «أبو ليلى» من (يه). وكذا هو في تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٩ (كما ذُكر في حواشيه). وفي المحرر الوجيز ٣/ ٤١٧: أبو ليلى عن مزيدة.
(٥) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٣٩-٣٤٠، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٧، وزاد المسير ٤/ ٤٨٤.
(٦) الأقوال الثلاثة في تفسير الرازي ٢٠/ ١٠٧.
(٧) أثبتُّ كلمة «الأيمان» من (ز١) مع أنه ضُرب عليها، لأنه أوضح للسياق.
(٨) أي: الحمقاء.

والتشبيهُ لا يقتضي تعيينَ المشبَّه به، وقال السُّدِّيُّ وعبدُ الله بن كثير: هي امرأةٌ حمقاءُ كانت بمكة.

وعن الكلبي ومقاتل: هي من قُريش خَرْقاءُ اسمُها رَيْطَة بنتُ سعد من[1] تَيْم، تلقَّب بجفراء[2]، اتَّخذت مِغْزَلاً قَدْرَ ذِراع، وصِنَارَةً مثلَ أصبع، وفَلْكَةً عظيمة على قدْرِها، فكانت تغزِلُ هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرُهنَّ فيَنْقُضْنَ ما غزَلْنَ[3].

وعن مجاهد: هذا فعلُ نساءِ أهلِ نجد، تنقُضُ إحداهنَّ غَزْلَها ثم تَنْفُشُهُ وتَخْلِطُه بالصُّوف فتَغْزِلُه[4].

وقال ابنُ الأنباري: رَيْطَة بنتُ عَمْرو المُرِّيَّة، ولقبُها الجَفْراء[5]، من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين[6].

والظاهر أنَّ المراد بقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ أي: شدَّةٍ حدثت من تركيب قُوى الغزل، ولو قَدَّرْناها واحدةَ القوى لم تكن تنتقضُ أنكاثاً[7]. والنَّكْثُ في اللغة: الحَبْلُ إذا انتقَضَت قواه.

وقال مجاهد: المعنى من بعدِ إمرارِ قوَّة[8].

والدَّخَل: الفساد والدَّغَل، جعلوا الأيمانَ ذريعةً إلى الخدعِ والغدر، وذلك أنَّ المحلوف له مطمئنٌّ، فيمكن للحالفِ[9] ضَرُّه بما يريدُه.

---

(١) في المطبوع والكشاف ٢/ ٤٢٦، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤١٩: بن.

(٢) كذا في النسخ الخطية والمطبوع. وفي زاد المسير ٤/ ٤٨٥، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٠٨: جعراء، بالعين المهملة، وهو الصواب، ولَقَّبها صاحب القاموس (جعر): جِعْرانة، وفي التعريف والإعلام ص٩٥: جعرانية.

(٣) ينظر الكشاف ٢/ ٤٢٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٧، وزاد المسير ٤/ ٤٨٥.

(٤) عبارة (ح): ينقضن أغزالهن ثم ينفشنه ويخلطنه بالصوف فيغزلنه. وينظر زاد المسير ٤/ ٤٨٥.

(٥) كذا في النسخ. وسلف قبل تعليق أن الصواب: الجعراء.

(٦) زاد المسير ٤/ ٤٨٥.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١٨.

(٨) المصدر السالف.

(٩) في (أ) و(ح) والمطبوع: الحالف. وفي المحرر الوجيز ٣/ ٤١٨ (والكلام فيه بنحوه): فيتمكن الحالف.

قالوا: نزلت في العرب؛ كانوا إذا حالفوا قبيلةً فجاء أكثرُ منها عدداً حالفوه وغدرُوا بالتي كانت أقلَّ.

وقيل: أنْ تكونوا أنتم أَزْيَدَ خَيْراً، فأسندَ إلى «أمَّة»، والمرادُ المخاطبون.

وقال ابن بَحْر: الدَّخَلُ الداخلُ في الشيء لم يكن منه. انتهى.

و«دَخَلاً» مفعولٌ ثانٍ، وقيل: مفعولٌ من أجله، و«أَنْ تكونَ» أي: بسبب أن تكون، و«هي أَرْبَى» مبتدأ وخَبَر، وأجازَ الكوفيُّون أن تكون «هي» عماداً، يعنُون فَصْلاً، فتكون «أَرْبَى» في موضع نصب، ولا يجوز ذلك عند البصريِّين لتنكير «أُمَّة».

والضمير في «به» عائدٌ على المصدر المنسبك من «أن تكونَ» أي: بسببِ كونِ أمَّةٍ أَرْبَى من أُمَّة يختبرُكم بذلك.

قال الزمخشريّ[(١)]: لينظرَ أتتمسَّكون بحبلِ الوَفاء بعهدِ الله وما عقدتُم على أنفسكم ووكَّدتُم من أيْمان البيعةِ للرسول ﷺ أم تغترُّون بكثرةِ قريش وثروتهم وقوَّتهم، وقلَّةِ المؤمنين وفقرِهم وضعفِهم. ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ إنذارٌ وتحذيرٌ من مخالفةِ ملَّةِ الإسلام. انتهى.

وقيل: يعودُ[(٢)] على الوفاء بالعهد.

وقال ابنُ جبير وابنُ السائب ومقاتل: يعود على الكثرة[(٣)].

قال ابنُ الأنباري: لـمَّا كان تأنيثُها غيرَ حقيقيّ[(٤)] حُمل على معنى التذكير كما حُملت الصيحة على الصِّياح[(٥)].

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٢٦.
(٢) يعني الضمير في «به». وينظر زاد المسير ٤/ ٤٨٦.
(٣) المصدر السالف، وهذا القول هو ما سلف ذكره من سبب النزول.
(٤) يعني الكثرة. وكلام ابن الأنباري في المصدر السالف.
(٥) تعقَّبه الآلوسي في روح المعاني ١٤/ ٢٨٠ بأنَّ مرادهم من قولهم: الكثرة هو المصدر المنفهم من «أربى» وهو الرُّبو، بمعنى الزيادة، فاكتفوا ببيان حاصل المعنى.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

هذه المشيئةُ مشيئةُ اختيار على مذهب أهلِ السُّنَّة، ابتَلَى الناسَ بالأمرِ والنهي ليذهبَ كلٌّ إلى ما يُسِّرَ له، وذلك بحقِّ[1] الملك. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ ولو شاء لكانوا كلُّهم على طريق واحدة إمَّا هدًى وإمَّا ضلالة، ولكنه فرَّق، فناسٌ للسَّعادة وناسٌ للشَّقاوة، فخلقَ الهُدى والضلال.

وتوعَّد بالسؤال عن العمل، وهو سؤالُ توبيخ لا سؤالُ تفهُّم، وسؤالُ التفهُّم هو المنفي في آيات[2]، ومذهبُ المعتزلة أنَّ هذه المشيئة مشيئةُ قَسْر.

قال العسكريّ: المرادُ أنه قادرٌ على أن يَجمعَكم على الإسلام قهراً، فلم يفعل ذلك، وكلَّفكُم[3] ليُعذِّبَ من يشاءُ على معصيته ويُثيبَ من يشاءُ على طاعته، ولا يشاءُ شيئاً من ذلك إلا أن يستحقَّه.

ويجوزُ أن يكون المعنى أنه لو شاءَ خَلَقَكم في الجنة، ولكن لم يفعل ذلك ليُثيبَ المُطيعين منكم، ويُعذِّبَ العصاةَ. ثم قال: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يعني سؤالَ المحاسبة والمجازاة، وفيه دليلٌ على أنَّ الإضلال في الآية العقاب، ولو كان الإضلالُ عن الدِّين لم يكن لسؤاله إيَّاهم معنى.

وقال الزمخشري[4]: «أمَّة واحدة» حنيفة مُسلمة على طريق الإلجاء

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: لحقّ. وينظر المحرر الوجيز ٣/٤١٨، والكلام فيه بنحوه.
(٢) مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ أي: لا يُسألون عن ذنوبهم سؤالَ استخبار واستعلام لأنَّ الله تعالى أعلم بأفعالهم منهم. ينظر أضواء البيان ٧/٧٥٣.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: خلقكم، وهو تصحيف.
(٤) الكشاف ٢/٤٢٦.

والاضطرار، وهو قادرٌ على ذلك، ولكنَّ الحكمةَ اقتضت أن يُضِلَّ من يشاء، وهو أن يَخْذُلَ مَنْ علمَ أنه يختارُ الكفرَ ويُصمِّمُ عليه، ويهدي من يشاء، وهو أن يَلْطُفَ بمن علمَ الله أنه يختارُ الإيمان، يعني أنه بَنَى الأمرَ على الاختيار، وعلى ما يستحقُّ به اللُّطف والخِذْلان والثواب والعقاب، ولم يَبْنِهِ على الإجبار الذي لا يُستحقُّ به شيءٌ من ذلك، وحقَّقه بقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ولو كان هو[1] المضطرَّ إلى الضلال والاهتداء لمَا أثبتَ لهم عَمَلاً يُسْألون عنه. انتهى.

قالوا: كرَّر النهي عن اتِّخاذ الأيْمان دَخَلاً تهمُّماً بذلك ومبالغةً في النَّهي عنه لعِظَمِ موقعِه من الدِّين؛ قال ابنُ عطيَّة: وتردُّدِه في معاملاتِ الناس، وقال الزمخشري: تأكيداً عليهم وإظهاراً لعِظَم ما يُرتَكَبُ منه. انتهى.

وقيل: إنما كرَّر لاختلاف المعنيين، لأن الأوّل نَهَى فيه عن الدخول في الحَلِفِ ونقضِ العهد بالقلة والكثرة، وهنا نَهَى عن الدَّخَل[2] في الأيمان التي يُراد بها اقتطاعُ حقوق، فكأنَّه قال: دَخَلاً بينكم لتتوصَّلُوا بها إلى قطع أموال المسلمين.

وأقول: لم يتكرَّر النهيُ عن اتخاذ الأيمان دَخَلاً، وإنما سبقَ إخبارٌ بأنهم اتَّخذوا أيْمانَهم دَخَلاً معلَّلاً بشيء خاصٍّ، وهو أن تكونَ أمَّةٌ هي أرْبَى من أمَّة، وجاء النهيُ بقوله: «ولا تتَّخذوا» استئنافَ إنشاء عن اتِّخاذ الأيْمان دَخَلاً على العموم، فيشملُ جميعَ الصُّور من الحَلِفِ في المبايَعةِ وقطعِ الحقوقِ الماليةِ وغيرِ ذلك.

وانتصب «فتَزِلَّ» على جواب النهي، وهو استعارةٌ لمن كان مستقيماً وقعَ في أمرٍ عظيم وسَقَطَ، لأنَّ القَدَم إذا زَلَّتْ تقلَّب الإنسانُ من حالِ خيرٍ إلى حالِ شرّ. وقال كُثَيِّر:

فَلَمَّا تَوَافَيْنَا ثَبَتُّ وزَلَّتِ[3]

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: هذا، بدل: هو.
(٢) في (أ) و(ح) و(يه): الدخول.
(٣) هو عجز بيت له، وصدره: وكنَّا سلكنا في صَعُودٍ من الهَوَى. وهو في ديوانه ص٧٩. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤١٩.

قال الزمخشريّ: فتَزِلَّ أقدامُكم عن مَحَجَّة الإسلام بعد ثبوتِها عليها.

فإن قلت: لِمَ وُحِّدَتِ القَدَمُ ونكِّرت؟

قلت: لاستعظام أن تَزِلَّ قدمٌ واحدة عن طريق الحقِّ بعد أن ثَبتَتْ عليه، فكيفَ بأقدام كثيرة؟ انتهى.

ونقول: الجمعُ تارةً يُلحظُ فيه المجموع من حيث هو مجموع، وتارةً يُلحظُ فيه اعتبارُ كلِّ فردٍ فردٍ، فإذا لُوحِظَ فيه المجموعُ؛ كان الإسناد معتبراً فيه الجمعيَّة، وإذا لُوحِظَ كلُّ فردٍ فردٍ كان الإسنادُ مطابقاً للفظ الجمع كثيراً، فيُجمع ما أسند إليه، ومطابقاً لكلِّ فَرْد فَرْدٍ فيُفرَد، كقوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أفردَ «مُتَّكأً» لمَّا كان لُوحِظَ في قوله: «لهنَّ» معنى لكلِّ واحدة، ولو جاء مُراداً به الجمعية أو على الكثير في الوجه الثاني لجمع المُتَّكأ، وعلى هذا المعنى ينبغي أن يُحمل قول الشاعر:

فإني رأيتُ[1] الصَّامِرينَ مَتَاعَهُمْ يَمُوتُ ويَفْنَى فارْضَخِي من وِعائيا[2]

أي: رأيتُ كلَّ صامر، ولذلك أفردَ الضمير في «يموت ويفنى».

ولمَّا كان المعنى هنا: لا يَتَّخِذْ كلُّ واحدٍ منكم؛ جاء «فتَزِلَّ قَدَمٌ» مراعاةً لهذا المعنى، ثم قال: «وتذوقُوا» مراعاةً للمجموع، أو للفظِ الجمع على الوجه الكثير إذا قلنا إنَّ الإسناد لكلِّ فرد فرد، فتكون الآية قد تعرَّضَت للنهي عن اتخاذ الأَيمان دَخَلاً باعتبار المجموع، وباعتبار كلِّ فردٍ فرد، ودلَّ على ذلك بإفراد «قَدَم»، وبجمع الضمير في «وتذوقُوا».

و«ما» مصدريَّة في «بما صَدَدْتُم» أي: بصُدودِكم، أو بصدِّكم غيرَكم، لأنهم لو نقضُوا الأيمان وارتدُّوا لاتُّخِذَ نقضُها سُنَّةً لغيرهم فيستنُّون[3] بها.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: وجدتُ.

(٢) البيت في اللسان (صمر)، وهو أيضاً فيه في (حظل) ضمن ثلاثة أبيات برواية: رأيتُ الباخلين متاعَهم يُذَمُّ ويَفْنَى.. أنشدها أبو عمرو لمنظور الدُّبَيْري. وهي في أمالي القالي ٢/ ٢١٢ دون نسبة. قوله: الصامرين (بالصاد المهملة) أي: الباخلين.

(٣) في (يه): فينسبون، ولم تتبيَّن في (ز١) ورسمُها فيها: فيُستبُّون، وفي النسخ الأخرى: فيسبون. والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله، ففي الكشاف ٢/ ٤٢٧ (والكلام فيه): يستنُّون.

وذوقُ السُّوء في الدُّنيا، «ولكم عذابٌ عظيم» أي: في الآخرة، والسوء ما يَسُوءُهم من قتلٍ ونَهْب وأَسْر وجَلَاء وغيرِ ذلك مما يَسُوء.

قال ابنُ عطية[(١)]: وقوله: «صَدَدْتُم عن سبيل الله» يدلُّ على أنَّ الآيةَ فيمن بايعَ رسولَ الله ﷺ. وعلى هذا فَسَّرَ الزمخشريُّ، قال: لأنهم قد نقضُوا أَيْمانَ البيعة[(٢)]. ولا يدلُّ على ذلك بخصوصه[(٣)]، بل نَقْضُ الأَيْمان في البيعة مندرجٌ في العموم.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هذا نهيٌ عن نقضِ ما بين اللهِ تعالى والعبدِ لأخْذِ حُطامٍ من عَرَض الدُّنيا.

قال الزمخشريّ: كان قومٌ[(٤)] ممَّن أسلمَ بمكةَ زَيَّنَ لهم الشيطانُ لِجزَعِهم ممَّا رَأَوْا من غَلَبَةِ قريشٍ واستضعافِهم المسلمين وإيذائهم لهم ولِما كانوا يَعِدُونهم إنْ رَجَعُوا من المواعيد أن ينقُضُوا ما بايعُوا عليه رسولَ الله ﷺ، فثبَّتهم الله.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ ولا تستبدلوا ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ وبَيْعةِ رسولِ الله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عَرَضاً من الدُّنيا يسيراً، وهو ما كانت قريشٌ يَعِدُونَهم ويُمَنُّونَهم إن رجعوا ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٥)].

وقال ابنُ عطيَّة[(٦)]: هذه آية نَهْيٍ عن الرُّشا وأَخْذِ الأموالِ على تركِ ما يجبُ على الآخِذِ فِعْلُه، أو فعلِ ما يجبُ عليه تركُه، فإنَّ هذه هي التي عَهِدَ اللهُ إلى عبادِه فيها، وبَيَّنَ تعالى الفرقَ بين حالِ الدُّنيا وحالِ الآخرة بأنَّ هذه تَنْفَدُ وتنقضي عن الإنسان وينقضي عنها، والتي في الآخرة باقية دائمة.

ودلَّ قولُه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ على أنَّ نعيم الجنة لا ينقطعُ، وفي ذلك حُجَّةٌ على جَهْم بن صفوان إذ زَعَم أنَّ نعيمَ الجنة منقطع.

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٩.

(٢) كذا، وفيه نظر، وفي الكشاف ٢/ ٤٢٧: لو نقضوا... (والكلام فيه بسياق آخر كما سلف قبل تعليق).

(٣) في (ح) والمطبوع: لخصوصه.

(٤) في الكشاف ٢/ ٤٢٧: كانَّ قوماً.

(٥) هنا نهاية كلام الزمخشري.

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٩.

وقرأ عاصم وابنُ كثير: «ولَنَجْزِيَنَّ» بالنون، وباقي السبعة بالياء[1].

و«صَبَرُوا» أي: جاهدوا أنفسَهم على مشاقِّ[2] الإسلام وأذى الكفار وتركِ المعاصي وكسبِ المال بالوجه الذي لا يحلُّ.

﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ قيل: من التنفُّلِ بالطاعات، وكانت أحْسَنَ لأنها لم يُحْتَم فعلُها، فكان الإنسانُ يأتي بالتنفُّلات مختاراً غيرَ ملزوم بها.

وقيل: ذكرَ الأحسنَ ترغيباً في عمله وإن كانت المجازاةُ على الحسَن والأحسن.

وقيل: الأحْسَنُ هنا بمعنى الحَسَن، فليس «أفعل» التي للتفضيل.

والذي يظهرُ أنَّ المرادَ بالأحسنِ هنا الصَّبْر، أي: ولنجزينَّ الذين صبروا بِصَبْرِهم، أي: بجزاءِ صبرهم، وجعلَ الصبرَ أحسنَ الأعمال لاحتياجِ جميعِ التكاليفِ إليه، فالصبرُ هو رأسُها، فكان الأحْسَنَ لذلك.

و«مَنْ» صالحة للمفرد والمذكَّر وفروعِهما، لكن يَتبادر إلى الذِّهن الإفرادُ والتذكير، فَبيَّنَ بالنَّوعين لِيَعُمَّ الوَعْدُ كليهما.

«وهو مؤمنٌ» جملة حالية، والإيمان شرطٌ في العمل الصالح مخصِّصٌ لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ أو يُراد بمثقالِ ذرَّة من إيمان كما جاء فيمن يخرجُ مِن النار مِن عُصاةِ المؤمنين.

والظاهر من قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ أنَّ ذلك في الدُّنيا، وهو قولُ الجمهور، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ يعني في الآخرة.

وقال الحسن ومجاهد وابنُ جُبير وقتادة وابنُ زيد: ذلك في الجنة. وقال شريك: في القبر. وقال عليّ ووَهْب بنُ مُنَبِّه وابنُ عبَّاس والحسن في روايةٍ عنهما: هي القناعة. وعن ابن عباس أيضاً والضَّحَّاك: الرِّزْقُ الحلال. وعنه أيضاً: السعادة. وقال عكرمة: الطاعة. وقال قتادة: رِزْقٌ في يوم بيوم. وقال إسماعيلُ بنُ أبي خالد:

(١) السبعة ص٣٧٥، والتيسير ص١٣٨.

(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: ميثاق. والكلام في الكشاف ٢/ ٤٢٧.

الرِّزْقُ الطيِّب، والعملُ الصالح. وقال أبو بكر الورَّاق: حلاوة الطاعة. وقيل: العافية والكفاية. وقيل: الرِّضا بالقضاء. ذكرَهما الماورديّ[١].

وقال الزمخشريّ[٢]: المؤمنُ مع العمل الصالح إن كان مُوسِراً فلا مَقالَ فيه، وإن كان مُعسِراً فمعه ما يُطَيِّب عيشَه، وهو القناعةُ والرِّضا بقِسْمةِ الله تعالى، والفاجرُ إنْ كان مُعْسِراً فلا إشكال في أمره، وإنْ كان مُوسِراً فالحِرْصُ لا يدعُه أن يتهنَّأ بعيشه.

وقال ابنُ عطيَّة[٣]: طِيبُ الحياةِ للصالحين بانبساط نفوسِهم ونُبْلِها[٤] وقوَّةِ رَجائهم، والرجاءُ للنفس أمرٌ مُلِذٌّ، وبأنَّهم احتقرُوا الدُّنيا، فزالت همومُها عنهم، فإن انضافَ إلى هذا مالٌ حلال، وصحَّةٌ وقَناعة، فذاك كمالٌ، وإلَّا فالطِّيبُ فيما ذكرنا راتب.

وعاد الضمير في «فَلَنُحْيِيَنَّهُ» على لفظ «مَنْ» مفرداً، وفي «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ» على معناها من الجمع، فجمع، ورُوِيَ عن نافع: «وَلَيَجْزِيَنَّهُمْ» بالياء بدل النون[٥]، التفتَ من ضمير المتكلِّم إلى ضمير الغيبة، وينبغي أن يكون على تقدير قسَم ثانٍ لا معطوفاً على «فَلَنُحْيِيَنَّهُ»، فيكون من عطف جملة قسَميَّة على جملة قسَميَّة، وكلتاهما محذوفتان، ولا يكون من عطف جواب على جواب لتغاير الإسناد، وإفضاء الثاني إلى إخبار المتكلِّم عن نفسه بإخبار الغائب، وذلك لا يجوز، فعلى هذا لا يجوز أن تقول[٦]: زيدٌ قلتُ واللهِ لأضربنَّ هنداً ولَيَنْفِيَنَّها، تريد: ولَيَنْفِيَنَّها زيدٌ، فإنْ جعلتَه على إضمار قسَم ثانٍ جاز، أي: وقال زيد: لَيَنْفِيَنَّها، لأنَّ لك في

(١) في النكت والعيون ٣/ ٢١٢، والكلام السالف من زاد المسير ٤/ ٤٨٨-٤٨٩. وينظر أيضاً تفسير الطبري ١٤/ ٣٥٢-٣٥٣، وتفسير الثعلبي ٣/ ٥٣٧، والمحرر الوجيز ٣/ ٤١٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٢٣-٤٢٤.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤١٩.

(٤) في (أ) و(ح) والمطبوع والمصدر السالف: ونيلها. والمثبت من (ز١) و(يه).

(٥) نقلها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤١٩ عن أبي حاتم، والقراءة المشهورة عن نافع بالنون كقراءة الجماعة.

(٦) لفظ «أن تقول» من (ز١) و(يه).

هذا التركيب أنْ تحكيَ لفظَهُ، وأنْ تَحكيَ على المعنى، فمن الأول: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٧]، ومن الثاني: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ [التوبة: ٧٤] ولو جاء على اللفظ لكان: ما قلنا.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وذكرَ أشياءَ ممَّا بيَّن في الكتاب، ثم ذكرَ قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ذكرَ ما يَصُونُ به القارئُ قراءتَه من وسوسة الشيطان ونَزْغِهِ، فخاطبَ السامعَ بالاستعاذة منه إذا أخذَ في القراءة، فإن كان الخطابُ للرسول ﷺ لفظاً فالمرادُ أمَّتُهُ، إذ كانت قراءةُ القرآن من أجَلِّ الأعمال الصالحة، كما وردَ في الحديث أنَّ ثوابَ قراءةِ كلِّ حرفٍ عشرُ حَسَنات[1].

والظاهر تعقُّب الاستعاذة القراءة[2]، وقد رَوَى ذلك بعضُ الرواة عن حمزة، ورُوِيَ عن ابنِ سِيرِين أنه قال: كلَّما قرأتَ الفاتحة؛ حين تقول: آمين، فاستعذ[3]. ورُوِي عن أبي هريرة ومالك وداود تعقُّبها القراءة، كما رُوِيَ عن حمزة.

والجمهورُ على ترك هذا الظاهر، وتأويلُه بمعنى: فإذا أردتَ القراءةَ؛ قال الزمخشريّ: لأنَّ الفعلَ يوجدُ عند القصد والإرادةِ بغير فاصل وعلى حَسَبه، فكان

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً. قال: ووقفه بعضهم عن ابن مسعود.
(٢) كلمة «القراءة» من (ز١). وفي (يه): القرآن.
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٩١، وذكر أيضاً رواية أخرى عنه قال: إذا تعوَّذت مرة وقرأت مرة بسم الله الرحمن الرحيم أجزأ عنك.

منه بسبب قُوَى وملابسةٍ ظاهرة كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وكقوله: «إذا أكلتَ فَسمِّ الله»(١).

وقال ابنُ عطية: «فإذا» وُصْلة بين الكلامين والعربُ تستعملُها في مثل هذا، وتقدير الآية: فإذا أخذت في قراءة القرآنِ(٢). و«اسْتَعِذْ»(٣) أَمْرٌ بالاستعاذة، فالجمهور على الندب، وعن عطاء الوجوب(٤).

والظاهر طلبُ الاستعاذة عند القراءة مطلقاً، والظاهرُ أنَّ الشيطانَ المرادُ به إبليسُ وأعوانُه، وقيل: عامٌّ في كل متمرِّدٍ عاتٍ من جِنٍّ وإنس، كما قال: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأعراف: ١١٢].

واختلف في كيفية الاستعاذة، والذي صارَ إليه الجمهور من القُرَّاء وغيرِهم واختاروه: «أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم» لما رَوَى عبدُ الله بنُ مسعود وأبو هريرة وجُبير بنُ مُطعم عن النبيّ ﷺ أنه استعاذَ عند القراءة بهذا اللفظ بعينه(٥).

ونَفَى تعالى سُلْطانَ الشيطان عن المؤمنين، والسُّلطان هنا التَّسلُّط والولاية، والمعنى أنهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريدُ منهم من اتِّباع خُطُواتِه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]. وكما أخبر تعالى عنه

(١) الكشاف ٢/ ٤٢٨. بتقديم وتأخير. والحديث أخرجه أحمد في المسند (١٦٣٣١) عن عمر بن أبي سلمة ﷺ.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٠.
(٣) في (ح) والمطبوع: فاستعذ.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٠، وتفسير القرطبي ١/ ١٣٥.
(٥) في هذا الكلام نظر، فقد اختارَ الجمهور لفظ الاستعاذة هذا لأنه لفظُ كتاب الله تعالى كما ذكر ابنُ عطية في المحرر الوجيز ١/ ٥٨، والقرطبي في تفسيره ١/ ١٣٥-١٣٦، أما حديث عبد الله بن مسعود وجُبير بن مُطْعِم فقد ضَعَّفهما أبو شامة في إبراز المعاني ص٩٢، وذكر أنَّ الأصحَّ منهما حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه أحمد (١١٤٧٣) وأبو داود (٧٧٥)، وصيغة التعوّذ فيه: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزِهِ ونَفْخه ونَفْثه. وينظر حديث جبير بن مطعم في مسند أحمد (١٦٧٤٠)، وحديث ابن مسعود عند الثعلبي ٣/ ٥٣٨-٥٣٩ وقد أخرجه عنه مسلسلاً بصيغة التعوذ، ولم أقف على صيغة التعوّذ من حديث أبي هريرة ﷺ.

فقال في قصة أوليائه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وقيل: المرادُ بالسلطان الحجَّة. وظاهرُ الإخبار انتفاءُ سلطنتِه على المؤمنين مطلقاً، وقيل: ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه، وقيل: ليس له قدرةٌ أن يحملَهم على ذنب[1].

والضمير في «به» عائدٌ على «ربِّهم»، وقيل: على الشيطان، وهو الظاهر لاتفاق الضمائر، والمعنى: والذين هم بإشراكهم إبليسَ مشركون بالله، أو تكون الباء للسببية. والأمرُ بالاستعاذة يقتضي أنها تصرفُ كيدَ الشيطان، كأنَّها متضمِّنةٌ التوكُّلَ على الله والانقطاعَ إليه.

ولمَّا ذكرَ تعالى إنزالَ الكتابِ تبييناً لكلِّ شيء وأمَرَ بالاستعاذة عند قراءته؛ ذكرَ تعالى نتيجةَ ولايةِ الشيطانِ لأوليائه المشركين وما يُلقيه إليهم من الأباطيل، فألْقَى إليهم إنكارَ النَّسْخ لمَّا رَأَوْا تبديلَ آيةٍ مكانَ آية، وتقدَّم الكلامُ في النَّسْخ في «البقرة».

والظاهرُ أنَّ هذا التبديلَ رَفْعُ آية لفظاً ومعنًى، ويجوزُ أن يكون التبديلُ لحكم المعنى وإبقاء اللفظ، ووجدَ الكفارُ بذلك طَعْناً في الدِّين، وما علموا أنَّ المصالح تختلفُ بحسَب الأوقات والأشخاص، وكما وقعَ نسخُ شريعةٍ بشريعة يقع في شريعة واحدة.

وأخبر تعالى أنه العالِمُ بما يُنَزِّل لا أنتم، وما يُنَزِّلُ ممَّا يُقِرُّه وما يرفعُه فمرجعُ عِلْم ذلك إليه، وهو على حَسَب الحوادث والمصالح، وهذه حِكمةُ إنزالِه شيئاً شيئاً، وهذه الجملةُ اعتراضٌ بين الشَّرطِ وجوابِه، قيل: ويحتملُ أن يكون حالاً.

وبالغوا في نسبة الافتراء للرسولِ بلفظ «إنَّما» وبمواجهة الخطاب وباسم الفاعل الدالِّ على الثبوت.

وقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ لأنَّ بعضهم يعلم ويكفرُ عِناداً، ومفعول «لا يعلمون» محذوف لدلالة المعنى عليه، أي: لا يعلمون أنَّ الشرائعَ حِكَمٌ ومصالح، وهذه الآيةُ دلَّت على وقوع نَسْخِ القرآنِ بالقرآن.

(١) ينظر تفسير الطبري ١٤/٣٥٨-٣٥٩، والنكت والعيون ٣/ ٢١٣، وزاد المسير ٤/ ٣٩٠.

ورُوحُ القُدُس هنا هو جبريلُ عليه السلام بلا خلاف، وتَقدَّمَ لِمَ سُمِّيَ رُوحَ القُدُس. وأضاف الرَّبَّ إلى كاف الخطاب تشريفاً للرسول ﷺ باختصاص الإضافة وإعراضاً عنهم إذ لم يُضِفْ إليهم. و«بالحقِّ» حال، أي ملتبساً بالحقّ سواءٌ أكان ناسخاً أم منسوخاً، فكلُّه مصحوبٌ بالحقّ لا يعتريه شيءٌ من الباطل.

و«لِيُثبِّتَ» معناه أنهم لا يضطربون في شيء منه لكونه نُسخ، بل النَّسْخُ مُثَبِّتٌ لهم على إيمانهم لعلمِهم أنه جميعَه من عند الله لصحَّة إيمانِهم واطمئنانِ قلوبهِم يعلمون أنه حكيم، وأنَّ أفعالَه كلَّها صادرة عن حكمتِه[1] فهي صوابٌ كلُّها.

ودلَّ اختصاصُ التعليل بـ «المسلمين» على اتِّصاف الكفار بضدِّه من لَحاق الاضطرابِ لهم وتزلزلِ عقائدِهم وضلالِهم.

وقرئ: «لِيُثْبِتَ» مخفَّفاً من أثْبَتَ.

قال الزمخشريّ[2]: «وهُدًى وبُشْرَى» مفعولٌ لهما معطوفان على محلّ «لِيُثبِّت». انتهى. وتقدَّم الردُّ عليه في نحو هذا، وهو قوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [٦٤] في هذه السورة.

ولا يمتنعُ عطفهُ على المصدر المنسبك من «أنْ» والفعل لأنه مجرورٌ، فيكون «وهدًى وبُشْرَى» مجرورَيْن، كما تقول: جئتُ لِأُحْسِنَ إلى زيد وإكرامِ لخالد، إذِ التقدير: لإحسانٍ إلى زيد.

وأجاز أبو البقاء[3] أن يكون ارتفاع «هدًى وبُشرى» على إضمار مبتدأ، أي: وهو هدًى وبُشْرَى.

ولمَّا نسبُوه عليه الصلاةُ والسلام للافتراء ـ وهو الكذبُ على الله ـ لم يكتفوا بذلك حتى جعلُوا ذلك الافتراء الذي نسبُوه هو من تعليم بشرٍ إيَّاه، فليس هو المُختلِق، بل المُختلِقُ غيرُه، وهو ناقلٌ عنه.

---

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: حكمة.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٢٩، والقراءة السالفة فيه وفي القراءات الشاذة ص٧٤.
(٣) في الإملاء ٢/ ٨٥.

وظاهرُ قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍۭ﴾ أنَّ معناه مُختلِقٌ الكذب، وهو يُنافي التعلُّم من البشر، فيحتمل أن يكون قولُه: «مُفترٍ» في نسبةِ ذلك إلى الله، ويحتمل أن يكونوا فيه طائفتين؛ طائفةٌ ذهبت إلى أنه هو المفتري، وطائفةٌ أنه يتعلَّم من البشر.

و«نَعْلمُ» مضارع اللفظ، ومعناه المُضِيّ، أي: ولقد عَلِمْنا، وجاء إسنادُ التعليم إلى مبهم لم يُعَيَّن، فقيل: هو جَبْرٌ، غلامٌ رُوميّ كان لعامرِ بنِ الحَضْرَميّ.

وقيل: عائش أو يعيش، وكان صاحبَ كتب، مولى حُوَيْطبِ بن عبد العُزَّى، وكان قد أسلم فحسُنَ إسلامُه. قاله الفرَّاء والزجَّاج[1].

وقيل: أبو فُكَيْهة أعجميٌّ مولًى لامرأةٍ بمكة، قيل: واسمُه يسار، وكان يهودياً. قاله مقاتل وابنُ جُبير إلا أنه لم يقل: كان يهوديّاً[2]. وقال ابنُ زيد: كان رجلاً حدَّاداً نصرانيّاً اسمهُ يُحَنَّس.

وقال حُصين بن عبد الله بن مسلم[3]: كان لنا غلامانِ نصرانيَّان من أهل عين التمر؛ يسار وجَبْر، كانا يقرآن كتباً لهما بلسانهم، وكان ﷺ يمرُّ بهما فيسمعُ قراءتَهما. قيل: وكانا حدَّادَيْن يصنعانِ السُّيوف، فقال المشركون: يتعلَّم منهما، فقيل لأحدهما ذلك، فقال: بل هو يعلِّمني[4].

وقال ابنُ عباس: كان في مكة غلامٌ أعجميٌّ لبعضِ قريش يقال له: بَلْعام، فكان رسولُ الله ﷺ يعلِّمه الإسلام ويرومُهُ عليه[5]، فقالت قريش: هذا يعلِّم محمداً من جهة الأعاجم[6].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٣، وللزَّجَّاج ٣/ ٢١٩. وينظر الكشاف ٢/ ٤٢٩، وزاد المسير ٤/ ٤٩٣.
(٢) زاد المسير ٤/ ٤٩٣.
(٣) كذا في النكت والعيون. وهو خطأ. والصواب: حصين عن عبد الله بن مسلم، كما في تفسير الطبري ١٤/ ٣٦٧-٣٦٨، وهو في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢١، وزاد المسير ٤/ ٤٩٣، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٢٩ عن عبد الله بن مسلم.
(٤) الخبر في المصادر السالفة دون قوله: فقيل لأحدهما ذلك... الخ، فمن الكشاف ٢/ ٤٢٩.
(٥) قوله: ويرومه عليه، من (ز١) و(يه).
(٦) تفسير الطبري ١٤/ ٣٦٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٢١، وزاد المسير ٤/ ٤٩٣، وتفسير الطبري ١٢/ ٤٢٩.

وقال الضحَّاك: الإشارة إلى سلمانَ الفارسيِّ[١].

وضُعِّفَ هذا من جهة أنَّ سلمانَ إنَّما أسلم بعد الهجرة، وهذه السورة مكيَّة إلا ما نُبِّهَ عليه أنه مدنيّ.

واللسان هنا اللغة، وقرأ الحسن: «اللسانُ الذي» بتعريف «اللسان» بأل[٢] و«الذي» صفتُه.

وقرأ حمزة والكسائيّ: «يَلْحَدُونَ» من «لَحَدَ» ثلاثياً، وهي قراءة عبد الله وطلحة[٣] والسُّلَميّ والأعمش ومجاهد، وقرأ باقي السبعة وابنُ القعقاع بضمِّ الياء وكسر الحاء، من «أَلْحَدَ» رباعيّاً، وهما بمعنى[٤].

قال الزمخشريّ: يقال: أَلْحَدَ القبرَ ولَحَده فهو مُلْحَد وملحُود: إذا أمالَ حَفْرَهُ عن الاستقامة فحفرَ في شِقٍّ منه، ثم استُعير لكلِّ إمالةٍ عن استقامة، فقالوا: ألحدَ فلانٌ في قوله، وألحدَ في دينِهِ لأنه أمالَ دينَه[٥] عن الأديان كلِّها لم يُمِلْهُ من دِينٍ إلى دِينٍ، والمعنى: لسانُ الرَّجُلِ الذي يُميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسانٌ أعجميٌّ غيرُ بيِّن، وهذا القرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبينٌ ذو بيان وفصاحة ردًّا لقولهم وإبطالاً لطعنهم. انتهى.

وظاهرُ قولِ الزمخشريّ أنَّ اللسان في الموضعين اللغة.

وقال ابنُ عطية: «وهذا» إشارةٌ إلى القرآن، والتقديرُ: وهذا سَرْدُ لسان، أو نُطْقُ لسان، فهو على حذف مضاف، وهذا على أن يجعل اللسان هنا الجارحة، واللسان في كلام العرب اللغة، ويحتمل أن يُراد في هذه الآية.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٣٦٨، والنكت والعيون ٣/ ٢١٥، والكشاف ٢/ ٤٢٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٢١ (وضعَّفَه ابنُ عطية)، وزاد المسير ٤/ ٤٩٣ (واستبعدَه ابن الجوزي)، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٢٩.

(٢) القراءات الشاذة ص٧٤، والمحتسب ٢/ ١٢، والكشاف ٢/ ٤٢٩، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٢١.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: عبد الله بن طلحة، وهو خطأ. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٢١.

(٤) ينظر السبعة ص٣٧٥، والتيسير ص١٣٨، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٢١، والنشر ٢/ ٢٧٣.

(٥) في الكشاف ٢/ ٤٢٩: مذهبه.

وقال الكرمانيّ: المعنى: أنتم أفصحُ العربِ[١] وأبلغُهم وأقدرُهم على الكلام نظماً ونثراً، وقد عَجَزْتُم وعَجَزَ جميعُ العرب عنه[٢]، فكيف تنسبُونه إلى أعجميٍّ ألْكَنَ.

قال الزمخشريّ: فإن قلت: الجملةُ التي هي قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ ما محلُّها؟ قلت: لا محلَّ لها لأنها مستأنفة جوابٌ لقولهم، ومثلُه قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] بعد قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾. انتهى.

ويجوز عندي أن تكون جملةً حاليةً فموضعُها نصب، وذلك أبلغُ في الإنكار عليهم، أي: يقولون ذلك والحالُ هذه، أي: علمُهم بأعجميةِ هذا البشر وإبانةُ عربيَّة هذا القرآنِ كان يمنعُهم من تلك المقالة، كما تقول: تشتِمُ فلاناً وهو قد أحسنَ إليك! أي: علمُك بإحسانه لك كان يقتضي منعَك من شتمه، وإنما ذهبَ الزمخشريّ إلى الاستئناف، ولم يذهب إلى الحال لأن من مذهبه أن مجيء الجملة الحالية الاسمية بغير واوٍ شاذٌّ، وهو مذهبٌ مرجوحٌ جدّاً، ومجيء ذلك بغير واو لا يكاد ينحصر كثرةً في كلام العرب، وهو مذهب تبعَ فيه الفرَّاءَ، وأما «الله أعلم» فظاهرٌ قوله فيها لأنها جملة حاليةٌ من ضمير يعود على ذي الحال؛ لأنَّ ذا الحال هو ضمير «قالوا» وفي هذه الآية ذو الحال ضمير «يقولون»، والضميرُ الذي في جملة الحال هو ضمير الفاعل في «يُلحدون»، فالجملة وإنْ عَرِيَتْ عن الواو ففيها ضمير ذي الحال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ

(١) كلمة «العرب» من (ز١) و(يه).
(٢) لفظة «عنه» من (ح).

ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾.

لمَّا ذكرَ تعالى نسبتَهم الافتراءَ إلى الرسول ﷺ وأنَّ ما أتى به من عند الله إنما يعلِّمُهُ إياه بشرٌ كان ذلك تسجيلاً عليهم بانتفاء الإيمان، فأخبرَ تعالى عنهم أنهم لا يهديهم الله أبداً، إذ كانوا جاحدين آياتِ الله، وهو ما أتى به الرسولُ من المعجزات وخصوصاً القرآن، فمن بالغَ في جَحْدِ آياتِ الله سدَّ اللهُ عليه بابَ الهداية، وذكرَ تعالى وعيدَه بالعذاب الأليم لهم.

ومعنى «لا يهديهم» لا يخلُقُ الإيمانَ في قلوبهم، وهذا عامٌّ مخصوص، فقد اهتدى قوم كفرُوا بآيات الله تعالى.

وقال الزمخشريّ[(١)]: لا يهديهم الله: لا يلطُفُ به، لأنهم من أهل الخِذْلان في الدنيا والعذابِ في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب. انتهى، وهو على طريقة الاعتزال.

وقال ابن عطيَّة[(٢)]: المفهوم من الوجود أنَّ الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدَّم في هذا الترتيب وأخَّر تهمُّماً بتقبيح فعلهم والتشنيع[(٣)] بخطئهم، وذلك كقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، والمرادُ ما ذكرناه، فكأنه قال: إنَّ الذين لم يؤمنوا لم يهدهم الله. انتهى.

وقال القاضي[(٤)]: أقوى ما قيل في ذلك: لا يهديهم إلى طريق الجنة، ولذلك قال بعدَه: «ولهم عذاب أليم» والمرادُ أنهم لمَّا تركوا الإيمانَ بالله لا يهديهم الله إلى الجنة، بل يسوقُهم إلى النار.

وقال العسكري: يجوز أن يكون المعنى: إنهم إنْ لم يؤمنوا بهذه الآيات لم يهتدوا، والمرادُ بقوله: «لا يهديهم الله» أنَّهم لا يهتدون، وإنما يقال: هَدَى اللهُ

(١) الكشاف ٢/ ٤٢٩.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٢.
(٣) في (ز١) و(يه): وللتشنيع.
(٤) هو القاضي عبد الجبَّار المعتزلي، وكلامه في تفسير الرازي ٢٠/ ١١٨.

فلاناً، على الإطلاق إذا اهتدى هو، وأمَّا من لم يقبل الهدى فإنه يقال: إنَّ الله هداه فلم يَهْتَدِ، كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

ثم ردَّ تعالى قولَهم: «إنما أنتَ مُفْتَرٍ» بقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ أي: إنما يليقُ افتراءُ الكذب بمن لا يؤمن، لأنه لا يترقَّبُ عقاباً عليه، ولمَّا كان في كلامهم «إنَّما» ـ وهي تقتضي الحَصْرَ عند بعضِهم ـ جاء الرَّدُّ عليهم بـ «إنما» أيضاً، وجاء بلفظ «يفتري» الذي يقتضي التجدُّد، ثم علَّق الحُكم على الوصف المقتضي للافتراء وهو انتفاءُ الإيمان، وختمَ بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ فاقتضى التوكيدَ المُبالَغَ والحَصْرَ بلفظ الإشارة.

والتأكيدُ بلفظ «هم» وإدخال «أل» على «الكاذبون» وبكونه اسم فاعل يقتضي الثبوت والدوامَ، فجاء «يفتري» يقتضي التجدُّد، وجاء «الكاذبون» يقتضي الثبوتَ والدَّوام.

وقال الزمخشريّ: «وأولئك» إشارة إلى قريش «هم الكاذبون» هم الذين لا يؤمنون، فهم الكاذبون، أو إلى الذين لا يؤمنون، أي: وأولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب، لأنَّ تكذيبَ آياتِ الله أعظمُ الكذب، أو أولئك هم الذين عادتُهم الكذب لا يُبالون بِهِ في كلِّ شيء، لا تَحْجُبُهُمْ عنه مروءةٌ ولا دين، أو أولئك هم الكاذبون في قولهم: «إنما أنت مُفْتَرٍ». انتهى. والوَجْهُ الذي بدأ به بعيد، وهو أنَّ «وأولئك» إشارة إلى قريش.

والظاهر أنَّ «مَنْ» شرطيَّة في موضع رفع على الابتداء، وهو استئنافُ إخبارٍ لا تعلُّق له بما قبلَه من جهة الإعراب.

ولمَّا كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد استثنَى من الكافرين مَنْ كَفَرَ باللفظ وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، ورُخِّصَ له في النطق بكلمة الكفر إذا كان قلبُه مؤمناً وذلك مع الإكراه، والمعنى: إلَّا مَنْ أُكْرِهَ على الكفر، فلَفَظَ[1] بكلمةِ الكفر وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان.

وجواب الشرط محذوف لدلالةِ ما بعَده عليه، تقديرُه: الكافرون بعدَ الإيمان غيرَ المُكْرَهين فعليهم غضبٌ.

(١) في (أ) و(ح) والمطبوع: تلفَّظ.

ويصحُّ أن يكون الاستثناء ممَّا تَضَمَّنَهُ جوابُ الشرطِ المحذوفُ، أي: فعليهم غضبٌ إلا مَنْ أُكْرِهَ، فلا غَضَبَ عليه ولا عذاب ولكنْ مَنْ شَرَحَ. وكذا قدَّره الزمخشريُّ[1]، أعني الجوابَ قبلَ الاستثناء في قول مَنْ جَعَلَ «مَنْ» شرطاً.

وقال ابنُ عطيَّة: وقالت فرقة: «مَنْ» في قوله: «مَنْ كَفَرَ» ابتداء، وقولُهُ: «مَنْ شَرَحَ» تخصيصٌ منه، ودخلَ الاستثناء لإخراج عمَّارٍ وشِبْهِهِ، ودنا من الاستثناء الأول الاستدراكُ بـ «لكنْ»[2]، وقولُه: «فعليهم» خبرٌ عن «مَنْ» الأولى والثانية، إذْ هو واحدٌ بالمعنى، لأن الإخبار في قوله: «مَنْ كَفَرَ» إنما قَصَدَ به الصِّنفَ الشارحَ بالكفر. انتهى. وهذا وإنْ كان كما ذكر فهاتان جملتان شرطيَّتان، وقد فَصَلَ بينهما بأداة الاستدراك، فلا بدَّ لكلٍّ واحدةٍ منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه، فتقدير الحذف أَجْرَى[3] على صناعة الإعراب، وقد ضعَّفوا مذهبَ أبي الحسن في ادِّعائه أنَّ قولَه ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جوابٌ لـ «أمَّا» ولـ«إنْ»[4]، هذا وهما أداتا شرط إحداهما تلي الأخرى.

وعلى كون «مَنْ» في موضع رفع على الابتداء يجوز أن تكون شرطية كما ذكرنا، ويجوز أن تكون موصولة، وما بعدَها صلتُها، والخبرُ محذوف لدلالة ما بعدَه عليه كما ذكرنا في حذف جواب الشرط إلا أنَّ «مَنْ» الثانية لا يجوز أن تكون شرطاً حتى يُقَدَّرَ قبلها مبتدأ، لأنَّ «مَنْ» وَلِيَتْ «لكنْ» فيتعيَّن إذ ذاك أن تكون «مَنْ» موصولة، فإنْ قُدِّرَ مبتدأ بعد «لكنْ» جازَ أن تكون شرطيَّة في موضع خبر ذلك المبتدأ المقدَّر كقوله:

ولكنْ متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ[5]

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٠.

(٢) عبارة المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٣ (والكلام منه): وردَّنا من الاستثناء إلى المعنى الأول الاستدراك بـ «لكنْ».

(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: أحرى (بالحاء المهملة).

(٤) يعني في قوله تعالى من سورة الواقعة: فأما إن كان من المقرَّبين... وأمَّا إن كان من أصحاب اليمين... الآيات (٨٨-٩١).

(٥) هو عجز بيت لِطَرَفَة. وصدرُه: ولستُ بحلَّالِ التِّلاعِ مخافةً. وهو في ديوانه ص٢٩. قوله: التِّلاع، جمع تِلْعة، وهو مَسِيلُ الماءِ من أعلى إلى أسفل، والاسترفاد: الاستعانة.

أي: ولكنْ أنا مَتَى يَسْتَرْفِدِ القومُ أَرْفِدِ، وكذلك تُقَدَّر هنا: ولكنْ هُم مَنْ شَرَحَ بالكفرِ صدراً، أي: منهم.

وأجازَ الحَوْفيُّ والزمخشريُّ[١] أن تكون «مَنْ» بدلاً من «الذين لا يؤمنون» ومن «الكاذبون» ولم يُجِزِ الزجاج[٢] إلا أن تكون بدلاً من «الكاذبون» لأنه رأى الكلامَ إلى آخرِ الاستثناء غيرَ تامّ، فعلَّقه بما قبلَه.

وأجازَ الزمخشريُّ أن يكون بدلاً من «أولئك».

فإذا كان بدلاً من «الذين لا يؤمنون» فيكون قولُه: «وأولئك هم الكاذبون» جملةَ اعتراضٍ بين البدَل والمُبدَلِ منه، والمعنى: إنما يفتري الكذبَ مَنْ كفرَ بالله من بعد إيمانه، واستثنَى منهم المُكْرَهَ فلم يدخل تحت حكم الافتراء.

وإذا كان بدلاً من «الكاذبون» فالتقدير: وأولئك هم مَنْ كفرَ بالله مِن بعدِ إيمانه.

وإذا كان بدلاً من «أولئك» فالتقدير: ومَنْ كفرَ بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون.

وهذه الأوجهُ الثلاثة عندي ضعيفة لأن الأول يقتضي أنه لا يفتري الكذبَ إلا مَنْ كفرَ بالله من بعدِ إيمانه، والوجودُ يقتضي أنَّ مَنْ يفتري الكذبَ هو الذي لا يؤمنُ، وسواءٌ أكان ممَّن كفرَ بعد الإيمان أم[٣] كان ممَّن لم يؤمن قَطّ، بل مَنْ لم يؤمن قطُّ هم الأكثرون المفترون الكذب.

وأمَّا الثاني فيؤول المعنى إلى ذلك، إذ التقدير: وأولئك ـ أي الذين لا يؤمنون ـ هم مَنْ كفرَ بالله من بعد إيمانه، والذين لا يؤمنون هم المفترون.

وأمَّا الثالث فكذلك؛ إذِ التقدير: إنَّ المشار إليهم هم مَنْ كفرَ بالله من بعد إيمانه مُخبَرٌ عنهم بأنهم الكاذبون.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٠.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢١٩.
(٣) في (يه): أو. وفي (ح) والمطبوع: أنه، وهو خطأ.

وقال الزمخشري[١]: ويجوزُ أن ينتصبَ على الذَّمّ. انتهى. وهذا أيضاً بعيد، والذي تقتضيه فصاحةُ الكلام جعلُ الجمل كلِّها مستقلّة لا ترتبطُ بما قبلَها من حيث الإعراب، بل من حيث المعنى والمناسبة.

وفي قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ دليلٌ على أنَّ فِعْلَ المُكْرَهِ لا يترتَّبُ عليه شيء، وإذا كان قد سُومِحَ بكلمة الكفر أو فعلٍ ما يؤدِّي إليه فالمسامحةُ بغيره من المعاصي أَوْلَى.

وقد تكلَّموا في كيفية الإكراه المُبيح لذلك وفي تفصيل الأشياء التي يقعُ الإكراهُ فيها، وذلك كلُّه مذكور في كتب الفقه.

والمُكرَهُون على الكفر المعذَّبون على الإسلام خبَّاب وصُهيب وبلال وعمَّار وأبواه ياسر وسُميَّة وسالم وجَبْر[٢]، عُذِّبُوا، فأجابَهُمْ عمَّار وجَبْر باللفظ، فخُلِّيَ سبيلُهما، وتمادَى الباقون على الإسلام، فقُتل ياسر وسُميَّة، وهما أولُ قتيل في الإسلام، وعُذِّبَ بلال وهو يقول: أحَدٌ أحَدٌ [حتى ملُّوا، فكتَّفُوه وجعلوا في عنقه حَبْلاً من ليف ودفعوه إلى صبيانهم يلعبون به] حتى ملُّوه وتركوه[٣]، وعُذِّبَ خَبَّاب بالنار، فما أطفأها إلا وَدَكُ ظهرِه[٤].

وجُمع الضمير في «فَعَلَيْهم» على معنى «مَنْ» وأُفرد في «شَرَحَ» على لفظها.

والظاهر أنَّ «ذلك» إشارةٌ إلى ما استحقُّوه من الغضب والعذاب، أي: كائنٌ لهم بسبب استحبابِهم الدنيا على الآخرة؛ قال الزمخشريّ: واستحقاقِهم خِذلانَ الله بكفرهم[٥]. انتهى. وهي نزغةُ اعتزال.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٠.

(٢) جَبْر هو مولى عامر بن الحضرمي، أكرهه سيِّده على الكفر، فكفر مكرهاً، ثم أسلم عامر وحسن إسلامه، وهاجر جبر مع سيده. قاله الثعلبي ٣/ ٥٤٢-٥٤٣. وأمَّا سالم فلم أعرفه، وجاء ذِكْرُه في تفسير الثعلبي ٣/ ٥٤٢ مع مَنْ ذكرهم المصنف أعلاه في خبر عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فيهم. وينظر الكشاف ٢/ ٤٣٠.

(٣) قوله: حتى ملُّوه فتركوه، من (ز١) و(يه). وما سلف بين حاصرتين من تفسير الرازي ١٢١/٢٠.

(٤) أي: شَحمُ ظَهره. وينظر في هذا الخبر (إضافة إلى المصدرين السالفين) تفسيرُ القرطبي ١٢/ ٤٣٢-٤٣٤.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٣٠.

والضمير في «بأنهم» عائدٌ على «مَنْ» في «مَنْ شَرَحَ»، ولمَّا فعلُوا فِعْلَ مَنِ استحبَّ أُلزِمُوا ذلك وإن كانوا غير مصدِّقين بآخرة، لكن من حيث أعرضوا عن النظر فيه كانوا كمن استحبَّ غيرَه.

وقوله: «استحبُّوا» هو تكسُّبٌ منهم علَّق به العقاب.

«وأنَّ الله لا يهدي» إشارة إلى اختراع الله الكفرَ في قلوبهم، فجمعت الآية بين الكسب والاختراع، وهذا عقيدةُ أهل السُّنَّة[1].

وقيل: «ذلك» إشارةٌ إلى الارتداد والإقدام على الكفر لأجلِ أنهم رَجَّحُوا الدُّنيا على الآخرة، ولأنه تعالى ما هداهم إلى الإيمان[2].

وتقدَّم الكلامُ على الطَّبْع على القلوب والسَّمع والأبصار والختم عليها[3].

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ قال ابنُ عبَّاس: عمَّا يُرادُ منهم في الآخرة[4].

وقال الزمخشريّ: الكاملون في الغفلة الذين لا أَحَدَ أغفلُ منهم، لأنَّ الغفلةَ عن تدبُّر العواقب هي غايةُ الغفلة ومنتهاها.

ولمَّا كان الإنسانُ خُلِقَ ليكتسب[5] بالطاعات سعادةَ الآخرة، فعملَ على عكس ذلك من المعاصي الكفر وغيرِه؛ عَظُمَ خُسرانُه، فقيل فيهم: هم الخاسرون لا غيرُهم، ومَنْ أخسَرُ ممَّن اتَّصفَ بتلك الأوصافِ السابقةِ من كينونةِ غضبِ اللهِ عليهم والعذابِ الأليم واستحبابِ الدنيا وانتفاءِ هدايتِهم والإخبارِ بالطَّبع وبغفلتهم!

ولمَّا ذكرَ تعالى حالَ مَنْ كفرَ بعدَ الإيمان وحالَ مَنْ أُكْرِهَ؛ ذكرَ حالَ مَنْ هاجرَ بعدَ ما فُتِنَ.

قال ابنُ عطية: وهذه الآية مدنيَّة، ولا أعلمُ في ذلك خلافاً.

وقال ابن عبَّاس: نزلت، فكتبَ بها المسلمون إلى مَنْ كان أسلمَ بمكَّة: إنَّ الله

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٥.
(٢) بنحوه في تفسير الرازي ٢٠/ ١٢٤.
(٣) ينظر تفسير الآية (٧) من سورة البقرة.
(٤) تفسير الرازي ٢٠/ ١٢٤.
(٥) في المطبوع: ولما كان الإسناد ليكتسب...!

قد جعلَ لكم مخرجاً، فخرجُوا، فأدركَهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا مَنْ نجا وقُتل مَنْ قُتل[١]. فعلى هذا السبب يكون جهادُهم مع الرسول على الإسلام.

ورُوِيَ أنهم خرجوا واتُّبِعُوا وجاهدوا متَّبعيهم، فقُتل من قُتل ونَجا من نَجا، فنزلت حينئذٍ، فعُنِيَ بالجهاد جهادُهم لمتَّبعيهم.

وقال ابنُ إسحاق: نزلت في عمَّار وعيَّاش بنِ أبي ربيعة والوليد بنِ الوليد؛ قال ابنُ عطية[٢]: وذِكْرُ عمَّار في هذا غيرُ قويم، فإنه أرفعُ من طبقة هؤلاء، وإنما هؤلاء مَنْ تابَ ممَّن شرحَ بالكفر صدراً[٣]، فتحَ الله لهم بابَ التوبة في آخر الآية.

وقال عكرمة والحسن: نزلت في شأن عبدِ الله بنِ أبي سَرْحٍ وأشباهِه[٤]، فكأنَّه يقول: من بعدِ ما فتنَهم الشيطان.

وقال الزمخشريّ: «ثم إنَّ ربَّك» دلالةٌ على تباعدِ حالِ هؤلاء من حالِ أولئك، وهم عمَّارٌ وأصحابُه.

و«للذين» عند الزمخشريّ في موضع خبر «إنَّ»، قال: ومعنى إنَّ ربَّك لهم[٥]: أنه لهم لا عليهم، بمعنى أنه وليُّهُمْ وناصرُهم لا عدوُّهم وخاذلُهم، كما يكون المَلِكُ للرجل لا عليه فيكون محمياً منفوعاً غيرَ مضرُور. انتهى.

وقوله: منفوعاً، اسم مفعول من نَفَع، وهو قياسُه لأنه متعدٍّ ثلاثيٌّ، وزعمَ الأهوازي النَّحويّ أنه لا يُستعمل مِن نَفَعَ اسمُ مفعول، فلا يقال: منفوع، وقفتُ له عليه في شرحه موجز الرُّمَّانيّ.

(١) بنحوه في زاد المسير ٤/ ٤٩٧-٤٩٨. وأخرجه الطبري ١٤/ ٣٧٩-٣٨٠ مطولاً.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٥. وقول ابن إسحاق السالف وما قبله فيه.
(٣) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٥: وإنما هؤلاء مَنْ شرحَ بالكفر صدراً.
(٤) بنحوه أطول منه في تفسير الطبري ١٤/ ٣٨٠، وبلفظه في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٥، وعبدُ الله بن أبي سَرْح كان يكتبُ لرسول الله ﷺ، فأزلَّه الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به أن يُقتل يوم الفتح، فاستجارَ له عثمان، فأجارَه رسول الله ﷺ. ينظر تفسير القرطبي ١٢/ ٤٥٠.
(٥) أورد المصنف لفظ الآية بالمعنى، فوضعَ الضميرَ «هم» مكان الاسم الظاهر «الذين هاجروا». وقولُه: «لهم» ليس في الكشاف ٢/ ٤٣٠.

وقال أبو البقاء[١]: خبر «إنَّ» الأولى قولُه: «إنَّ ربك لغفور»، و«إنَّ» الثانية واسمُها تكريرٌ للتوكيد. انتهى.

وإذا كانت «إنَّ» الثانية واسمُها تكريراً للتوكيد كما ذكر، فالذي تقتضيه صناعة العربية أن يكون خبر «إنَّ» الأولى هو قولُه: «الغفور»، ويكون «للذين» متعلِّقاً بقوله: «لغفور» أو بـ «رحيم» على الإعمال لأنَّ «إنَّ ربَّك» الثانية لا يكون لها طلب لما بعدها من حيث الإعراب، كما أنك إذا قلت: قام قام زيدٌ، فـ «زيدٌ» إنما هو مرفوع بـ «قام» الأولى لأنَّ الثانية ذُكرت على سبيل التوكيد للأولى.

وقيل: لا خَبَرَ لـ «إنَّ» الأولى في اللفظ لأنَّ خبرَ الثانية أغنَى عنه[٢]. انتهى. وهذا ليس بجيِّد لأنه ألغَى حُكم الأولى وجعلَ الحُكم للثانية، وهو عكسُ ما تقدَّم، ولا يجوز.

وقيل: «للذين» متعلِّق بمحذوف على جهة البيان، كأنَّه قيل: أَعْنِي للذين، أي: الغُفرانُ للذين.

وقرأ الجمهور: «ففُتِنوا» مبنياً للمفعول، أي: بالعذاب والإكراه على كلمة الكفر، وقرأ ابن عامر: «فَتَنُوا» مبنياً للفاعل[٣]، والظاهر أنَّ الضمير عائد على الذين هاجروا، فالمعنى: فَتَنُوا أنفسَهم بما أعطَوا المشركين من القول كما فَعل عمَّار، أو لـمَّا كانوا صابرين على الإسلام وعُذِّبوا بسبب ذلك صاروا كأنَّهم هم المعذِّبون أنفسَهم. ويجوز أن يكون عائداً على المشركين، أي: من بعدِ ما عذَّبُوا المؤمنين كالحضرميّ[٤] وأشباهِه.

والضمير في «من بعدِها» عائد على المصادر المفهومة من الأفعال السابقة، أي: من بعد الفتنة والهجرة والجهاد والصَّبر.

---

(١) الإملاء ٢/ ٨٦.
(٢) المصدر السالف. وينظر الدر المصون ٧/ ٢٩٢.
(٣) السبعة ص٣٧٦، والتيسير ص١٣٨.
(٤) هو يعلى بن الحَضْرميّ سيِّدُ جَبْر السالف ذكرُه قريباً، وقد أسلم وحسُن إسلامه كما سلف في التعليق عليه.

وقال ابن عطية: والضمير في «بعدِها» عائدٌ على الفتنة أو الفَعْلَة[1] أو الهجرة أو التوبة، والكلام يعطيها وإنْ لم يجرِ لها ذِكرٌ صريح.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

«يومَ» منصوبٌ على الظرف، وناصبُه «رحيم» أو على المفعول به وناصبُه: اذْكُر.

والظاهرُ عموم «كلُّ نفس» فيجادل المؤمنُ والكافر، وجِدالُه بالكذب والجَحْد، فتشهدُ عليهم الرُّسُلُ والجوارح، فحينئذ لا ينطقون.

وقالت فرقة: الجِدالُ قولُ كلِّ أحدٍ من الأنبياء وغيرهم: نفسي نفسي؛ قال ابن عطية[2]: وهذا ليس بجدال ولا احتجاج، إنَّما هو مجرَّد رغبة.

واختار الزمخشريّ هذا القولَ وركَّبَ معَه ما قبله، فقال: كأنه قيل: يومَ يأتي كلُّ إنسان يُجادلُ عن ذاتهِ لا يُهِمُّه شأنُ غيرِه، كلٌّ يقول: نفسي نفسي. ومعنى المجادلة الاعتذار عنها[3]، كقولهم: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ونحوِ ذلك.

وقال: يقال لعين الشيء وذاتِه: نفسُه، وفي نقيضه: غيرُه، والنفس الجملةُ كما هي، فالنفسُ الأولى هي الجملة، والثانية عينُها وذاتُها.

---

(١) قوله: أو الفعلة، من (ز١) و(به)، وهو أيضاً في المحرر الوجيز. والكلام منه.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٦. والقول السالف فيه، وهو معنى حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً أن كل أحد يقول يوم القيامة: نفسي نفسي، سوى محمدٍ ﷺ فإنه يَسألُ في أمته. ينظر صحيح البخاري (٤٧١٢)، وصحيح مسلم (١٩٤).

(٣) في الكشاف ٢/ ٤٣١: ومعنى المجادلة عنها الاعتذارُ.

وقال ابن عطية: أي كلُّ ذي نفس، ثم أجرَى الفعلَ على المضاف إليه المذكور، فأنَّثَ[١] العلامة، و«نفس» الأولى هي النفس المعروفة، والثانية هي بمعنى البدَن[٢]، كما تقول: نفسُ الشيء وعينُه، أي: ذاتُه.

وقال العسكري: الإنسان يسمَّى نفساً، تقول العرب: ما جاءني إلا نفسٌ واحدة، أي: إنسانٌ واحد، والنفس في الحقيقة لا تأتي لأنها هي الشيء الذي يعيش به الإنسان. انتهى.

فإن قلتَ: لِمَ لَمْ يتعدَّ الفعلُ إلى الضمير لا إلى لفظ النفس؟

قلت: منعَ من ذلك أنَّ الفعل إذا لم يكن من باب «ظنَّ» و«فَقَدَ» لا يتعدَّى فعلُ ظاهرٌ فاعلَه ولا مُضمرُه إلى مُضمرِهِ المتصل، فلذلك لم يجئ التركيب: تُجادِلُ عنها، ولذلك لا يجوز: ضَرَبَتْها هندٌ، ولا هندٌ ضَرَبَتْها، وإنما تقول: ضَرَبَتْ نفسَها هندٌ، وضرَبَتْ هندٌ نفسَها[٣].

«ما عَمِلَتْ» أي: جزاءَ ما عملت من إحسان أو إساءة، وأُنِّثَ الفعل في «تأتي» والضمير في «تجادلُ» وفي «عن نفسها» وفي «تُوَفى» وفي «عَمِلَتْ» حملاً على معنى «كلُّ»، ولو رُوعِيَ اللفظ لذُكِّر، وقال الشاعر:

جادَتْ عليها كلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ فتَرَكْنَ كلَّ حديقةٍ كالدِّرْهَمِ[٤]

فأنَّثَ على المعنى.

وما ذُكر عن ابن عباس أنَّ الجِدالَ هنا هو جِدالُ الجَسَد للرُّوح، والرُّوحِ للجَسَد، لا يظهر، قال: يقولُ الجَسَد: ربِّ جاء الرُّوح بأمرِك، به نَطَقَ لساني،

(١) المثبت من (ح) وهو كذلك في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٦ (والكلام منه). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: فأثبت.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٦: الذات.

(٣) سلف مثلُه عند قوله: «ولهم ما يشتهون» في الآية (٥٧) من هذه السورة، وقولِه: «يخصفان عليهما» في الآية (٢٢) من سورة الأعراف.

(٤) البيت لعنترة، وهو من معلَّقتِه كما في ديوانه ص١٨ برواية:

جادَتْ عليه كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فتَرَكْنَ كلَّ قرارةٍ كالدِّرْهَمِ

وهو في اللسان (ثرر - حرر - حدق) بروايات متقاربة، وسلف في تفسير البقرة (٣٦).

وأبصَرَتْ عيني، ومشَتْ رِجْلي، فتقول الرُّوح: أنتَ كسَبتَ وعصيتَ لا أنا، وأنتَ كنتَ الحاملَ وأنا المحمول، فيقول الله عزَّ وجل: أضرِبُ لكما مَثَلَ أعمى حملَ مُقْعَداً إلى بستان فأصابا من ثمارِه، فالعذابُ عليكما[1].

وعن ابن عبَّاس ومجاهدٍ وابنِ زيد وقتادةَ أنَّ القريةَ المضروبَ بها المَثَل مكَّة، كانت لا تُغزَى ولا يُغارُ عليها، والأرزاقُ تُجلَبُ إليها، وأنعمَ اللهُ عليها بالرَّسول ﷺ، فكفرَتْ فأصابَها السِّنُونَ والخوفُ وسَرَايا الرسول وغَزَواتُه، ضُرِبَتْ مثلاً لغيرِها ممَّا يأتي بعدَها. وهذا إن[2] كانت الآية مدنيَّة، وإنْ كانت مكيَّة فجُوعُ السنينَ وخوفُ العذابِ بسبب التكذيب[3].

ويؤيِّدُ كونَها مكَّةَ قولهُ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ ويجوزُ أن تكون قريةً من قرى الأولين.

وعن حفصة أنَّها المدينة[4].

وقال ابنُ عطيَّة: يتوجَّهُ عندي أنَّها قُصِدَ بها قريةٌ غيرُ معيَّنة، جُعلَتْ مثلاً لمكَّة على معنى التحذير لأهلها ولغيرِها من القرى إلى يوم القيامة.

وقال الزمخشريّ[5]: يجوزُ أن يُراد قريةٌ مقدَّرة على هذه الصفة، وأن تكون في قُرى الأوَّلين قريةٌ كانت هذه حالُها، فضرَبَها الله مثلاً لمكَّة إنذاراً من مثلِ عاقبتِها. انتهى.

ولا يجوز أن يراد قرية مقدَّرة على هذه الصفة، بل لا بدَّ من وجودِها لقوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

---

(١) بنحوه أطول منه في تفسير الثعلبي ٣/ ٥٤٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٥١. وقال الآلوسي ١٤/ ٣١٨: والظاهر عدم صحة هذا عن هذا الحَبْر، وهو أجلُّ من أن يَحمِلَ المجادلةَ في الآية على ما ذُكر.

(٢) في (أ) و(ح) والمطبوع: وإن. وهو خطأ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٦. وأخرج الطبري ١٤/ ٣٨٣ قول ابن عباس وغيره ممَّن ذُكر أعلاه أنها مكة.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٣٨٤. قال الآلوسي ١٤/ ٣٢٠: لعلها أرادت أنها مثلها، ويمكن حملُ ما رُوِيَ عن الحَبْر (يعني ابن عباس ﷺ) ومن معه على ذلك.

(٥) الكشاف ٢/ ٤٣١.

﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ ابتدأ بصفةِ الأَمْنِ لأنه لا نعيمَ لخائف. والاطمئنانُ زيادةٌ في الأمن، فلا يُزعجُها خوفٌ.

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ أقواتُها واسعةٌ من جميع جهاتِها لا يتعذَّرُ منها جهة.

و«أَنْعُم» جمعُ نِعْمَة، كشِدَّة وأَشُدّ[١]، وقال قُطرب: جمع نُعْمٍ بمعنى النعيم، يقال: هذه أيامُ طُعْمٍ ونُعْمٍ[٢]. انتهى. فيكون كبُؤْسٍ وأبْؤُس.

وقال الزمخشريّ: جمعُ نِعْمَة على تركِ الاعتدادِ بالتاء، كدِرْع وأَدْرُع.

وقال العقلاء:

ثلاثةٌ ليس لها نِهايَهْ الأمنُ والصحةُ والكِفايَهْ

قال أبو عبد الله الرازيّ[٣]: «آمِنة» إشارة إلى الأمن، «مطمئنَّة» إشارة إلى الصحة لأنَّ هواء ذلك لمَّا كان مُلائماً لأمزجتِهم اطمأنُّوا إليها واستقرُّوا[٤].

﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ السببُ في ذلك دعوةُ إبراهيم عليه السلام: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال[٥]: الأنعمُ جمعُ قلَّة، ولم يأت: بنعم الله، وذلك أنه قصدَ التنبيه بالأدنى على الأعلى، بمعنى أنَّ كُفرانَ النِّعَم القليلة أوْجَبَ العذابَ، فكُفرانُ الكثيرة أولى بإيجابه.

قال ابنُ عطية[٦]: لمَّا باشرهم ذلك صارَ كاللِّباس، وهذا كقول الأعشى[٧]:

إذا ما الضجيعُ ثَنَى جِيدَها تَثَنَّتْ عليهِ فصارَتْ لِباسَا

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٦ عن سيبويه. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤١٠.
(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٦.
(٣) تفسيره ٢٠/ ١٢٨. والرَّجَزُ السالفُ فيه.
(٤) في المصدر السالف: اطمأنُّوا إليه واستقرُّوا فيه.
(٥) يعني الرازي، والكلام الآتي مختصرٌ من تفسيره، والكلام الذي قبله فيه أيضاً.
(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٧.
(٧) البيت للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص٨١، وقد تابع المصنفُ ابنَ عطية في نسبته للأعشى.

ونحوه قولُه تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومنه قول الشاعر:

وقد لَبِسَتْ بعدَ الزُّبيرِ مُجاشِعٌ ثيابَ التي حاضَتْ ولم تَغْسِلِ الدَّمَا[1]

كأنَّ العارَ لمَّا باشرَهم ولَصِقَ بهم جعلَهم لبسوه.

وقوله: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ﴾ نظيرُ قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] ونظيرُ قولِ الشاعر:

دونَكَ ما جَنَيْتَهُ فَاحْسُ وذُقْ[2]

وقال الزمخشري: [فإن قلت:][3] الإذاقةُ واللباسُ استعارتان، فما وجهُ صحَّتهما؟ والإذاقةُ المستعارة مُوقَعة على اللباس، فما وَجْهُ صحَّة إيقاعِها عليه؟

قلت: أمَّا الإذاقة فقد جرت عندَهم مَجْرَى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يَمَسُّ الناسُ منها، فيقولون: ذاقَ فلانٌ البؤسَ والضُّرَّ، وأذاقَهُ العذابَ، شَبَّهَ ما يُدرِكُ من أثر الضَّرَرِ والألم بما يُدرِك من طعم المُرِّ والبَشِع.

وأمَّا اللباس فقد شُبِّه به لاشتماله على اللابس ما غَشِيَ الإنسانَ والتبسَ به من بعض الحوادث.

وأمَّا إيقاعُ الإذاقة على لباس الجُوع والخوف فلأنه لمَّا وقعَ عبارةً عما يَغشى منهما ويُلابس، فكأنَّه قيل: فأذاقَهم ما غَشِيَهُم من الجوع والخوف، ولهم في نحو هذا طريقان:

أحدُهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نُظِرَ إليه ههنا، ونحوُه قول كُثيّر:

---

(١) البيت لجرير، وهو في ديوانه ص٩٨٣.

(٢) الرَّجز بهذه الرواية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٧، والكلام حتى هذا الموضع منه. وأورده العسكري في جمهرة الأمثال ١/ ١٢٤ مع عدَّة أبيات، وفيه: اسْتَحْسَنْتَهُ، بدل: جَنَيْتَهُ، وذكرَ ابنُ الأثير الأبيات أيضاً في الكامل ٣/ ٥٠٩، وذكر أن معاوية تَمثَّلَ بها عندما خطبَ بالمدينة ومدحَ يزيدَ وتوعَّد خُصُومَه.

(٣) قوله: «فإن قلت» بين حاصرتين من الكشاف ٢/ ٤٣١، واستُدركت في (ح) فوق السطر بغير خط الناسخ.

غَمْرُ الرِّداءِ إذا تَبسَّمَ ضاحكاً غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقابُ المالِ[(١)]

استعارَ الرِّداءَ للمعروفِ لأنه يَصُونُ عِرْضَ صاحبِه صَوْنَ الرِّداء لما يُلْقَى عليه، ووصفَه بالغَمْر الذي هو وصفُ المعروف والنَّوال لا صفةُ الرِّداءِ نظراً إلى المستعارِ له.

والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار، كقوله:

يُنازِعُني ردائي عَبْدُ عَمرٍو رُوَيْدَكَ يا أخا عَمرِو بنِ بَكْرِ
لِيَ الشَّطْرُ الذي مَلَكَتْ يميني ودونَكَ فاعْتَجِرْ منه بِشَطْرِ[(٢)]

أرادَ بردائِه سيفَه، ثم قال: فاعْتَجِرْ منه بشَطْر، فنظرَ إلى المستعار في لفظ الاعتجار. ولو نُظِرَ إليه فيما نحن فيه لقيل: فكساهم لباسَ الجوعِ والخوف، ولقال كُثَيِّر:

ضافي الرِّداءِ إذا تَبسَّم ضاحكاً

انتهى. وهو كلام حسن.

ولما تقدَّم ذِكْرُ الأمن وإتْيان الرِّزق قابلَهما بالجوع الناشئ عن انقطاع الرِّزق، وبالخوف، وقدَّم الجوعَ ليليَ المتأخِّر وهو إتيان الرِّزق، كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وأمَّا قولُه: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ﴾ [هود: ١٠٥-١٠٦] فقُدِّم ما بُدِئَ به، وهما طريقان.

---

(١) ديوان كُثَيِّر ص٢٩٥. وينظر إصلاح المنطق ص٤ وص٤٩، والصناعتين ص٣٦٥، واللسان (غمر - ردى). والكلام من الكشاف ٢/ ٤٣١. والبيت في مَدْح عبد العزيز بنِ مروان؛ قال السِّيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص٥٣: يقول: إذا ضَحِكَ وسُرَّ وَهَبَ مالَه وفرَّقَه، ومعنى غَلِقَتْ: حَصَلَتْ للموهوبِ له... من قولك: غَلِقَ الرَّهْنُ: إذا حصل للمرتهن ولم يسترجعه الراهن.

(٢) سمط اللآلي ٢/ ٩٣٥، وفيه: يا أخا سعدِ بنِ بكرٍ، والبيت الأول في اللسان (ردى) وفيه: رويداً يا أخا سعد بن بكر. والكلام في الكشاف ٢/ ٤٣٢.

وقرأ الجمهور: «والخوفِ» بالجرِّ عطفاً على «الجوع»، ورَوى العبَّاس عن أبي عمرو: «والخوفَ» بالنصب عطفاً على «الباس»[1]، قال صاحب «اللوامح»: ويجوزُ أن يكونَ نصبُه بإضمار فعل.

وقال الزمخشريّ: يجوزُ أن يكون على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مُقامَه، أصلُه: ولباسَ الخوف.

وقرأ عبد الله: «فأذاقها الله الخوفَ والجوعَ» ولا يذكر «الباس». والذي أقولُه: إنَّ هذا تفسيرُ المعنى لا قراءة، لأن المنقولَ عنه مستفيضاً مثلُ ما في سَواد المصحف.

وفي مصحف أبيّ بنِ كعب: «الباسَ الخوف والجوع»[2]، بدأ بمقابل ما بدأ به في قوله «كانت آمنةً». وهذا عندي إنما كان في مصحفه قبلَ أن يُجمِعُوا على ما في سَوَاد المصحف الموجودِ الآن شرقاً وغرباً، ولذلك المستفيضُ عن أُبيّ في القراءة إنما هو كقراءة الجماعة.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ من كُفرانِ نِعَمِ الله، ومنها تكذيبُ الرَّسولِ الذي جاءهم. والضميرُ في «بما كانوا يصنعون» عائدٌ على المحذوف في قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: قصةَ أهلِ قريةٍ، أعادَ الضميرَ أولاً على لفظ «قرية» ثم على المضاف المحذوف، كقوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤].

والظاهرُ أنَّ الضمير في «ولقد جاءهم» عائدٌ على ما عادَ عليه في قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، وقال ابنُ عطية[3]: يحتملُ أن يكون الضمير في «جاءهم» لأهل تلك المدينة، يكون هذا بما جرى فيها كمدينة شعيب وغيرِه، ويحتملُ أن يكونَ لأهلِ مكة.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٧، وزاد المسير ٤/ ٥٠٠، وتفسير القرطبي ٢/ ٤٥٣. والقراءة المشهورة عن أبي عمرو كقراءة الجمهور بالجرِّ.

(٢) القراءتان في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٧، ونسبت قراءة «الباس الخوف والجوع» في القراءات الشاذة لعبد الله وأُبيّ.

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٧.

وقال أبو عبد الله الرازيّ[١]: لمَّا ذكرَ المَثَلَ قال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ يعني أهلَ مكة ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني من أنفسهم يعرفونه بأصلِه ونَسَبِه.

ولمَّا وعظَ تعالى بضرب ذلك المثل وصلَ هذا الأمرَ للمؤمنين بالفاء، فأمرَ المؤمنين بأكل ما رَزَقَهم وشُكرِ نعمتِه ليُبايِنُوا تلك القرية التي كفرت بنِعَم الله.

ولما تقدَّم ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ جاء هنا: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ وفي البقرة جاء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ لم يذكر مَنْ كفرَ نعمتَه فقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ ولما أمرَهم بالأكل مما رزقهم عدَّد عليهم محرَّماته تعالى، ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم دون اتِّباع ما شرعَ الله على لسان أنبيائه، وكذا جاء في البقرة ذِكرُ ما حرَّم إثرَ قوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾.

وقولُه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ الآية تقدَّم تفسير مثلها في البقرة.

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾.

لما بَيَّنَ تعالى ما حرَّم بالغَ في تأكيد ذلك بالنهي عن الزيادة فيما حرَّم كالبَحِيرَةِ والسائبة، وفيما أحلَّ كالميتة والدَّم[٢].

وذكرَ تعالى تحريمَ هؤلاء الأربع في سورة الأنعام[٣] وهذه السُّورة ـ وهما مكيَّتان ـ بأداة الحَصْر، ثم كذلك في سورة البقرة [١٧٣]، وفي المائدة [١]،

(١) تفسيره ٢٠/ ١٣٠.

(٢) يعني أنهم زادوا على التحريم مثلَ البَحِيرَة والسَّائبة، وزادوا على التحليل مثلَ الميتة والدَّم، فنهاهم الله عن ذلك. والكلام بنحوه أوضح منه في تفسير الرازي ٢٠/ ١٣٠-١٣١. وقوله: «كالبحيرة والسائبة وفيما أحلَّ» ليس في (يه)، وضُرب عليه في (ز١).

(٣) الآيـة (١٤٥): ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

بقوله: «أُحِلَّتْ لكم» الآية، وأجمعوا على أنَّ المراد بـ «ما يتلى عليكم»(١) هو قولُه: «حُرِّمَتْ عَلَيكم» الآية(٢)، وهما مدنيَّتان، فكان هذا التحريم لهذه الأربع مشرَّعاً ثابتاً في أول مكة وآخرِها، وأولِ المدينة وآخرِها، فنَهَى تعالى أن يُحَرِّمُوا ويُحِلُّوا من عند أنفسِهم ويفترُوا بذلك على الله حيث ينسُبون ذلك إليه(٣).

وقرأ الجمهور: «الكَذِبَ» بفتح الكاف والباء وكسر الذال.

وجوَّزُوا في «ما» في هذه القراءة أن تكون بمعنى «الذي»، والعائد محذوف تقديرُه: للذي تصفُهُ ألسنتُكم.

وانتصب «الكذب» على أنه معمول لـ «تقولوا» أي: ولا تقولوا الكذبَ للذي تَصِفُه ألسنتُكم من البهائم بالحِلِّ والحُرْمةِ من غير استناد ذلك الوصفِ إلى الوحي.

و«هذا حلالٌ وهذا حرام» بدلٌ من «الكذب» أو على إضمار فعل، أي: فتقولوا: هذا حلالٌ وهذا حرام.

وأجاز الحَوْفيُّ وأبو البقاء(٤) أن يكون انتصاب «الكذب» على أنه بدل من الضمير المحذوف العائد على «ما» كما تقول: جاءني الذي ضربتُ أخاك، أي: ضربتُه أخاك. وأجاز أبو البقاء أن يكون منصوباً بإضمار: أعْني.

وقال الكسائي والزجَّاج(٥): «ما» مصدرية، وانتصب «الكذب» على المفعول به، أي: لوصفِ ألسنتِكم الكذبَ.

ومعمول «ولا تقولوا» الجملة من قوله: «هذا حلالٌ وهذا حرام»، والمعنى: ولا تُحلِّلُوا ولا تُحرِّمُوا لأجلِ قولٍ تنطقُ به ألسنتُكم كذباً لا بحجَّة وبيِّنة. وهذا معنًى بديعٌ جعلَ قولَهم كأنه عينُ الكذب ومحضُه، فإذا نطقت به ألسنتُهم فقد حلَّت الكذبَ بحِلْيَتِه وصوَّرته بصورتِه، كقولهم: وجهُه يصفُ الجمال، وعينُها تصفُ السِّحر.

---

(١) في قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١].
(٢) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣].
(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٠/ ١٣١.
(٤) الإملاء ٢/ ٨٦.
(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٢٢. وينظر تفسير الرازي ٢٠/ ١٣١.

وقرأ الحسنُ وابنُ يَعْمَر وطلحة والأعرج وابنُ أبي إسحاق وابنُ عُبيد ونُعيم بنُ ميسرة بكسر الباء[١]، وخُرِّجَ على أن يكون بدلاً من «ما»، والمعنى: للذي تصِفُه ألسنتُكم الكذبِ.

وأجاز الزمخشريُّ وغيرُه أن يكون «الكذب» بالجرِّ صفةً لـ «ما» المصدرية؛ قال الزمخشريّ[٢]: كأنَّه قيل: لوصفِها الكذبِ، بمعنى الكاذب، كقوله تعالى: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف: ١٨] والمرادُ بالوصف وصفُها البهائم بالحِلِّ والحُرمة. انتهى.

وهذا عندي لا يجوز، وذلك أنهم نصُّوا على أنَّ «أنْ» المصدريَّة لا يُنعت المصدرُ المنسبكُ منها ومن الفعل، ولا يُوجد من كلامهم: يُعجبُني أن قُمْتَ السريعُ، يريد: قيامُك السريعُ، ولا عجبتُ من أنْ تخرجَ السريعِ، أي: من خروجِك السريعِ، وحكم «ما» في[٣] الحروف المصدرية حكم «أنْ» فلا يوجد من كلامهم وصفُ المصدر المنسبك من «أنْ» ولا من «ما» ولا من «كي» بخلاف صريح المصدر، فإنه يجوز أن يُنعت، وليس لكلِّ مُقَدَّر حكمُ المنطوق به، وإنما يتبع في ذلك ما تكلَّمت به العرب.

وقرأ معاذ وابنُ أبي عَبْلة وبعضُ أهلِ الشام: «الكُذُبُ» بضمِّ الثلاثة صفة للألسنة جمع كَذُوب؛ قال صاحب «اللوامح»: أو جمع كاذب أو كِذاب. انتهى. فيكون: كشارفٍ وشُرُف، أو مثل: كِتاب وكُتُب، ونسبَ هذه القراءة صاحبُ «اللوامح» لمَسْلَمة بنِ مُحارب.

وقال ابنُ عطية[٤]: وقرأ مَسْلَمة بنُ مُحارب: الكُذُبَ بفتح الباء على أنه جمع كِذَاب، ككُتُبٍ في جمع كِتاب.

وقال صاحب «اللوامح»: وجاء عن يعقوب: «الكُذُبَ» بضمَّتين والنصب، فأمَّا الضَّمتان فلأنه جمع كِذَاب، وهو مصدر، ومثلُه كِتاب وكُتُب.

(١) المحتسب ٢/ ١٢. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٩.
(٢) الكشاف ٢/ ٤٣٣.
(٣) في (أ) و(ح) والمطبوع: باقي، بدل: «ما» في.
(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٩. وقراءة معاذ وابن أبي عبلة السالفة فيه.

وقال الزمخشري: بالنصب على الشتم، أو بمعنى الكَلِم الكواذب، أو هو جمع الكِذَاب، من قولك: كَذَبَ كِذَاباً. ذكره ابنُ جنِّي. انتهى[1].

والخطابُ على قول الجمهور بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾ للكفار في شأن ما أحلُّوا وما حرَّموا من أمورِ الجاهلية، وعلى ذلك الزمخشريّ وابنُ عطيَّة.

وقال العسكريّ: الخطاب للمكلَّفين كلِّهم، أي: لا تُسَمُّوا ما لم يأتِكم حَظْرُهُ ولا إباحتُه عن الله ورسولِه حلالاً ولا حراماً فتكونوا كاذبين على الله في إخباركم بأنه حَلَّلَهُ وحرَّمه. انتهى.

وهذا هو الظاهر لأنه خطابٌ معطوف على خطاب، وهو: «فكلُوا» «إنما حرَّم عليكم» فهو شاملٌ لجميع المكلَّفين.

واللام في «لتفتروا» لام التعليل الذي لا يتضمَّن معنى الغرَض. قاله الزمخشريّ. وهي التي تُسَمَّى لامَ العاقبة ولامَ الصيرورة؛ قيل: لأنَّ ذلك الافتراءَ ما كان غَرَضاً لهم؛ والظاهرُ أنها لامُ التعليل، وأنهم قصدُوا الافتراء كما قالوا: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ [الأعراف: ٢٨]. ولا يكون ذلك على سبيل التوكيد لِما تقدَّم لتضمُّنه الكذب، لأنَّ هذا التعليل فيه التنبيه على مَن افترَوْه عليه، وهو الله تعالى.

وقال الواحديّ: «لتفتروا على الله الكذب» بدلٌ من قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ لأنَّ وصفَهم الكذبَ هو افتراءٌ على الله، ففسَّر وصفَهم بالافتراء على الله. انتهى.

وهو على تقدير «ما» مصدرية. وأمَّا إذا كانت بمعنى «الذي» فاللام في «لما» ليست للتعليل فيبدلَ منها ما يقتضي التعليل، بل اللام متعلِّقة بـ «لا تقولوا» على حدِّ تَعلُّقِها في قولك: لا تقولوا لِما أحلَّ الله: هذا حرامٌ، أي: لا تُسَمُّوا الحلالَ حراماً، وكما تقول: لا تقل لزيد: عَمرو، أي: لا تُطلق على زيد هذا الاسم.

والظاهر أنهم افترَوْا على الله حقيقةً، وهو ظاهرُ الافتراء الوارد في آي القرآن.

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٣. وينظر المحتسب ٢/ ١٢-١٣.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يريد أنه كان شَرْعُهُم لأتْباعهم سنناً لا يرضاها الله افتراءً عليه، لأنَّ مَنْ شَرَعَ أمراً فكأنَّه قال لِتُبَّاعِه[1]: هذا هو الحقُّ، وهذا مُرادُ الله.

ثم أخبر تعالى عن الذين يفترون على الله الكذب بانتفاء الفلاح، والفلاحُ الظَّفَرُ بما يُؤمَّل، فتارة يكون في البقاء كما قال:

والـمُـمْـسِـيُ والـصُّـبْـحُ لا فَـلاحَ مَـعَـهْ[2]

وتارة في نُجْحِ المساعي كما قال عَبِيدُ بنُ الأبرص:

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغُ بالـ ـضَّعْفِ وقد يُخْدَعُ الأرِيبُ[3]

وارتفعَ «متاعٌ» على أنه خبر مبتدأ محذوف، فقدَّره الزمخشريّ[4]: منفعتُهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعةٌ قليلة وعقابُها عظيم.

وقال ابنُ عطيَّة[5]: عيشُهم في الدنيا.

وقال العسكري: يجوز أن يكون المتاعُ هنا ما حلَّلُوه لأنفسهم ممَّا حرَّمه الله تعالى.

وقال أبو البقاء[6]: بقاؤهم متاعٌ قليل.

وقال الحَوْفي: «متاعٌ قليلٌ» ابتداءٌ وخبر. انتهى. ولا يصحّ إلا بتقدير الإضافة، أي: متاعُهم قليل.

ولمَّا بيَّن تعالى ما يَحِلُّ وما يحرُم لأهل الإسلام أَتْبَعَهُ بما كان خصَّ به اليهود مُحالاً على ما تقدَّم ذِكْرُه في سورة الأنعام [١٤٦]. وهذا يدلُّ على أنَّ سورة الأنعام نزلت قبل هذه السورة، إذ لا تصحُّ الحوالة إلا بذلك.

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٩: لأتباعه.
(٢) هو عجز بيت للأضبط بن قُرَيْع السعدي، وصدرُه: لكلِّ هَمٍّ من الهُموم سَعَهْ. وهو في الأغاني ١٨/ ١٢٧، والمحرر الوجيز ١/ ٨٦، واللسان (فلح).
(٣) ديوان عَبِيد ص٢٦.
(٤) الكشاف ٢/ ٤٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٣/ ٤٢٩.
(٦) الإملاء ٢/ ٨٧.

ويتعلَّق «من قبلُ» بـ «قَصَصْنا»، وهو الظاهر، وقيل: بـ «حَرَّمْنا» والمحذوفُ الذي في «مِن قبلُ» تقديرُه: من قبلِ تحريمِنا على أهل ملَّتِك.

و«السوءُ» هنا؛ قال ابن عباس: الشِّرْكُ قبلَ المعرفةِ بالله. انتهى. والسُّوءُ ما يسوءُ صاحبَه من كُفرٍ ومعصيةٍ غَيْرِه[1]. والكلامُ في «للذين عملوا» وما يتعلَّق به تقدَّم نظيرُه في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [١١٠] فأغنى عن إعادته.

وقال قوم: «بجهالة»: بعَمْدٍ، وقال ابن عطية: ليست[2] هنا ضدَّ العلم، بل هي تعدِّي الطَّورِ وركوبُ الرأس، ومنه: «أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ»[3]، وقولُه:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا[4]

والتي هي ضدُّ العلم تصحبُ هذه كثيراً، ولكن يخرجُ منها المتعمّد، وهو الأكثر، وقلَّما يوجدُ في العصاة من لم يتقدَّم له عِلْم بخطر المعصية التي يُواقع. انتهى ملخَّصاً.

وقال الزمخشريّ[5]: «بجهالة» في موضع الحال، أي: عملُوا السُّوء جاهلين غيرَ عارفين بالله وبعقابِه، أو غير متدبِّرين للعاقبة لغَلَبةِ الشهوةِ عليهم.

وقال سفيان: جهالتُه أن يلتذَّ بهواه، ولا يُبالي بمعصية مولاه.

وقال الضحَّاك: باغترارِ الحال عن المآل.

وقال العسكريّ: ليس المعنى أنه يغفرُ لمن يعملُ السُّوءَ بجهَالة ولا يغفرُ لمن عمله بغير جَهالة، بل المرادُ أنَّ جميع من تابَ فهذا سبيلُه، وإنَّما خصَّ من يعملُ السُّوء بجهالة لأنَّ أكثر من يأتي الذنوبَ يأتيها بقلَّة فِكْر في عاقبة، أو عند غَلَبةِ

(١) في (ح): وغيره.
(٢) يعني الجهالة، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٠، والقول السالف قبله فيه.
(٣) قطعة من دعاء كان النبي ﷺ يقوله إذا خرجَ من بيته، أخرجه أحمد (٢٦٧٢٩) وأبو داود (٥٠٩٤) من حديث أم سلمة ﵂.
(٤) البيت لعمرو بن كلثوم، وهو في معلَّقته ص١١٧، ولم يرد الشطر الثاني في (ز١) و(يه).
(٥) الكشاف ٢/ ٤٣٣.

شهوة، أو في جَهالة شَباب، فذكرَ الأكثرَ على عادة العرب في مثل ذلك.

والإشارة بـ «ذلك» إلى عمل السُّوء.

«وأصلحوا»: استمرُّوا على الإقلاع عن تلك المعصية، وقيل: «أصلحُوا»: آمنُوا وأطاعُوا.

والضمير في «مِن بعدِها» عائد على المصادر المفهومة من الأفعال السَّابقة، أي: من بعدِ عملِ السُّوء والتوبة والإصلاح، وقيل: يعود على الجَهالة، وقيل: على السُّوء على معنى المعصية.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ
ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ
ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

لما أبطلَ تعالى مذاهبَ المشركين في هذه السورة من إثبات الشركاء لله والطعنِ في نبوَّةِ رسول الله ﷺ وتحليلِ ما حرَّم وتحريمِ ما أحلَّ، وكانوا مفتخرين بجَدِّهم إبراهيمَ عليه السلامُ مقرِّين بحُسن طريقتِه ووجوبِ الاقتداءِ به = ذَكَرَهُ في آخرِ السورة وأوضحَ مِنهاجَه وما كان عليه من توحيد اللهِ تعالى ورفضِ الأصنام ليكونَ ذلك حاملاً لهم على الاقتداء به.

وأيضاً فلمَّا جرى ذِكْرُ اليهودِ بيَّن طريقةَ إبراهيمَ ليظهر الفرقُ بين حالِه وحالِهم وحالِ قريش.

وقال مجاهد: سُمِّيَ أمَّةً لانفرادِهِ بالإيمانِ في وقتِه مدَّةً مّا[1].

وفي «البخاري» أنه قال لسارة: ليس على الأرضِ اليومَ مؤمنٌ غيري وغيرُك[2].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٠. وينظر تفسير الثعلبي ٣/ ٥٤٧، والكشاف ٢٠/ ٤٣٣، وزاد المسير ٤/ ٥٠٣.

(٢) صحيح البخاري (٢٢١٧)، وهو قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً في دخول إبراهيم عليه السلام قرية فيها جبَّارٌ من الجبابرة. وأخرجه أيضاً مسلم (٢٣٧١).

والأمَّةُ لفظ مشترك بين معانٍ، منها الجمعُ الكثير من الناس، ثم يشبَّه به الرجلُ الصائم[١]، أو الملك، أو المنفرد بطريقة وحدَه عن الناس، فسُمِّيَ أمَّة، وقاله ابنُ مسعود والفرَّاء وابنُ قتيبة[٢].

وقال ابنُ عبَّاس: كان عندَه من الخير ما كان عند أمَّة. ومن هنا أخذ الحسنُ بنُ هانئ قوله:

وليس لِلَّهِ بمستنكرٍ أن يجمعَ العالَمَ في واحدِ[٣]

وعن ابن مسعود أنه معلِّم الخير، وأطلقَ هو وعمرُ ذلك على معاذ، فقالا: كان أمَّةً قانتاً[٤].

وقال ابنُ الأنباريّ: هذا مِثْلُ قولِ العرب: فلانٌ رحمة، وعلَّامة، ونسَّابة، يقصدون بالتأنيث التناهي في المعنى الموصوفِ به[٥].

وقيل: الأمَّة الإمام الذي يُقْتَدَى به[٦]، من: أَمَّ يؤمُّ، والمفعول قد يُبنى للكثرة على فُعْلَة.

وتقدَّم تفسير القانت والحنيف[٧].

---

(١) في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٠ (والكلام منه): العالِم. وهو الصواب.
(٢) كذا وقع، وإنما هذا قولُ ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٠. وأمَّا قول ابن مسعود والفراء وابن قتيبة فهو: معلِّم الخير، ونقلَه عنهم ابنُ الجوزي في زاد المسير ٤/ ٥٠٣، وسيرد، وأخرجه الطبري ١٤/ ٣٩٣ عن ابن مسعود، وينظر معاني الفراء ٢/ ١١٤، وغريب القرآن لابن قتيبة ص٢٤٩.
(٣) ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ) ص٢١٨. وجاءت روايةُ صدرِه في الكشاف ٢/ ٤٣٣: ليس على الله بمستنكرٍ، ووقع في مطبوع البحر: وليس على الله بمستنكرٍ (بزيادة واو) وهو خطأ.
(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٣٩٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٣٠، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٥٧، عن ابن مسعود، وذكره الزمخشري ٢/ ٤٣٣ في خبر مرفوع عن عمر.
(٥) زاد المسير ٤/ ٥٠٣.
(٦) نسبه ابنُ الجوزي في المصدر السالف لقتادة ومقاتل وأبي عبيدة، ثم قال: هو في معنى القول الأول (يعني قول ابن مسعود ﷺ).
(٧) ينظر تفسير الآيتين (١١٦) و(١٣٥) من سورة البقرة.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ رُوِيَ أنه كان لا يتغدَّى إلا مع ضيف، فلم يجد ذاتَ يوم ضيفاً فأخَّرَ غداءَه؛ فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام، فخيَّلُوا له أنَّ بهم جُذاماً، فقال: الآنَ وَجَبَتْ مؤاكلتُكم شكراً للهِ على أنه عافاني وابتلاكم[١].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال قتادة: حبَّبه الله تعالى إلى كلِّ الخلق، فكلُّ أهلِ الأديان يتولَّونه: اليهودُ والنصارى والمسلمون، وخصوصاً كفارُ قُريش، فإنَّ فخرَهم إنما هو به، وذلك بإجابةِ دعوته ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾[٢] [الشعراء: ٨٤].

وقيل: الحسنةُ قولُ المصلِّي منَّا: كما صلَّيتَ على إبراهيم، وقال ابنُ عباس: الذِّكْرُ الحَسَن.

وقال الحسن: النبوَّة، وقال مجاهد: لسان صِدْق[٣]، وقال قتادة: القبول[٤]، وعنه: تنويهُ اللهِ بذِكْره[٥].

وقيل: الأولادُ الأبرار على الكِبَر[٦]. وقيل: المالُ يصرفُه في الخير والبِرِّ.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ تقدَّم الكلام على هذه الجملة في البقرة [١٣٠].

ولمَّا وصفَ إبراهيمَ عليه السلام بتلك الأوصافِ الشريفة أمرَ نبيَّه ﷺ أن يتَّبع ملَّته، وهذا الأمرُ من جملة الحسنةِ التي آتاها الله إبراهيمَ في الدنيا؛ قال ابن فُورك: وأمرَ الفاضلَ باتِّباع المفضول لمَّا كان سابقاً إلى قول الصواب والعملِ به[٧].

وقال الزمخشريّ[٨]: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ في «ثُمَّ» هذه ما فيها من تعظيم منزلةِ

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٤، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٣٥.
(٢) تفسير الرازي ٢٠/ ١٣٥-١٣٦، وينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٩٨، والكشاف ٢/ ٤٣٤.
(٣) ينظر النكت والعيون ٣/ ٢١٩، وزاد المسير ٤/ ٥٠٤، وأخرج الطبري ١٤/ ٣٩٧-٣٩٨ قول مجاهد.
(٤) هو بمعنى قوله المطوَّل السالف، وهو بنحوه في تفسير الثعلبي ٣/ ٥٤٧.
(٥) هو قطعة من قوله السالف، ذكره الزمخشري ٢/ ٤٣٤ بنحوه.
(٦) تفسير الثعلبي ٣/ ٥٤٧، وزاد المسير ٤/ ٥٠٤.
(٧) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣١. وينظر النكت والعيون ٣/ ٢١٩، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٥٩.
(٨) الكشاف ٢/ ٤٣٤.

رسولِ الله ﷺ وإجلالِ محلِّهِ والإيذانِ بأنَّ أشرفَ ما أوتيَ خليلُ اللهِ إبراهيم عليه السلام من الكرامة وأجَلَّ ما أوتيَ من النِّعمة اتِّباعُ رسولِ الله ﷺ مِلَّتَهُ، من قِبَلِ أنَّها دَلَّتْ على تباعدِ هذا النعتِ في المرتبة من بينِ سائرِ النعوت التي أثنى الله عليه بها. انتهى.

و«أنْ» تفسيرية، أو في موضع المفعول.

واتِّباعُ ملَّتِه؛ قال قتادة: في الإسلام، وعنه أيضاً: جميعُ ملَّته إلا ما أُمر بتركه[1]، وعن عَمرو بن العاص: مناسك الحجّ[2].

وقال القرطبيّ[3]: الصحيحُ عقائدُ الشرع دون الفروع لقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقيل: في التبرِّي من الأوثان[4].

وقال قوم: كان على شريعة إبراهيمَ وليس له شرعٌ ينفردُ به، وإنما المقصودُ من بعثتِه إحياءُ شرعِ إبراهيمَ عليه السلام. قال أبو عبد الله الرازيّ[5]: وهذا القولُ ضعيف لأنه وصفَ إبراهيمَ في هذه الآية بأنه «ما كانَ من المشركين» فلمَّا قال: «اتَّبِعْ ملةَ إبراهيم» كان المرادُ ذلك.

فإنْ قيل: النبيُّ ﷺ إنما نَفَى الشِّرْكَ وأثبتَ التوحيد بناءً على الدلائل القطعية، وإذا كان كذلك لم يكن متابِعاً له، فيمتنع حملُ قولِه «أنِ اتَّبِعْ» على هذا المعنى، فوجبَ حملُه على الشرائع التي يصحُّ حصولُ المتابعةِ فيها.

قلت: يحتملُ أن يكون المرادُ متابعتَه في كيفيةِ الدَّعوةِ إلى التوحيد، وهي أن يدعوَ إليه بطريق الرِّفق والسهولة، وإيرادِ الدلائلِ مرَّةً بعدَ أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن. انتهى.

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢١٩، وزاد المسير ٤/ ٥٠٤.

(٢) نُسب القول في وسيط الواحدي ٣/ ٩١، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٥٨ لابن عُمر ﵄.

(٣) تفسيره ١٢/ ٤٥٩.

(٤) تفسير الطبري ١٤/ ٣٩٨، ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٣/ ٢١٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٥٠٤-٥٠٥، والقرطبي ١٢/ ٤٥٨.

(٥) تفسيره ٢٠/ ١٣٦، والقول السالف قبله فيه.

ولا يحتاج إلى هذا لأنَّ المعتقدَ الذي تقتضيه دلائلُ العقول لا يمتنع أن يُوحَى به؛ لتظَافرِ المعقولِ والمنقولِ علي اعتقادِه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فليس اعتقاد الوحدانية بمجرَّد الوحي فقط، وإنما تظافرُ المنقولِ عن الله في ذلك مع دليل العقل.

وكذلك هنا أخبرَ تعالى أنَّ إبراهيمَ لم يكن مشركاً، وأمرَ الرسولَ باتِّباعه في ذلك وإن كان انتفاءُ الشِّرك ليس مستندُه مجردَ الوحي، بل الدليلُ العقلي والدليلُ الشرعي تظافرا على ذلك.

وقال ابنُ عطية[1]: قال مكّيّ: ولا يكون ـ يعني حنيفاً ـ حالاً من إبراهيم لأنه مضافٌ إليه. وليس كما قال، لأنَّ الحال قد تعملُ فيها حروفُ الخفض إذا عملت في ذي الحال، كقولك: مرَرَتُ بزيد قائماً. انتهى.

أمّا ما حَكَى عن مكّيٍّ وتعليلِه امتناعَ ذلك بكونه مضافاً إليه، فليس على إطلاق هذا التعليل؛ لأنه إذا كان المضافُ إليه في محلِّ رفع أو نصب جازتِ الحال منه، نحو: يعجبُني قيامُ زيدٍ مسرعاً، وشُربُ السَّوِيقِ مَلْتُوتاً[2].

وقال بعضُ النُّحاة: ويجوزُ أيضاً ذلك إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه، كقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا﴾ [الحجر: ٤٧] أو كالجزء منه كقوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ وقد بيَّنَّا الصحيحَ في ذلك فيما كتبناه على «التسهيل» وعلى «الألفية» لابن مالك.

وأمَّا قولُ ابنِ عطية في ردِّه على مكّي بقوله: وليس كما قال لأنَّ الحال. . . إلى آخره، فقولٌ بعيدٌ عن قول أهلِ الصَّنْعة، لأن الباء في «بزيد» ليست هي العاملة في «قائماً»، وإنما العاملُ في الحال «مَرَرْتُ»، والباء وإنْ عَمِلَتْ الجرَّ في «زيد» فإنَّ زيداً في موضع نصب بـ «مَرَرْتُ» ولذلك إذا حُذف حرفُ الجرّ ـ حيث يجوزُ حذفُه ـ نصبَ الفعلُ ذلك الاسمَ الذي كان مجروراً بالحرف.

ولمَّا أمرَ اللهُ رسولَه ﷺ باتِّباعِ ملَّةِ إبراهيمَ عليه السلام وكان الرسولُ قد اختارَ

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٠. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٢.

(٢) لَتَّ السَّوِيقَ: خَلَطَهُ بسمنٍ أو غيرِه. والسَّوِيق: طعامٌ يُتَّخَذُ من مدقوق الحنطة والشعير.

يومَ الجمعة فدلَّ ذلك على أنه كان في شَرْعِ إبراهيمَ = بَيَّنَ أنَّ يومَ السبتِ لم يكن تعظيمُهُ واتِّخاذُه للعبادةِ من شَرْعِ إبراهيمَ ولا دينِه.

والسَّبْتُ مصدر، وبه سُمِّيَ اليوم. وتقدَّم الكلام في هذا اللفظ في الأعراف [١٦٣].

قال الزمخشريّ[1]: سبتت اليهودُ إذا عظَّمت سَبْتَها، والمعنى: إنما جُعل وَبالُ السبت ـ وهو المَسْخ ـ على الذين اختلفوا فيه. واختلافُهم فيه أنهم أحَلُّوا الصَّيْدَ فيه تارةً وحرَّموه تارةً، وكان الواجبُ عليهم أن يتَّفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدَ ما حَتَمَ اللهُ عليهم الصبرَ عن الصيد فيه. والمعنى في ذكرِ ذلك نحو المعنى في ضَرْبِ القريةِ التي كفرَتْ بأنعُمِ اللهِ مَثَلاً وغيرِ ما ذكر، وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين رِبْقَةَ طاعتِه.

فإن قلت: فما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً مُحِلِّين أو مُحرِّمين؟

قلت: معناه أنه يُجازيهم جزاءَ اختلافِ فعلِهم[2] في كونهم مُحِلِّين تارةً ومُحَرِّمين أُخرى.

ووجهٌ آخرُ وهو أنَّ موسى عليه السلام أمرَهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة، وأن يكون يومَ الجمعة، فأبَوْا عليه وقالوا: نُريدُ اليومَ الذي فَرَغَ اللهُ فيه من خلق السماواتِ والأرض، وهو السَّبْت، إلا شِرْذِمةً منهم قد رَضُوا بالجمعة. فهذا اختلافهُم في السَّبت، لأنَّ بعضَهم اختاره وبعضَهم اختارَ عليه الجمعة، فأذِنَ الله لهم في السَّبت، وابتلاهم بتحريم الصَّيدِ فيه، فأطاعَ أمرَ اللهِ الراضون بالجمعة، فكانوا لا يصيدون [فيه] وأعقابُهم لم يصبروا عن الصيد، فمسخَهم اللهُ دون أولئك، وهو يَحكُم بينَهمْ يومَ القيامة، فيُجازِي كلَّ واحدٍ من الفريقين بما يستوجبُه.

ومعنى «جُعِلَ السبتُ»: فُرِضَ عليهم تعظيمُه وتَرْكُ الاصطيادِ فيه. انتهى، وهو كلامٌ ملفَّقٌ من كلام المفسِّرين قبلَه.

(١) الكشاف ٢/ ٤٣٤. ولفظة «فيه» الآتية بين حاصرتين منه.
(٢) اختلف خط الناسخ في (ح) في هذا الموضع حتى أوائل الإسراء.

وقال الكِرْمانيُّ: عُدِّيَ «جُعِلَ» بـ «على» لأن اليومَ صارَ عليهم لا لهم لارتكابِهم المعاصي فيه. انتهى. ولهذا قدَّره الزمخشريّ: إنَّما جُعِلَ وَبالُ السَّبت.

وقال الحسن: جُعِلَ السبتُ لعنةً عليهم بأنْ جعلَ منهم القردة[1].

وقال ابنُ عباس: إنَّ الله سبحانه قال: ذَرُوا الأعمالَ في يوم الجمعة، وتَفرَّغُوا فيه لعبادتي. فقالوا: نُريد السبتَ لأنَّ الله تعالى فرغَ فيه من خلق السماواتِ والأرض، فهو أولى بالراحة[2].

وقرأ أبو حَيْوَة: «جَعَلَ» بفتح الجيم والعين مبنياً للفاعل، وعن ابن مسعود والأعمش أنهما قرأا: «إنما أنزلْنا السبت»[3]، وهي تفسيرُ معنًى لا قراءة لأنها مخالفةٌ لِسَوَاد المصحف المُجمَع عليه، ولِما استفاضَ عن الأعمش وابنِ مسعود أنهما قرأا كالجماعة.

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

أمرَ الله تعالى رسولَه ﷺ أن يدعوَ إلى دينِ الله وشَرْعِه بتلطُّف، وهو أن يُسمِعَ المدعوَّ حكمةً، وهو الكلامُ الصوابُ القريب، الواقعُ في النفس أجملَ مَوقع.

وعن ابن عباس أنَّ الحكمةَ القرآن، وعنه: الفقه، وقيل: النبوّة[4].

وقيل: ما يمنعُ من الفساد من آيات ربِّك المُرْغِبة والمُرْهِبة.

«والموعظة الحسنة»: مواعظ القرآن؛ عن ابن عباس، وعنه أيضاً: الأدبُ الجميل الذي يعرفونه[5].

---

(١) ينظر تفسير القرطبي ٦/ ٤٠٥.

(٢) لم أقف على هذا السياق. وينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٣١، وزاد المسير ٤/ ٥٠٥، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٣٧.

(٣) ينظر القراءات الشاذة ص٧٤، والكشاف ٢/ ٤٣٥، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٣١.

(٤) زاد المسير ٤/ ٥٠٦.

(٥) المصدر السالف.

وقال ابن جرير[١]: هي العِبَر المعدودة في هذه السورة.

وقال ابنُ عيسى: الحكمةُ المعرفةُ بمراتب الأفعالِ، والموعظةُ الحسنة أن تختلطَ الرغبةُ بالرهبة، والإنذار بالبشارة.

وقال الزمخشري: ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى الإسلام ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالمقالة المُحكَمة الصحيحة، وهي الدليلُ الموضِحُ للحقّ المُزيلُ للشبهة ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وهي التي لا يخفَى عليهم أنك تُناصِحُهم بها وتقصدُ ما ينفعُهم فيها. ويجوز أن يريد: القرآن، أي: ادْعُهُمْ بالكتاب الذي هو حكمةٌ وموعظةٌ حسنة ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ طُرُقِ المجادلة[٢] من الرِّفق واللِّين من غير فَظاظة ولا تعنيف.

وقال ابنُ عطية[٣]: الموعظةُ الحسنةُ التخويفُ والترجيةُ والتلطُّفُ بالإنسان بأن تُجِلَّه وتبسطَه وتجعلَه بصورة من يَقبلُ الفضائلَ، ونحو هذا.

وقالت فرقة: هذه الآيةُ منسوخةٌ بآية القتال. وقالت فرقة: هي مُحْكَمَة.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أطبقَ أهلُ التفسير أنَّ هذه الآية مدنيَّة، نزلت في شأن التمثيل بحمزة وغيرِه في يوم أُحُدٍ، ووقعَ ذلك في «صحيح» البخاري وفي كتاب السِّيَر[٤]، وذهب النحاس إلى أنها مكيَّة[٥].

والمعنى متصل بما قبلَها اتصالاً حسناً لأنها تتدرَّجُ الرُّتَبُ[٦] من الذي يُدْعَى

(١) هو الطبري، والكلام بنحوه في تفسيره ١٤/ ٤٠٠.
(٢) في الكشاف ٢/ ٤٣٥ والكلام منه: «بالتي هي أحسنُ»: بالطريقة التي هي أحسنُ طُرُقِ المجادلة... الخ.
(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٢.
(٤) كذا نقل المصنف عن ابن عطية ٣/ ٤٣٢، ونقله القرطبي ١٢/ ٤٦١ أيضاً. والحديث ليس في صحيح البخاري. وأخرجه أحمد في المسند (٢١٢٢٩) و(٢١٢٣٠)، والترمذي (٣١٢٩) من حديث أُبي بن كعب ﷺ، وحسَّنَ محقِّقو المسند إسناده. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول عن أبي هريرة ص٢٩٠ وعن ابن عباس ص٢٩١ وإسناد كل منهما ضعيف.
(٥) معاني القرآن ٤/ ١١٣، غير أنه ذهب في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٤٨٤-٤٨٥ إلى أنها مدنية.
(٦) في النسخ الخطية والمطبوع: الذنب، والمثبت من المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٢ والكلام منه، ونقله أيضاً القرطبي ١٢/ ٤٦١.

ويُوعظُ إلى الذي يُجادَلُ إلى الذي يُجازَى على فِعلِه، ولكن ما رَوَى الجمهورُ أثبتُ. انتهى.

وذهبت فرقة منهم ابنُ سِيرِين ومجاهد إلى أنها نزلت فيمن أصيب بظُلامةٍ أنْ لا ينالَ من ظالمِهِ إذا تمكَّنَ إلا مثلَ ظُلامتِه لا يتعدَّاها إلى غيرِها[١].

وسمَّى المجازاة على الذنب معاقبةً لأجل المقابلة، والمعنى قابِلُوا مَنْ صَنعَ بكم صنيعَ سوءٍ بمثلهِ، وهو عكس ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ المجازُ في الثاني، وفي «وإن عاقبتُم» في الأول[٢].

وقرأ ابنُ سِيرِين: «وإن عَقَّبْتُم فعَقِّبُوا» بتشديد القافين[٣] أي: وإن قفَّيتُم بالانتصار فقَفُّوا بمثلِ ما فُعِلَ بكم.

والظاهرُ عَوْدُ الضميرِ[٤] إلى المصدر الدَّالِّ عليه الفعل مقيَّداً[٥] بالإضافة إليهم، أي: لَصَبْرُكُم.

و«للصابرين» أي: لكم أيُّها المخاطبون، فوضع «الصابرين» موضع الضمير ثَناءً من اللهِ عليهم بصبرِهم على الشدائد، أو بصبرِهم عن المعاقبة[٦].

وقيل: يعودُ إلى جنس الصبر، ويُرادُ بالصابرين جنسُهم، فكأنه قيل: والصبرُ خيرٌ للصابرين، فيندرجُ صبرُ المخاطَبين في الصبر، ويندرجُون هم في

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٢٢١، والكلام في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٢ بنحوه، وحكاه ابن عطية فيه عن الطبري، غير أن الطبري ١٤/ ٤٠٥-٤٠٦ لم يذكر عن ابن سِيرين أن الآية نزلت فيمن أُصيب بظُلامة، إنما أخرج عنه هذا القول تفسيراً للآية؛ وكذا أخرجه الطبري ١٤/ ٤٠٦ عن مجاهد تفسيراً للآية. وعلَّقه البخاري في صحيحه (قبل الحديث ٢٤٦٠) عن ابن سيرين قال: يُقاصُّه، وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ الآية.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٢، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٦١.

(٣) القراءات الشاذة ص٧٤، والمحتسب ٢/ ١٣، والمحرر الوجيز ٣/ ٤٣٢. وذكرها الزمخشري في الكشاف ٢/ ٤٣٥ دون نسبة.

(٤) يعني في قوله: «لَهُوَ».

(٥) في (أ) و(ح) والمطبوع: مبتدأ.

(٦) المثبت من (ز١). وفي النسخ الأخرى والمطبوع: «وبصبرهم على المعاقبة». وهو خطأ. وينظر الكشاف ٢/ ٤٣٥.

الصابرين، ونحوُه ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ولما خُيِّر المخاطبون في المعاقبة والصبرِ عنها عَزَمَ على الرَّسول ﷺ في الذي هو خيرٌ، وهو الصبرُ، فأُمِرَ هو وحدَه بالصبر. ومعنى «بالله»: بتوفيقِه وتيسيرِه وإرادتِه.

والضمير في «عليهم» يعودُ على الكفار، وكذلك في «يمكرون» كما قال: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]. وقيل: يعود على القتلى الممثَّلِ بهم: حمزةَ ومَنْ مُثِّلَ به يومَ أُحُد.

وقرأ الجمهور: «في ضَيْق» بفتح الضاد، وقرأ ابنُ كثير بكسرها[١]، ورُويت عن نافع ولا يصحُّ عنه[٢]، وهما مصدران كالقِيلِ والقَوْل عند بعض اللغويين.

وقال أبو عبيدة[٣]: بفتح الضاد مخفَّف من «ضَيِّق» أي: ولا تَكُ في أمْرٍ ضَيِّق كـ «لَيْن» في «لَيِّن».

وقال أبو عليّ: الصواب أن يكون الضَّيْق لغة في المصدر؛ لأنه إن كان مخفَّفاً من ضَيِّق لزمَ أنْ تُقام الصفة مقام الموصوف إذا تَخصَّصَ الموصوف، وليس هذا موضع ذلك[٤].

والصفة إنما تقوم مقام الموصوف[٥] إذا تخصَّص الموصوف من نفس الصفة، كما تقول: رأيتُ ضاحكاً، فإنَّما تخصَّص الإنسان، ولو قلت: رأيت بارداً، لم

---

(١) السبعة ص٣٧٦، والتيسير ص١٣٩.
(٢) قال النحاس في إعراب القرآن ٢/ ٤١١: هذا لا يُعرف عن نافع، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٣: هو غلط ممَّن رواه.
(٣) بنحوه في مجاز القرآن ١/ ٣٦٩، وينظر أيضاً غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٤٩-٢٥٠.
(٤) الحجة ٥/ ٨٠ بنحوه، ونقله المصنف عنه بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٣ دون قوله السالف: «إذا تخصَّص الموصوف» ولا هو في الحجة أيضاً، والظاهر أنه مقحم في هذا الموضع، وسيرد بعده (وهو من كلام ابن عطية) في الرَّدّ على أبي علي.
(٥) هذا الكلام إلى آخر الفقرة هو من كلام ابن عطية. ينظر المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٣.

يحسُن، وبـ «بارد» مَثَّلَ سيبويه[1]، وضَيْق لا يخصِّص الموصوف.

وقال ابنُ عبَّاس وابنُ زيد: إنَّ ما في هذه الآيات من الأمر بالصبر منسوخ[2].

ومعنى المعيَّة هنا بالنُّصرة والتأييد والإعانة.

تمَّ الجزء الثالث عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء الرابع عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا . . .﴾

الآية الأولى من سورة الإسراء

(١) ينظر الكتاب ١/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٤٣٣. وينظر زاد المسير ٤/ ٥٠٨، وتفسير القرطبي ١٢/ ٤٦٤. وقد ردَّ الرازي ٢٠/ ١٤٣ النسخَ فيها وقال: هذا في غاية البُعد، لأن المقصود من هذه الآية تعليمُ حُسنِ الأدب وكيفيةِ الدعوة إلى الله تعالى وتركُ التعدِّي وطلب الزيادة، ولا تعلُّق لهذه الأشياء بآية السيف.

فهرس الآيات

سورة الرعد

• مفردات الآيات (١-١٨) من قوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ ٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ ١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ ١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ ٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ ٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ

ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ
ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ ٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ
﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ
وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾ ٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩
﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا
ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟
كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ ٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا
يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ
لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ﴾ ٦٣

• **مفردات الآيات (١٩-٤٣) من قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾** ٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟
مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم
بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ ٧٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ
وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ ٨٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ . ٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ ٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ ٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ ١٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ ١٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ ١٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ ١٠٩

تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ

نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ
بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ ١١٥

سورة إبراهيم

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ
وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ ١٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ
أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ ١٢٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٨﴾﴾ ١٣٣

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ
وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ
أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞
قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ ١٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ
لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ

ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ ١٤٢

• مفردات الآيات (١٨-٣٤) من قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ ١٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ ١٥٣

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ ١٥٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ ١٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ ١٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ ١٦٩

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ ١٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ ١٨١

• **مفردات الآيات (٣٥-٥٢) من قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ .. ١٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ ١٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ١٩٥

تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ ٢٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ ٢٠٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ ٢٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ

تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ ٢٠٩

سورة الحجر

• **مفردات الآيات (١-٢٥) من قوله تعالى:** ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ ٢٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾﴾ ... ٢٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ ٢٣٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ ٢٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ ٢٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ ٢٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ
﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ
رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ
فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ
مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ ٢٤٩

● مفردات الآيات (٤٥-٩٩) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾ إلى
قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ ٢٥٧

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا
فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا
بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ
﴿٥٠﴾﴾ ٢٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ
وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ
فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ ٢٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ
﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾
فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ
فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ
أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ
هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ٢٦٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ
﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن
كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا
عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا
لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ ٢٧٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ ٢٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ ٢٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ ٢٨١

سورة النحل

• **مفردات الآيات (١-٢٩) من قوله تعالى:** ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ٢٩٦

تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ ٢٩٨

تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ ٣١٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ ٣١٩

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ٣٢٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ٣٣٠

• مفردات الآيات (٣٠-٥٠) من قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ ٣٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ٣٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ ٣٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ٣٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ٣٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ ٣٥٤

تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ٣٦٥

• **مفردات الآيات (٥١-٧٤) من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾** ٣٧٠

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ٣٧٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ ٣٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ٣٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ ٣٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ٤٠٥

● **مفردات الآيات (٧٥-٨٩) من قوله تعالى:** ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ ٤١٥

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ٤١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ ٤٢٨

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ . ٤٣٤

• **مفردات الآيات (٩٠-١٢٨) من قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ ٤٤١

تفسير قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ

دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)﴾ ٤٤٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ ٤٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣)﴾ ٤٥٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠)﴾ ٤٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ ٤٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ ٤٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ٤٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ ٤٩٠